

نراشنا

ذِيَّوَانْ
إِسْمَاعِيلُ صَبْرِي
أَبُو أَمِيَّة

حَقَّقَهُ

الدكتور محمد القصاص عامر محمد بحيري

الدكتور أحمد كمال زكي

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان



إسماعيل صبري

« أبو أميمة »

١٨٨٦ - ١٩٥٣ م

دراسة لحياة الشاعر وعصره

للدكتور - نازح عاصر محمد مجبري

مدير إدارة إحياء التراث
بوزارة الثقافة والإرشاد القومي

١

استنّت إدارة إحياء التراث ، بوزارة الثقافة والإرشاد القومي ، سنة طيبة في العمل على تحقيق ونشر دواوين الشعراء المحدثين ، بين ما تحققه وتنشره من كتب التراث الأخرى ، قديمها وحديثها . يستوى في ذلك عندها الشعراء الذين تألقت حظوظهم ، وأزدهرت أسماؤهم ، في حياتهم وبعد مماتهم ، من أمثال البارودي وصبري وشوقي وحافظ ومحرم ونسيم وغيرهم ، وإخوانهم الشعراء الآخرون الذين لم يواتهم من الحظوظ ، ولا من بُعد الصيت ما واثق أندادهم الأولين .

وقد اختارت الإدارة من الفريق الأخير شاعراً ، يشترك في اسمه ولقبه مع أحد المشهورين من أفراد الفريق الأول ، وإن كان على تقيضه من حيث الشهرة في الحياة ، والحظ منها . فقد كان شاعرنا إسماعيل صبري — وأعني به أبا أميمة — ممن فرضت عليهم الحياة شتى أعباء ثقيلة منذ نشأته ، ويبدو أن ظروفه لم تمكنه من إتمام تعليمه العالي ، فاكتمى بالمرحلة الثانوية . ثم طرق ميدان الحياة فظل يعمل في التعليم سنوات طوالاً لم تكن كلها خيراً .

وكان إلى جانب ذلك كله قد خلق فناً موهوباً في ضروب عدة . . فهو يحسن الخط العربي إلى درجة الإتقان ، وهو يجيد الرسم إلى مرتبة جعلته يختص بتدريس مادة الرسم في مدارس الوزارة مبرزاً في فنه ، وهو ينظم الشعر عاطفياً ملهماً ، قوى الديباجة ، سليم اللغة ، جياشاً بنوازع النفس . حتى إن شعره لتختار منه المقطوعات المناسبة ، يلحنها الملحنون ، ويفنيها المغنون ، من أبناء جيله . . ويحفظها عن طريق تسجيلها على اسطوانات الحاسك — وهو وسيلة نشر الفناء الكبرى يومئذ — كثيرون من أبناء ذلك الجيل . . وهذا هو الباب الذي نفذ منه شاعرنا إلى مجتمعه ، رغم القيود والسدود لكي يحصل على لقمة العيش من ناحية ، ولكي يشغل مكاناً هاماً في الوسط الفني من ناحية أخرى . . فلم يكن بالأمر الهين يومئذ أن يكون الشاعر ممن ينظم

القصاصد ، ليقوم بتأجيلها أمثال : القصصجي ، وعبد قطر ، وأحمد صبرى ، ودواد حسنى ، ومحمود صبح ، ومحمد هاشم وغيرهم . كما يقوم بأدائها من المغنين أمثال : نجاة على ، وأسماهان ، وصالح عبد الحى ، وغيرهم كذلك . .

ولقد كان هذا الاتجاه نفسه سبباً فى أن يلج شاعرنا باباً آخر من أبواب الفن ، إذ كان التمثيل فى ذلك الوقت يختار فترة من أزهر فتراته ، وكانت الروايات التى تعالج مشاكل المجتمع ، على طريقة قصص ألف ليلة ونحوها ، مما تموج به مسارح التمثيل يومئذ ، ولذلك لم يخل التراث الذى خلفه إسماعيل صبرى من روايات ألفها لهذا المسرح الشعبى ، كروايتى « الشبح » و « بدر البدر » وغيرها . وامتدت بالأديب الشاعر هوايته الأدبية فى ناحية التمثيل ، فأكمل هذه الهواية بترجمة بعض الروايات الأجنبية ، وهىأها للمسرح العربى . ومن ذلك ترجمته لتمثيلية « ربيبة السكوخ » لتشارلس جارفس ، التى أثبتناها فى هذا الكتاب ، كنموذج على مقدرة الأديب فى الترجمة والمسرح معاً . ولأنها قطعة من أدبه المكتوب باللغة العربية الفصحى أيضاً .

وهكذا تتضح ملامح الصورة العامة وتبرز . . فإذا نحن أمام شاعر فنان ، وهبته الطبيعة حظاً كبيراً من المقدرة الفنية فى ضروب عديدة ، كما حرمته فى نفس الوقت الشئ الكثير مما يحتاج إليه الفنان النابه ، أو الشاعر اللامع ، ومع ذلك فقد كان على نفس طيبة كريمة ، وروح مرحة منبسطة ، يسلم أمره للمقادير تعصف بأماله كيف تشاء ، لا يملك من ذلك كله إلا أن يقابلها بابتسامة ساخرة ، أو نظرة عاتبة ، أو قصيدة شاكية !

وهكذا ظل أبو أميمة يجاهد فى الحياة على الصعيدين حتى كلَّ جهده ، وكف بصره . . فترك الخدمة أسفاً ، وهو ينظم للمستولين مرثية نفسه البليغة ، التى سجل فيها هذا الحدث فى حياته . . فيقول :

لِيَجْزِ انْقِضَاءُ بِأَحْكَامِهِ	وَمَنْ يَسْتَطِيعُ عِنَادَ الْقَدَرِ؟
دَهْتَنِي اللَّيَالِي بِأَرْزَائِهَا	فَالْأَزْمَ جَفَنِي الْبُكَ وَالسَّهَرُ
خَدَمْتُ الْمَعَارِفَ عَهْدًا طَوِيلًا	أَمِينًا وَفِيًّا حَمِيدَ الذِّكْرِ
مُحَمَّدًا نَشِيطًا سَلِيمَ الْقَوَى	حَلِيفَ النَّجَاحِ ، حَدِيدَ النَّظَرِ
وَبَعْدَ اجْتِهَادِي ثَلَاثِينَ عَامًا	أَحَاطَتْ حَيَاتِي غُيُومُ الْكَدَرِ

ومن كلفَ النَّفسَ فوقَ الذى تطيقُ احتمالاً سَمَى لِلاَخطَرِ
لذلكَ كانَ لِإِزْهَاقِ عَيْنِي من الحَظِّ ما لم أَكُنْ أَنتَظِرُ
حَبَا الثَّوَرِ عن مُقَلَّتِي فَاتَمَّتْ حَيَاةُ اجْتِهَادِي بِفَقْدِ البَصَرِ

وهكذا تم المأساة . . مأساة الشاعر الذى عاش يصور المأساة لغيره . . والمأساة كل المأساة كامنة فى نفسه ، تعمل فيها عمل السيل فى الجدار . . والنتيجة معروفة بعد ذلك ، يتقوض الجدار ويتداعى . . ويمضى السيل عارماً فى سبيله .

٢

ومن خير ما ترك لنا الشاعر من أعماله الشعرية ملحمتان طويلتان ، بلغت الأولى منهما قرابة ألف من الأبيات ، كما بلغت الأخرى قرابة ستائة بيت . وهما ، فى العصر الذى عاش فيه ، محاولتان جريئتان . فقد كانت المقدرة الشعرية تقاس بطول نفس الشاعر ، ومقدنرته على الصبر على النظم ، حتى ينتهى الموضوع . ومهما يكن من أمر الموضوع الذى اختاره لقصيدتيه ، وهو موضوع واحد ، ومن أمر خصوبته ، وتعدد فروعه ، مما يفتح أمامه آفاقاً متجددة من الفكر ، ومهما يكن من أمر الدافع النفسى الذى دفعه إلى نظم هاتين الملحمتين الكبيرتين ، وما صحبه من صدق فى الشعور ، أو نقيضه ، مما كان السبب فيه هو هذا المجتمع المعقد الذى يعيش فيه ، والحياة المتناقضة التى تضيق الخناق حول عنقه . . مهما يكن من أمر كل ذلك — وكل ذلك مدروس دراسة متعمقة واعية ، فى الكلمة التالية عن « شاعر الكونيات » — فلبنى إنما أنظر إلى هاتين الملحمتين على أنهما عمل شعري جرىء فى عصر شوقي وحافظ وزملائهما . . .

فقد كانت القصيدة تقاس بطول النفس كما قلت . . وكان شوقي وحافظ ومحرم ومطران وشعراء الوقت ، لا يتسابقون إلى شئ ، تسابقهم إلى تطويل قصائدهم . . حتى إن قصائدهم المعتادة ، فى المناسبات المعتادة ، كانت تجرى أبياتها بين الستين والمائة من الأبيات . . ولم تكن قصائدهم تلك ملاحم ، وإنما كانت نمطاً تقليدياً من القصيدة العربية القديمة ، لا تختلف عنها فى كثير ولا قليل . . إلا من حيث الصياغة التى ناسبت روح التعبير العصرية بعض المناسبة . . وحتى تقسيم شوقي قصيدته إلى فقرات متباينة ، ووضع فاصلة بين كل فقرة وأخرى ، لم يكن بالأمر الجديد ، فقد سبق إليه كثير من الشعراء القدامى ، كذى الرمة مثلاً . . حين كانوا يقسمون

قصائدهم إلى أغراض متعددة . . تبدأ بالنسيب وتنتقل إلى وصف الناقة ، وهي وسيلة السفر إلى المذبح ، ثم تصف الطريق وما صادفه فيه الشاعر وما رآه . . ثم تنتهى بقاء المسدوح ، الذى هو فى النهاية — ولا بد أن يكون كذلك ! — خير من ركب إيطاليا ، وأندى العالمين بطون راح ^(١) !

على أن وسائل التعبير ، وقيوده الثقيلة . . على ظروف الشاعر الثقيلة ، وعلى فنه الشعرى فى وقت معاً . . لم تتح له من الفرصة ما كان جريئاً بالاستفادة منه . . وما كان جريئاً بأن يجعل من ملحمتيه الكبيرتين عملاً شعرياً رائعاً فى الأدب العربى الحديث . . فلم يكن هناك من الدراسات الأدبية ، ولا من المقالات النقدية ، ولا من المحاولات التحريرية ، ما كان يمكن الشاعر من أن يسير على الطريق . . ولو متأمساً له . . فيحاول التخلص بعض الشيء من القافية الواحدة . . هذه « النون » التى تقيده طوال السير ألف مرة . . وهى فى آخر كل بيت قيد تقيل يضاف إلى ماسبقه من القيود . . وليس بعجيب لمن يخصى القوافى فى مثل هذه القصيدة أن يجد أكثر من ثلثها ، أو حتى نصفها ، مكرراً بين حين وآخر . وهذا فى وقته مما كان يعد عيباً فى القصيدة . . وهو فى نظرى الدافع الأول الذى كان جريئاً بأن يدفع الشاعر إلى التحرر من هذا القيد الثقيل ، ومحاولة التخلص منه ، والإلقاء به جانبا .

هذه ملاحظة على ملحمتى الشاعر الكبيرتين من حيث صياغتهما . . وأما من حيث مضمونهما ، فليس لدى جديد أضيفه ، فى هذا المجال المحدد ، بعد الكامة التالية التى أشرت إليها عن « شاعر الكونيات » .

٣

وعاش الشاعر فى مجتمعه كما عاش الشعراء الآخرون . . أو لعله حاول أن يعيش فيه كما عاش الشعراء الآخرون . كان شوقى وحافظ وإخوانهما ، ينظمون فى كل مناسبة عامة . . وكان دافعهم إلى ذلك معروفاً : الشهرة ، والمكانة الاجتماعية والأدبية ، والقدرة على نشر قصائدهم فى الصحف السيارة التى كانت باباً يجاب لهم مزيداً من الشهرة . . وكان إلى جانبهم شعراء أقل منهم درجة من الناحية الاجتماعية على الأقل ، فكانت الصحف تنشر لهم قصائدهم أحياناً ، وتتغاضى عن ذلك فى أكثر الأحيان . على أن شاعرنا أستطاع فى وقته المبكر ذاك — عام ١٩١٠

(١) البيت المشهور لجرير ، والتقسيم السابق للقصيدة لدى الرمة .

وما حواليه — أن ينفذ إلى الصحف ، وأن ينشر بعض القصائد الاجتماعية على صفحاتها .
وجدناه قصيدة في رثاء فقيدى الطيران العثمانيين ، وأخرى في حرب طرابلس وإيطاليا عام ١٩١١
وثالثة في رثاء على أبى الفتوح ، ورابعة في تهنئة الخديو عباس بعد عودته من الحج ، وخامسة
في تشريف أمير المؤمنين ، بين كثير من القصائد « الإخوانيات » التى وجهها فى سماحة وبشاشة
ولطف إلى أصدقائه ، المحافظين ، والمأمورين ، والرؤساء وغيرهم . . وإذا كانت قصائده الإخوانيات
يدفعه إليها طبعه الدهش وخاتمه الكريم ، وإذا كانت قصائده للرؤساء ، وعلى أبو الفتوح من بينهم ،
إذ كان وكيلًا لوزارة المعارف يومئذ ، يدفعه إليها رغبته فى الاحتفاظ بالعلاقة الطيبة معهم ،
ومن ثم الاحتفاظ بلقمة العيش . . فإن القصائد العامة الأخرى التى نجد نظائرها فى دواوين شوقي
وحافظ وغيرهما ، مما يدل على أن الشاعر لم يكن يعيش فى صومعته الخاصة ، بعيداً عن مجتمعه ، ولم
يكن قليل الرغبة فى الشهرة وحب الظهور ، ولكنه كان كغيره من الشعراء . . سعى ، وحاول ،
وظفر . . فنشرت قصائده فى الصحف . . وقد ظل ينشر قصائده فى الصحف إلى فترة متأخرة من
حياته ، مشاركاً بها فى أحداث المجتمع فى أعوامه الأخيرة ، مشاركتها فى أعوامه الأولى .

٤

وإلى جانب هذه الحياة الاجتماعية الجادة أو التكلفة التى يحياها . . كان شاعرنا — أبو أميمة —
يعيش حياة اجتماعية أخرى ، خاصة به ، يساعد بها على إزاحة هموم الحياة عن صدره . .
وأعنى بها هذه الحياة العاطفية المرحية ، التى عبر بها عن مواقف عاطفية خاصة ، والتى اندمج بها
فى الأوساط الفنية فى مجالات الغناء والممثل . . ولكن هل كان يستطيع الشاعر أن ينظم هذه
القصائد العاطفية الجياشة ، التى لحنها الملحنون ، وغنى بها المغنون ، دون أن تكون فى قرارة نفسه
بذور هذه العاطفة ، تعمل عملها فى قلبه ، وتجعله فعلاً نهب العيون الساحرة ، والقودود الفاتنة ؟ !
نجد فى ديوان الشاعر كثيراً من هذه القصائد . . وإن خير ما يمثل به فى هذا المجال ، قصيدة
طويلة أيضاً . . ولكنها دون ماحمته . . إنها قصيرة . . ولكنها طالت حتى بلغت مائتى
بيت . . وأحس فيها الشاعر للمرة الأولى بهذه الروح الجديدة العطرة التى تغمره ، وتدفعه إلى
التحرر من قيود المجتمع الثقيلة بعض الشيء . . فدفعه ذلك إلى التحرر من قيود القافية فى هذه
المرة ، ولكن على صورة جزئية بدائية . . فبعد أن بلغت قصيدته مائة بيت على قافية الميم ، ضاق
بهذه الميم ذرعاً ، فانتقل مكرهاً إلى النون . . والميم والنون على قرابة قرينة . . ولكنها محاولة

للتحرر على كل حال نسجلها للشاعر، ونشهد له أنها جدت نفسه، وأطلقت خواطره من عقلمها، وجعلت القصيدة تحتفظ بمقدرتها على الاتصال بموضوعها، والتمكين من مسيرته إلى غايته. وهكذا تم الثقلة من المائة الأولى إلى الثانية في وثبة واحدة يقول فيها:

فَرَنَّا بِلِخْظِ جُفُونِهِ وَأَجَابَنِى شُكْرًا وَلَكِنْ حَانَ وَقْتُ مَنَامِى
فَرَأَيْتُ أَنْ وَجَبَ الْوُصُولُ لِدَارِهِ حَتَّى أَفُوزَ بِصُخْبَةٍ وَتَدَانِ

على أن هذه القصيدة، التى تمثل هو الشاعر فى فترة شبابه، لم تكن كل ما وصل إلينا من شعره العاطفى الذى يصور لنا جوانب من نفسه، فى فترات مختلفة من حياته. إن هذه الصورة العاطفية، تتكرر فى حياته كلها على شكل قصائد، يتحدث فيها عن مواقف غرامية، وقعت له، أو وقائع جرت فصورها شعره البليغ قصة منظومة، لانتقصها الحبكة الفنية، ولا السرد القصصى. أو كوارث أصابته بفقد شخص عزيز عليه، فهو يرثيه بالدمع الفزير. وهذا كله ظاهر فى أما كنه من الديوان.

٥

على أن ما بعد جديرًا بالذكر حقًا فى هذا المجال، هو هذه القصائد — أو «المقطوعات» — إن شئنا أن نضفى عليها هذا الوصف — التى سماها الشاعر «غزل الأغاني» والتى اشتملت على عدة نواح فنية فهى قصائد غزلية بادية بدء وهى قصائد محكمة النظم، متخيرة اللفظ، بليغة الأسلوب، ثم هى لاتطول إلا فى النادر، ومن هنا كانت تسمينا لها بالمقطوعات وهى بعد هذا كله، أو قبل هذا كله، لم تنظم — كما يلوح لنا — إلا لكى تكون قصائد غنائية يتلقفها الملاحنون فيحسنون تلحينها، ثم يتخطفها المغنون والمغنيات من نواحي العصر، ونايفاته، فيكسبنها بأصواتهم هذا النغم، الذى يصل بها إلى القلوب ويشنف بها الآذان.

هذه القصائد أو المقطوعات، على ما فيها من الإتقان، الذى قد يبدو مقصوداً كما ذكرت، ولا أقول متكلفاً — لأنه ليس عليها مسحة تدعو لذلك — إنما هى أعمال تعد بحق فى مقدمة عمل الشاعر الفنى، وإنتاجه الخالد.

ومن ثم لا بد أن نقف وقفة التقدير والإكبار لهذا الفن العاطفى الفنائى الأصيل، الذى حشده شاعرنا فى «غزل الأغاني»، والذى نسيه الأدب إنتاجاً شعرياً قد يستوى وإنتاج غيره من شعراء قدامى أو محدثين، فإن التاريخ — تاريخ الحياة الفنية فى مصر لحقبة طويلة بعيدة النور

عميقة الأثر — لن ينسى لإسماعيل صبرى — أبى أميمة — أنه قد غذى الفن الجليل ، فن
الفناء ، بأقوى الأغاني ، وأعذبها لفظاً ، وأرقها معنى .

لست أنسى في فترة الصبا ، شعراً حفظته عن أسطوانات الفناء ، وكان له أجمل الوقع
في نفسى المتفتحة يومئذ لهذا الفن الغنائى الشعرى . . فإذا هو اليوم أمامى بمض تراث الشاعر
أبى أميمة . . هيهات أن أنسى مثلاً قصيدة حفظتها عن أسطوانة المطربة أسمهان — وكان ذلك قبل
ثلاثين عاماً — وهامى اليوم أمامى قصيدة في باب « غزل الأغاني » أذكرها لأنها أجمل
قصائد هذا الباب ، فهناك ما هو أروع منها بكثير ، ولكن ليجرد أنها نموذج لهذا الشعر ،
الذى ترك في نفسى من الأثر مترك . . وهى قوله :

أَيْنَ اللَّيَالِيِ اللَّوَاتِي سَكَبْتُ سَقَمِي	يَالَيْلَةَ بَعْدَهَا عَيْنَايَ لَمْ تَنَمْ
مَرَّتْ كَطَيْفِ خِيَالٍ كَانَ يُسْعِدُنِي	لَوْ دَامَ ، لَكِنَّهُ وَبِلَاهُ لَمْ يَدَمْ
يَانْظُرَةً أَرْسَلْتَ سَهْمًا إِلَى كَبِدِي	فَبَاتَ مِنْ جُرْحِهِ فِي تَوَرُّوِ الْأَلَمِ
سَرَى الْهَوَى كَلْهَيْبِ النَّارِ فِي جَسَدِي	فَالْقَلْبُ فِي حُرْقَةٍ ، وَالْجَنَسُ فِي سَقَمِ
سُهِدِي حَيْنِي عَذَابِي لَوْ عَتَى لَهْفِي	دُمُوعُ عَيْنِي غَدَتْ مَمْزُوجَةً بِدَمِ
يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ إِنْ لَمْ تَرْجِمِي سَقَمِي	لَا بُدَّ يَوْمًا تَعَانِي زَفَرَةَ النَّدَمِ
أَيْنَ الْعُمُودِ اللَّوَاتِي عَلَلْتُ أَمَلِي	لَوْ طَالَ هَجْرِي لَأَفْضَتْ بِي إِلَى حَكَمِ
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ مَهْمَا طَالَ بِي أَمْدِي	وَحَقٌّ مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ !

٦

ولقد أشرت في مفتح هذه الدراسة ، إلى أن شاعرنا أبا أميمة يشترك في اسمه ولقبه مع واحد
من كبار شعراء عصره . . وهو الشاعر إسماعيل صبرى (باشا) الذى كان أستاذاً ، يمتزف
بأستاذيته شوق وحافظ وغيرهما من شعراء تلك الفترة ، إذ كان سابقاً عليهم في سنه ، ومنصبه ،
وكريم خلقه ، وطرافة مجلسه . . كان الشاعر إسماعيل صبرى يكبر هؤلاء الشعراء — ومنهم
أبو أميمة — فكانوا يدينون له بالولاء والتقدير . . ولكن الناقد البصير إذا قاس شعرهم إلى
شعره وجد منهم من يفوقه غزارة مادة . . وقوة إحساس . . وجمال ديباجة . . ولا غرو في ذلك ،
فقد كان إسماعيل صبرى الكبير مقلداً إقلالاً ظاهراً ، ولئن عدَّ هذا الإقلال أحياناً من أسباب

توفيقه ، فقد كان يعدّ في أحيان أخرى من دواعي ضعفه ، ونضوب معينه . . وإنه ل يبدو من أطرف الطريف أن نقارن هنا ، بين إسماعيل صبرى « الكبير » وإسماعيل صبرى « الصغير » — دون غيره من أولئك الشعراء — لنرى موضع شاعرنا أبى أميمة من شعراء الجيل كلّه .
بمرضه على هذه المرأة الصادقة ، التى لاشك أنها سوف تجلونا موقفه إلى حدّ كبير . . .

نظم إسماعيل صبرى الكبير قصائد اجتماعية ، شأنه فى ذلك شأن الآخرين من الشعراء ، إذ كانت هذه الحوادث الجارية ، كحرب طرابلس ، والانتقال العثماني ، وغيرها ، من أسباب المسابقة والمساجلة بين الشعراء ، وغذاء طينياً تسعى إليه كبريات الصحف ، وتحدث به وتتدارسه أندية الأدب ومجتمعاته فى ذلك الحين . . ولشاعرنا الكبير فى هذا المجال قصيدة نختارها ، تعد من أطول قصائده ، وأهمها ، وكانت مما يختار للدراسة والحفظ لشباب ذلك الجيل ، وهى القصيدة التى يبحث فيها الأمة المصرية على طلب المجد ويذكرها بماضيها . . وقد قالها على لسان « فرعون » يخاطب قومه . . وتاريخها عام ١٩٠٩ . . يقول فى مطلعها :

لا القومُ قومي ولا الأعوانُ أغواني إذا ونى يوم تحصيل العلى وإن

وسأكتفى من هذه القصيدة بأبيات قليلة جداً قالها فى وصف الأهرام ، لأخلص منها إلى وصف مشابه هو وصف أبى الهول عن أبى أميمة ، فيتم بذلك من المقارنة بعض ماأردت . .
قال إسماعيل صبرى الكبير :

أهرامهم تلك حىّ الفن متخذاً	من الصخور بروجاً فوق كيوان
قد مرّ دهرٌ عليها وهى ساخرة	بما يصفعُ من صرحٍ وإيوان
لم يأخذ اللّيل منها والنهار سوى	ما يأخذ النمل من أركانٍ ثمّ لان
كانها — والعوادي فى جوانبها	صرعى — بناء شياطين لسيطان
جاءت إليها وفود الأرض قاطبة	تسعى اشتياقاً إلى ما خلّد الفانى
فصعرت كلّ موجودٍ ضخامتها	وغضّ بُنيانها من كلّ بُنيان
كأنما هى والأقوام خاشعة	أمامها صُحف من عالمٍ ثاب
تستقبل العين فى أنثائها صور	فصيحة الرمز دارت حول جدران
لو أنها أعطيت صوتاً لكان لها	صدى يروغ صمّ الإنسان والجنان

ولا أريد أن أقول هنا إن أبا أميمة — أو إسماعيل صبرى الصغير كما أسميته تجوُّزاً منذ حين — يفوق سميّه الكبير، أو يمتاز بشاعريته عليه . . وإنما أكتفى بأن أروى أحياناً في وصف أبى الهول من قصيدته النونية أيضاً، التى سماها « مرآة الزمن ». والى تمتاز بشيء واضح من العمق فى الدراسة، مما يدل على إحاطة الشاعر علماً بموضوعه، ودقته فى رسم صورته الفنية الملونة . يقول أبو أميمة فى وصف أبى الهول :

نَحْتُوا بِبَاطِنٍ مَنْفَ أَقْدَسَ مَعْبَدٍ	جَعَلُوهُ بَيْتَ سَرَائِرِ الْأَكْوَانِ
صَنَعُوا لَهُ مِفْتَاحَ سِرِّ غَامِضٍ	نُقِشَتْ عَلَيْهِ طَلَاسِمُ الْكِتَابِ
صَانُوهُ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِ سَاهِرٍ	لِلرَّابِضِ ، الْمُتَحَفِّزِ ، الْيَقْظَانِ
رَمَزُ الْمَهَابَةِ ، وَالرَّزَانَةِ ، وَالْحُجَى	لِلصَّمْتِ فِيهِ وَلِلشُّكُونِ مَعَانِ
يَرْمِي الْفَضَاءَ بِنَظَرَةٍ قَدْ أَوْفَقَتْ	كَيْدَ الْعَوَادِي وَفَقَةَ الْحَيْرَانِ
جَسَدٌ حَوَى أَسْمَى الْقَوَى رَمَزاً لَهُ	جِسْمَ الْهَزْبِ ، وَهَامَةَ الْإِنْسَانِ !

ثم يشرح رسالته فى ذلك الزمان الباكر فيقول :

هَذَا أَبُو الْهَوْلِ الرَّهِيْبِ ثَبَاتُهُ	مُنَى الْعُصُورِ ، وَقَاهِرُ الْأَزْمَانِ
عَهْدُوا إِلَيْهِ حِرَاسَةَ الْوَادِي الَّذِي	ضَمَّ الْكُنُوزَ ، غَوَايَ الْأَثْمَانِ
وَاسْتَخْدَمُوا أَرْصَادَهُ لِبُلُوغِهِمْ	مُجَدّاً تَعَذَّرَ عَنْ ذَوِي التَّيْجَانِ
حَتَّى أَتَى « مِينَا » وَأَسَسَ مُلْكُهُ	وَطَوَى الزَّمَانَ صَحِيفَةَ الْكُهَّانِ !

ولعل هذه الالتفاتة إلى مجد مصر القديم ، تكنى فى المقارنة بين الشاعرين ، والناقد المتذوق حرّاً فى حكمه لهذا أولئك . . إلا أنه من المستحسن أيضاً أن نضرب مثلاً آخر للفرز عند الشاعرين . . فقد عرف إسماعيل صبرى الكبير بغاية الرقة فى غزله ، وهانحن نجد أنفسنا من أبى أميمة أمام شاعر من كبار شعراء الفرز أيضاً ، إذ اشتمل هذا الباب الذى أسماه « غزل الأغاني » ، وأكثره من الشعر المثقن النسيج ، على قسم كبير من ديوانه .

فمن قصائد إسماعيل صبرى الكبير المشهورة فى الفرز قوله :

تُنْسَى تَذَكُّرُنَا الشَّبَابَ وَعَهْدَهُ	حَسَنَاءَ مُرْهَفَةِ الْقَوَامِ فَنَذَكُّرُ
هَيْفَاءَ أَسْكَرَهَا الْجَمَالَ ، وَبَعْضَ مَا	أَوْفَى عَلَى قَدْرِ الْكِفَايَةِ يُسْكِرُ

تَنْسِبُ الْقُلُوبُ إِلَى الرُّءُوسِ إِذَا بَدَتْ وَتَطْلُبُ مِنْ حَدَقِ الْعُيُونِ وَتَنْظُرُ !
وَتَلْمِيزُ تَكْفُرُ بِالشُّحُورِ قَلَاهِدُ فَإِذَا دَنَتْ مِنْ نَحْرِهَا تَسْتَغْفِرُ
وَتَزِيدُ فِي فَيْهَاءِ اللَّأَلِي قِيَمَةً حَتَّى يَسُودَ كَبِيرُهُنَّ الْأَضْفَرُ !

فهل تجد عند أبي أميمة ما يشبه هذا أو يفوقه ؟ كم من مقطوعة نقرؤها لأبي أميمة في « غزل الأغاني » ولكننا لانستطيع أن نقول إنها كفيلة بأن تثبت مقدرة الفائقة في هذا الضرب ، فما زال إسماعيل صبرى الكبير — على إقلاله — محتفظاً بأستاذيته ، متميزاً بعبقريته . . . ولناخذ مثلاً أول قصيدة في هذا الباب لأبي أميمة ، وهى قصيدة « ستريس ، أو عذراء منف » . . وفيها يقول :

يَا رَبَّةَ الصَّوْتِ الشَّجِيَّ حَنِينُهُ رَنَاتُ صَوْتِكَ تَبْعُثُ الْأَشْجَانَا
بَسَمَتْ أَغَارِيدُ الْأَغَانِي عِنْدَمَا صَدَحَ الْهَزَارُ ، فَجَدَّدَى الْأَزْمَانَا
جَذَبَتْ عَوَاطِفُ الْقُلُوبِ فَأَقْبَلَتْ فَرَحِي ، تُحْيِي الْفَنَّ وَالْوِجْدَانَا
فَإِذَا شَدَوَتْ صَرَفَتْ عَنْ أَلَمِ الْهَوَى قَلْبًا أَسِيرًا ، حَائِرًا ، وَلَهَانَا
وَمَنْعَتْ عَنِ مُضْنَى الْغَرَامِ عَذَابَهُ وَكَأَنَّ حَقَقَ فُؤَادِهِ مَا كَانَا !

على أتنى إذا اكتفيت بهذا فى المقدمة ، فلا يفوتنى أن أشير على القارىء بالعودة إلى هذا الباب الحافل فى الديوان الذى بين يديه ، ليقرا مقطوعات الغزل الكثيرة العدد ، التى تفيض فيها المعانى المشرقة والمشاعر المتدفقة ، والأحاسيس الجياشة .

٧

وإلى هنا يمكن أن نكف القول فى الشاعر ، وفى موضوعات شعره ، لنقول كلمة يسيرة فى فنه الشعرى . . وقد تكون الكثرة هنا مما يدعو الناقد إلى الحكم على بعض شعره بالمهبوط عن المستوى الرفيع . . إلا أن هذا الحكم يعد متسرعا إذا نظرنا إلى أننا إنما نحكم على تراث الشاعر كما وصل إلينا ، ولو قام هو على نشره لأعمل فيه النقد والحذف والتفسير . . ومثل ذلك قصيدته التوثية الكبرى ، التى صدرنا بها الديوان ، وغيرها من القصائد التى يبدو أنه نظمها فى صباه ، فجاءت أقل مستوى من غيرها ، مما نظم فى فترة نضوجه واستوائه . . على أن درياجة الشاعر غالباً هى الدرياجة الرفيعة ، وألفاظه هى تلك الألفاظ الجزلة المتخيرة . . وشعره يمتاز بالعناية ، كما يمتاز بالعاطفة .

وتحاجنا هنا نقطة هامة نريد أن نجلوها . . فقد كان شاعرنا — فيما يبدو — كثير المحفوظ من الشعر القديم . . وكان يختار للمتنازين من الشعراء فيحفظ لهم ، وكانت فيه عادة لانحدها له ، وإن كان سببها هو هذا المحفوظ الكثير من شعر الأقدمين . . وهي أنه كثيراً ما كان يضمن شعره أبياتاً ليست له وهي في غالب الأمر للبحرئى ، أو للمتنبئ . أو غيرها . . مما جعلنا نشك في أنه نقل أحياناً بعض هذه الأبيات ونسبها لنفسه . . ويكفى أن نشير في ذلك ، إلى قصيدة وجهها إلى أكثر من واحد من ممدوحيه واستعمل فيها أبيات البحرئى في داليتها المعروفة والتي يقول في مطلعها :

يا عظيمًا قد نال عزاً ومجداً لست أنسى نذاك قرباً وبعداً

أو قصيدته في باب غزل الأغاني ، التي شابه فيها دالية المتنبي ، وربما أخذ كثيراً من أبياتها ، وهي التي يقول في مطلعها :

لقد حاجنى وجد بمن زارها بعدُ فياليتنى بعدُ ، وياليتها وجدُ

ولعل هذه الإشارة تشفع لنا فيما يكون قد أنسرب بين الأبيات من شعر ليس لشاعرنا ، ووجدناه في ترائه !

٨

وبعد كل هذا ، فإنى أشعر أنه مازال هناك كلام كثير ليقال في دراسة الشاعر وعصره وتحليل شعره . . ولكنى أخشى الإطالة على القارئ ، وأريد أن أترك له الفرصة ليقرا لنفسه الديوان ، فيستمتع به ويحكم عليه حكمه الخاص . . ولذلك لايسعنى إلا أن أختم هذه الكلمة . . راجياً أن أكون وزميلي قد وقفنا في دراسة الشعر الذى ضمه هذا الديوان الحافل بين دفتيه ، والذى أنبأ عن شاعر مجيد حقاً ، وإن كان قد عاش حياته كلها مغموراً أو شبه مغمور . . وهذا الموقف نفسه هو الحمدة التي تحفظ لوزارة الثقافة ، إذ تسوى بين الشعراء جميعاً ، في إحياء تراثهم ، وبخاصة بعد أن أصبحت أشخاصهم في ذمة التاريخ . ولم يبق للأحياء منهم إلا ما أتجوا من شعر ، هو سرآة عصرهم ، وسجل حياتهم .

عاصر محمد بهرى

أبو أميمة شاعر الكونيلت

للكنور أحمد زكى كال

١

أقيم الرخاء الذى ساد النصف الأول من القرن العشرين على أساليب استعمارية خاصة ؛ فكان القلق روح العصر ، وعصفت به فلسفة نفعية حطمت كثيراً من القيم . فلا غرابة إذاً أن يكون الفكر المصرى إذ ذاك فكر الطبقات المتفاوتة حطاً من ذلك الرخاء ، واستطاع الشعب بما فشا من سجايا فردية أن ينسلخ — فى الجملة — عن خُلُقيات كان ينبغى أن تعمر على أساس ارتباطه بواقع عربى مصرى مسلم .

وقد ظهر هذا الانسلاخ فى صورة أيديولوجيات ذاتية استهدفت فى الظاهر نظماً سياسية اجتماعية ، واستخفى وراءها جشع هو الابن الشرعى لمذهب ، المنفعة وبدا الأمر عجيباً ؛ رجال الدين يدعون دعواتهم على أسس يكاد يرفضها كثيرون ، وإن يكونوا ينجحون إلى بعض غيبات مابعدت عن أن تضر بهم !

وجال الاقتصاد يحارون فى عمليات تنظيم الرصد لقوات اليوم ، يغريهم رخص الأسعار أحياناً : فإن ارتفعت اتجهوا إلى طاقات الغرب الإنتاجية ، يعبّون منها ويسدّون النقص ويرأبون الصدع !

والمجتمعيون يحاولون تنظيم أساليب الأنانية ، ويتجهون للمرأة أحياناً ، وللطفل أحياناً ، والمعجزة مرة . . . دون أن يربطوا بين حاجة المجتمع الحقيقية وما هو قائم فعلاً ، على ضوء الموازنة العادلة وتقدير عمق الهوة بين المثل المنشود ، والواقع المنكود .

وقد ظلت هذه البابلة حتى قيام ثورتنا الأخيرة ، وعاش فيها فنانونا . . الرواد ، ومن مهدّ للرواد ! وأخذ بعضهم — بعيداً عن منطق الفن للفن — يرجون فى عالم التأملات قيام وحدة حقيقية بين أسباب الحياة وحقيقة الحياة . وقد دعاهم هذا اللون من التفكير إلى تقدير حقوق الفرد من ناحية ، وربط هذه الحقوق بقوة ، الدين وقوى القانون ، وقوى التقاليد من ناحية أخرى . ولعل بعضاً منهم قدّر للمجتمع حقوقاً ترسم يوطوبيا أو تحدّد نظاماً يشبه نظام أصحاب المدن الفاضلة .

وإذا كان على شوق أن يدعو إلى تمجيد الإنسان المسلم مرة ، والإنسان العربى مرة أخرى وكان على حافظ إبراهيم أن ينفى بآلام المعذنين كافة ، وكان على ناجى وطه أن يهربا نهائياً من المسئولية إلا فى حالات معينة . . أقول إذا كان على هؤلاء أن ينحو هذا النَحْوَ ، فقد كان لابدٌ لغيرهم أن يلتمسوا لأنفسهم موقفاً ، فإما أن يمحطوا نمو الفرد شرطاً أساسياً لنمو المجتمع ، وإما أن يُقرُّوا بمعجزهم عن تحديد الهدف !

وكان شاعرنا أبو أميمة واحداً من الذين عصفت بهم البلبلة ، وكاد يُطيح بهم القلق . وكان واحداً من الذين اعترفوا بمعجزهم ، واكتفى بدعوات زهدية تشبه تلك التى هدَّرَ بها أبو العتاهية فى الكوفة وبغداد خلال القرن الثانى الهجرى .

والعجيب أن كلا الشاعرين — أبا العتاهية وأبا أميمة — عاش حياةً معينةً ، أو قل عاش حياتين متناقضتين . حياة عملية فيها تمرُّسٌ فعلى على أسباب العيش كلها ، وحياة فنية فيها صدوف عن المتاع ، وفيها تذكير بالضياع .

وعن هذا التناقض صدر كل منهما بقصائد سمينها هنا بالكونيات ، إلى جانب شعر لاهٍ حفظه لنا عصرُ أبى أميمة ، وأهدره التاريخُ بالنسبة لأبى العتاهية . لأن النقاد شاؤوا أن نعرف الشاعرَ القديم فى إطارِ الزهد الخالص !

لقد كان القدماء يقولون إنَّ أبا العتاهية تَعَتَّهَ وتماجنَ ، ثم أفلح عن تعتهِ ومجونه ، إلا أن التاريخ يقرر أن هذا الشاعر كان يكره الزهد الفعلى وإن اتخذ مذهباً فنياً . . وآية ذلك أنه ظل حريصاً على أن يرتاد مجالس الخلفاء والأمراء اللاهية حتى آخر أيامه ، فلم يكن كمورِّق المعجلى مثلاً ، ولم يحاول أن يكون كالحسن البصرى أو كالخليل بن أحمد . بل روى أن ابنه أراد أن يمارس الزهد فنهاه هو ، كما روى أنه لم يَشْتَهَ شيئاً عند مماته كما اشتهى أن يفنيه أحدُ المشهورين من قناني عصره !

ولقد فهم أبو العتاهية الزهد — على هذا الأساس — فهماً آلياً ، ورأى أن مصلحة المجتمع العليا أن ينسلخ الفردُ عنه . وهذا يعارض فكرة حرية الخلق الفطرية ويحدُّ نموه ويقمع مطالبه ، كما يحول دون إيجابية الدعوات الهادفة ، لأنه بمباشرة الإيجابية تتحقق الحياة وتتشابك أسبابها . حتى القانون صار فى مذهب الزهد عند أبى العتاهية أمراً فى لا محل ، لأن القبر نهاية كل إنسان ، وحساب الله ينتظره ، فلم الدَّأْبُ ولم العَرَقُ والدموع ؟

ومعنى ذلك أن دين الله كان في نظره مجموع الكواجيم التي تضغط على الأفراد لتحثهم من
إجهااتهم الفطرية ، وأن الغاية المثلى على ضوء هذا أن يزداد ضعف المرء إزاءه ، ومن ثم يضمن
آخرة طيبة جعل الموت نذيراً بها .

ولقد تولى شعرُ الشاعر ترجمة ذلك كله ؛ تولاه ببساطة ، ودقة عبارة ، ورقة أسلوب ، فضمن له
قراء ، وضمن له سامعين ، وذاع قصيدته حتى نافس به فحول عصره .

فماذا عن أبي أميمة ، إسماعيل صبرى ؟

ستتشكل حياة الشاعر بما تشكلت به حياة أبي العتاهية ، وكان عصر كل منهما عصر
تناقض وقلق ورخاء مصطنع ، وستتسع طاقاته إلى تقبل هذا التناقض ، فيعيش حياة ويعبر عنها ،
ويتصور حياة أخرى يريد الفرد على أن يصل بها إلى أعلى درجة من التلاؤم مع الخير والمحبة .
وسنجد في كونيته نغماً هو رد فعل للأفهام التي بعثتها مطالب العيش ، ومطالب النفس ، ومطالب
الحواس جميعاً .

٢

كيف عبّر أبو أميمة عن حالة مجتمعه فيما سمينا بالكونيات . . فلقد قصرت دراستي
هذه عليها ؟

كان الأدب المصرى في عصر الشاعر أدباً فردياً ، باعتباره النتاج الطبيعي لطاقت البرجوازية
وباعتباره أثراً من آثار المنفعة . . فكان لابد ألا نجد تسليماً مطلقاً بكل ماهو قائم ، لأن
هذا التسليم يؤدي إلى إلغاء حاجات الفرد المختلفة ، وأستن بالطمع عرامة بعض الكبار ووعيهم
إلى ما يجب أن يكون !

ومعنى ذلك أن أبو أميمة كان ينبغي أن يصدر عن هذا المعين ؛ فهو يعيش عصره ، وهو
يقبل على الدنيا فيصف شعره — في غير الكونيات — ذلك ، ولكنه يحس أنه مفضوح أمام
أهله وأمام بعض من لا يحب أن يفضح عندهم ؛ ولهذا أثر المراءة ، فكان على ما قدمنا كتاب
العتاهية . وطلع بما يرسم له سمّت الوعاظ ، وما يلقى في الروع أنه لا يكره شيئاً كما يكره
الشر ، يقول متجهاً إلى الله تعالى :

واهدني للرشاد خير سبيل

وأكفني شر فتنة الشيطان

ويقول مخوفاً منذراً :

إِبْ كَيْدَ الشَّيْطَانِ يَفْتِكُ فَتَكَا

بضم ص حاف العقول والإيمان

فيؤكد أن الإنسان ضعيف ، وأن تمجيده على نحو ما يفعل الرومانسيون خطأ شنيع ،
ولا فهل ينكر أحد أن كل هذا الكون فناء ، وأنه باطل ، وأن الإنسان غير مخدوع !

يَا بَنَ حَوَاءِ بَاطِلُ كُلِّ شَيْءٍ زَيْنَتُهُ مَطَامِعُ الْهَذْيَانِ

تلك دنیا الفناء دار اختبار خادع حسنہا کذب الامانی

يا ابنِ حواءِ باطل كلُّ شيءٍ لم تؤيِّدْهُ دعوةُ الإيمانِ

ومع ذلك فإنه فيما يبدو يعتمد على الجانب الزجري من الدين الاعتماد الأكبر ، ومن ثم تبدو سلبيته مدمرة مخيفة . وإذا كان أمره بالتطهر والعفة والإخلاص والتقوى قائما على أساس عقيدى ، فإن ماينجم عن عصيانه رهيب ومدمر ، يلقف الكائن إلى حد الإفناء . ولهذا كان مقياس الفضيلة مرتبطا عنده بنصيب العذاب ، ودعوات الخير موقوفة على التذكير بما وقع للقرون الأولى .

أَيْنَ مَنْ عَمَّرُوا وَشَادُوا وَسَادُوا أَيْنَ عَمَّرَهُمْ وَأَيْنَ الْبَنَاءُ

أَيْنَ مَنْ عَزَّ مُلْكُهُمْ وَتَسَامَى أَيْنَ سُلْطَانُهُمْ وَأَيْنَ الْعِزَّةِ

أَيْنَ مَنْ كَافَخُوا الْمَصَاعِبَ حَتَّى ذَلَّلُوهُمَا وَأَيْنَ ذَلِكَ الدَّهَاءُ

أَيْنَ مَنْ دَمَرُوا الْحِصُونَ بِيَأْسٍ مِنْ حديدٍ وَأَيْنَ تَلَك الدِّمَاءِ

أَيْنَ مَنْ جَالَدُوا الزَّمَانَ بَصِيرَ أَيْنَ مَنْ صَاوَلْتَهُمُ الْفِكَاهُ

أَيْنَ مَنْ شَيْءٍ وَالْهِيَ كُلُّ حُبًّا واحتراماً لها فَمَرَّ الْبِنَاءُ

أَيْنَ مِنْ خَرَّبُوا الْمَدَائِنَ جَبًّا رَيْنَ ، بَلْ أَيْنَ تِلْكَ الْأَشْلَاءُ

أَيْنَ شَيْخِ الطُّوفَانِ مِنْ بَعْدِ يَأْسَ صَنَعَ الْفُلْكَ حِينَ حَلَّ الْبَلَاءِ

أَيْنَ مَنْ حَطَّمَ إِلَهِيًا كُلَّ حَتَّى فَرَقَهُمَا أَصْنَامُهَا الصَّمَاءُ

أَيْنَ مِنْ وَاصِلَ الْبُكَاءِ حَزِينًا فتواري عن مقتلته الضـيـاه

أَيْنَ مُوسَى مِنْ جَاءِ فِرْعَوْنَ طِفْلاً ترقب النجم عينه النجلاء؟

يطول ذلك لو تقصيناه ، ويطول إذا وقفنا عند ما ينطوى عليه من تهديد ووعيد ، ثم هو يطول إذا بنينا عليه أى حكم لأننا سنحتاج فى سبيل ذلك إلى مناقشة موضوعية لشيئ قصائده ، ولكنه مع ذلك يشكل تياراً كالتيار الذى انحدر به أبو العتاهية شاعرنا القديم !

على أن أبا أميمة لم يفقد الأمل قط ، بل لعله لم يندِر بما أنذر به ولم يهدد على نحو ما هدد إلا ليستبدل بنعيم الدنيا أمل الآخرة ، وهذا اعتراف صريح منه بما آلت إليه روحه فى الكونيات فى حين وقف فى شعره الآخر عند كل ما يلد المرء وعند كل ما يمتعه . . وإن يكن ينزل دائماً على وقار مصطنع وخوف من الافتضاح . يقول عند اجتماعه بصاحبته فى خلوة :

خلونا ودارت بيننا نشوة الهوى وقد كنت أشكو هجرها وهى تسمع
أذاعت دموعى ما تكن سرائرى وأعلن سقى هول ما كنت أخرج
فقال ويمناها تكفكف مذمعى شهيد الهوى العذرى لا يتوجع !

كما يقول مرة أخرى :

وقد خلونا وجو الحب راق لنا وراح عنا شديد الخوف والحذر
وبيننا دار كأس الحب تملؤه يد الطهارة فى وشي من الزهر
تبادلت شفتانا بيننا عزلاً أرق فى لفظه من نسمة السحر
حتى إذا اشتد بى وجد الهيام بدا طيف العفاف ينصح غير منتظر
فارتاح قلبى لنصح الطهر وانبسط متى لمن فتننى كف معذر

فهو كما نرى شهم ، والشهامة دائماً ثالث للحبيين . . فكأنها عوض عن الشيطان الذى لم يكف عن التحذير منه . ومن هنا كان غزله كله يقف عند مجرد وصف الحبيب وتصوير اللقاء به ، ورصد التحدث معه ، ثم يكون الوداع بعد ذلك . وهو من هنا يخالف للمرة الثانية طبيعة حياته ، لأن المتصلين به لم يكونوا يبرئونهم من علاقات ما !

على أن هذا يكشف من ناحية أخرى عن حقيقة التجربة الفنية ، ومدى مطابقتها للواقع

المعاش . وقد أثبت أبو أميمة أنه لا ضرورة لأن يتمرّس الشاعرُ عملياً على التجربة في الواقع ، وسيكون برغم ذلك رقيقَ النفس صافي العبارة ، مخلصاً للفن إلى حد بعيد .

وسواء أكان أبو أميمة مؤمناً بالعفة في الحب أم غير مؤمن ، فإنه كان يعبر بحرارة عن هذه العلاقة البشرية ، وتعبيره عنها يقف عندما وقف عنده على نحو ما رأينا ؛ ومن ثمّ اتفق هذا المنحى مع ما تحدّث عنه في كونيّاته ، وكأنما كما الشاعرُ بذلك يصدر عن فلسفة استقر عندها بعد أن رأى شرور البرجوازية تفشو وتذيع .

ولقد انتهت سلبية أبي أميمة بالكشف عن كثير من الحقائق ، يودعها يوطوبياه في ثقة ، وإذا الصدق والإخلاص والوقار والصبر والدأب دعائم لكل حياة سليمة مبتغاة .

٣

ولكن ما النظام الذي يقرره أبو أميمة ؟

لقد شاهد ذلك الشاعر قوة الأرستقراطية الإقطاعية ومكافحة البرجوازية لها ، ورأى فيما يبدو من قرب ومن بُعد ، عوامل الهدم تعصف بالحياة إبان أزمت عصره السياسية والاجتماعية ، واكتفى كغيره بالشكوى حيناً ، والتعرض بالنقد البسيط لما يثور حيناً آخر ، وأما السبيل إلى تحقيق يوطوبيا معينة فلم يحدّده أحد . ولكن بعض الشعراء الكبار على ما أشرنا نحواً نحواً إيديولوجياً ؛ فشوق لم يكن شاعراً فحسب يعبر عن وجوده الشخصي وإنما حاول أن يقيم قيمة جديدة .

ووجد شعراء ينتمون أصلاً للأزهر كالأسمر ، وهؤلاء اكتفوا بنزعات صوفية تشبه في بعض جوانبها ما صدر به أبو أميمة في كونيّاته . وفي شعر هؤلاء بعامة السلبية نفسها التي نراها عند شاعرنا ، والتخويف أحياناً ، والترغيب في الآخرة . وهنا نسرع فنقول إن أصحاب هؤلاء ، كانوا في الغالب من الطبقات الدنيا .

ولكن الجانب الإيديولوجي في حركة العقاد وشكري قد أثمر إلى حدّ ما في شعراء حاولوا أن يأخذوا جماعية شوق ، وهؤلاء هم الذين بعدوا عن الرومانسيين ، وأبوا أن يسيروا مثلهم وراء الغمام وخلف أمواج الملاح التأه !

ومن هذا وذاك ، ومن النفات المتعارضة التي ضج بها العصر كوّن أبو أميمة خطوط الحياة الباهتة التي تشكل كونيّاته . . فكانت في النهاية مجرد تفنّات ، لأنها افتقدت الإيجابية والسبيل إلى التطبيق العملي ، كما افتقدت ملامح أي مجتمع يريد أن يقوم .

ونظرة عجيلى إلى هذه الكونيات تقفنا على أربعة جوانب قومت جميعها وجهة نظر الشاعر الفلسفية ، وإن يكن هذا التحديد لا يمنع من قيام عناصر أخرى مساعدة قد توقعه فى ضرب من التناقض أحياناً .

أما الجانب الأول فهو حاجة الشاعر إلى الله سبحانه وتعالى ، بل هو يستهل نونيته الكبرى بطلب عون الله ليشد أزره ويقوى جنانه :

رَبِّ هَبْ لِي هُدًى وَأُطْلِقْ لِسَانِي وَأَنْزِلْ خَاطِرِي وَثَبِّتْ جَنَانِي

ويصدر بيانه بذكر أسمائه الحُسنى ، وإذا هو الواحدُ القاهر العادل الظاهر ؛ فيكشف الشاعر إزاء ذلك عن ضعف الإنسان . فإن كان هذا يتفق ودعوات رجال الدين ، وأئمة المساجد ، فإنه عند الشاعر ردُّ فعل لما ساد العصر من تحيُّر ! وذكر الخالق على هذا النحو عنده . . فى تقريرات وفى إصرار وفى إلحاح كامل ، يدل على تسليمه المطلق بخير يأتي به الدين ، وهذا لا يمنع من وجود تلك اللحظات التى يستسلم فيها الشاعر لمتاعه ولذاته .

وأما الجانب الثانى فهو التعرُّض للآخرة ، باعتبارها نهاية حياة وبدء حياة أخرى ! الأولى فانية ، والثانية باقية ، وبين الفناء والبقاء قوة الله تلعب الدور الأكبر ، ويُقدَّر بها ما يريد :

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ وَهَـنْدَى آيَةُ الْبَعْثِ أَصْدَقُ الْبَرْهَانِ

غير أن هذا التعرض يبدو دائماً بذكر الموت ، أو يكون الموت حُجراً الزاوية فيه . وهنا يبدو الشاعر إما مهتدداً مخوفاً ، وإما ناصحاً مشفقاً . ويكون إذ ذاك تماماً كما كان أبو العتاهية دون أن نجد خلافاً إلا فى أسلوب الصياغة . والشاعران معاً يكتفیان بهذا فقط ، ثم يمانان رضاها المطلق بما سيعقب أهوال القيامة من جنة للعباد الصالحين . بل نجد رضاً بكل ما سيكون ، كأنما يأبى كل منهما أن يخرج عما دعا إليه القرآن ، وعما تنزع إليه نفس أمارة بالسوء ؛ والإنسان من ثم لا يقدر على أية مقاومة ، ولا يقدر على مقاومة المقدَّر .

وأبو أُميمة لذلك ليس نسيج وحده ، فهو شاعر من جماعة اتخذت الترهيب طريقاً من طرق التعبير الفنى ، فيقفنا على ما كان يصاحب هذا الترهيب من عبثٍ بالقيم والأخلاق ، فضلاً عن أنه يعبر عن هذا العبث صراحة فى أكثر من موضع فى ديوانه .

وأما الجانب الثالث فخاصُّ بأخبار الرُّسل ، وقد ألحَّ على هذه الأخبار إلحاحاً عجيباً . . فتابع

كثيراً من شعراء عصره في تسجيل حياة النبيين ، وهم بسبيل التعرض لحياة النبي « محمد صلى الله عليه وسلم » . فعل ذلك شوقي في أرجوزته المشهورة ، وفعله غير شوقي ، ولاسيا الشعراء الذين نشأوا نشأة دينية ، والذين كانوا يحاولون تسجيل إحسانهم الديني على أساس الانفعال الفني بأخبار الرسل !

وأبو أميمة صريح جداً في هذا الجانب ، ويتخذ التقريرية أسلوباً للنظم حتى ليستحيل شعره هنا إلى مجرد قائمة بالأسماء . . فثمة نوح شيخ الطوفان ، وإبراهيم محط الهياكل ، ويعقوب الحزوين ، ويوسف الأسر ، وأيوب المبتلى ، وشعيب نبي مدين ، وموسى عدو فرعون ، ودلويد وسليمان ويونس وزكريا وعيسى ، إلى آخر أسماء النبيين الذين خلّد ذكرهم

فعل ذلك في همزته الكبرى . . فعله وكأنه يجعله أساساً لهذه القصيدة ، في حين يسكن في نونيته الصغرى بمجرد الإشارة حتى يصل إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فينظم سيرته كما نظمها البارودي وكما نظمها شوقي .

بل هو في الهمزية يصل حتى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلا يخرج عن النمط التقليدي ، ولا يعدل عن أسلوب المذّاحين في التعبير ، بل يبدأ مدحه بقوله :

من كنوز اليقين بدر قرّيش
أحمد المصطفى عليه الثناء

ولا يعني من ثمّ بتتبع حياته كما فعل في النونية ، وإنما يمدح ويقوم مدحه على صفات عامة تصلح لكل رسول ونبي . . فهو خير روح في أشرف جسم ، وهو الهادي والبشير ، وهو صاحب المهمة التي جاوزت أقاصى الأمانى وهكذا . ولولا وصفه إياه بأنه جامع الأنبياء تحت اللواء ، وأنه آخر الرسل ، لما تبينا شيئاً يختص به عليه الصلاة والسلام .

هذا هو الجانب الثالث ، فأما الرابع والأخير فيبدو في سلبية الوعظ ، وهذه السلبية تظهر في كونيته كلها ، وفي نونيته بصفة خاصة ، تلك النونية التي يقول في أولها :

هوّن عليك فكلّ حتى فإن
واذكّر بقاء مدبر الأكوان
وأصبر على ما قد أصابك وأحتمل
مرّ الأذى ومطامع الإنسان

والمتتبع لأبيات القصيدة يرى الشاعر يستخدم لغة النصح البالية في إيقاظ الغافلين . ولم يكن منتظراً منه أن يفعل أكثر من ذلك لأنه لم يكن أولاً صاحب أيديولوجية واضحة السمات ، وثانياً

أنه كان أضعف من أن يكسر حدود التقليد . . فلا بد أن عوامل العبث تثيره ، ولا بد أن يقول
للائين : قفوا !

وإذا كان الانحراف قد أندر بأن يقضى على المجتمع كوحدة ، فقد كان طبيعياً إذن أن
يتوجس المصلحون شراً ، وأن يتخوفوا هذا الفساد المستشري ، وأن يمجّدوا مافى الخير من أسباب .
والاتجاه الشائع عند الشعراء إذ ذاك هو الحرب من الواقع كجزء من الحركة الرومانسية السائدة ؛
فكان صوت الشاعر صدى عكسياً لما يقولون ، وصدى عكسياً لما يفعل هو ! وليس فى ذلك
تناقض ، لأن التعبير الفنى عن روح عصر القلق يجب أن يكون مضطرباً ، وأكثر ما يكون
التناقض عقب الهزات الكبرى التى تهز العصر كثورة ١٩١٩ ، وكاقلاب الدستور سنة ١٩٣٠ .
كان الرومانسيون فى حياتهم وأقوالهم ثورة ، وكانت نداءات الشاعر الوعظية تحدّ من رغبتهم
فى التحرر . إلا أن ذلك لا يقدم ولا يؤخر فى مسلك الشاعر كواحد من الرومانسيين ، لأنه لم يكن
يصدر عن إيمان فعلى بكل ما يقول .

وبعد ، فإن هذه النصائح الطوبوية لاتعقب شيئاً على الإطلاق ، ولا ترمى إلى أكثر مما يرمى
إليه واعظ المسجد ، وأما الخروج على الوضع القائم ، وأما الدعوات إلى حياة مجتمعية ذات ملامح
أخرى ، فذلك شىء لم يكن لأبى أميمة قدرة عليه . ومن هنا نقول إن هذا الشاعر لم يكن
يستهدف إقامة أى نظام جديد ، بل كان ينشد إصلاح النظام القائم .

أحمد كمال زكى

الدَّيَّانُ

النونية الكبرى

فاتحة

رَبِّ هَبْ لِي هُدًى وَأَطْلِقْ لِسَانِي وَأَنْزِلْ خَاطِرِي وَثَبِّتْ جَنَانِي
مُنْهِمِ النَّفْسَ بِالتَّقَى خَيْرَ مَسَرَى لِمَفَازَاتِ نَوْرِكَ الرَّبَّانِي
كُنْ مُعِينِي إِنْ أَعْجَزَتْنِي الْقَوَافِي وَنَصِيرِي فِي سَامِيَاتِ الْمَعَانِي
أَنْتَ قَضَيْتَ وَغَايَتِي وَرَجَائِي مَالِكَ الْمُلْكِ مُبْدِعَ الْأَكْوَانِ
يَا جَلَالاً عَمَّ الْوُجُودَ بِلُطْفٍ وَسَلَامٍ وَرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
وَأَقْدَاراً أَحَاطَ بِالْكَوْنِ عِلْماً نَظَمْتَ عِقْدَهُ يَدُ الْإِتْقَانِ
وَجَمَالاً فِي كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى سَبَّحَ الْحَسَنَ فِيهِ لِلرَّحْمَنِ

أسماء الله الحسنى

جَلَّ شَأْنُ الْإِلَهِ رَبِّ الْبَرَايَا خَالِقِ الْخَلْقِ دَائِمِ الْإِحْسَانِ
وَاحِدٌ قَاهِرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمُ الْغَيْبِ صَاحِبُ السُّلْطَانِ
حَكَمٌ عَادِلٌ لَطِيفٌ خَبِيرٌ نَافِذُ الْأَمْرِ وَاسِعُ الْفُقَرَانِ
قَابِضٌ بَاسِطٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ مُرْسِلُ الْغَيْثِ مُقْسِطُ الْمِيزَانِ
وَاجِدٌ مَاجِدٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ تَرَقَّبِ الْخَلْقَ عَيْنُهُ كُلَّ آنِ
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي الصُّدُورِ وَأَخْفَى وَإِلَيْهِ سَيُحْشَرُ الثَّقَلَانِ (١)
ظَاهِرٌ بَاطِنٌ قَرِيبٌ مَحْبُوبٌ نَعَمَ مَنْ فَازَ مِنْهُ بِالرِّضْوَانِ
وَاعْدُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتِ عَدْنٍ وَلَمَنْ خَافَ رَبَّهُ جَنَّاتٍ
مُنْعِمٌ وَارِثٌ عَلَى عَظِيمٍ بَاعَثَ الْخَلْقَ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ

(١) الثَّقَلَانِ : الْإِنْسُ وَالْجِنُّ .

كلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ لِلَّهِ عَبْدٌ وإلى الله مرجعُ الإنسانِ
 إن يوماً تُطَوَّى السَّمَاوَاتُ فِيهِ كلُّ حَيٍّ إِلَّا الْمَيِّمِينَ فَانٍ ^(١)
 يَوْمَ تَهْوِي الْأَفْلَاكُ مِنْ كُلِّ بُرْجٍ آفَلَاتٍ وَيُجْمَعُ النَّيِّرَانِ ^(٢)
 وتذكُّ الأرض انهبأراً ويُقْضَى كلُّ أَمْرٍ وَيَسْجُدُ الْخَافِقَانِ ^(٣)

البعث والحساب

صِيحَةٌ تَجْعَلُ الرُّوَاسِيَ عَنْهَا تَنْسِفُ الْأَرْضَ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانٍ ^(٤)
 وَتُدَوِّيْ أُخْرَى فِيحْيَا رُفَاتٌ ^(٥) ضَمُّهُ التُّرْبُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ ^(٦)
 تَحْرَثُهُ يَدُ الْبَلَى وَهَشِيمَا بَعَثَتْهُ الرِّيحُ فِي الْوُدَيَانِ ^(٧)
 مَنْ عَلَى رَجْعِهِ كَاوِلٌ خَلْقٍ قَادِرٌ غَيْرُ فَاطِرِ الْإِنْسَانِ ؟
 كَانَ غُضْنَا غُضًّا فَتِيًّا رَطِييًّا لَمْ يَفْكُرْ فِي الرَّمْسِ وَالْأَكْفَانِ
 هَيَمَنَتْهُ عَلَى الثَّرَى خِيَلًا زِينَتُهَا وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ
 سَوْفَ يُدْعَى إِلَى قِيَامٍ رَهِيْبٍ أَنْكَرَتْهُ حِمَاةُ الطُّغْيَانِ
 يَوْمَ تَجْرَى الْأَجْسَادُ لِلْحَشْرِ حَيْرَى بَيْنَ لُجٍّ وَقَسْطَلٍ مِنْ دُخَانٍ
 يَوْمَ يَدْعُو كُلُّ أَمْرٍ : رَبِّ نَفْسِي ! وَيُنَادِي الْحِسَابُ : أَنْ أَوَانِي !
 فِي ذَهُولِ الْمَأْخُودِ لَمْ تَدْرِ نَفْسُ لَنَعِيمٍ تَسَاقُ أَمْ لَهْوَانِ
 مَوْقِفٌ حَاشِدٌ وَحَشَرٌ مَهِيْبٌ قَدْ أَحَاطَتْهُ أَلْسُنُ النَّبِيَانِ
 يَقْذِفُ الرَّعْبُ فِي الْقُلُوبِ ارْتِجَافًا وَالْمَسَاوِي تَمُرُّ بِالْأَذْهَانِ

(١) الجملة في الشطر الثاني خبر «إن» كأنه قال «إن يوماً تطوى السموات فيه هو يوم ينفى فيه كل حي إلا الله»

(٢) الخافقان : المشرق والمغرب ، يريد أهل الخافقين .

(٣) المعين : دقيق القطع من الصوف يسبح في الهواء .

(٤) الرفات : ما قدم وتفتت من العظام ، تقول رقت الشيء فته .

(٥) «هشيم» حال مقدمة .

يجمع الخلق منذ أول نفسِ وافت الأرضَ من رياضِ الجنانِ
لم يُعَيِّبْ عن عَرَضِهِ أَى فردٍ صَمَّهُ الرُّوحُ من بنى الإنسانِ
هذه الساعةُ الرهيبةُ فانظرُ يا ابنِ حواءِ آيةَ الرحمنِ
قد تجلتِ مصداقَ ذكرِ حكيمٍ جاء للنَّاسِ بالهدى والبيانِ
أرسلته للعالمينَ سلاماً رحمةُ اللهِ واسعِ الغفرانِ

حكمة البعث

خُلِقَ الناسُ للبقاءِ وهَذِي آيةُ البعثِ أَصْدَقُ البرهانِ
كلُّ فردٍ فى الحشرِ لا بُدَّ يَلْقَى جنةَ الخلدِ أو لظى النيرانِ
إن يكنْ صدَقَ الكتابُ فأمَّنْ وسلامٌ ورحمةٌ وتماهى
والذى أنكرَ القيامةَ كِبِراً وعُلُوّاً هَوَى مع الشيطانِ
سوف يلقى العذابَ من كلِّ صَوْبٍ ويُمَانِي عواقبَ الطفیانِ

أهوال القيامة

ظلماتٌ تَعَثَّرُ الخلقُ فيها كالفرشِ المبثوثِ فى الكُثبانِ
أو كَسِيلٍ من الجرادِ خِضَمٍ قذفتها الأحداثُ كالطُوفانِ
رَجْفَةٌ دَكَّتِ الجبالَ فآلَتْ حملها الأرضُ وأختنى النيرانِ
صدَقَ الوعدُ فانظروا كيف تَمَّتْ آيةُ البعثِ أيها الثقلانِ
باغنتكم والنفسُ تَمرحُ سَكْرَى بين غَنَاءِ رَوْضَةٍ وأغانى
ساقها الطَّيْشُ لارتكابِ المعاصي فإطاعتِ غِوايةَ الشيطانِ
حَبَبَ الفِسْقِ وانفجورَ إليها ورمها فى كاذباتِ الأمانِ
أفسحِ المالُ للفسادِ مجالا بين كأسِ الطَّلَا ودلِّ الفوانى
فتنتكم أموالكم فكفرتكم وارتكبتكم ما ليس فى الحُسابانِ

خدعتكم بسحرها أم دفر^(١) وسببتكم بحسبها الفتان^(٢)
 فشغلتم عن الحقيقة جهلاً وأنصرتكم إلى المتاع الفاني
 وعميتم عن الهدى وانطلقتم في مهاوى الفجور والعصيان
 وكفرتكم بأنعم الله حتى نمدتكم مراحم الغفران
 فإلى الموقف الرهيب هلموا قد بعثتم إلى المصير الثاني
 هاهى الأرض أخرجتكم لتجزى كل نفس ما قدم الأصفران^(٣)
 إن تكونوا مصدقين فأمن وسلام ورحمة في خان
 أو تكونوا مكذبين فويل من عذاب ونقمة وهوان
 كل نفس يُعنى لها فيه شأن عن سواها وأين يهرب جان ؟
 يوم لا تملك النفوس انتصاراً وله الأمر وحده كل آن
 كل فرد له كتاب شهيد سجلت فيه صادقات البيان
 قولها الحق بالذى قدمته طوع شيطانها يد الإنسان
 لم يُغادر صغيرة ما حواها قدرة نزلت عن النسيان

الجنة

كل شيء غير البديع ظلام وهو نور الآفاق والأكوان
 خلقت هبة فأشرق نور واعتلى العدل كفة الميزان
 وتلا الذكركم خلقهم شهداء باركتهم مراحم الغفران
 تلكم الجنة التي قد وعدتم أدخلوها في غبطة وأمان
 قد صبرتم مصدقين ففرتم بخلود في عاليا الجنان
 فسلام أهل اليمين عليكم كل من في النعيم يهذى التهانى

(١) أم دفر: من أسماء الدنيا .

(٢) الأصفران : القلب واللسان ، وقد قيل « المرء بأصغره قلبه ولسانه » .

جَنَّةِ الْخُلْدِ زُيِّنَتْ فَأَقِيمُوا ومع الحقِّ لا تَضِيعُ الْأُمَانُ
سَيِّدُ الْخَلْقِ بَيْنَكُمْ فَاضَ نُورًا وجلالاً من الرُّضَى لِلرَّيَانِ
أَشْرَفُ الْمُرْسَلِينَ قَدَرًا وَجَاهًا عبقرى النَّهْيِ عَظِيمِ الْجَبَانِ
خَصَّهُ اللَّهُ بِالشَّفَاعَةِ عَظُمًا وحناناً على بنى الْإِنْسَانِ
صَلَوَاتِ الْإِلَهِ تَحْبُوكُ دَوْمًا يَا نَبِيَّ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

قدرة الله

يَبِينُ رَهْبٌ وَذَلَّةٌ وَخُشُوعٌ خَفَقَ الْقَلْبُ خَفَقَةً الْخَيْرَانِ
وَبَدَأَ الْهَوَلُ وَالنَّوَاطِرُ حَسْرَى زَائِعَاتٌ فِي رَجْفَةِ الْوَلْهَانِ
وَجَنَّا النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي خُضُوعٍ إِذْ تَجَلَّتْ مَهَابَةُ الرَّحْمَنِ
وَقَفَّ الْعَبْدُ فِي رِحَابِ إِلَهٍ نَافِذِ الْأَمْرِ قَاهِرِ السُّلْطَانِ
لَمْ يَغِبْ عَنْهُ فِي السَّمَوَاتِ شَيْءٌ وَعَلِيمٌ بِمَا جَنَى الثَّقَلَانِ
مَلَأَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ وَجُودًا خَالِقِ الْكَوْنِ لَمْ يَغِبْ عَنْ مَكَانِ
أَبَدَى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَرْدًا سَرْمَدِي الْجَلَالِ وَالسُّلْطَانِ
بَيْنَ حَرْفَيْنِ كُلَّمَا شَاءَ يَقْضَى مُطْلَقِ الْحُكْمِ لَمْ يُشَارِكْهُ نَانٌ (١)
قُدْرَةٌ أَحْصَتْ الْخَلَائِقَ عَدًّا مِنْذُ أَوْفَى عَلَى النَّزَى الْوَالِدَانِ (٢)
رَحْمَةٌ عَمَّ رِزْقُهَا كُلَّ حَيٍّ جَلَّ وَهَابُهَا عَنْ النِّسْيَانِ
خَبِيرَةٌ أَبْدَعَتْ مُحَاسِنَ خَلْقٍ فِي جَلَالٍ مِنْ دِقَّةِ الْإِتْقَانِ
فَيْضُ عِلْمٍ مَا ذَرَّةٌ عَنْهُ غَابَتْ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ وَالْأَكْوَانِ
مَلِكٌ يَرْقُبُ الْخَلَائِقَ جَمْعًا وَيُدِيرُ الْأَفْلاكَ فِي الدُّورَانِ
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِلَّذِي سَاءَ جُودًا وَهُوَ أَذْرَى بِالْخَيْرِ لِلْإِنْسَانِ

(١) المرفان : هـا الكاف والنون « كن » .

(٢) أوفى على المكات : أشرف عليه . والوالدان : آدم وحواء .

يرسلُ الماءَ فوقَ جرداءٍ مَيّتٍ فيردُّ الحَيَاةَ لِلوِدْيَانِ
 فتَمُوجُ الأرضُ اهتزازاً وتربو ثم تبدو في سُندُسٍ فتانِ
 تُخْرِجُ الحَبَّ والثمارَ وتزهو في عقيقٍ ولؤلؤٍ وَجَمَانِ
 رَوَحَاتُ النسيمِ تحملُ عبقاً من أريجِ الزهورِ والرَّيْحَانِ
 كلُّ شَيْءٍ يَسْبُحُ اللهَ حَمداً كي يودّي فرائضَ الشُّكرَانِ
 نِعَمٌ ساقها المهيمنُ للناسِ س فحداً لِلنُّعْمِ الْمَنَانِ
 أعجزَ الخَلْقَ عدّها فتعالى باسطُ الرزقِ دائمُ الإحسانِ
 فاطرُ الأرضِ والسمواتِ فَرَدُّ صاحبُ الطولِ في علوِّ الشَّانِ
 عالمُ الغيبِ والشهادةِ نُورٌ يملأُ الكونَ فيضُهُ الرِّبَانِ
 نافذُ الأمرِ في جميعِ البرايا مُطلقُ الحُكْمِ لم يشاركهُ ثانِ
 غافرُ الذَّنْبِ قابلُ التَّوْبِ مَلِكٌ جَلَّ تشبيهه عن الحدَّانِ
 كاشِفُ الضُّرِّ والبلاءِ مجيبٌ دعوةَ الواثقِ الحزينِ العاني
 في دياجى الظلامِ يَرَحِمُ دمعاً أمطرتهُ قهراً صروفُ الزمانِ
 ويَجِرُ الملهوفَ مِنْ هَوْلِ كَرْبٍ دَبَّرَتْهُ مَظَالِمُ الْإِنْسَانِ
 ويمدُّ المظلومَ مِنْهُ بِنَصْرِ ويسوقُ الظُّلومَ لِلنَّيرانِ
 أَحْكَمُ الحاكمينَ كَنْزُ العطايا أرحمُ الراحمينَ رَحْبُ الحنانِ
 واهبُ العِزِّ لِلضعيفِ لِيَقْوَى ولمن خافَ مُنْعِمٌ بالأمانِ
 واسعُ الحِلْمِ لا يعجلُ بِطُشَا خَيْرُ أَهْلِ العفوِّ والغُفْرَانِ
 يُنْمِلُ الظالمينَ حتى إذا ما شاءَ ذاقوا عواقبَ الطغيانِ
 لم يَدْعَ ذَرَّةً تَمُرُّ هَبَاءً في طريقِ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِ

البحيم

كل نفس سِيَقَتْ إِلَى الْخَيْرِ تَلْقَى أَعْظَمَ الْأَجْرِ فِي عُلَا الرِّضْوَانِ
وَالَّتِي قَادَهَا إِلَى الشَّرِّ طَيْشٌ سَوْفَ تُجْزَى بِمَا جَنَّتُهُ الْيَدَانِ
جَامِعُ النَّاسِ وَالْمَوَازِينَ قِسْطٌ يَوْمَ لَمْ تُجَدِ زَفْرَةُ النَّدْمَانِ
أَيُّ وَيْلٍ إِذَا الْمَوَازِينُ خَفَّتْ وَزَفِيرُ الْبَحِيمِ فِي ثَوْرَانِ
وَاسْتَشَاطَتْ غَضَبَاءُ وَهِيَ تُدَوِّي فِي زُنْجِيرٍ يَرُوحُ بِالْآذَانِ
فَرَزَعٌ يَمَلَأُ الْفَوَادَ ارْتِجَافًا حِينَ تَبْدُو ذَاتُ الشَّوَى لِلْعِيَانِ^(١)
مِنْ حَمِيمٍ تَنْسَابُ فِيهَا سَيُولُ فِي جَحِيمٍ وَظَلَمَةٌ مِنْ دُخَانِ
وَهَوَى الْمُجْرِمُونَ بَيْنَ رَعْدٍ أَطْلَقَتْهُمُ زَوَابِعُ النَّيْرَانِ
فَقَاهُمُوا يَا مَنْ ظَلَمْتُمْ وَجُرْتُمْ وَكُفَرْتُمْ بِالْوَاحِدِ الدَّيَّانِ
إِنْ هَذَا تَصْدِيقُ مَا قَدْ كَذَبْتُمْ وَأَطَعْتُمْ غُيَاةَ الشَّيْطَانِ

المؤمنون في النعيم

كُلُّ حَظٍّ وَكُلُّ فَوْزٍ عَظِيمٍ لِلَّذِي نَالَ رُجْحَةَ الْمِيزَانِ
بِاتِّبَاعِ الْهُدَى وَتَرْكِ الْمَعَاصِي وَالتَّعَاضِي عَنْ الْمَتَاعِ الْفَاسِي
خَالَفَ النَّفْسَ بَيْنَ عَزْمٍ وَصَبْرٍ وَمَضَاءٍ وَعِفَّةٍ وَأَمَانِ
وَأَطَاعَ الْإِلَهَ طَاعَةً عَبْدٍ قَرَّبَتْهُ مَثُوبَةُ الشُّكْرَانِ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أُعِدَّتْ قُصُورٌ عَالِيَاتٌ فِي خَالَدَاتِ الْجَنَّاتِ
وَالْفَرَادِيسُ زِينَتٌ بِيَدُورٍ كَاللَّالِي مَا بَيْنَ حُورٍ حَسَانِ
وَبَدَارِ النِّعَمِ صُفْتُ بِيوتٍ مِنْ كَرِيمِ الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
غُرْفٌ تَحْتَ زَهْرِهَا الْمَاءُ يُجْرَى مِنْ نُضَارٍ وَمِنْ نَعِيمِ الْجَمَانِ

(١) ذات الشوى : يريد جهنم التي تشوى .

تَجَلَّى عَلَى الْأَرَائِكِ فِيهَا حُورٌ عَيْنٌ مِنْ كَاعِبَاتِ قِيَانٍ^(١)
 وَعَلَيْهِنَّ طَافَ وَلَدَانُ خُلْدٍ بِشَرَابِ الْأَعْنَابِ وَالرَّيَاحِ
 فِي أَبَارِقَ مِنْ لُجَيْنٍ شَذَاهَا عَرَفُ مِسْكِ وَنَفْحَةُ الرَّيْحَانِ
 وَعَلَى الْجَانِبَيْنِ صُفَّتْ عَرُوشٌ سُرُرٌ حَوْلَهَا الْقُطُوفُ الدَّوَانِي
 رَصَعَتْهَا يَدُ الْعَطَاءِ بِدَرٍّ فَوْقَ وَشْيٍ مِنْ نَادِرِ الْعَقِيَانِ
 إِنْ فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مَتَاعًا جَعَلَ الْمُتَّقِينَ فِي مَهْرَجَاتِ
 أَرْضِهَا سُنْدُسٌ يُفْطِيهِ زَهْرٌ يَنْشُرُ الطَّيْبَ فِي رِيَاضِ الْجَنَانِ
 رِيحُهَا عَاطِرٌ يَفِيضُ عَبِيرًا حَيْثُ مَالَ النَّسِيمُ بِالْأَغْصَانِ
 فَوْقَ فَيْحَانِهَا وَتَحْتَ الدَّوَالِي فِي مَرْوَجِ الْكَافُورِ وَالْأَقْحَوَانِ
 دَقَّتْ أَنْهَرٌ وَفَاضَتْ عُيُونٌ بَارَكْتَ نَبْعَهَا يَدُ الرَّحْمَنِ
 مِنْ سُلَافٍ وَمِنْ مَعِينٍ فِرَاتٍ تَتَهَادَى الْأَنْهَارُ كَالْخِيزَرَانِ^(٢)
 ثُمَّ تَجْرِي أُخْرَى بِدَرٍّ طَهُورٍ لَمْ يُلَوِّثْ بِفَاسِدِ الْأَدْرَانِ^(٣)
 بَيْنَ طَيْبِ الزُّهْرِ تَجْرِي الْهُوَيْنِي أَنْهَرُ الشَّهْدِ فِي فَسِيحِ الْجَنَانِ
 لَمْ يُشَبَّهْ نَعِيمُهُ نَعِيمٍ نَوْرُهَا دَائِمٌ فَلَا لَيْلَ فِيهَا
 بَيْنَ طَيْبِ الزُّهْرِ تَجْرِي الْهُوَيْنِي كَانِ أَشْهَى أُمْنِيَّةَ الْإِنْسَانِ
 نَوْرُهَا دَائِمٌ فَلَا لَيْلَ فِيهَا يَانَعَاتُ الْمَرْوَجِ وَالْأَفْنَانِ
 إِنْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى كُلُّ نَفْسٍ وَجَنَاهَا أَيْانَ تَدْعُونَ دَانِ
 كُلُّ شَيْءٍ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ غَضٌّ وَرَطِيبٌ وَيَانَعُ كُلَّ آنِ
 كَيْفَ تَذْنُو يَدُ الْبَلَى مِنْ جَنَاهَا وَالَّذِي فِي الْخُلُودِ لَيْسَ بِقَافِ
 كُلُّ وَصْفٍ مِمَّا تَسَامَى خَيَالًا فِي نَعِيمِ الْفَرْدُوسِ غَيْرُ الْعِيَانِ
 رَحْمَةُ اللَّهِ قَدْ أَفَاضَتْ عَلَيْهَا سَابِقَاتٍ مِنْ أَنْعَمِ الرِّضْوَانِ

(١) الصواب أن يقال حور عين ، على الوصف لا الإضافة ، والعين جيلات العيون ، الواحدة عينا .
 (٢) السلاف : الحُر ، ومعين فرات : نبع عذب ، والنشيب في البيت بعيد المأخذ .
 (٣) الدر بفتح الدال : المدرار أي الغزير السيلان ، وأصله للطر .

وأعدت هذا النعيم جزاء	لسعيد قد فاز بالغفران
يانعيم الجنات رحب وبارك	وتقدم بعاطرات التهان
وابتسم يا جمال واهتف سلاماً	وتألق في الحور والولدان
هاهم الأتقياء حلاوا كراماً	بين فيض من الرضى والأمان
ياعباد الرحمن ها قد بلغتم	فاشكروا من هدى إلى الإيمان
مالك الملك إن وعدك حق	من له الحمد غيره كل آن
كل شيء يسبح الله تحمداً	أبد الدهر خيفة الرحمن
خالق الخلق من ضياء ونار	وتراب في رافة وحنان
عرشه الأرض والسماء قريب	لم يغيب فيض نوره عن مكان

الشمس

صانع مبدع عليم خير	بالغ صنعه ذرى الإتيان
كل حي إلى علاه مدين	بالغوى من أنعم الإحسان
خلق الشمس في السماء سراجاً	وحياة للعالم الحيوان
تملأ الأرض كل يوم ضياء	ووهيلاً كلفحة النيران
تحمل الغيث من أجاج خضم	ثم تملو بذره كالدخان
فوق متن الهواء يعلو جليداً	طود ماس في صفحة من جمان
شاء للأرض أن تموت وتحيا	حكمة جدت قوى العمران
كلما أجذبه نسقاها سحب	بمعين من غيظه الهتان
هكذا ثم للحياة نظام	يجعل الجسم يانع الريعان
إن للشمس في العناصر سرّاً	فهى روح الحياة للأبدان
لو خبا نورها عن الأرض صارت	بلقماً قد خلا من السكان

قدرةٌ حَيرتْ عقولَ البرايا	غاب إدراكُهَا عن الأذهانِ
أبدعتها يدُ المهيمنِ رفقا	وحناناً على بني الإنسانِ
مُليهمُ النفسِ والتدبيرُ تجري	محكاتٍ في عالم الأكوانِ
فاز من بالتقى أطاع ووفى	والذى ضلَّ باء بالخسرانِ
أنزلَ الثورَ رحمةً وسلاماً	وشفاءً في مُحكم القرآنِ
جاء بالحقِّ هادياً وبشيراً	ونذيراً للشارِدِ الغفلانِ
فاضِ علماً بالوحي صدرُ نبيِّ	عبرى النهى فصيح اللسانِ
خيرُ نفسٍ حلتْ بأشرفِ جسمِ	خاتمُ المرسلينَ فخرُ الزمانِ
أحمدُ المجتبي شفيعُ البرايا	هادمُ الكفرِ شائدُ الإيمانِ
جاهدَ المشركينَ بالسيفِ حتى	دمرَ الحقُّ دولةَ الأوثانِ

سبيل الإيمان

أشها الناسُ آمنوا وأطيعوا	واذكروا الله خيفةً كلَّ آنِ
سَبَّحُوهُ مستغفرينَ . وتوبوا	واستعيذوا به من الشيطانِ
طَهَّرُوا النفسَ باجتنبِ المعاصي	واستزيدوا هدياً من القرآنِ
وأتقوا الله رهبةً واشكروه	أنْ هداكم لِنِعْمَةِ الإيمانِ
واستقيموا فهو الرقيبُ عليكم	ومَحَالٌ أَنْ يَخْتَنِي عنه جاني
وأسلكوا للهدى أعفَّ سبيلِ	وتفانوا في طاعة الرحمنِ
واطلبوا الرزقَ طيباً وحلالاً	واحفظوه بالبرِّ والإحسانِ
واجعلوا العدلَ إن حكتمُ شعاراً	واذكروا بطشَ صاحبِ السلطانِ
وتواصوا بالحقِّ واسعوا كراماً	واستعينوا بالصبرِ والإيمانِ

ضعف ابن حواء

يَا بْنَ حَوَاءٍ قَدْ خُلِقْتَ ضَعِيفًا وَحَلِيفًا لِلسَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ
خَدَعَتْكَ الدُّنْيَا فَأَقْبَلْتَ تَلْهُو طَائِرَ اللَّبِّ غَارِقًا فِي الْأُمَانِ
قَادَكَ الْجَهْلُ فَارْتَكَبْتَ الْخَطَايَا وَتَزَوَّدْتَ بِالْمَتَاعِ الْفَانِ
وَتَجَبَّطْتَ فِي دِيَاغِي حَيَاةٍ كُنْتَ فِيهَا فَرِيسَةً الشَّيْطَانِ
يَا بْنَ حَوَاءٍ كَيْفَ تَنْقَادُ أَعْمَى كَيْفَ تَنْسَى عُقْبَى الْمَصِيرِ الثَّانِي؟
كَيْفَ تَصْبُو إِلَى الْمَلَاهِي وَتَرْضَى يَا بْنَ حَوَاءٍ وَقَفَةً النَّدَمَانِ
قَدْ فَقَدْتَ النَّهْيَ طَرُوبًا تُغْنِي بَيْنَ كَأْسِ الطَّلَا وَدَلِّ الْغَوَانِ!
لَمْ تَفَكَّرْ فِي غَيْرِ دُنْيَاكَ يَوْمًا آمِنًا مِنْ تَقَلُّبِ الْأَزْمَانِ
يَنْقَضِي الْعُمُرُ وَالشَّبَابُ يُؤَلَّى بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
سِنَةٌ كُلُّهَا الْحَيَاةُ وَصَحْوٌ فِي دِيَاغِي الْقُبُورِ وَالْأَكْفَانِ
يُوقِظُ النَّفْسَ بَيْنَ حَرْبٍ وَكَرْبٍ فِي جَحِيمٍ مِنْ زَفَرَةِ النَّدَمَانِ
إِيَّاهُ يَأْنَسُ قَدْ تَفَاوَلَتْ جَنَى سَكَنَ اللَّهُؤُمُكَ غَدَرَ الزَّمَانِ
لَا اعْتَذَارُ وَلَا شَفِيعٌ يُرَجَّى هَكَذَا فَاجْرَعِي كُؤُوسَ الْهُوَانِ
فَتَرَةُ الْأَرْضِ فِي الْحَيَاةِ اخْتِبَارُ فِيهِ يُجْزَى الْمَطِيعُ بِالْإِحْسَانِ
وَبَدَارِ الْبَقَاءِ تَخَلُّدُ نَفْسٍ فِي نَعِيمٍ أَوْ فِي لَظَى النَّيرَانِ
تُنْقَلُ النَّفْسُ مِنْ حَيَاةٍ لِأُخْرَى إِذْ يَنَادِي الْحِمَامُ آنَ أُوَانِي
إِنَّهُ الْمَوْتُ لَمْ يَدَعْ أَيَّ حَيٍّ فَالْبَرَايَا جَمْعًا بِهِ سَيَّانِ
فَإِذَا جَاءَ أَمْرُهُ لَمْ يُؤَخَّرْ وَإِذَا حُمَّ فَلَمُقَدَّرُ دَانِ
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يُفْقَدُ الْإِنْسَانُ فِيهَا، وَيَسْكُنُ الْخَلَاقَانِ
فَهُوَ بَابٌ يَحْتَازُهُ كُلُّ حَيٍّ وَهُوَ كَأَشْ لَابِدٍ لِلظَّمَانِ

غرور ابن حواء

يا ابن حواء دع غرورك واعلم
خالف النفس واجتنب كل شر
وافعل الخير ما استطعت وأصلح
واتق الله إنه خير زاد
وتواضع واصفح وسامح كريماً
وتوكل على المهيمن واصبر
إن كيد الشيطان يفتك فتكا
فتنة تملأ العيون جمالاً
خادع ما كثر عدو لدود
لا تطع كيده وخالفه حتى
أن من عفا عاش في اطمئنان
وتباعد عن سمأة العدوان
وتسابق في البر والإحسان
للذي رام خالد البنيان
واجعل الحلم زائداً للوجدان
واذكر الموت بين آن وآن
بضعاف العقول والإيمان
وانطلاق في كاذبات الأمان
شر نفس شقت عصا العصيان^(١)
لا تنزل عليكما لعنان !

مصير ابن حواء

يا ابن حواء باطل كل شيء
جسمك الفض هيك من تراب
يتوارى تحت الترى بعد حين
وهشها عظامه تتداعى
كل جسم مشى على الأرض فيها
أخرجته يشقى وخجل طوته
إن هذى دنياك فاحذر أذاها
هي أفعى في ثوب حسناء تسعى
زينة مظاهر الهذيان
سوف يبلى على يد الحدثان
حيث يغدو فريسة الديدان
وإلى التراب مرجع الإنسان
هي ترب وهو الوليد الفاني
فهي أم لكن بغير قرآن
وتجنب مصارع الأزمان
بجمال مبرج فتان

(١) تقول شقت عصا الطاعة ، وهذا ما أراده الشاعر ولكنه أخطأ التعبير .

تَنْشِبُ النَّابَ فِي الذِّى نَالَ مِنْهَا وَاسْمَالُهُ مَغْرِيَاتُ الْحِسَانِ
وَالَّذِى كَانَتْ لَهُوُهُ بِالْأَفَاعِى كَيْفَ يَنْجُو مِنْ وَثْبَةِ الثُّغْبَانِ ؟
هَكَذَا الدَّهْرُ صَفْوُهُ مُسْتَحِيلٌ غَرَضٌ لِلْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ
مَا صَفَا الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ لِنَفْسٍ مَتَّعَتْهَا الدُّنْيَا بِأَقْصَى الْأَمَانِ
مَنْ هِنَاءٌ إِلَى شَقَاءٍ وَذُلٌّ وَمَنْ الْعِزُّ لِلْأَسَى وَالْمُحَوَّنِ
إِنْ هَذَا كَيْدُ اللَّيَالَى فَحَسْبِ يَا أَبْنَ حَوَاءَ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ

مطامع ابن حواء

يَا أَبْنَ حَوَاءَ بَاطِلٌ كُلُّ شَيْءٍ زَيْنَتُهُ مَطَامِعُ الْهَذْيَانِ
فَالْجَمَالُ الَّذِى سَبَّكَ خِيَالٌ وَالْأُمَانِيُّ خِدْعَةُ الشَّيْطَانِ
هَذَّبَ النَّفْسَ لَا تَطْعَمَ مَا تَمَنَّتْ وَتَمَسَّكَ بِشِرْعَةِ الْقُرْآنِ
وَتَفَكَّرَ فِي صُنْعِ رَبِّكَ يَبْدُو لَكَ نُورٌ مِنْ فَيْضِهِ الرَّبَّانِ
وَإِذَا كَرَّ اللَّهُ مَا خَلُوتَ كَثِيرًا فَهُوَ أَزْكَى مَا يَكْتُبُ الْمَلَكَانِ
وَأَخْشَهُ إِنْ لَهُوتَ فَهُوَ رَقِيبٌ وَقَرِيبٌ لِلْقَلْبِ وَالشَّرِيَانِ
لَا تَقْلُ إِنْ خَلُوتَ إِيَّى وَحِيدٌ فَمَعَ اللَّهُ أَنْتَ فِي كُلِّ آنٍ
إِنَّ عَيْنَ الْإِلَهِ مَا غَابَ عَنْهَا أَيْ حَيٌّ فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
تَرَقَّبُ الْخَلْقَ فِي جَلَالٍ وَحَلَمٍ وَاقْتِدَارٍ وَرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
أَيْنَ مِنْهَا الْمَفْرُ؟ يَا نَفْسُ سِيرِي فِي طَرِيقِ الْهُدَى وَالْإِطْمِنَانِ
قَدِّمِي الْخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتِ وَتَوْبِي وَأَطِيعِي أَوْامِرَ الرَّحْمَنِ

ضلال ابن حواء

يَا بْنَ حَوَاءِ أَنْتَ لَهِ عَبْدٌ وَعَلَى الْعَبْدِ وَاجِبُ الشُّكْرِ
كَيْفَ تَنْسَى فَضْلَ الْإِلَهِ وَتَمْشِي مَطْمَئِنًّا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانٍ ؟
لَمْ تَتَفَكَّرْ فِي غَيْرِ لَهْوٍ يُؤَدِّي يَاضِعِيفَ التَّهَيُّ إِلَى الْخُسْرَانِ
قَدْ دَعَاكَ الشَّيْطَانُ فَانْقَدْتَ تَهْوَى فِي ضَلَالِ الْغُرُورِ وَالْعِصْيَانِ
تُنْكِرُ الْحَقَّ وَالْهُدَى كَبْرِيَاءَ مُسْتَحَقًّا لِنِقْمَةِ التُّكْرَانِ
إِنْ مَثَوَى الْمُسْتَكْبِرِينَ خُلُودٌ فِي زَفِيرِ الْجَحِيمِ وَالنَّيْرَانِ
أَيُّهَا الْأَحْمَقُ الْجَهْلُ تَدَبَّرْ أَوْ تُعَاقَبْ بِالطَّرْدِ وَالْحَرْمَانِ

السما والارض

هَلْ لِهَذَا الْوُجُودِ غَيْرُ إِلَهٍ وَاحِدٍ فِي الْعَالَا فِي السُّلْطَانِ ؟
أَمْرُهُ الْأَمْرُ لَمْ يُشَبَّهْ بِشَيْءٍ مُطْلَقُ الْحُكْمِ مُبْدَعُ الْأَكْوَانِ
دَبَّرَ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ بِصُنْعٍ غَايَةٍ فِي الْجَلَالِ وَالْإِتْقَانِ
رَتَّبَ النَّجْمَ وَالْبُرُوجَ وَأَوْحَى لِلنَّظَامِ الْعَجِيبِ بِالْدَوْرَانِ
سَابِحَاتٍ تَشْقُ جَوْفَ فِضَاءٍ بَيْنَ مَهْوَى الثَّرَى إِلَى كَيَوَانِ^(١)
خَامِلَاتٍ الْأَبْصَارِ كَالْبَرْقِ تَسْرَى فِي مَدَارِ الْجُوزَاءِ وَالْمِيزَانِ
قُدْرَةُ اللَّهِ سَيَّرَتْهَا وَحَفَظَهَا زَوَّدَتْهَا بِنُورِهَا الرِّبَانِ
مِنْ بَدْوٍ كَوَاكِبِ وَشُمُوسٍ سَبَّحَتْ فِي الْعَالَا عَظِيمِ الشَّانِ
تَقْطَعُ الْأَفْقَ فِي سَلَامٍ وَأَمْنٍ لَاحِظَتَهَا عَنَايَةُ الرَّحْمَنِ
سَبَّحَ النَّجْمُ فِي السَّمَاءِ يُؤَدِّي وَاجِبَ الْحَمْدِ مَا بَدَأَ الْمُلُوكَ^(٢)
تَمَّ أَمْرُ السَّمَاءِ سُبْحَانَ رَبِّي إِذْ بَنَاهَا قُوَّةَ الْبَنِيَانِ
خَلَقَ الْأَرْضَ جَذْوَةً مِنْ شَهَابٍ لَارْتِبَاطِ الْأَفْلَاكِ بِالْأَكْوَانِ

ودحاها من بعد ذلك دَحْيَا وَهَبَ الْأَرْضَ مَرْعَةً الدَّورَانِ

القمر

ثم أَوْحَى لِلْبَدْرِ أَنْ خُذْ مَدَاراً
ومن الشمس خُذْ ضِيَاءَكَ فَأَعْكِسْهُ
إِنَّ الْبَدْرَ فِي خُطَاهُ بَرُوجاً
هو يَجْرِي وَكَوْكَبُ الشَّمْسِ يَجْرِي
آيَةُ الشَّمْسِ فِي النَّهَارِ ضِيَاءُ
وَإِذَا اللَّيْلُ أَلْبَسَ الْأَرْضَ سِتْرًا
ظَهَرَ الْبَدْرُ فِي السَّمَاءِ فَأَلْقَى
نُورَهُ يَمْلَأُ الْقُلُوبَ أَنْشِرَاحًا
إِنَّ هَذَا النِّظَامَ صَنَعَ إِلَهُ
خَلَقَ الشَّمْسَ رَحْمَةً وَحَنَانًا
وَأَفَاضَتْ يَدُ الْعَطَاءِ عَلَى الْأَرْضِ
بَعْدَ تَقْدِيرِ قُوَّتِهَا أَوْدَعْتَهَا
نِعْمَةُ الْخَالِقِ الْحَكِيمِ فَأَكْرَمَ
سَخَّرَ الْمَاءَ وَالْهَوَاءَ فِرَاتًا
جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِبَاسًا
جَعَلَ الشَّمْسَ فِي النَّهَارِ عَرُوسًا
وَأَحَلَّ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ مَلِيكًا
إِنَّ لِلنَّيِّرَيْنِ أَكْبَرَ فَضْلٍ
كُلُّ هَذَا آلاءُ رَبِّ قَدِيرٍ

حول سَيَّارِهَا وَسِرِّ فِي أَمَانٍ
عَلَيْهَا لِلسَّارِبِ الْوَجْلَانِ
تَتَجَلَّى فِي وَجْهِهِ كُلَّ آتٍ
وعلى الْأَرْضِ يَشْرَفُ الْكُوكِبَانِ
وَحَيَاةٌ لِعَالَمِ الْحَيَوَانِ
من دِيَاغِي الظَّلَامِ كَالطَّيِّلسَانِ
صَفْحَةُ النُّورِ مِنْ سَيُولِ الْجَمَانِ
وَيَمْدُ النَّبَاتِ بِالْأَلْوَانِ
مَالِكِ الْمَلِكِ وَاحِدِ مَنَانِ
لِبَقَاءِ الْحَيَاةِ فِي عَنُقْوَانِ
ضِ غِيُوثًا مِنْ خَيْرِهَا الْهَتَّانِ
مَا يُنْمِي جَوَاهِرَ الْأَبْدَانِ
بِحَنَانٍ لَمْ يُوْتَهُ الْوَالِدَانِ
وعليها فَوْقِ الثَّرَى يَجْرِيانِ
ومعاشًا كِلَاهُمَا آيَاتِ
تَتَجَلَّى فِي إِمْرَةِ السُّلْطَانِ
مُشْرِقًا فِي الدَّجَى عَلَى الْأَكْوَانِ
أَلْبَسَ الْأَرْضَ حُلَّةَ الْعِمْرَانِ
سَخَّرَهَا رُحْمَاءَهُ لِلْإِنْسَانِ

ذلك الميكلُ المفضلُ بعقلًا وذكاءً عن سائر الحيوانِ
كَرَّمَ اللهُ خَلْقَهُ واصطفاه وحباه مَوَاهِبَ العِزِّ والعِزِّانِ

سعة ملك الله

يَا بَنِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ مُلْكًا واسعَ الأفقِ بين قاصٍ ودانٍ
تَعْلَمُ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ مَدَاهُ فِي سُمُومِ الْجَلَالِ وَالسُّلْطَانِ
قَبْضَةُ اللَّهِ تَجْمَعُ الْأَرْضَ فِي يَمِينِهِ تَطْوِي مَسَارِحَ الدُّورَانِ
هِيَ ذَاتُ الْبُرُوجِ سَبْعُ طَبَاقٍ كُلُّ يَوْمٍ بَدِيعُهَا فِي شَانٍ
رَفَعَتْ سَمَكَهَا بِغَيْرِ عِمَادٍ قُوَّةُ الْقَاهِرِ الْعَزِيزِ الْبَانِ
عِزَّةٌ تَجْعَلُ الْقُلُوبَ سُجُودًا فِي خُشُوعٍ مِنْ هَيْبَةِ الدِّينِ
حِكْمَةٌ دَبَّرَ الْمُهَيْمِنُ فِيهَا مَاخِبًا نُورَهُ عَنِ الْإِنْسَانِ
تَتَرَاءَى غَيْرَ الَّذِي أُرْمَتْهُ وَتُنْفَى مَاقِدَ الْبَدَا لِلْعِيَانِ
شَاءَهَا الْخَالِقُ الْحَكِيمُ فَتَمَّتْ طَبَقَ مَا فِي صَحَائِفِ الْأَكْوَانِ
إِنَّمَا الْيُسْرُ مَا أَرَادَ ، وَقَدِمًا خُطَّ فِي اللَّوْحِ مَا لَطَوَى فِي الْجَنَانِ
خَبْرَةٌ أَتَقَنَ الْمَصَوِّرُ فِيهَا مَا تَوَارَى عَنْ عِبْقَرِيِّ الْبَيَانِ
أَبْدَعَتْ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَوْحَتْ فِيهِ سِرًّا مِنْ غَيْبِهَا رَبَّانِي
آيَةُ الصَّانِعِ الْعَلِيمِ أَمَدَّتْ كُلَّ حَيٍّ مَا بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ
لَمْ تَدْعُ كَانَنًا بِغَيْرِ حَنَانٍ مَنْ لَدُنْهَا أَكْرَمَ بِهِ مِنْ حَنَانِ
هَيْبَةُ خَزَنَةِ الْجِبَالِ لَدَيْهَا سَاجِدَاتٍ وَكَبَرَى الْمَشْرِقَانِ
وَتَجَلَّتْ عَلَى الْوُجُودِ جَمَالًا كُلُّ شَيْءٍ مُسَبِّحٌ بِلِسَانِ
حَضْرَةُ تَجْمَعُ الْعَوَالِمُ طَرًّا تَحْتَ نِيرَانِ نَوْرِهَا رَبَّانِي
كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ بَيْنَ يَدَيْهَا يَطْلُبُ الْعَفْوَ وَالرَّضَى كُلَّ آتٍ

نظرة ملؤها الخنوع وحلم
 رافة عمت البرايا ولطف
 سجد الكون للمهيمن شكراً
 يخرج الميت من سلاله حي
 يبعث الخلق من دياجي قبور
 بعثت ما بها العوادي وقدماً
 يأمر الشمس بالطواف مع البدر
 يجعل الماء من أجاج معيناً
 يرسل الغيث هاطلاً في الروابي
 عاصفات الرياح بالأمر تجري
 تنتهي ملقحات فحلت
 من بطون الثرى يبارك ماء
 زودته النعمى عناصر شتى
 من غير ومن أريج زكى
 سكر منعش وشهد شهى
 نعم أبدع المصور فيها
 في اقتدار وهيبته في أمان
 قدسه للحمد سبع مئان
 وجلالاً وكبر الخالقان
 وكذا الحى من رميم فان
 هشمتهما تقلبات الزمان
 أورتها البلى يد الحدثان
 جميعاً في دورة يسبحان
 رحمة بالنبات والحيوان
 فتعج الأنهار بالقيضان
 فتميد الأغصان بالأغصان
 قدرة الخالق العليّ الشان
 يحمل الطيبات للعبدان
 وأمدت به جنى النعمان
 يعبق الزهر مشرق الألوان
 وسلاف من طاهرات الدنان
 ما تناءى عن فطنة الإنسان

عالم الحيوان

ثم أوحى رب الوجود إليها
 نسج العنكبوت أوهن بيت
 وإلى النحل أن أعدى بيوتاً
 واطلبى القوت بين ماء وزهر
 ماهمات أعيت علوم البيان
 شاده في الوجود أبرع بان !
 في أعلى الرُّبَا وفي الأفنان
 من ثمار بدعة الألوان

واقتنى بَلَسَمِ الدَّوَاءِ وَرُدَّ
 وَإِلَى النَّمْلِ عَالِمِ الْفِطْنَةِ الْجَدِّ
 أَمَّهَرُ الْبَاحِثِينَ فِي الْأَرْضِ شَعْبًا
 يَعْمَلُ النَّمْلُ دَائِبًا وَصَبُورًا
 مَلِهَاتٌ قَدْ حُيِّرَ الْعَقْلُ فِيهَا
 فِي بَطُونِ النَّثْرِ يُعَدُّ بِيوتًا
 حَوْلَ جُدْرَانِهَا بَنَى حُجَرَاتٍ
 صَالِحَاتٍ لِحَفْظِ مَا ادَّخَرَتْهُ
 جَامِعَاتِ الْأَقْوَاتِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
 عُرِفَ أَبْدَعَ الْمُهَنْدِسُ فِيهَا
 قَاهِرَاتٌ يَدُ الْبَيْلَى وَتُحَالٌ
 إِنْ لِلنَّمْلِ فِي الْحَيَاةِ خِلَالًا
 عَامِلٌ مَاهِرٌ مُطِيعٌ صَبُورٌ
 أُمَمٌ مَثَلَتْ أَدَقَّ نِظَامٍ
 يَتَّقِي الْبَرْدَ فِي الشِّتَاءِ فَيَبْقَى
 وَإِذَا مَا الرَّبِيعُ أَذَّنَ يَسْعَى
 إِنْ وَحَى الْإِلْهَامُ أَفْضَى إِلَى النَّمْلِ
 يَعْرِفُ الْجَوَّ وَالْأَعَاصِيرُ فِيهِ
 مِنْ رِيَّاحٍ وَمِنْ سَيُولٍ وَنَارٍ
 عَالَمُ النَّمْلِ آيَةُ الْجَدِّ فِي الْأَرْضِ

بِهِ شِفَاءٌ شَهْدًا إِلَى الْأَبْدَانِ
 وَرَمَزِ النِّشَاطِ وَالْإِتْقَانِ
 وَحَلِيفُ النِّظَامِ وَالْعُمُرَانِ
 فَوْقَ إِدْرَاكِ فِطْنَةِ الْحَيَوَانِ
 أَكْسَبَتْ فَهْمَهُ قُوَى الْعِرْفَانِ
 مُحْكَمَاتِ السَّاحَاتِ وَالْجُدْرَانِ
 شَاهِدَاتٍ بِخَبْرَةِ الْفَنَانِ
 جَاهِدَاتٍ بِمَحَافِظِ الْوُدَيَانِ
 مَا تَنَاهَا عَنْ عَزِيمِهَا مَا تَعَانَى
 أَحْكَمَ الْوَضْعِ كَيْ تَدُومَ الْمَبَانِي
 أَنْ يَكِيلَ الْأَذَى لَهَا الْعَابِثَانِ
 مَيَّزَتْهُ عَنْ عَالَمِ الْحَيَوَانِ
 صَادِقُ الْعَزْمِ مَخْلَصُ الْإِيمَانِ
 لِحَيَاةِ الشُّعُوبِ فِي الْعُمُرَانِ
 بَيْنَ دِفْءٍ وَمَطْعَمٍ فِي أَمَانِ
 طَالِبُ الرِّزْقِ جَاهِدًا غَيْرَ وَإِنْ
 لِي بِسِرِّهِ مِنْ نَفْحَةِ الْكِتْمَانِ
 سَارِيَاتٌ مَا بَيْنَ آفٍ وَأَنْ
 لَا تَقَاءَ الْأَذَى قُبَيْلَ الْأَوَانِ
 ضَ فُسْبَحَانِ مُلْهِمِ الْحَيَوَانِ

عالم البحر

أودَعَ البحرَ رَحْمَةً مِنْهُ رِزْقًا بَارَكَ اللَّهُ مَرَّتَعِ الْحِيتَانِ
سَابِحَاتُ الْأَسْمَاكِ تُكْثِرُ ذِكْرَ اللَّهِ فِيهِ مَا سَبَّحَ الْجَارِيَانِ
أَكُلُ طَيِّبٍ طَرِيٍّ شَهِيٍّ فِيهِ شَتَّى الْأَنْوَاعِ وَالْأَلْوَانِ
وَحُلِيٍّ تَأَلَّقَتْ لِأَمْعَاتِ بَيْنَ أَصْدَافِهَا كَلَمَجِ الْحَسَانِ
لَوْ لَوْ نَادِرٌ وَدُرٌّ يَنْسِيمٌ وَعُقُودٌ مِنْ فَاتِنِ الْمَرْجَانِ
نِعْمَ سَاقَهَا الْخِضَمُّ إِلَى النَّسَا سِ بَاسْمِهِ مِنْ مُبْدِعِ الْأَكْوَانِ

عالم الطير

أُمُّ الطَّيْرِ أَكْثَرُ الْخَلْقِ حَمْدًا مَا سَهَتْ لِحَظَةً عَنِ الشُّكْرِانِ
مَاتَبَدَّى نُورٌ وَغَشَى ظِلَامٌ وَمَعَ الْكَوْنِ كَبَّرَ الْمَشْرِقَانِ
إِذْ تَهَادَى النَّسِيمُ يَحْمِلُ شِدْوًا رَجَعَتْهُ الْآفَاقُ بِالْأَلْحَانِ
سَبَّحَ الطَّيْرُ فِيهِ رَبًّا رَحِيمًا قَدْ تَجَلَّى بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ
وَاحِدٌ مَنْعَمٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ غَامَرُ الْخَلْقِ بِالْبَنْدَى وَالْخَنَانِ
يَرْزُقُ الطَّيْرَ أَيْنَمَا حَلَّتِ الطَّيْرُ بِأَقْصَى الْقِفَارِ وَالْوُدَيَانِ
عَالَمُ الطَّيْرِ فِي الْوُجُودِ عَجَابٌ فَهُوَ رَمَزٌ لِلشَّاكِرِ الْيَقْظَانِ
وَلِكُلِّ فِي عِلْمِ الْأَرْضِ نَفْعٌ تِلْكَ آلَاءُ قُدْرَةِ الرَّحْمَنِ
مَنْ رَسُولٌ قَدْ جَاءَ بُلُقَيْسَ يَدْعُو رَبَّةَ التَّاجِ رَبَّةَ الصُّوْلَجَانِ
أَمِنْ الْجِنَّ أَمْ مِنَ الْإِنْسِ؟ لَا بَلْ كَانَ هَذَا مِنْ عَالَمِ الطَّيْرِانِ
هَدَهْدٌ قَدْ أَحَاطَ عِلْمًا بِمَا لَمْ يَعْلَمِ الْعَاهِلُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
مَلَكٌ يَأْمُرُ الرِّيحَ فَتَجْرِي وَنَبِيٌّ دَانَتْ لَهُ النَّقْلَانِ

خُصَّهُ اللهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ لَمَّا نَالَ مُلْكًا غَنَى بِهِ النَّيِّرَانِ
 إِنَّ يَوْمًا تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فِيهِ فَجَرُّ مُلْكٍ قَدْ سَاسَهُ تَاجَانِ
 تَاجُ بَلْقَيْسَ تَاجَ قَامِعَةِ الْجِ وَذَاتِ الْجَلَالِ وَالسُّلْطَانِ
 وَسَلْيَانُ رَبِّ أَكْبَرِ مُلْكٍ جَمَعَ الْخَلْقَ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ
 وَقَفَ الطَّاغُوتُ الضَّعِيفُ ذَلِيلًا فِي انْكَسَارٍ وَرَجْفَةٍ وَهَوَانِ
 يَرْتَجِي الْعَفْوَ وَالْمَلِيقَ غَضُوبُ وَيَدُ الْبَطْشِ سَخَطُهَا مِنْهُ دَانِ
 لَمْ تَبْرُئْهُ غَيْرَ أَنْبَاءِ قَوْمٍ قَدْ تَمَادَوْا فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ
 عَبْدُوا الشَّمْسَ عَاكِفِينَ عَلَيْهَا وَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ
 حَكَمَهُمُ بَلْقَيْسُ فِي جَبْرُوتٍ قَبْلَ أَنْ تَهْتَدِيَ إِلَى الْإِيمَانِ
 وَأَنَاهَا نَوْرُ الْهُدَايَةِ لَمَّا رَأَتْ الْحَقَّ سَاطِعَ الْبُرْهَانِ
 وَاسْتَقَرَّتْ وَعَرْشُهَا بَيْنَ أُيْدِي مَنْ تَفَنَّى بِمُلْكِهِ الْمَاضِيَانِ
 مَلِكُ الْمَشْرِقَيْنِ بَرًّا وَبَحْرًا أَيْنَمَا حَلَّ حَلَقَ الْفَرْقَدَانِ
 رِحْلَةُ الْهُدُودِ الْأَمِينِ إِلَيْهَا أَيْقَظَتْ أَهْلَهَا مِنَ الْهَذْيَانِ
 أَقْدَنَتْهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ فَكَانَتْ آيَةً النُّورِ فِي جَبِينِ الزَّمَانِ
 أَسْمُ الطَّيْرِ تَذَكُّرُ اللهِ دَوْمًا ضَارِعَاتٍ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِانِ
 بَيْنَ أَوْكَارِهَا وَبَيْنَ الدَّوَالِي وَأَعَالَى الرُّبَا فِي الْأَفْنَانِ
 عَاطِرَاتِ التَّسْبِيحِ فِي الْكُونِ تَسْبِي سَرَيَانَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ
 تَمَلَّا الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ حَمْدًا شَاكَرَاتٍ لِلوَاحِدِ الدِّيَّانِ

عالم الهوام والحشرات

جَلَّ مَنْ أَمْطَرَ الْخَلَائِقَ رِزْقًا وَتَعَالَى مُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ
 كُلُّ حَيٍّ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا لَمْدِينٌ بِالشُّكْرِ لِلدِّيَّانِ

فِي بُطُونِ الثَّرَى وَغَابِ الْفَيَافِي
 أَعْجَبَ الْخَلْقَ صُنْعُهُ وَحَيَاةُ
 عَالَمِ الذَّرِّ وَالْبَعُوضِ شُهُودُ
 كُلُّ هَذِهِ الْأَحْيَاءِ تَسْبِحُ فِي الْكُو
 عَالَمُ زَائِلٌ مَدَاهُ قَصِيرٌ
 تِلْكَ دُنْيَا الْفَنَاءِ دَارُ اخْتِيَارٍ
 مَا تَقَضَّتْ حَتَّى تَلَاهَا خُلُودُ
 تِلْكَ دَارُ الْبَقَاءِ سَيَقَتْ إِلَيْهَا
 كُلُّ شَيْءٍ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ تُرْبُ
 وَلِكُلِّ عُمرٍ إِذَا تَمَّ يَذُوقُ
 مِنْ هَشِيمٍ وَمِنْ رُفَاتٍ عَظَامِ
 طَبَقَاتٍ تَكْدَسَتْ فَوْقَ بَعْضِ
 وَدَفِنَ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ
 وَقُبُورِ ضَاقَتْ بِأَشْلَاءِ خَلْقٍ
 كُلُّ جِسْمٍ يَدُ الْإِلَهِ حَوْلَتُهُ
 مِنْ عَلَى عَدَدِ ذَرَّهَا ذُو اقْتِدَارٍ
 بَاعِثِ الْخَلْقِ فِي قِيَامٍ رَهيبِ
 سَتَقُومُ الْأَجْسَادُ مِنْ عَالَمِ الذَّرِّ
 قُدْرَةُ أَوْدَعَ الْمُهِينُ فِيهَا
 عِلْمُهُ قَدْ أَحَاطَ بِالْكُونِ قَدَمًا
 زَاحِفَاتٍ مَلَأْنَ كُلَّ مَكَانٍ
 دِقَّةٌ أَعْجَزَتْ قُوَى الْإِمْكَانِ
 بِاقْتِدَارِ الْمَحِيطِ بِالْأَكْوَانِ
 نِ فَيَبْدُو مِنْ سَبْحِهَا عَالَمَانِ
 وَمُقَامٌ مَدَاهُ لَيْسَ بِفَافٍ!
 خَادِعٌ حُسْنُهَا كَذُوبُ الْأُمَانِ
 أَبَدِيُّ الْحَيَاةِ لَيْسَ بِفَافٍ
 كُلُّ نَفْسٍ فِي عِزَّةٍ أَوْ هَوَانٍ
 مِنْهُ صِيغَتْ هَيَا كُلُّ الْأَبْدَانِ
 ثُمَّ يَبْلَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ
 بَعَثَتْ ذَرَّهَا يَدُ الْخَدَّائِنِ
 فِي بُطُونِ الْوَهَادِ وَالْوُدَيَانِ^(١)
 فِي ظِلَامٍ عَنْهُ اخْتَفَى النَّيِّرَانِ^(٢)
 مِنْ قَدِيمِ الْآبَادِ وَالْأَزْمَانِ
 مِنْ رُفَاتٍ تُرْبًا كَذَرِّ الدُّخَانِ
 غَيْرُ رَبِّ الصَّرَاطِ وَالْمِيزَانِ
 وَالسَّمَوَاتِ وَرَدَّةٌ كَالْدَّهَانِ!
 سِرَاعًا لَمْ تَخْتَلُطْ ذَرَّتَانِ!
 مَا تَنَاءَى عِلْمًا عَنِ الْأَذْهَانِ
 قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْوَاحِ وَالْجَسَامِ

(١) الصحيح أن يقال : بعضها فوق بعض .

(٢) سبقه إلى ذلك أبو العلاء المعري في داليتة المشهورة والبيت بأكمله هو :

ودفين على بقايا دفين من قديم الأزمان والآباد

خَطَّ فِي اللَّوْجِ مَا أَرَادَ وَلَمَّا يَبْدُ لِلنُّورِ هَيْكَلُ الْإِنْسَانِ
 مِنْ سَعِيدٍ وَمِنْ شَقِيٍّ قَضَاءُ قُدْرَتُهُ إِرَادَةُ الرَّحْمَنِ
 كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَاهُ عِلْمًا وَعَدًّا فِي إِمَامٍ مُفْصَّلِ التَّبَيَّانِ

عالم الوحش

فِي مَرْوِجِ الْغَابَاتِ تَحْتَ شَعَارٍ مِنْ كَثِيفِ الظَّلَالِ وَالْأَغْصَانِ
 وَبِجَوْفِ الْأَحْرَاشِ بَيْنَ سُدُولٍ مِنْ شَبَاكِ الْجَذُوعِ وَالسِّيْقَانِ
 يَسْكُنُ الْوَحْشُ هَادِثًا فِي كُهُوفٍ آمِنَاتٍ مِنْ وَطْأَةِ الْإِنْسَانِ
 لَمْ تَنْلَهَا يَدُ الْأَذَى وَبِرْفَقٍ لَأَحَظَّتْهَا عَنَاءَةُ الرَّحْمَنِ
 بَيْنَ آجَامِهَا تَرُوحُ وَتَعْدُو ضَارِيَاتُ السَّبَاعِ فِي اطْمِئْنَانٍ !
 فِي عَرِينِ الْأَسْوَدِ كُلُّ هَزْبَرٍ فِي فَيَافِيهِ صَاحِبُ السُّلْطَانِ
 ضَيْغَمٌ بِاسِلٌ رَهِيْبٌ مَهِيْبٌ مَلَكٌ قَادَ دَوْلَةَ الْحَيَوَانِ^(١)
 قُوَّةٌ زَانَهَا حَنَانًا وَعِلْمًا خَلَقُ الْفَيْضِ الْجَرَى الْجَنَانِ
 عَالَمُ الْوَحْشِ مِنْ نَمُورٍ وَفُهُدٍ وَذَنَابٍ وَأَرْقَمٍ أَفْعَوَانِ
 تِلْكَ أَكَاكِلَةُ اللَّحُومِ افْتِرَاسًا وَاقْتِنَاصًا فِي فَجَعَةِ النَّهْمَانِ

عالم الأنعام

يَمْلَأُ الْبَيْدَ حَوْلَهَا رَاقِعَاتٌ مِنْ بَهِيمِ الْأَرَامِ وَالغُزْلَانِ
 آمِنَاتٍ شَرًّا انْقِضَاضِ الضَّوَارِي سَارِيَّاتٍ فِي الْعُشْبِ وَالْغُدْرَانِ
 تَأْكُلُ الْعُشْبَ وَهُوَ يَنْسِجُ لَحْمًا وَيُنَمِّي عِظَامَهَا بِالذَّهَابِ
 إِنَّ أَجْسَامَهَا مَصَانِعُ لِلَّحِّ مِ تَغْدَى الضَّعِيفُ غَدْوًا السَّمَانِ
 مَرَّقَتَهَا شَرَاهُ الْوَحْشِ ظُلْمًا فَأُبِيدَتْ عَلَى مَرُورِ الزَّمَانِ

(١) الضيغم والباسل من صفات الأسود ، وقد تسمى بهما -

حَفِظَتْهَا وَقَايَةُ اللَّهِ لُطْفًا وَسَلَامًا مِنْ ثَوْرِ الْعُدُونِ
لَا حَظَّهَا عَيْنُ الْعَنَاءِ حَتَّى يَحْفَظُ الْأَمْنُ دَوْلَةَ الْعُمَرَانِ
فِي بَقْلَعٍ يَدُومُ فِيهَا صِرَاعُ يَصْنَعُ الْأَرْضَ بِالنَّجْمِ الْفَانِ
لَوْ تَبَارَتْ فِيهَا لِلضَّوَارِي لِأَخْلَتْ أَرْضَ قِيَمَانِهَا مِنَ الشُّكَّانِ
هَلْ يَجِيرُ الضَّعِيفَ غَيْرُ قَوِيٍّ أَوْ يَحْشُ الْجَبْرُوتَ غَيْرُ الْجَبَانِ
يَمْلَأُ الْوَحْشُ رَهْبَةَ الْغَابِ ذُعْرًا شَرُّ نَفْسٍ تَمِيلُ لِلْعُدُونِ
شَرِيسٌ يَخْفِكُ الدَّمَاءَ وَيُرْدِي بَاغْتِيَالٍ مُسْتَضْعَفَ الْحَيَوَانِ

الأسد ملك الحيوان

خَلَقَ اللَّهُ رَحْمَةً بِالضَّحَايَا حَارِسًا بِإِسْلَافٍ جَرَى الْجَنَانِ
فَيَصَلِّأَ يَقَهِّرُ الْوَحْشَ جَمِيعًا لَا يُبَالِي بِمُرْهَفٍ أَوْ يَمَانِ
قُوَّةً أَكْسَبَتْ مَلِيكَ الضَّوَارِي أَسَدَ الْغَابِ هَيْبَةَ السُّلْطَانِ
ضَيْفًا قَاهِرًا وَلَيْثًا هَصُورًا خَيْرَ مَلِكٍ فِي دَوْلَةِ الْحَيَوَانِ
خَصَّهُ اللَّهُ بِالْبَسَالَةِ وَالنُّبَى لِـ مِهْيَابٍ جَوَارِدُهُ فِي أَمَانِ
لَا يُجَارِيهِ فِي الْمُبَارَاةِ خَصْمٌ وَمُحَالٌ يَفِرُّ مِنْ مِيدَانِ
نَابِتُ الْعِزْمِ فِي خُطَاهُ وَقُورًا يَتَهَادَى فِي خِفَّةٍ وَاتِّزَابِ
نَظْرَةً مِلْؤُهَا الرِّزَانَةُ وَالْحُدُ مُ وَقَلْبٌ يَحْبُوهُ فَيْضُ الْخَنَانِ
وَزَيْرٌ كَالرَّعْدِ قَدْ رَجَعَتْهُ جَنَبَاتُ الْأَجَامِ وَالْوُدَيَانِ
يَقْدِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الضَّوَارِي لِنُؤْلَى عَنْ سَاكِنِ الْقِيَمَانِ
جَعَلَ اللَّهُ سَطْوَةَ اللَّيْثِ أَمْنًا وَسَلَامًا فِي صَالِحِ الْعُمَرَانِ
حَارِسٌ سَاهِرٌ قَوِيٌّ أَمِينٌ مَلِكُ الْوَحْشِ حَامِلُ الصَّوْلَجَانِ

غفلة ابن حواء

يا ابنَ حواءِ كيف تُلهِيكَ دُنْيَا كَ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ
 كيف تَنسَى أَنْ الْإِلَهَ سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ يَرَاكَ فِي كُلِّ آنٍ
 كيف تَنسَى ذَكَرَ الرَّقِيبِ وَتَمَشَى فِي ظَلَامٍ مِنْ غَفْلَةِ النَّسِيَانِ
 تُنْفِقُ الْعُمُرَ فِي الضَّلَالَةِ تَلْهُو مُسْتَجِيبًا لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ
 زَيَّنْتَ جَنْدَهُ إِلَيْكَ الْمَعَاصِي فَتَخَبَطُ فِي دِيَاغِي الْأُمَانِ
 أَنْكَرْتَ نَفْسَكَ الضَّعِيفَةَ فَضَلًّا لِلرَّقِيبِ الْمُهِمِّينِ الرَّحْمَنِ
 وَضَلَلْتَ الْهُدَى فَأَعْمَاكَ طَيْشٌ وَغُرُورًا جَاهَرْتَ بِالْعِصْيَانِ
 لَمْ تَرَ النُّورَ وَهُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَجَلَّى وَلَسْتَ بِالْوَسَّانِ
 أَيُّهَا الْغَافِلُ الْأَثِيمُ تَذَكَّرْ قُدْرَةَ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ الشَّانِ
 كيف سَوَتْ مِنْكَ الْبَنَانَ وَلَمَّا تَكَ شَيْئًا فِي ذِكْرِيَاتِ الزَّمَانِ
 فَأَفَاضْتَ يَدُ الْمَصُورِ حُسْنًا أَبْدَعْتَهُ بَرَاءَةَ الْإِتْقَانِ
 أَلْبَسْتَكَ التُّعْمَى بِأَحْسَنِ خَلْقٍ وَحَبَبْتَكَ الْآلَاءَ بِالْإِحْسَانِ
 نَظْفَةً كُنْتَ فِي الظَّلَامِ جَنِينًا ثُمَّ طِفْلًا مُطَهَّرَ الْأُرْدَانِ
 فَعَلَامًا غَضَّ الشَّبَابِ فَتِيًّا مِنْ رَبِيعِ الْحَيَاةِ فِي رَبْعَانِ
 بَصَعْدُ الْعُمُرِ سُلَامًا فِي سِرَاجٍ مِنْ نَشَاطٍ وَقُوَّةٍ وَمِرَانِ
 ثُمَّ يَخْبُو سِرَاجُهُ حِينَ يُمَسَّى فِي مَشِيبٍ مُهْدَّمِ الْأَرْكَانِ
 دَبَّ شَيْخًا عَلَى الْعَصَا فِي اكْتِثَابٍ سَابِحِ الذَّهْنِ فِي دُجَى الْأَحْزَانِ
 طَارَدَتْهُ الْهَمُومُ يَبْكِي شَبَابًا كَانَ حُلْمًا فِي خَادَعَاتِ الْأُمَانِ
 يَتَمَنَّى لَوْ كَانَ يَرْجِعُ يَوْمًا حَاسِرَ الْقَلْبِ مِنْ قَوَاتِ الْأَوَانِ
 أَنَّهُكَ الضَّعْفُ هَيْكَلًا هَشَمْتُهُ رَوْعَةُ الْبَيْنِ وَانْتِقَامُ الزَّمَانِ

شَبَّحَ أَشْمَطُ تَقَوَّسَ ظَهراً في انحناء عَيْنَاهُ غَاثَرَتَانِ^(١)
يَسْمَعُ الْأَرْضَ وَهِيَ تَدْعُوهُ : هَيَّا
أَنَّ لِلتُّرْبِ أَنْ يَضُمَّكَ فَاَنْظُرْ أيها الهَيْكَلُ الرَّمِيمُ الْفَانِي
هَاهُوَ الْقَبْرُ مُسْتَقَرُّكَ حَتَّى كَيْفَ تَطْوِي صَحِيفَةَ الْإِنْسَانِ
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَنْوَارِي الـ صَوَّةِ النَّاسِ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي
جَسْمُ فِيهَا عَنْ أَعْيُنِ الْخَدَتَانِ

دعوة الإيمان

يَا أَبْنَ حَوَاءِ بَاطِلٍ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ تُؤَيِّدْهُ دَعْوَةُ الْإِيمَانِ
أَنْزَلَ الْحَقُّ دَعْوَةَ الْحَقِّ نُوراً وَشَفَاءً فِي مُحْكَمَاتِ الْبَيَانِ
فَصَلَّتْهَا آيَاتُ ذِكْرِ حَكِيمٍ مِنْ كَلَامِ الْمُهَيَّمِينَ الرَّحْمَنِ
خَيْرِ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى بَيِّنَتُهُ لِلْبَرَايَا شَرَائِعُ الْقُرْآنِ
إِنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ جَاءَ حَقًّا بِمُعْجَزَاتِ الْبَيَانِ
حَضَنَتْهُ عَيْنُ الْعَنَاءِ حَتَّى لَمْ تُبَدِّلْ حَرْفًا يَدُ الْإِنْسَانِ
أَبَدَ الدَّهْرِ سَوْفَ يَنْقَى كَرِيمًا حُجَّةَ الْمُهْتَدِينَ طُولَ الزَّمَانِ

موسى عليه السلام

بَدَّلَ الْعَابَثُونَ تَوَرَّاةَ مُوسَى وَتَمَادَوْا فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
غَضِبَ اللَّهُ وَالْكَلِيمُ عَلَيْهِم حَيْثُ بَاؤُوا بِالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ

المسيح عليه السلام

وَبَسِيفِ الْمَسِيحِ إِنْجِيلِ عَيْسَى حَرَّفَ الْفِتَوْنَ آيَ الْبَيَانِ
غَيْرَ الْإِفْكَ حُجَّةَ الْحَقِّ مَكْرَأً وَتَعَدَّى جَهْلًا عَلَى الْأَدْيَانِ
وَيُنْجَى يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَهْدَ النَّصَارَى إِذْ أَحَسَّ الْمَسِيحُ بِالْعُدْوَانِ

(١) وصف الشبح بأنه أشمط وهذا غريب لأن الأشمط هو الذي اختلط شعره بياضا وسواداً .

يَوْمَ قَالَ الْمَسِيحُ : مَنْ أَنْصَارِي ؟
 دَبَّرَ الْآمِنُونَ كَيْدًا وَلَكِنْ
 كَانَ صَلْبُ الْمَسِيحِ مِنْ قَوْمِ مُوسَى
 ضَلَّ كَيْدُ الْيَهُودِ إِذْ سَوْفَ تَمْحُو
 صَوْرَ اللَّهِ لِلْمَسِيحِ شَبِيهَاً
 هَكَذَا يُصْهَرُ النَّصَارُ لِيَصْفُو
 أَرْضُ كُونِي عَلَى الْمَسِيحِ حَرَامًا
 سَوْفَ يَرْقَى إِلَى السَّمَوَاتِ حَيًّا
 رَفَعَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْهُ عَيْسَى
 بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ ضَلَّتْ يَهُودُ
 وَنَفَسَتْ فَوْضَى أَدَارَتْ رَحَاهَا
 خَيَّمَتْ ظُلْمَةٌ تَحْجَبُ فِيهَا
 ظِلَّ دِيحُورِهَا الْمُضَلَّلُ حِينًا
 حَبَطَ عَشَوَاءُ يَضْرِبُ النَّاسُ فِيهِ
 إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا
 يُوَقِّعُ النَّاسَ خَادِعًا وَكَذُوبًا
 يَدْفَعُ النَّفْسَ لِلْفُجُورِ فَتَشْقَى

وَهُوَ يَدْعُو لِلرُّشْدِ وَالْإِيمَانِ
 أَحْبَطَ اللَّهُ فِتْنَةَ الشَّيْطَانِ
 لَيْسَ إِلَّا ضَرْبًا مِنَ الْهَدْيَانِ
 آيَةُ الْحَقِّ ظُلْمَةُ الْبُهْتَانِ
 حِينَ قَامُوا بِعَرَضِهِ لِلْعِيَانِ
 وَبِهَذَا تَمَّتْ لَهُ آيَتَانِ
 فَهُوَ سِرٌّ مِنَ الْعُلَا الرَّبَّانِي^(١)
 جَسَدًا فِيهِ سَبَحَ الْأَطْهَرَانِ
 قَبَسَ النُّورِ فِي عَيُونِ الزَّمَانِ
 كُلُّ حِزْبٍ بَدَأَ لَهُمْ فِي بَيَانِ
 فِتْنَةُ الْعَابِثِينَ بِالْأَدْيَانِ
 مِنْ سَفَا الرُّشْدِ وَالْهَدْيِ كَوَكْبَانِ^(٢)
 فِي سَعِيرٍ مُؤَجَّجِ النَّيِّرَانِ
 بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
 وَهُوَ يَدْعُو لِلشَّرِّ وَالْعَصِيَانِ
 فِي شَبَاكَ مِنْ مُغْرِيَاتِ الْأَمَانِ
 وَالْمَالِدَاتِ طُعْمَةُ النَّيِّرَاتِ

محمد عليه السلام

مَا انْقَضَتْ فِتْنَةٌ تَحْبُطُ حَتَّى
 أَعْلَنَ الصُّبْحُ دَعْوَةَ الْإِيمَانِ
 وَتَبَدَّى نَوْرُ الْيَقِينِ بِأَفْقِ
 صَدَعَتْهُ زَلَايِلُ الْهَدْيَانِ

(١) بضمة على الصاد في أرض لأنها منادى .

(٢) يريد بالكوكبين موسى وعيسى عليهما السلام .

وَنَجَلَتْ شَمْسُ الْهُدَايَةِ لَمَّا أَرْسَلَتْهَا مَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ
بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى فَصَّاتَهَا بِحُكْمَاتِ الْآيَاتِ فِي الْفُرْقَانِ
سَاقِبًا الرُّوحَ لِلْأَمِينِ لِيُبَيِّنِي مَا تَدَّاعَى مِنْ طَاهِرِ الْبُذَيَّانِ^(١)
فَاضٌ بِالذِّكْرِ صَدْرُ أَحْمَدٍ نَوْرًا سَيِّدِ الْخَلْقِ صَفْوَةُ الْإِنْسَانِ^(٢)
خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ خَيْرِ بَشِيرٍ حَصْنَتَهُ الْآلَاءُ بِالْقُرْآنِ
كَانَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى فِي خُشُوعٍ طَاهِرِ النَّفْسِ صَادِقَ الْإِيمَانِ
أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي الْجِهَادِ لَتَعْلَمُو دَعْوَةَ الْحَقِّ غَفْلَةَ الْبُطْلَانِ
فَأَحْلَلَ الدِّينَ الْخَفِيفَ مَقَامًا كَانَ مَجْدَ الْأَجْيَالِ وَالْأَزْمَانِ

الإسلام

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ ذُخْرٌ سَيَبْقَى أَبَدَ الدَّهْرِ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ
أَنْزَلَتْهُ السَّمَاءَ لِلنَّاسِ نَوْرًا قَدْ قَصَّصَتْهُ إِرَادَةُ الدِّيَّانِ
يُرْشِدُ النَّفْسَ أَيْنَ تَبَنَّى لِيَبْقَى مَا أَقَامَتْهُ خَالِدَ الْبُذَيَّانِ

القرآن

دَعْوَةُ الْحَقِّ فِي كِتَابٍ كَرِيمٍ أَعْجَزَ الْخَلْقَ مَا حَوَى مِنْ بَيَانِ
سَيَّرَتْ آيَةُ الْجِبَالِ وَأُخِيتْ سَمِعَ مَنْ مَاتَ مِنْ بَنَى الْإِنْسَانِ
لَفْظُهُ مُحْكَمٌ غَنِيٌّ فَصِيحٌ عَرَبِيٌّ الْمُبْنَى جَزِيلُ الْمَعَانِي^(٣)
فَاضٌ مَجْدًا بِبَلَاغَةٍ وَتَسَامَى فِي جَلَالٍ لَهُ انْحَنَى الثَّقَلَانِ
إِنَّهُ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ مَعْجَزُ الرَّأْيِ حُجَّةٌ فِي الْبَيَانِ
لَمْ يُبَدَّلْ مِنْ آيِهِ أَيْ حَرْفٍ هَكَذَا شَاءَ فَاطِرُ الْإِنْسَانِ

(١) يريد بالروح هنا جبريل ، وأما الأمين فهو محمد صلى الله عليه وسلم وهو في البيت التالي أحمد .
(٢) سيد في محل جر على أنها بدل من أحمد وكذلك صفوة في البيت نفسه ، وخاتم وخبر في البيت التالي .
(٣) المبني : الفاظ .

رَاقِبَتُهُ عَيْنُ الْعَنَاءِ حِفْظًا وَأُنَارَتْ بِهِ فُؤَادُ الزَّمَانِ^(١)
هو باقٍ كما تَنَزَّلَ حَتَّى يُبْعَثَ الْخَلْقُ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي
لَمْ يُفَادِرْ مِنَ الشَّرَائِعِ شَيْئًا وَهُوَ سِرُّ الرُّقِيِّ وَالْعُمُرَانِ
جَاءَ نُورًا لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا مُنْقِذًا مِنْ حَمَاقَةِ الطُّغْيَانِ
نَاسِخًا قَبْلَهُ لِتُورَةِ مُوسَى وَلِسِفِرِ الْمَسِيحِ بَعْدَ زَمَانٍ^(٢)
مُعَلِّنًا لِلضِّيَاءِ دَعْوَةَ صُبْحٍ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ عَلَى الْأَكْوَانِ
كَانَ نَبْرَاسُهُ عَلَى الْأَفْقِ طَهَ مُرْسِلًا نُورَ دَعْوَةِ الْإِيمَانِ
خَيْرَ دَاجٍ إِلَى الْهُدَى أَرْسَلَتْهُ رَحْمَةُ الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ الْخَنَّانِ

الإسراء والمعراج

صَفْوَةُ الْأَنْبِيَاءِ بَدْرُ قُرَيْشٍ أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى رَفِيعُ الشَّانِ
وَعَلَيْهِ صَلَّى إِلَهِهُ فَأَكْرَمُ بِحَبِيبِ الْعُلَا وَحِيدِ الزَّمَانِ
هَاشِمِيُّ أَسْرَى بِهِ الْحَقُّ لَيْلًا وَبِمَرَّآهُ كَبَّرَ الْمَسْجِدَانِ
بَيْنَ حَقْلٍ مِنَ الْمَلَائِكِ صَلَّى فِي جَلَالٍ مِنْ نِعْمَةِ الرِّضْوَانِ
سِدْرُهُ الْمُنتَهَى وَقَدْ كَانَ مِنْهَا قَابَ قَوْسَيْنِ سَارِعَتْ لاحتِضَانِ
خُطْوَةُ نَالِهَا شَفِيعُ الْبَرَايَا لَمْ يَنْلَهَا مِنَ النَّبِيِّينَ ثَانِ
أَغْرَقُوا الْخَلْقَ رُبَّةً وَمُقَامًا خَيْرُ نَفْسٍ مَا شَاغَلَتْهَا الْأَمَانِ
جَوْهَرُهُ خَالِصٌ يَتِيمٌ نَقِيٌّ فَاضَ لَا لَأَوُهُ عَلَى الْأَكْوَانِ
خُلِقَتْ رُوحُهُ الشَّرِيفَةُ نُورًا قَبْلَ خَلْقِ الْمَرِيخِ وَالْمِيزَانِ
مَنْ كَطَهُ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَرَايَا أَيْدَتْهُ السَّمَاءُ بِالْقُرْآنِ

(١) لا يزال الشاعر يشير إلى القرآن وكيف أن عين الله تراقبه وتحفظه وتبهر به قلب الزمن ليهتدى .

(٢) نسخ القرآن الكريم ما نزل قبله من الكتب السماوية ، والنسخ هنا التغيير والإلغاء ، والنسخ في القرآن

قد يكون معنى وقد يكون لفظاً وقد يكون معنى ولفظاً والأخير لم يقع بعد تدوين كتاب الله .

عن شديد القوى تَلَقَّنَ عِلْمًا أَكْبَرَتْهُ مَدَارِكُ الْعِرْفَانِ^(١)
خَصَّهُ اللَّهُ بِالرِّضَى وَاجْتَبَاهُ وَحَبَاهُ فَصَاحَةَ التَّبْيَانِ
جاء للناسِ منقذاً من عذابٍ كان هَوَلاً لَوْ حَلَّ بِالْأَبْدَانِ

جهاد الرسول عليه السلام

ظَلَّ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ وَيُعَانِي مِنَ الْأَذَى مَا يُعَانِي
جَاهِدَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى هَدَاهُمْ وَأَبِيدَتْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ
فَوْقَ أَنْقَاضِ جَهْلِهِمْ كَانَ يَبْنِي فِي ثَبَاتٍ دُعَاءَ الْإِيمَانِ
بَيْنَ صَحْبٍ مُصَدِّقِينَ كِرَامٍ جَاهَدُوا مُخْلِصِينَ لِلرَّحْمَنِ
حَارَبُوا الْكُفْرَ وَالضَّلَالَةَ حَتَّى طَهَّرُوا الْأَرْضَ مِنْ أَذَى الْكُفَّانِ
وَتَجَلَّى الدِّينُ الْحَنِيفُ وَعَمَّتْ شَمْسُهُ الْأَرْضَ فَازْدَهَى الْمَشْرِقَانِ
سَبَّحَ الْكَوْنُ رَبَّهُ فِي خُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَكَبَّرَ النَّيِّرَانِ^(٢)
وَتَسَامَتْ كَنْفَحَةُ الْمِسْكِ تَسْرِي صَلَوَاتُ تَزَكُو بِكُلِّ لِسَانٍ
حَامِلَاتٍ إِلَى النَّبِيِّ سَلَامًا لَمْ يُكْرَمْ بِهِ رَسُولٌ ثَانٍ
كَبَّرِي يَا بُدُورُ مِنْ كُلِّ بُرْجٍ وَأَبْعَى النُّورَ مُشْرِقًا بِالْأَمَانِ
نِعْمَةُ اللَّهِ بِابْنِ حَوَاءَ تَمَّتْ فَتَزَوَّدَ مِنْ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ

ظلم ابن حواء

يَا ابْنَ حَوَاءَ أَنْتَ غِرٌّ خَصِيمٌ وَجَمَالُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ فَإِنْ
سَاقَكَ الطَّيْسُ فَاَنْطَلَقْتَ جَهُولًا لَمْ تُفَكِّرْ فِي وَاجِبِ الْإِنْسَانِ
فَتَهَالَكْتَ فِي أَقْتِنَاصِ الْمَلَاهِي مُسْتَفْرِغًا شَرَاهَةَ الْحَيَوَانِ
تَسْتَحِلُّ الْحَرَامَ غَيْرَ مُبَالٍ بِعَوَادِي تَقَلُّبَاتِ الزَّمَانِ

(١) كان الرسول يتلقى العلم الشريف من جبريل ويوصف بأنه شديد القوى .

(٢) النيران : الشمس والقمر .

وَتُدْبِجُ الْفُجُورَ نَشْوَانَ تَهْوَى
وَكَانَ الشَّيْطَانُ غَاوِيكَ أَلْقَى
فَاسْتَبَقْتَ الْخُلُقَى تَجُوبُ ظَلَامًا
طَائِرَ اللَّبِّ سَابِحًا فِي خِيَالٍ
أَحْمَقُ أَرْعَنُ شَقِيٌّ ظُلُومٌ
لَمْ تُفَكِّرْ فِي غَيْرِ لَهْوِكَ يَوْمًا
وَلِيَالٍ سَبَتَكَ فِيهَا عَيُونٌ
قَدْ أَعَدَّ الشَّيْطَانُ فِيهَا شِبَاكَ
سَلَبْتَكَ النِّهَى فَقَادَكَ أَعْمَى
زَيْنَتُهُ لِلْغَافِلِينَ الْمَسْلَاهَى
مُغْرِيَاتُ الْأَهْوَاءِ تَلْعَبُ دَوْرًا
فِي دِيَارِ الْفَسَادِ وَالْعِصْيَانِ
بَيْنَ عَيْنِكَ خَلَّةَ النَّسْيَانِ
فِيهِ قَادَتُكَ لَذَّةُ النَّشْوَانِ
عَنْ مَخَازِيكَ مُغْمَضَ الْأَجْفَانِ
دُنْيَاوِيُّ الْهَوَى كَذُوبُ الْأَمَانِ
بَيْنَ خَمْرِ وَبَيْنَ غَيْدٍ حَسَانِ
خَادَعَاتُ بِسِحْرِهَا الْفَتَّانِ
مُحْكَمَاتُ مِنْ كَيْدِهِ الْخَوَّانِ
فِي طَرِيقِ مُهْدَمِ الْبُنْيَانِ
وَأَحَاطَتْهُ خَادَعَاتُ الْأَمَانِ
كَادَ فِيهِ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ

قصر الحياة والأمل

أَيُّهَا الْغَافِلُ الْجَهُولُ تَذَبَّهْ
سِنَةٌ كُلُّهَا حَيَاتُكَ مَهَا
أَيُّهَا الْأَحْمَقُ الظَّلُومُ تَذَبَّرْ
كُلُّ شَيْءٍ تَصُبُّوْا إِلَيْهِ خِيَالٌ
أَيُّهَا الْجَاهِدُ الْكَنُودُ تَذَكَّرْ
دَعْ مَلَاحِيكَ سَاعَةً وَتَفَكَّرْ
أَيُّنَ مِنْهُ الْمَفْرُءُ وَهُوَ مُحِيطٌ
حَاضِرٌ شَاهِدٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
وَتَيَقَّظُ مِنْ غَفْلَةِ الْوَسْوَانِ
طَالَ عَهْدُ اتِّصَالِهَا بِالْزَمَانِ^(١)
وَأَكْبَحَ النَّفْسَ عَنْ هَوَى الْعِصْيَانِ
وَسَنَى الْأَفْرَاحِ فِيهِ ثَوَانِ^(٢)
كَيْفَ سَوَّاكَ خَالِقُ الْأَكْوَانِ
فِي جَلَالِ الْمُهَيْمِنِ الرَّحْمَنِ^(٣)
بِالْبَرَايَا جَمْعَاءَ فِي كُلِّ آنٍ
مَانَسَايَ فَيَضُ نُورِهِ عَنْ مَكَانٍ

(١) سنة : نوم . (٢) سنى الأفراح : سنوات .

(٣) المهيمين : الله السيطر على كل شيء .

يقظة القلب

أينما كنت فالإله قريبٌ عالمٌ سرٌّ ما أنطوى في الجنانِ
كلُّ جسمٍ ينَامُ إلا شهيداً يذكُرُ اللهَ خافقاً بِلِسَانِ
إنه القلبُ يا ابنَ آدمَ فاعجب إملاكٍ قد حلَّ في شيطانِ
صلةُ النورِ بين عبدٍ وربِّ نعمةٌ ساقها عظيمُ الحنانِ
لم تغبْ لحظةً عن الذِّكرِ نجوى أصغريه ، فؤاده واللِّسانِ^(١)

تسبيح الخلائق

كلُّ شَيْءٍ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ حَيًّا أو تَمَّا في مراتبِ الحيوانِ
أَمَّ أَوْدَعَ الْمُهِيمُنْ فِيهَا مُلْهِمَاتٍ مِنْ فَيْضِهِ الرَّبَّانِي
شَاكَرَاتٍ لِأَنْعَمِ اللهُ دَوْمًا ذَاكَرَاتٍ آلَاءَهُ كُلَّ آنٍ
أَلْسُنٌ سَبَّحَتْ بِذِكْرِ إِلَهِ خَالِقٍ رَازِقٍ عَظِيمِ الْحَنَانِ
تلك شَيْءٌ عَوَّلِمَ الْأَرْضَ إِلَّا عَالَمَ الظُّلْمِ عَالَمَ الْإِنْسَانِ
نَسِيَ اللهُ وَهُوَ نَشْوَانٌ يَلْهُو بَيْنَ كَأْسِ الطَّلَا وَدَلِّ الْغَوَانِ
فَتَنَّتُهُ الدُّنْيَا وَالْهَاهُ غَاوٍ أَبْعَدَ الرُّشْدَ عَنْ مَدَى الْعِرْفَانِ
زَيْنَ الْفُسْقِ وَالْفَجْوَرِ وَأَمْسَى كُلَّ كَيْدٍ يَدْعُو إِلَى الْعِصْيَانِ
هَيَّاَ النَّفْسَ لَا رَتَكَابِ الْمَعَاصِي فَاسْتَبَاحَتْ رَذِيلَةَ الْعُدْوَانِ
مَنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ لَا بُدَّ يَلْقَى فِي الْحَيَاتَيْنِ زَفَرَةَ النَّدْمَانِ
تَتَقَضَّى دُنْيَاهُ يَوْمًا فَيَوْمًا بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
زُخْرُفٌ خَادِعٌ وَصَفْوٌ كَذُوبٌ وَمَتَاعٌ مَعَهَا تَفَاخَرُ فَانٍ
مُشْرِقَاتٌ أَغَارَهَا الْوَهْمُ ثَوْبًا مِنْ جَمَالِ طِلَاوِهِ مِنْ دُخَانٍ

(١) قيل في المثل : المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه .

مرّ طيفاً كلمحة البرق يسرى
 إنه العمرُ يا ابنَ آدمَ مها
 يُختمُ العمرُ بالردى وهو كاسٌ
 فإذا حمّ لا مردّ للأمرِ
 خطّ في اللوح ما قضى للبرايا
 يُثبتُ الله ما يشاء ويمحو
 هكذا كنتَ يا ابنَ آدمَ نوراً
 قدرةً أعجزَ التّفكّرُ فيها
 قدرةُ الواحدِ المنزّه حَقّاً
 صاحبُ الأمرِ وحدهُ في وجودِ
 تملأ الأرضُ والسمواتُ حمداً
 إنّ ذِكْرَ الإلهِ يُرسلُ نوراً
 أكثرتَ ذِكْرَ ربّها فاطمأنتَ
 يا ابنَ حواءَ مَنْ رَعَاكَ جَنِيناً
 وتولّاك بالعناية طفلاً
 وأمّدَ الشبابَ منك بعزمٍ
 وإذا ما ضُففتَ أولاك نَعْمَى
 تلكَ آلاؤه وقد صيرتَ شيخاً
 عمّ فياضُ رِزْقِهِ كلَّ حَيٍّ

في قُرُونٍ مرّت كمرّ الثواني
 طال يقضى في غفوةِ الوسنانِ
 لم تُفَيِّبْ عن وزديها شفتانِ
 قد قضاهُ المحيطُ بالأكوانِ
 من قديمِ الآبادِ والأزمانِ
 وبأَمِّ الكتابِ أصلُ البيانِ
 قد تجلّى في الجدّي والسرطانِ^(١)
 ألَمَعَ النابهن في العرفانِ
 عن شبيهه وعن حدودِ المكانِ
 ما به ذرّةٌ بغيرِ لسانِ
 شاكِراتٍ لأنعمِ الرحمنِ
 في قلوبٍ تفيضُ بالإيمانِ
 وسيخطفُ المطيعُ بالفقرانِ
 مطمئناً في عزلةٍ وأمانِ
 حافظاً وافيّاً عظيمِ الحنانِ
 قد تجلّى في نضرةِ الرّيعانِ
 تتوالى بالفضلِ والإحسانِ
 أوهمتْ عظمه صُرُوفُ الزمانِ
 ضمه الروحُ بين قاصٍ ودانِ

عالم الله

يَا أَبْنَى حَوَاءٍ مَنْ أَمَاتَ وَأَحْيَا
يَبْعَثُ الْأَرْضَ كُلَّ عَامٍ فَتَحْيَا
تُنْبِتُ الْحَبَّ وَالثَّمَارَ وَتَرْهُو
يَمِزُجُ الْمَاءَ وَهُوَ يَجْرِي حَثِيثًا
كُلُّ شَرْبٍ لَهُ مِذَاقٌ وَطَعْمٌ
فَيُضِ عِلْمُ الْحَكِيمِ رَبِّ الْبَرَايَا
لَمْ يَدْعُ ذَرَّةً عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
مَالِكُ الْمُلْكِ نَافِذُ الْأَمْرِ فَرَدُّ
خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُجْزَى
وَيُنَالَ الْقَصَاصَ كُلُّ أَثِيمٍ
كُلُّ شَيْءٍ خَلَا مِنَ الْمَاءِ مَيِّتٌ
أَطْلَقَ الرِّيحَ زَغَزَعًا وَرُخَاءً
مُنْعِشَاتٍ لَوَافِحًا تَتَهَادَى
وَهَبَ الشَّمْسَ قُوَّةً فَأَضَاءَتْ
تُرْسِلُ النُّورَ مِنْ بَعِيدٍ مَدَاهَا
يَمَلَأُ الْأَرْضَ بِهِجَةً وَحَيَاةً
تلك أمُّ القُوَى وما الأرضُ إِلَّا
مى أمُّ والأرضُ لِلشَّمْسِ بِنْتُ
جَدَبَتْهَا يَدُ الْأُمُومَةِ حَتَّى
وَهى تَهْوَى كَالْبَرْقِ حَتَّى اسْتَمَرَّتْ

وَأُقْتَدَارًا أَحَاطَ بِالْأَكْوَانِ
بَعْدَ مَوْتِ بِهِجَةِ الْأَغْصَانِ
فِي بَسَاطٍ مُرَصَّعِ الْأَلْوَانِ
فِي جُذُوعِ النَّبَاتِ بِالْأَدَهَانِ
قُدْرَةُ أَعْجَزَتْ قُوَى التَّبْيَانِ
مَا بَدَأَ نُورُ سِرِّهِ فِي جَنَانِ
ضَمَّهَا عِلْمُهُ بِأَجَلَى بَيَانِ
كُلَّ يَوْمٍ سُلْطَانُهُ فِي شَانِ
طَيَّبَاتُ الْأَعْمَالِ بِالْإِحْسَانِ
لَمْ يُصَدِّقْ بِدَعْوَةِ الْإِيمَانِ
فَهُوَ سِرُّ الْحَيَاةِ لِلْأَبْدَانِ
وَجَنُوبًا وَشَمَالًا تَجْرِيَانِ
حَيْثُ مَالَ النِّسِيمُ بِالْأَغْصَانِ
فِي لِحَاجَاتِ عَالَمِ الدَّوَرَانِ
بِشُعَاعٍ يَفِيضُ فِي الْأَكْوَانِ
وَيَنْمَى عَنَاصِرَ الْأَبْدَانِ
جَمْعُ ذَرٍّ مِنْ جُرْمِهَا النَّيِّرَانِ
وَبِسِرِّ التَّكْوِينِ تَتَّصِلَانِ
لَمْ تَهْدِدْ بِطَارِيءِ الْخَدَثَانِ
فِي نِظَامٍ لِلْجَدَى وَالسَّرَطَانِ

واستوت في مدارها وهي تجري
أطفأ الله سطوحها ودحاها
دارت الأرض في أنزان وأمن
تم للشمس في السماء نظام
يجمع الأرض فيه والبدر يجري
عالم الشمس أبدع الخلق صنعا
ولد الليل والنهار ، وأجرى الـ
وأمد النبىء البهيج بروح
وأطار الرياح من كل فج
وأباد الوهيج كل كرية
طهر الأرض والذى دب فيها
لو توارت أشعة الشمس يوما
يا ابن حواء كوكب الشمس عبدا
هو يرُبوعن كوكب الأرض جرما
شق جوف السماء كالبرق يجري
وعليها قد أشرق النيران
وحباها الأوتاد من صفوان
وجمال يحفها القمران
أبدعت سيره يد الإتقان
يملأ الليل لالا من جمان
سخرته الآلاء للإنسان
ماء غيثا من هاطل هتان
أكسبته الحياة في عنفوان
كى يعم الهواء كل مكان
من خبيث الأدران والديدان
وأمد الحياة بالريمان
كل شئ نمتا على الأرض فان
سـيـرته إرادة الرحمن
فوق عد المليون فى الحسبان
فى مدار يحده الأبعدان

فى قبضة الله

يا ابن حواء أملك الأرض أدت
جاءت الأرض والسموات طوعا
ساجدات الأفلاك فى كل برج
سيرتها يد العناية لطفاً
باسم رب السماء كالبرق تجري
طاعة العبد للندا الربانى
حين نادى مسير الأكون
تذكر الله خيفة كل أن
وحبتها بفيضها الثورانى
كل نجم يدور فى حساب

قُدْرَةُ الْخَالِقِ الْعَلِيمِ تَعَالَى
فَلَكَ دَائِرَةٌ بِأَبْهَى نَظَامٍ
شَاكَرَاتُ أَجْرَامِهِ فَضَّلَ رَبِّ
صَانَعٌ مُبْدِعٌ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
حَاضِرٌ شَاهِدٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
لَمْ يُكَيَّفْ وَلَمْ يُشَبَّهْ بِمِثْلٍ
كَانَ فَرْدًا وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَيْءٌ
بَدَأَ الْخَلْقَ وَالْمَوَالِمَ ذَرًّا
رَافِعًا سَمَكَهَا بِغَيْرِ عِمَادٍ
زَيَّنَتْهَا كَوَاكِبُ لَامِعَاتٍ
كَالذَّرَارِي تَطُوفُ فِي كُلِّ بُرْجٍ
سَارِيَّاتٍ ثَوَابِتٍ مُشْرِقَاتٍ
تِلْكَ سَبْعُ مَخْلَقَاتٍ طِبَاقٍ
وَالِى الْأَرْضِ وَهِيَ جَرْدَاءُ قَحْلٌ
مِنْ أَجَاجٍ أَجْرَى فُرَاتًا مَعِينًا
أَنْزَلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ سُيُولٌ
صَيَّرَ الثَّرْبَ وَهُوَ يَنْسَابُ طِينًا
وَبِمِرِّ الْهَوَاءِ دَبَّتْ حَيَاةٌ
أَكْسَبَتْهَا أَشْعَمُ الشَّمْسِ دِفْنًا
كُلَّ يَوْمٍ تَدِيرُهُ فِي شَانَ
رَتَبَتْ عِقْدَهُ يَدُ الرَّحْمَنِ
قَدْ حَبَّأَهَا بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ
مُعْجِزٌ وَصَفُهُ قُوَى الْعِرْفَانِ
وَمُحَالٌ إِدْرَاكُهُ بِالْعَيَانِ
أَبْدَى لَمَّا يَغِيبُ عَنْ مَكَانٍ
تَمَّ خَلْقًا فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
وَالسَّمَوَاتِ شَادَهَا مِنْ دُخَانٍ
جَلَّ شَأْنًا وَعِزَّةً خَيْرُ بَانَ
مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ بُدُورٍ حِسَانٍ
فِي اتِّزَانٍ مِنْ شِرْعَةِ الدُّورَانِ
سَابِحَاتٍ فِي الْخُوتِ وَالسَّرَطَانِ
قَدْ تَقَضَّى فِي صُنْعِهَا يَوْمَانِ
أَرْسَلَ الْمَاءَ فَالتَقَى الْبَحْرَانِ
مِنْ أَعَالَى الرَّبِّ إِلَى الْوُدَيَانِ
مَاطِرَاتٍ مِنْ سَلْسَلِ هَتَّانِ
كِي تَسْوَى عُنَاصِرُ الْحَيَوَانِ
حَرَّكَتْ فِيهِ دَوْلَةَ الدِّيدَانِ
وَنُمُّوا وَنَفَحَتْ مِنْ دِهَانِ

الله القادر

لَا يَأْتِي الشَّمْسُ فِي الْوُجُودِ حَيَاةٌ
دَبَّ فَوْقَ الثَّرَى عَوَالِمُ شَيْءٍ
وَعَلَى الْأَرْضِ آيَةُ الْعُمُرَانِ
وَنَمَّا النَّبْتُ وَارِفَ الْأَغْصَانِ

وَيَبْطُنِ الثَّرَى أُعِدَّتْ كُنُوزُ
 مِنْ فُحُومٍ وَمَعْدِنٍ وَعُيُونٍ
 وَعَقَاقِيرَ مِنْ جَوَاهِرَ أَغْيَا
 حَضَرَتْهَا يَدُ الْحَكِيمِ لِنَحْيَا
 خَيْرُهُ الْوَاحِدِ الْحَيْطِ جَلَالًا
 أَوْدَعَ الْأَرْضَ رَحْمَةً مِنْهُ رِزْقًا
 كُلُّ جِسْمٍ نَمَا عَلَى الْأَرْضِ بِحْيَا
 وَأَدِيمُ الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ مِنْهَا
 لَمْ يَغِبْ عَنصرُ عَنْ الْأَرْضِ مَهْمَا
 تَمَّ لِلْأَرْضِ أَمْرُهَا حَيْثُ بَاتَتْ
 بَارَكَ اللَّهُ مَا بَهَا وَعَلَيْهَا
 مَنْ كَرَبَّ الْعُلَا تَفَرَّدَ حُكْمًا
 بَيْنَ حَرَقَيْنِ كَلِمَا شَاءَ يَقْضَى
 كُلُّ حَيٍّ قَدْ صَمَّمَهُ الرُّوحُ عَبْدٌ
 صَاحِبِ الطَّوْلِ فِي جَلَالٍ وَمُلْكٍ
 لَمْ يُشَبَّهْ وَلَمْ يُمِثَّ لَهُ شَيْءٌ
 مُطْلَقُ الْحُكْمِ لَامِرَدٍّ لِأَمْرِ
 أَمْرُهُ الْأَمْرُ بَيْنَ كَافٍ وَنُونٍ
 إِنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ
 وَاهِبُ النُّورِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ
 قَاهِرٌ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

أَوْدَعَتْ مَا بَهَا يَدُ الْخَنَّاسِ
 مُفْعَمَاتٍ بِالزَّيْتِ وَالْأُدْهَانِ
 فَهَمْ إِدْرَاكِهَا قُوَى الْأُذْهَانِ
 سَالِمَاتٍ عَوَالِمُ الْحَيَوَانِ
 بِجَمِيعِ الْأَفْلَاكِ وَالْأَكْوَانِ
 وَحَبَاهَا الْأَقْوَاتِ بِيضَ الْأُمَانِ
 لَوْ تَوَلَّيْتُهُ نُضْرَةً الرَّيْبَانِ
 فِيهِ تَسْرِي عُنَاصِرُ الْأَبْدَانِ
 عَزَّ بَعْدًا عَنْ عَالَمِ الْإِمْكَانِ
 خَيْرَ مَهْدٍ لِدَوْلَةِ الْإِنْسَانِ
 بَاسِطُ الرِّزْقِ مُقْسِطُ الْمِيزَانِ
 لَمْ يَغِبْ نُورُ ذَاتِهِ عَنْ مَكَانٍ
 وَلَهُ النَّجْمُ وَالْثَّرَى يَسْجُدَانِ^(١)
 فِي نِظَامِ الْمَلَكُوتِ لِلرَّحْمَنِ
 أَزَلِّي مُهَيِّمٍ صَمْدَانِي
 مَالِكُ الْمُلْكِ لَمْ يَشَارِكْهُ ثَمَانٍ
 مِنْ لَدُنْهُ جَرَى بِهِ حَرْفَانِ
 قَدَرٌ نَافِذٌ بِغَيْرِ تَوَانٍ
 وَاحِدُ الطَّوْلِ فِي قُوَى السُّلْطَانِ
 وَمُحِيطٌ بِالْجَهْرِ وَالْكَيْتَانِ
 وَاسِعُ الْغَفْوِ لَمْ يُعْجَلْ بِحَيَّانِ

(١) الحرفان هما الكاف والنون في «كن» .

كلُّ هذا في اللّوجِ بادىء بدء
سَجَلَتُهُ يَدُ الْقَضَاءِ نَفَادًا
لم يَفَادِرْ نَفْسًا عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
سُنَّتُهُ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ تَجَلَّتْ
لو أُجَاجُ الْبَحَارِ صَارَ مِدَادًا
نَفَدَ الْمَاءُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَضَى
فَيْضُ بَرٍّ عَلَى الْخَلَائِقِ أَسْدَى
نِعْمَةُ اللَّهِ لَا تُعَدُّ وَحَاشَا
مُنْعَمٌ يَمْنَحُ الْبَرَايَا جَمِيعًا
رَازِقٌ مُحْسِنٌ رَوْفٌ رَحِيمٌ
كلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ مِنْ كَائِنَاتٍ

قَبْلَ ضَمِّهِ لِلْأَرْوَاحِ لِلْجَسْمَانِ
لَمْ يُؤَخَّرْ عَنِ الْمَدَى وَالْمَكَانِ
ضَمَّ أَطْوَارَهَا دَقِيقُ الْبَيَانِ
كُلَّ يَوْمٍ أَقْدَارُهُ فِي شَأْنٍ
وَأَمَدُ الْبَحَارِ سَبْعُ دَوَانٍ
كَلِمَاتُ الْحَيْطِ رَبِّ الْبَيَانِ^(١)
سَابِغَاتٍ مِنْ غَيْثِهِ الْهَتَّانِ
أَنْ تَنَالَ الْإِحْصَاءَ فِي الْحُسْبَانِ
طَيِّبَاتِ الْحَيَاةِ لِلْعُمُرَانِ
كُلُّ شَيْءٍ لَدَيْهِ طَوْعَ الْبَنَانِ
يَتَبَارَى فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرَانِ

يوم البعث والوعيد

صَيَحُّهُ الْقَهْرُ تَجْعَلُ الْوُلْدَ شَيْبًا
وَتَهْدُّ الْقُلُوبَ ذُعْرًا وَهَوَلًا
مَوْقِفٌ يُورِثُ الذُّهُولَ عَسِيرٌ
زَائِفَاتٌ فِيهِ النُّوَاطِرُ حَبِيرٌ
لَيْسَ لِلظَّالِمِينَ فِيهِ نَصِيرٌ
لَا فِدَاءَ مِنْ كَرْبِهِ أَوْ شَفِيعٌ
خَشَعَ الصَّوْتُ غُصَّةً فَهُوَ هَمْسٌ
وَانْكَسَارًا فِي ذِلَّةِ الْعَبْدِ أَضْحَى

وَتَقْمِضُ الْجَنِينَ قَبْلَ الْأَوَانِ
وَبَرِّيقُ الْأَبْصَارِ فِي لَمَعَانِ
مَلَأَ الرُّغْبُ فِيهِ كُلَّ مَكَانٍ
وَسَيُولُ الرُّحْضَاءُ كَالطُّوفَانِ^(٢)
أَوْ مُجِيرٌ مِنْ أَلْسُنِ النَّيِّرَانِ
يَذَرُّ الْوَيْلَ وَهُوَ رَأْيُ الْعِيَانِ
وَمَشَى الْخَوْفُ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانٍ
كُلُّ فَرْدٍ فِي حَضْرَةِ السُّلْطَانِ

(١) يزيد نقد بكسر الفاء وهو يعرض للآية الكريمة « قل لو كان البحر . . . » .

(٢) الرحضاء بضم الراء وفتح الحاء : وهى عرق الحمى وقد سكن الحاء ضرورة .

مَلِكٌ قَادِرٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
 هَيْبَةٌ تَرْجُفُ الْعَوَالِمَ مِنْهَا
 وَاقْتِدَارٌ أَطَاعَهُ كُلُّ حَيٍّ
 حُكْمُهُ الْحُكْمُ لَا يُبَدَّلُ لَفْظٌ
 ذَرُّهُ يَمَلَأُ الْمَوَاءَ وَجُودًا
 أَبَدَ الدَّهْرِ لَفْظُهُ سَوْفَ يَحْيَا
 أَيْنَ مِنْهُ الْمَفْرُءُ وَهُوَ شَهِيدٌ
 حَلَقَتْ رَهْبَةً وَسَادَ خُشُوعٌ
 وَتَلَقَّتْ أَعْمَالُهَا كُلُّ نَفْسٍ
 إِنْ هَذَا يَوْمُ الْوَعِيدِ وَهَذِي
 بَاغْتَتِكُمْ مِصْدَاقَ قَوْلِ حَكِيمٍ
 كُلُّ مَنْ أَنْكَرَ الْقِيَامَةَ كِبْرًا
 بِئْسَ مَثْوَاهُ فِي الْجَحِيمِ وَعَدَلًا
 وَسَيَصْلَى السَّعِيرَ فِي أَصْفَادٍ
 دَرَكَاتُ سَبْعٍ طَبَاقُ عَذَابٍ
 سَارِيَاتُ السُّمُومِ تَنْسَابُ فِيهَا
 يَوْمَ يُدْعَى : هَلْ امْتَلَأَتْ؟ وَتَدْعُو
 مَنْ كَرَّبَ الْعِلَّا يُدِيرُ نَظَامًا
 مَلِكٌ عَرْشُهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
 حَوْلَ أَرْجَائِهِ الْمَلَائِكُ صَفَّتْ
 رُكْعًا سَجْدًا قِيَامًا قُعُودًا
 ذِكْرُهُ يَمَلَأُ الْوُجُودَ جَلَالًا
 نَافِذُ الْأَمْرِ وَاهِبُ الْغُفْرَانِ
 وَجَلَالُ أَحَاطَ بِالْأَكْوَانِ
 وَنَفُوذُ يَقْضِي بِغَيْرِ تَوَانٍ
 سَجَلَتُهُ مَعَهَا نَأَى الشَّفَتَانِ
 وَصَدَاهُ يَحُوبُ كُلَّ مَكَانٍ
 لِيَزَكِّي مَاسْطَرَّ الْكَاتِبَانِ
 سَوْفَ يُدْلِي بِمَا جَنَّتُهُ الْيَدَانِ
 وَاسْتَطَارَتْ بَوَاعِثُ النَّسِيَانِ
 بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجْفَةٍ وَهَوَانٍ
 سَاعَةُ الْفَصْلِ أَيُّهَا النُّقْلَانِ
 جَاءَ حَقًّا فِي مُحْكَمَاتِ الْبَيَانِ
 وَجُحُودًا هَوَى إِلَى النَّيِّرَانِ
 سَوْفَ يَدْقِقُ عَوَاقِبَ الْكُفْرَانِ
 أَثْقَلَتْهَا الْأَغْلَالُ لِلْأَذْقَانِ
 مِنْ جَحِيمٍ وَهَاجَةِ الْأَرْكَانِ
 وَسَيُولُ الْحَمِيمِ فِي غَلِيَّانٍ
 : رَبِّ زِدْنِي مِنْ طُعْمَةِ الْإِنْسَانِ !
 يَشْمَلُ الْكَوْنُ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانٍ
 ضَرْقُ رُقَيْبٍ عَلَى الْوَرَى كُلِّ آنٍ
 هُمْ جُنُودُ الْمُهَيَّمِ مِنَ الرَّحْمَنِ
 كُلُّ سِرْبٍ مُسَبَّحٌ بِلِسَانٍ
 أَزَلِّي مُطْمَئِنٌّ لِلْجَنَّةِ نَافِثَانِ

سَبَّحَ اللَّهُ كُلُّ شَيْءٍ لِتَبْقَى
جَلَّ شَأْنُ الْقَدِيرِ رَبِّ الْبَرَايَا
وَارِثِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ جَمِيعًا
قَوْلُهُ الْحَقُّ إِذْ يَقُولُ أُخْشَوْنِي
يَا ابْنَ حَوَاءَ يَا صَرِيعَ الْمَلَاهِي
يَا جَهُولًا حَمَلْتَ نَفْسَكَ إِثْمًا
وَسَبَّكَ الدُّنْيَا وَغَرَّكَ مِنْهَا
قَادَكَ الْحُمُقُ لِلضَّلَالَةِ أَعْمَى
وَتَفَانَيْتَ فِي الْمَلَذَاتِ حَتَّى
فَتِهَالِكْتَ فِي ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي
تَسْهَرُ اللَّيْلَ فِي سُرُورٍ وَأُنْسٍ
مُشْبِعًا بِأُظْلُومٍ مَطْمَعِ نَفْسٍ
زَيْنَ الشَّرِّ حَوْلَهَا كُلَّ شَيْءٍ
لَا تَرَى الثُّورَ إِذْ تَحْجَبُ عَنْهَا
لِإِنِّهَا النَّفْسُ يَا ابْنَ آدَمَ فَانْظُرْ
مَادَعَاهَا إِلَى الْغَوَايَةِ إِلَّا
يَا ابْنَ حَوَاءَ إِنَّمَا الْعَيْشُ نَوْمٌ
وَتَمَادِيكَ فِي غُرُورِكَ جَهْلٌ
وَإِخْشَ عَيْنَ الرَّقِيبِ فَهُوَ شَهِيدٌ
أَيْنَمَا كُنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ فَاعْلَمْ
لَوْ حَوَّنَكَ الْجَوْزَاءُ أَوْ أَعْمَقُ
أَوْ تَسْتَرَّتْ تَحْتَ لُجٍّ خِضَمٍّ
يَا سَلِيلَ التَّرَابِ أَنْتَ ضَعِيفٌ

فِي دَوَامٍ فَرِيضَةُ الشُّكْرَانِ
خَيْرَ هَادٍ لِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ
يَوْمَ نَادَى الْقَضَاءُ أَنْ أُوَانِي
وَلَمْ يَخَفْ نِقَمَتِي جَنَّتَانِ
يَا مُجْبِيًّا لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ
بِاتِّبَاعِ الْهَوَى وَخَدْعِ الْأُمَانِ
مَا تَبَدَّى مِنْ زُخْرُفٍ فَتَّانِ
فَتَدَّ هَوْرَتَ فِي مَهَاوِي الْهَوَانِ
سَاقَكَ الطَّيْشُ لِلطَّلَا وَالْغَوَانِ
خَالِي الْبَالِ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ
بَيْنَ كَأْسٍ وَقَيْنَةٍ وَأَغَانِي
أَشْعَلْتَ نَارَهَا وَعُودُ الْأُمَانِ
فَمَادَتْ فِي اللَّهْوِ وَالْعِصْيَانِ
وَهِيَ تَهْوِي فِي ظُلْمَةِ الطُّغْيَانِ
كَيْفَ بَاتَ فَرِيْسَةُ الشَّيْطَانِ
سِرُّ إِعْرَاضِهَا عَنِ الْإِيمَانِ
كُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو لِعَيْنِكَ فَإِنْ
فَتَقَيَّقَظْ مِنْ غَفْلَةِ الْوَسْطَانِ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ سِرٌّ لِيَجَانِي
أَنْ رَبَّ الْوُجُودِ نُورُ الْمَكَانِ
مَنْ يُطُونِ النَّرَى أَوْ الْقُطْبَانَ
فِي كُهُوفِ الْأَصْدَافِ وَالْحَيْتَانِ
كُنْ مَعَ اللَّهِ تَحْظَ بِالْغُفْرَانِ

عظة

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا بَيَانٌ
أَرْسَلْتُهُ لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
فِي كِتَابِ آيَاتِهِ مُحْكَمَاتٌ
جَاءَ هَدِيًّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
يَجْعَلُ الْعُرْفَ لِلْعِبَادِ شِعَارًا
وَعَنِ الْبَغْيِ وَالْفَوَاحِشِ يَنْهَى
وَيَبْنِي الْجَحِيمَ جَاءَ نَذِيرًا
إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ عِلْمٍ حَكِيمٍ
كَتَبْنَا عِلْمَ آيَاتِهِ بَيِّنَاتٍ
زَاخِرَةً بِالْهَدْيِ كِتَابٌ مُنِيرٌ
أَنْزَلْنَاهُ السَّمَاءَ لِلنَّاسِ بُشْرَى
أَنْ يَبِيدَ الدِّينَ الْحَنِيفُ ضَلَالًا
لَقَدْ أَوْحَى آيَهُ لِنَبِيِّ
خَيْرٍ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَشْرَفِ جِسْمٍ
هَلَّلَ الْكَوْنُ إِذْ تَلَأَلَا فِيهِ
خَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ خَيْرُ حَنِيفٍ
أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ يُصَلَّى
جَاءَهُ الْوَحْيُ بِالرَّسَالَةِ لَمَّا
وَقَلَى النَّاسَ نِعْمَةُ اللَّهِ تَمَّتْ
إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ خَيْرُ صِرَاطٍ
فَصَلَّاهُ شَرَائِعُ الْإِيمَانِ
رَحْمَةُ الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ الْخَفَانِ
مِنْ كَلَامِ الْمُهَيَّمِ الرَّحْمَنِ
صَادَقَ الْوَعْدِ وَاضِحَ التَّبَيَّنِ
وَيُوصَى بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ^(١)
كِي تَقْوَى دَعَائِمُ الْعُمْرَانِ
وَبَشِيرًا بِخَالَاتِ الْجَنَانِ
قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ بِالْقُرْآنِ
فَاضَ نُورًا بِسَامِيَّاتِ الْبَيَانِ
عَرَبِيٌّ الْمُبْنَى جَزِيلُ الْمَعَانِ
حِينَ شَاءَتْ إِرَادَةُ الرَّحْمَنِ
وَلَدَّتْهُ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ^(٢)
عَزَّ قَدْرًا عَنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
عَبَقَرِيٌّ النَّهْيِ عَظِيمِ الْجَنَانِ
نُورُ طَهٍ وَكَبَرِ الْمَشْرِقَانِ
رَفَعَ الدِّينَ فَوْقَ هَامِ الزَّمَانِ
كُلُّ حَيٍّ فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
حَرَفَ الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَدْيَانِ
حِينَ وَافَى الْأَمِينُ بِالْقُرْآنِ
يُرْشِدُ النَّفْسَ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي

أَيْهَا النَّاسُ خَالِفُوا غِيَّ نَفْسٍ
 طَهَّرُوهَا مِنْ الرَّذِيلَةِ حَتَّى
 حَارَبُوهَا بِالطَّيِّبَاتِ عَسَاهَا
 حَذَّرُوهَا عَيْنَ الرَّقِيبِ لَكُنَّ مَا
 عَوَّدُوهَا عَلَى الْفُضِيلَةِ حَتَّى
 أَلْبَسُوهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ نُورًا
 زَوَّدُوهَا التَّقْوَى فَإِنَّ جَنَاهَا
 ذَكَرُوهَا أَنَّ الْحِسَابَ عَسِيرٌ
 وَجَهْلُ الدُّنْيَا الَّذِي يَسْتَبِيهَا
 سَنَوَاتُ الْأَعْمَارِ تَجْرَى سِرَاعًا
 خَاصِرَاتٌ أَيْامَهَا مِنْ ظُلُومٍ
 ضَاحِكَاتٌ وَالْمُفَرِّياتُ تُنَادِي
 كُلُّ غَمْرٍ مِمَّا تَرَاهِ طَوِيلًا
 مَحْصُورَةٌ أَيْقَظُ الْحَقِيقَةَ مِنْهَا
 دَهْمُ النَّفْسِ حِينَ حُمَّ قَضَاءُ
 خَلْفَ الْجَنَمِ فِي سُكُونٍ وَرَهَبٍ
 وَإِلَى الرَّمَسِ حَيْثُ وَارَاهُ تُرْبٌ
 فَاخِرَاتُ يَدِ الْبَيْلَى فِي عِظَامٍ
 حِكْمَةُ الْمَوْتِ فِي الْوُجُودِ انْتِقَالٌ
 عَالَمُ الظُّلْمَةِ الْقَصِيرُ مَدَاهُ
 أَيْهَا النَّاسُ لِلْبَقَاءِ خُلِقْتُمْ
 كُلُّ جِسْمٍ بِمَدِّ الْبَيْلَى سَوْفَ يَحْيَا

شَاغَلَتْهَا وَسَاوَسُ الشَّيْطَانِ
 تُنْقِذُوهَا مِنْ ثَوْرَةِ الْعِصْيَانِ
 تَتَوَارَى عَنْ مُفْزَعَاتِ الْأَمَانِ
 تَذَكَّرُ اللَّهُ خِيفَةً كُلَّ آنٍ
 تَتَحَلَّى بِالسَّابِقَاتِ الْحِسَانِ
 فِيهِ تَبَقَّى سَعِيدَةٌ فِي أَمَانٍ
 خَيْرٌ زَادٍ لِلْمَنْهَلِ النَّفْسَانِ
 لَوْ تَمَادَّتْ فِي اللَّهْوِ وَالْعِصْيَانِ
 يَتَلَاشَى مِمَّا بَدَأَ كَالِدُ الْخَانِ
 كَمَنَامٍ يَمُرُّ مَرَّ السُّوَانِ
 لَمْ يُفَكِّرْ فِي يَقْظَةِ النَّدْمَانِ
 مَا صَفَا الدَّاهِرُ نِصْفَ يَوْمٍ لِهَامِي
 كَانَ حُلْمًا فِي جَوْلَةِ الْوَسْنَانِ
 مَلَكَ الْمَوْتِ فِي حُلُولِ الْأَوَانِ
 وَهِيَ تَهْوِي فِي ظُلْمَةِ الطُّغْيَانِ
 وَطَوَاهُ فِي وَحْشَةِ الْأَكْفَانِ
 فِيهِ أُمْسَى فَرِيسَةُ الدِّيدَانِ
 حَوَّلَتْهَا ذَرًّا يَدُ الْخُدَّيْنِ
 كُلُّ جِسْمٍ يَضُمُّهُ عَالَمَانِ
 وَخُلُودٌ فِي الْعَالَمِ الثُّورَانِ
 وَمَقَامُ الْخُلُودِ لَيْسَ بِفَانٍ
 يَوْمَ عَرَضِ الصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ

وَتُوفِّيَ مَا قَدَّمَتْ كُلُّ نَفْسٍ
حَصْصَ الْحَقِّ وَالْمَوَازِينَ قِسْطًا
وَعُيُونُ الْجَحِيمِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
فِي زَفِيرٍ كَقَاصِفِ الرَّعْدِ يَجْرِي
لَهَبٌ يَخْطِفُ النَّوَاطِرَ رُغْبًا
حَوْلَ حَشْدٍ تَكْدَسُ الْخَلْقُ فِيهِ
وَسُيُولُ الرُّحْضَاءِ تَنْسَابُ مُهَلًّا
وَقَدَةُ الْحَشْرِ ضَاعَتْ كُلَّ كَرْبٍ
هَذِهِ السَّاعَةُ الَّتِي قَدْ وَعِدْتُمْ
مَوْفِقٌ لِلْحِسَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ
كَمْ أَفَاضَ التَّنْزِيلُ عَنْهُ بَيَانًا
أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ رَعَاكُمْ حَلِيمًا
وَأَفَاضَتْ أَيْدِيهِ أَكْبَرَ نِعْمَى
غَيْرُ نُورِ الْوُجُودِ رَبُّ الْبَرَايَا
بَاعَثَ الْعَالَمِينَ فِي مَلَكُوتٍ
مِنْ رُفَاتٍ تَكْدَسَتْ فِي قُبُورٍ
نَاشِطَاتٍ تَقُومُ بَعْدَ رُقُودٍ
كَجَرَادٍ يَفِرُّ مِنْ أَجْدَاثٍ
ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ جَمْعِ سُبُلٍ
كَشَفَ الْمَوْقِفُ الرِّهَابَ غِطَاءً
أَسْدَلَتْهُ حِمَاقَةُ الْجَهْلِ كِبْرًا
إِنَّهُ الْحَقُّ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَهْوَى

بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجْفَةٍ وَأَمَانٍ
وَالْمَخَازِي تَمَثَّلَتْ لِلْعِيَانِ
مُرْسِلَاتُ لَوَامِعِ النَّيِّرَانِ
فِي دَوَى يَرُوعُ كُلُّ جَنَانٍ
وَأَزِيرٌ يَحُوبُ كُلَّ مَكَانٍ
كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ فِي الْقَيْعَانِ
كَحَمِيمِ السَّعِيرِ فِي غَلِيَانِ
مَرَّ بِالْقَلْبِ وَالنَّهْيِ وَاللَّسَانِ
صَدَقَ الْوَعْدُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
لَمْ يُغَيِّبْ عَنْ حَشْدِهِ أَضْغَرَانِ
وَأَعَدَّ الْمُؤْمِنِينَ خُلْدَ الْجِنَانِ
وَحَبَاكُمْ بِالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ
شَمَلَتْكُمْ فِي رَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
خَالِقِ الْخَلْقِ فَاطِرِ الْأَكْوَانِ
وَحْدَهُ فِيهِ صَاحِبُ السُّلْطَانِ
أَوْزَنْتَهَا الْبَلَى يَدُ الْخَدَّائِنِ
كَانَ يَطْوِي الْأَحْقَابَ فِي الْأَكْفَانِ
يَمْلَأُ الْبَيْدَ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانٍ
سَابِحَاتٍ فِي لُجَّةِ النَّدْمَانِ
كَانَ يَغْشَى مَحَاجِرَ الْوَسْنَانِ
وَعُتُوا وَشَدَّهُ الْغَاوِيَابِ
عَنْ رُبَا الظُّلَمِ رَايَةُ الْعِصْيَانِ

أيها الناسُ قد بُعِثْتُمْ وَغَدَلًا
 وَغَمِيتُمْ عَنْ الْهُدَايَةِ حَتَّى
 فَقَقَصْتُمْ دُنْيَاكُمْ فِي ضَلَالٍ
 قُضِيَ الْأَمْرُ وَاتَّهَى كُلُّ شَيْءٍ
 فَهَلُمُّوا إِلَى الْحِسَابِ وَحَاشَا
 إِنْ تَكُونُوا مُصَدِّقِينَ فَأَمِنْ
 أَوْ تَكُونُوا مُكَذِّبِينَ فَأَنْتُمْ
 أيها الناس ما خَلَقْتُ لِيَحْيُوا
 بَلْ حَبَّبْتُكُمْ مُوَاهِبٌ وَعَقُولٌ
 نِعْمَةُ اللَّهِ حِينَ تَمَّتْ عَلَيْكُمْ
 كَرَّمَ اللَّهُ خَلْقَكُمْ وَرَعَاكُمْ
 كُلُّ نَفْسٍ تَخْشَى الْإِلَهَ سَتَمَشِي
 لَقَيْتَهَا الدُّنْيَا قَرِيرَةً عَيْنٍ
 خَلَقَ الرُّغْبُ وَالْمَلِيكَ يُنَادِي :
 يَا عَصَاةَ الرَّحْمَنِ حَلَّ بِلَايٍ
 مَا جَنُودَ الشَّيْطَانِ إِلَّا غَوَاةٌ
 لَا فِدَاءَ وَلَا شَفِيعَ يُرْجَى
 وَاقْتِدَارِي وَعِزَّتِي وَجَلَالِي
 إِنَّ عَفْوِي يَنَالُهُ كُلُّ عَبْدٍ
 أَيُّهَا الْمُحْسِنُونَ هَذَا نَعِيمِي
 فَهَلُمُّوا إِلَى فِرَادِيسِ خُلْدٍ
 وَسَلَامٌ لَكُمْ بِمَا صَدَّقْتُمْ
 قَدْ تَلَّاشَتْ سَفَاهَةُ الْتُكْرَانِ
 نَبَذْتُكُمْ مَرَاحِمُ الْفُفْرَانِ
 مُسْتَجِيبِينَ دَعْوَةَ الشَّيْطَانِ
 وَتَجَلَّى مَا أَغْفَلَ النَّاطِرَانِ
 أَنْ يَرَى الظُّلْمُ نَفْسَهُ فِي مَكَانٍ
 وَسَلَامٌ وَجَنَّةٌ وَتَهَانِي
 وَالشَّيَاطِينُ طُعْمَةُ النَّبْرَانِ
 كَدَوَاتٍ تَفْنَى بِمَرِّ الزَّمَانِ
 فَضَّلْتُكُمْ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ
 زَوَّدْتُكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
 وَهَدَاكُمْ لِلْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ
 يَوْمَ هَوْلِ الْخُرُوجِ فِي أَطْمِثْنَانِ
 وَبِخُلْدٍ الْأُخْرَى لَهَا جَنَّتَانِ
 هَا وَعِيدِي وَالْوَيْلُ مِنْ سُلْطَانِي
 كَيْفَ يَنْجُو مَنْ نَقِمْتِي مَنْ عَصَانِي ؟
 أَبْعَدُوكُمْ عَنْ طَاعَتِي وَحَنَانِي
 إِنَّهُ الْفَصْلُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
 سَوْفَ يُجْزَى الْمُسِيءُ بِالْحَرَمَانِ
 كَانَ يَخْشَى بَطْشِي وَلَا يَنْسَانِي
 قَدْ وَعِدْتُمْ بِهِ وَذَا غُفْرَانِي
 فِي قُصُورٍ أَعَدَّهَا رِضْوَانِي
 وَصَبَرْتُمْ عَلَى كُرُوبِ الزَّمَانِ

إِنَّ هَذَا وَعْدِي وَقَدْ تَمَّ وَعْدِي
 فَهَيِّئَا لَكُمْ نِعْمَتُمْ وَفُزْتُمْ
 أَيُّهَا النَّاسُ حَارِبُوا النَّفْسَ زُهْدًا
 وَأَشْتَرُوا الْخُلْدَ بِأَمْتِهَانِ مَتَاعِ
 طَهِّرُوا الْقُلُوبَ مِنْ بُدُورِ الْخَطَايَا
 وَاجْعَلُوا الذِّكْرَ زَادَهُ فَهُوَ نُورٌ
 وَاعْمَلُوا الطَّيِّبَاتِ مَا جَاءَ فَجَرِّهْ
 وَاسْلُكُوا لِلْهُدَى صِرَاطًا سَوِيًّا
 زَوِّدْوهَا الثَّقَى فَيَخْبُو سِرَاجٌ
 وَامْلُثُوا الْقُلُوبَ رَحْمَةً وَيَقِينَا
 إِنَّمَا الطُّهْرُ لِلنَّفُوسِ جَمَالٌ
 وَاضْرِبُوا الْأَرْضَ بِالْخُرَافَاتِ وَابْنُوا
 وَأَقْصِرُوا فِي الْخَطَا وَغَنُّوا وَتُوبُوا
 وَأَزِيحُوا عَنِ الْعُيُونِ سِتَارًا
 أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَطِيعُوا عَدُوًّا
 لَمْ يُطِيعْ فِي السُّجُودِ أَمْرَ إِلَهِ
 كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَبْدٌ
 أَيْ مَقْتٍ لِمَنْ تَمَرَّدَ كِبْرًا
 أَغْضَبَ اللَّهَ إِذْ أَبَى أَنْ يُكَلِّبِي
 يَا عِبَادِي اسْجُدُوا لِآدَمَ إِيَّيْ
 سَجَدَ الْكُلُّ طَائِعًا فِي خُضُوعٍ
 وَتَابَى عَنِ السُّجُودِ شَقِيٌّ

وَجَزَاءُ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ !
 يَا عِبَادِي بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
 يَتَجَلَّى الْيَقِينُ مِلءُ الْعِيَانِ
 عَرَضِيٍّ مَهْمَا تَرَفَّقَ فَانِ
 وَازْرِعُوا فِيهِ زَهْرَةَ الْإِيمَانِ !
 فِيهِ يَسْعَى إِلَى الرِّضَا الرَّبَّانِي
 بِجَدِيدٍ وَمَا بَدَأَ النَّيِّرَانِ
 تَأْمَنُ النَّفْسُ زَفَرَةَ النَّدْمَانِ
 أَشْعَلَتْهُ حَمَاقَةُ الْهَدْيَانِ
 تُبْعِدُوه عَنْ غِلْظَةِ النَّهْمَانِ
 فَإِذَا ضَاعَ ضَيَعَتَهَا الْأَمَانِ
 لِلْحَيَاتِينَ أَثْبَتَ الْبُدْيَانِ
 تَأْمَنُوا فِي الْقِيَامِ عَضَّ الْبَنَانِ
 أَسْدَلَتْهُ أَصَابِعُ الشَّيْطَانِ
 شَنَّ حَرْبًا عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ
 مَالِكُ الْمُلْكِ أَمْرُهُ حَرْفَانِ
 لِلْبَدِيعِ الْمُهَيَّمِ الرَّحْمَنِ
 وَاسْتَفَزَّتْهُ حَمَاءُ الْعِصْيَانِ
 أَمْرَ رَبِّ الْعُلَا عَظِيمِ الشَّانِ
 خَالِقُ مِنْهُ عَالَمِ الْإِنْسَانِ
 وَتَسَامَى التَّقْدِيسُ لِلرَّحْمَنِ
 ضَلَلَتْهُ حَمَاقَةُ الطُّغْيَانِ

مَلَأَ الشَّرُّ نَفْسَهُ كِبَرِيَاءَ
 إِلَهٍ... إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللَّهِ حَلَّتْ
 كَيْفَ تَنْجُو مِنْ نِقْمَتِي وَعِقَابِي
 قَالَ : رَبِّي ذَرَنِي لِمِيقَاتِ يَوْمِ
 سَوْفَ يَفْجُرُ أَبْنَاءُ آدَمَ مَكْرِي
 وَأَبْثُ الْفَسَادَ فِيهِمْ وَكَيْدِي
 وَأَوْرُثُ النُّفُوسَ أَرْثًا فَتَهْوِي
 سَابِحَاتٍ فِي ظُلْمَةٍ مِنْ خِيَالٍ
 سَوْفَ تَبْقَى كَمَا تَمَنَيْتَ حَتَّى
 يَوْمَ عَرَضِي لِمَنْ خَلَقْتُ وَلَمَّا
 وَأَدْعُ إِبْلِيسُ مَا اسْتَطَعْتَ وَغَرَّرْ
 هَا سَعِيرِي وَزَمْهَرِيرِي يَدْعُو
 يَوْمَ أَدْعُو : هَلِ امْتَلَأْتَ؟ وَغَيْظًا
 وَتُنَادِي غَضَبَاءَ : هَلِ مِنْ مَزِيدٍ؟
 أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمَكْدُوبُ هَيَّا
 ذَا سَعِيرِي مُوجَّجٌ وَحَمِيمِي
 فَهَلُّوْا إِلَيَّ يَا مَنْ كَفَرْتُمْ
 أَنَّ إِبْلِيسَ أَنْ أُذِيقَكَ هَوْلِي
 يَا سَجِينِي أَنْ الْقَصَاصُ وَهَذَا
 يَأْعَدُو الْإِنْسَانَ قَدْ كُنْتَ حَرْبًا
 كُنْتَ تَدْعُو إِلَى الضَّلَالِ وَتَسْعَى
 كَمْ تَرَبَّصْتَ بِابْنِ آدَمَ حَتَّى

بَاءَ مِنْهَا بِالْحَزَنِ وَالْخُسْرَانِ
 يَا رَجِيماً خَسِئْتَ مِنْ شَيْطَانٍ
 أَيُّ عَهْدٍ يَقْرَأُ مِنْ سُلْطَانِي؟
 فِي نُحَامٍ سَيُحْشَرُ الثَّقَلَانِ
 وَاجْتِيَالًا يُطْفِئُهُمْ شَيْطَانِي...
 يُبْلِسُ الرُّشْدَ طَلَسَمَ النَّسِيمَانِ
 فِي حَضِيضٍ مِنْ مُهْلِكَاتِ التَّفَانِي
 غَارِقَاتٍ فِي لُجَّةِ الْهَذْيَانِ
 يَوْمَ فَصَلٍ مَا بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانٍ
 لَمْ يُبَدَّلْ مَا أُخْرِجَتْ شَفَقَتَانِ
 مِنْ أَطَاعَتِكَ نَفْسُهُ بِالْأَمَانِي
 لِعَذَابِ الْحَرِيقِ مَنْ قَدْ عَصَانِي
 تَدْبَدَّى فِي ثَوْرَةِ الْغَضَبَانِ
 كَيْفَ تَنْسَى وَقُودَهَا نِيرَانِي؟
 هَا جَحِيمِي خُلُوْا مِنَ الشُّكَّانِ
 لِعُصَاةِ الرَّحْمَنِ يَنْتَظِرَانِ
 مَا أَشَدَّ الْعَذَابَ فِي أَحْضَانِي
 فِي عَذَابٍ لَمَّا يَهَيَّأُ لِشَانِ
 وَعَدُ رَبِّي حَقًّا لِأَوَّلِ جَانِي
 أَعْلَنْتَهَا حِمَاةُ الطُّغْيَانِ
 فِي انْتِشَارِ الْفَسَادِ وَالْعِصْيَانِ
 نَبَذَتْهُ مَرَاحِمُ الْفُغْرَانِ

وَنَصَبْتَ الشَّبَاكَ كَيْدًا وَمَكْرًا
قَضَى الْأَمْرُ وَاتَّهَى كُلُّ شَيْءٍ
ذُقْ أَشَدَّ الْعَذَابِ يَاسِرًا غَاوٍ
يَا رَحِيمَ الدَّارَيْنِ بِنَسْ خُلُودٍ
يَا ابْنَ حَوَاءَ مَا خُلِقْتَ لِتَحْيَا
أَنْتَ بِالْعَقْلِ قَدْ بَلَغْتَ مَكَانًا
صَوَّرَ اللَّهُ فِيكَ أَحْسَنَ خَلْقٍ
وَأَمَدَ الْفُؤَادِ فِيكَ بَنُورٍ
كُلُّ شَيْءٍ مُسَخَّرٌ لَكَ كَيْمَا
يَا ابْنَ حَوَاءَ أَنْتَ أَكْثَرُ خَلْقٍ
كَرَّمْتِكَ التَّعْمَى وَأَوْلَتْكَ فَضْلًا
فَاشْكُرِ النِّعَمَ الرَّحِيمَ وَسَبِّحْ
وَادْكُرِ الْمَوْتَ فَهُوَ أَحْسَنُ ذِكْرِي
وَاجْعَلِ اللَّهُ وَحْدَهُ لَكَ مَوْلَى
تَقْضِ دُنْيَاكَ مَا حَيَّيْتَ سَعِيدًا
إِنَّ هَذَا الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَكَبِّرْ
حَكَمَ الْعَقْلَ يَا ابْنَ آدَمَ وَأَحْذَرْ
لَا تُطْعِمُهُ وَتَتَخَذَهُ وَلِيًّا
يَطْبَعُ الشَّرَّ فِي النُّفُوسِ وَيُمْلِي
إِنَّ هَذَا الطَّاغُوتَ شَرُّ لَعِينٍ
أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ آتَاكُمْ كِتَابٌ
كِي تَضَلَّهُ عَنْ هُدَى الْإِيمَانِ^(١)
دَبَّرَتْهُ مَكَائِدُ الشَّيْطَانِ
أَبْعَدَ النُّورَ عَنِ بَنَى الْإِنْسَانِ
صَدَقَتْ فِيهِ آيَةُ الرَّحْمَنِ
كِحْيَا الْأَنْعَامِ وَالْحَيَوَانِ
عَبَقْرِيًّا، أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَكَانٍ
أَبْدَعَتْ صُنْعُهُ يَدُ الرَّحْمَنِ
جَعَلَ الْخَارِقَاتِ طَوْعَ الْبَنَانِ
تَتَسَامَى دَعَائِمُ الْعُمْرَانِ
غَمَّرَتْهُ الْآلَاءُ بِالْإِحْسَانِ
أَيَّدَتْهُ مُوَاهِبُ الْعِرْفَانِ
فِي خُشُوعٍ بِحَمْدِهِ كُلِّ آنٍ
تَنْفَعُ النَّاسَ يَوْمَ عَصَى الْبَنَانِ
وَتَزَوِّدُ مِنْ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ
وَيُخَلِّدُ الْآخِرَى لَكَ الْجَنَّتَانِ
بِاسْمِ رَبِّ هَذَاكَ لِلْإِيمَانِ
مِنْ أَضَالِيلِ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ
فَهُوَ يَدْعُو لِلشَّرِّ بِالرَّحْمَنِ
كُلَّ غَيٍّ يَقُودُ لِلْكَفْرَانِ
مِنْ أَلَدِّ الْأَعْدَاءِ لِلْإِنْسَانِ
نَاطِقٌ بِالْهُدَى فَصِيحُ الْبَيَانِ

(١) جزم «تضلله» خطأ لأن «كي» من النواصب، فإذا حرك بالفتح نصباً اختل البيت.

بَيْنَ الرُّشْدِ وَالضَّلَالِ بِشِيرًا
 يَتَّبِعُ النُّورَ فِي الْقُلُوبِ فَيَهْدِي
 وَالَّذِي صَمَّ قَلْبُهُ ظُلًّا أَعْمَى
 يَبْنَتُ قَدْ فَصَلَتْ كُلُّ شَيْءٍ
 وَنَهَتْكُمْ عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْمُنَكَ
 أَيْ فَوْزٍ لِمَنْ أَطَاعَ وَلَجَّى
 طَاهِرَ النَّفْسِ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي
 يَسْمَعُ الذِّكْرَ وَهُوَ يُتْلَى فَيَجْنُو
 بَيْنَ وَعْدٍ مُبَشِّرٍ بِنَعِيمٍ
 وَوَعِيدٍ مُصَوِّرٍ لِعَذَابٍ
 مَنْ تَوَلَّى وَلَمْ يَخَفْ مِنْ وَعِيدٍ
 خَدَعَتْهُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ يَلْهُو
 مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا تَبَوُّاً مِنْهَا
 دَارُ لَهْوٍ طَاشَتْ بِعَقْلِ جَهُولٍ
 مَلِئَتْ نَفْسُهُ الْخَبِيرَةَ شَرًّا
 أَنْكَرَ النَّبْثَ وَالْقِيَامَةَ حَتَّى
 أَوْدَعَتْهُ الدُّنْيَا بُطُونَ ثَرَاهَا
 أَيُّهَا النَّاسُ آمِنُوا وَأَطِيعُوا
 مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الَّتِي فَتَنَتْكُمْ
 غَيْرُ يَوْمٍ أَحْلَامُهُ سَابِحَاتُ
 سَنَوَاتِ الْأَعْمَارِ كَالْبَرْقِ تَجْرِي
 فَتَرَهُ الْعَيْشَ فِي الْحَيَاةِ اخْتِبَارُ
 وَنَذِيرًا يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ
 مِنْ يَسَاءِ الْحَيْطِ بِالْأَكْوَانِ
 لَا يَرَى النُّورَ وَهُوَ مِلْءُ الْمَكَانِ
 أَمَرْتَكُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 تَلَكُمُ دَسَائِسُ الشَّيْطَانِ
 دَعْوَةَ الْحَقِّ ، ثَابِتَ الْأَرْكَانِ
 مُؤْمِنَ الْقَلْبِ صَادِقَ الْإِيمَانِ
 سَاجِدًا بَاكِيًا مِنَ الْقُرْآنِ
 فِي فَرَادَيْسِ خَالِدَاتِ الْجَنَّاتِ
 يُفْقِدُ الرُّشْدَ فِي لَطَى النَّيِّرَانِ
 أَيْ مَقْتٍ يَرَى وَهَوْلٍ يُعَانِي
 فِي نَعِيمٍ مِنَ الْمَتَاعِ الْفَآئِي
 كُلَّ مَا يَشْتَهَى وَنَالَ الْأَمَانِي
 مِنْهُ مَدَّتْ لِلْمُوبِقَاتِ يَدَانِ
 فَتَمَادَى فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ
 دَهَمَتْهُ لَفَائِفُ الْأَكْفَانِ
 فَتَوَارَى عَنْ أَعْيُنِ الْخَدَتَانِ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ قَبْلَ فَوْتِ الْأَوَانِ
 وَسَبَّحْتُكُمْ بِالْمُغْرِبَاتِ الْحَسَانِ
 بَيْنَ مَوْجِ الشُّرُورِ وَالْأَحْزَانِ
 مُسْرِعَاتٍ كَأَنَّهُنَّ نَوَانِ
 لِلنَّعِيمِ الْمُقِيمِ أَوْ لِلْهَوَانِ

فَأَعْمَلُوا الطَّيِّبَاتِ تَأْمَنُ نَفُوسٌ
وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ مَا حَيْثُمْ حَلَالًا
وَاسْلُكُوا لِلصَّالِحِ خَيْرَ سَبِيلٍ
وَاضْرِبُوا الْأَرْضَ بِالْخَرَافَاتِ وَامْشُوا
وَازْرِعُوا الْيَوْمَ تَحْصِدُوا بَعْدَ حِينٍ
وَاجْزُوا الْخَمْرَ فَهِيَ أَكْبَرُ رَجَسٍ
تَسْلُبُ الرُّشْدَ مِنْ نُهَى مُحْتَسِبِهَا
لَقَبُوهَا أُمَّ الْخَبَائِثِ حَقًّا
وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ لِلَّهِ شُكْرًا
سَبِّحُوا اللَّهَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
وَأَعْبُدُوا خَلْقَ السَّمَوَاتِ فَيْضًا
فَكُرُّوا خَاشِعِينَ فِي مَلَكُوتٍ
فَلَكَ حَيَّرَ الْعُقُولَ نَظَامًا
سَارِيَاتٍ فِرَاقِدٍ وَشُمُوسٍ
سَابِحَاتٍ كُلٌّ يَشُقُّ مَدَارًا
مَلَكُوتٌ فِيهِ الْعَوَالِمُ تَجْرِي
لَا حِطَّتْهَا عَيْنُ الرَّقِيبِ لِيَتَبَقَى
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُهُ تَتَوَارَى
إِنَّهُ الْفَصْلُ بَيْنَ دُنْيَا وَآخِرَى
إِنَّ عَيْشَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ يَوْمٌ
طَائِرٌ نَاطِقٌ كِتَابٌ شَهِيدٌ
عَزَزَتْ صِدْقَهُ شَهَادَةُ أَيْدٍ

يَوْمَ عَرَضِ الْأَعْمَالِ عَصَّ الْبَنَانِ
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ
مِنْهُ تَبَدُّوْا مَفَازَةَ الرِّضْوَانِ
صَوَّبَ نَوْرَ الْيَقِينِ فِي أَطْمِنَانِ
وَاسْتَزِيدُوا مِنْ خَالِدِ الْبُنْيَانِ
مُفْسِدِ الرُّوحِ مُتَلِفِ الْأَبْدَانِ
حِينَ تَسْرِي فِي الْحَسِّ كَالْأَفْعَوَانِ
فَهِيَ أَقْوَى حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ
وَإِذْ كُرِّهَ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
فِي سَجُودٍ مَا ضَوَّاءُ الْمَشْرِقَانِ
مِنْ صِفَاءِ الْإِدْرَاكِ وَالْإِمْلَافِ
أَبْدَعَتْ صُنْعَهُ يَدُ الرَّحْمَنِ
لَمْ يَشْبِهْ فِي دِقَّةِ الْإِتْقَانِ
خَاطَفَتُ الْأَبْصَارَ قَاصِرِ وَدَانِ
فِي فَضَاءِ الْآفَاقِ وَالْأَكْوَانِ
آمَنَاتٍ طَوَارِيءِ الْخُدَّائِ
مَا أَرَادَتْ مَشِئَةُ الرَّحْمَنِ
آفَلَاتٍ وَيَحْتَفِي النَّسِيرَانِ
أَعْلَنَتْهُ عَلَى الْوَرَى صَيِّحَتَانِ
فِيهِ تَمَّتْ صَحِيفَةُ الْإِنْسَانِ
سُجِّلَتْ فِيهِ صَادِقَاتُ الْبَيَانَ
وَجُلُودٌ وَأَعْيُنٌ وَلِسَانٌ

فَاخْشَوْا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ تَقُومُوا مِنْ دَيَّاجِي أَجْدَائِكُمْ فِي أَمَانٍ
يَوْمَ يَهْتَزُّ مِنْكَبُ الْأَرْضِ رُعْبًا وَالسَّمَوَاتُ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ !
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ النُّفُوسُ فِدَاءً أَوْ فِرَارًا مِمَّا تَرَى وَتُعَاكِ !
وَلَهُ الْأَمْرُ وَخَدَهُ فِي جُمُوعٍ تَسْأَلُ الْعَفْوَ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانٍ
حُكْمُهُ الْفَضْلُ فِي مُصِيرِ عَبِيدٍ الدَّارِ الْجَحِيمِ أَمْ لِلْجَنَانِ ؟
فَازَ بِالْخُلْدِ فِي فَسِيحَاتِ عَدْنٍ مِنْ هَدَاهُ الرَّحْمَنُ لِلْإِيمَانِ
وَأَضَلَّ السَّبِيلَ مَنْ تَاهَ كِبْرًا وَعُتُوا وَخَادَعَتْهُ الْأُمَانِي
وَإِذَا تَمَّ فِي الْمَشِيشَةِ أَمْرُهُ لَمْ يُبَدَّلَنَّ مَا سَجَّلَ الْخُفْلَانِ
آيَةُ النُّورِ بَيَّنَّتْ كُلَّ شَيْءٍ وَكَفَى الْآنَ أَيُّهَا الْفَقْلَانِ
مَا سَعِيدُ الدَّارَيْنِ يَا نَفْسُ إِلَّا مَنْ تَقَانَى فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
وَالشَّقِيُّ الْمَاعُونُ دُنْيَا وَأُخْرَى كُلَّ غِرٍّ هَوَىٰ مَعَ الشَّيْطَانِ
يَا إِلَهَ الْوُجُودِ نِعْمَاكَ عَمَّتْ كُلَّ حَيٍّ فِي سَائِرِ الْأَكْوَانِ

المنزلة الكبرى

فاتحة

أيها الناس أنتم الفقراء لا تعيشوا في الأرض ظلماً وبغياً واستمعينوا بالله في كل أمر لا يفرّثكم نعيم حياة إنما العمر لمحة فمات ملك الموت يفتني كل حي يترك الجسم هامداً، ليت شعري كل نجم مهذب بأفول كل شيء غير البديع ظلام يا بني الأرض إن لله ملكاً إن رباً يدير ملكاً كهذا حارت الخلق في تصوّر ذات

فاذكروا من له الغنى والبقاء واتقوا الله إنكم ضعفاء أكرم الخلق عنده الأتقياء ورخاء وصحة وهناء فسكون فحفرة ظلماء في أوانٍ قد آت فيه الفناء أنعيم يضمه أم شقاء ولنور الإله دام الضياء واستضاءت بنوره الأشياء تعلم الأرض قدره والسماء قادر دائماً على ما يشاء بين حرفين أمرها والقضاء^(١)

* * *

مالك الملك إن وعدك حق ترجف الأرض والجبال ويقضى وتمور السماء موراً ويهوى من له الحمد غيرُه والثناء^(٢) كل أمر ويستكن الهواء كل نجم وتزعج الأرجاء

(١) الصواب في أمرها والقضاء بالجر لأنه بدل من حرفين ويمكن لمعربها على الابتداء ، بتقدير « هما أمرها والقضاء » . (٢) في البيت التفات ، إذ قال وعدك ، فكان الاستمرار أن يقول غيرك .

حَلَقَتْ رَهْبَةً وَسَادَ سُكُونٌ وَأُنْجِلَتْ قَدْرَةٌ وَأَلَفَ الْوَفَاءُ
كُلُّ حَيٍّ إِلَّا الْمُتَّخِمِينَ فَإِنْ صَاحَ سُجَّانٌ مَنْ لَهُ الْكِبَرِيَاءُ

السَّاعَةُ

دَنَتْ السَّاعَةُ الرَّهِيْنَةُ لَمَّا جَاءَ أَشْرَاطُهَا وَحُقَّ الْجَزَاءُ
وَعَلَتْ صَيْحَةً تَجْمَعُ مِنْهَا بِأَلْيَاتِ الرُّفَاتِ وَالْأَشْلَاءِ
دَكَّتِ الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَهَدَّتْ كُلَّ طَوْدٍ مُرْبِعَةً بِطُشَاءٍ
صَيَّرَتْ شَامِخَ الرُّوَاسِخِ عَيْنًا وَتَنَحَّتْ عَنْ حَمَلِهَا الْجُرْدَاءُ
أَلْقَتْ الْأَرْضُ مَا بَهَا وَتَحَلَّتْ وَتَدَاعَتْ عَنْ أَقْفِهَا الصَّمَاءُ
هَالَمَا الرُّوعُ فَاسْتَحَالَتْ هَبَاءٌ غَيْرَ الصَّدْعِ حَالَهَا وَالْفَنَاءُ
وَأَنْشَقَاقًا ذَاتُ الْبُرُوجِ تَرَامَتْ فَتَوَارَتْ أَقْمَارُهَا الزَّهْرَاءُ^(١)
نَمَ غَابَتْ نَجْمُهَا وَأَكْفَهَرَتْ وَاخْتَفَى نُورُهَا وَزَالَ الْبَهَاءُ

* * *

إِنَّ هَذَا يَوْمُ الْحِسَابِ فَطَاشَتْ يَابْنِي الْأَرْضِ مُقَلَّةٌ عَمِيَاءُ
يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ ابْنُ آدَمَ إِلَّا حَسَنَاتٌ تَقَدَّمَتْ وَوَفَاءُ
يَوْمٌ يَدْعُو كُلُّ امْرِئٍ: رَبِّ نَفْسِي! وَتَفَرُّ الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ
يَوْمٌ يَلْتَفُّ كُلُّ سَاقٍ بِسَاقٍ وَيُسَاقُ الضَّعَافُ وَالْأَقْوِيَاءُ
يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ الْمُسِيءُ اعْتِذَارُهُ عَنْ ذُنُوبٍ وَيَذْلَهُمُ الْبَلَاءُ
يَوْمٌ حَشَرِ حَوَى الْبَرَايَا جَمِيعًا شَاخِصَاتٍ أَبْصَارُهَا فَرْعَاءُ
يَوْمٌ فَضَلَّ تُبْلَى السَّرَائِرُ فِيهِ حَائِرَاتٌ مِنْ هَوَاهُ هَلْعَاءُ
يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ النُّفُوسُ انْتِصَارًا وَلَهُ الْأَمْرُ وَحْدَهُ وَالْقَضَاءُ
كُلُّ نَفْسٍ يُغْنِي لَهَا فِيهِ شَأْنٌ عَنْ سِوَاهَا وَلَا يُفِيدُ الْفِدَاءُ

(١) يريد : وترامت ذات البروج انشقاقاً ، ولو قال ذلك لم يتغير الوزن .

كلُّ نفسٍ لها لِسَانٌ وَعَيْنٌ وفؤادٌ وكلُّها رُقَبَاءُ
ثمَّ أَيْدٍ وَأَرْجُلٌ وجُلودٌ تنطقُ الحقَّ أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ

الْبَعْثُ

يُهِرِّغُ النَّاسُ مِنْذُ أَوَّلِ خَلْقٍ وَاحِقَاتُ قُلُوبِهَا حَزِيرَاهُ
بَعَثَتْهَا الْقُبُورُ تَجْرِي سِرَاعًا أَفْزَعَتْهَا مِنْ نَوْمِهَا الدَّهَاءُ
مَا جَتِ الْأَرْضُ تَحْتَ أَقْدَامِ خَلْقٍ كَجَرَادٍ يَضِيقُ عَنْهُ الْفَضَاءُ
مُدَّتِ الْأَرْضُ كِي تُوفِّي جُمُوعًا فَوْقَهُمْ تُمَطِّرُ الْعَذَابَ السَّمَاءُ

* * *

يَا ابْنِ الْأَرْضِ تِلْكَ وَقْفَةٌ حَشِرٍ يَا ابْنَ حَوَاءِ أَنْتَ صِينٌ وَمَاءُ
كُلِّ فَرْدٍ لَهُ كِتَابٌ قَدِيمٌ سُجِّلَتْ فِيهِ رَحْمَةٌ أَوْ بَلَاءُ
لَمْ يُعَادِرْ صَغِيرَةً مَا حَوَاهَا قُدْرَةُ اللَّهِ مَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ
كُلُّ مَنْ مَدَّ لِلْكِتَابِ يَمِينًا ضَمَّهُ الْأَمْنُ وَالرِّضَا وَالْهِنَاءُ
وَلَهُ قَالَتِ التَّهَانِي سَلَامٌ وَبَدَأَ الْعَفْوُ بِأَسْمَاءٍ وَالْعَطَاءُ
وَنَجَّ مَنْ كَانَ حَظُّهُ بِشِمَالٍ هَالَهُ الْخِزْيُ خَيْفَةً وَالْعَنَاءُ
صَلَحَ فِيهِ صَوْتُ الْعَذَابِ وَعِيدًا : قَدْ تَمَحَّيَ عَنْ مُقَاتِلَتِكَ الْغِطَاءُ
أَنْظُرِ النَّارَ كَيْفَ تُزْجِي سَعِيرًا وَعِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ الشَّوَاءُ

* * *

قَبَضَهُ اللَّهُ تَجْمَعُ الْأَرْضُ جَمَاعًا وَيُيْمِنِي الْبَدِيعُ تُطَوِّي السَّمَاءُ
قُدْرَةُ اللَّهِ حَيَّرَتْ كُلَّ لُبٍّ فَتَفَانَتْ فِي كُنْهَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ
قُوَّةُ اللَّهِ أَذْهَلَتْ كُلَّ لُبٍّ فَتَفَانَتْ فِي وَصْفِهَا الْعُلَمَاءُ
حِكْمَةُ اللَّهِ أَحْكَمَتْ كُلَّ أَمْرٍ فَاسْتَنَارَتْ بِرُوحِهَا الْحُكَمَاءُ
خَيْرَةُ اللَّهِ أَثَقَنْتْ كُلَّ شَيْءٍ فَتَبَارَتْ فِي مَدْحِهَا الشُّعْرَاءُ

رَحْمَةُ اللَّهِ أَدْرَكَتْ كُلَّ خَلْقٍ فَتَلَاشَى فِي عَدَّهَا الْإِحْصَاءَ

* * *

إِنَّ عِلْمَ الْإِلَهِ عِلْمٌ قَدِيمٌ
وَصِفَاتُهُ تَنَزَّهَتْ عَنْ شَرِيكَ
نَافِذُ الْأَمْرِ فِي جَمِيعِ الْبَرَايَا
كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ لِلَّهِ عَبْدٌ
بِخُلُودٍ لَهُ يَدُومُ الْبَقَاءُ
فَتَسَامَتْ مِنْ حُسْنِهَا الْأَسْمَاءُ
عَالِمُ الْغَيْبِ عَرْشُهُ الْعَلِيَاءُ
وَدَوَامًا إِلَيْهِ يَسْرِي الدُّعَاءُ

* * *

كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ حَمْدًا
وَيُبْنِوِرُ الْإِلَهِ أَشْرَقَ الْأَرَاءُ
وَقَضَى الْحَقُّ بَيْنَهُمْ حُكْمَ عَدْلٍ
يَا نَبِيِّنَ تِلْكَ جَنَّاتُ عَدْنٍ
هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي قَدْ وَعَدْتُمْ
دَارُ خُلْدٍ جَزَاءَ مَا قَدْ صَبَرْتُمْ
سَيِّدُ الْخَلْقِ بَيْنَكُمْ يَتَهَادَى
أَشْرَفُ الْمُرْسَلِينَ قَدْرًا وَجَاهًا
خَصَّمَهُ اللَّهُ بِالشَّفَاعَةِ لَمَّا
وَبُنُورِ الْقُرْآنِ كَانَ إِمَامًا
أَبَدَ الدَّهْرِ كَيْ يَدُومَ الثَّنَاءُ
ضُجُوءُ وَجَاءِ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ^(١)
وَبِوَعْدِ الْإِلَهِ تَمَّ الرِّضَاءُ
فَادْخُلُوهَا وَكَبِّرِي يَا سَمَاءُ
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّكُمْ أُمَمَاءُ
تِلْكَ عُقْبَى الْجِهَادِ يَا أَنْبِيَاءُ
يَجْبِينُ يَفِيضُ مِنْهُ الصِّيَاءُ
خَيْرٌ بَدْرٍ قَدْ أُنْجِبَتْ حَوَاءُ
أَذِنَ الْحَقُّ وَأَسْتَجِيبَ النَّدَاءُ
وَحَكِيمًا عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءُ

* * *

أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ جَنَّاتِ عَدْنٍ
صَلَوَاتُ الْإِلَهِ تَرَعَاكَ دَوْمًا
لَكَ نَفْسٌ أُبَيَّةٌ سَمَاءُ
يَا ابْنَ عَدْنَانَ بَارَكْتَكَ السَّمَاءُ

(١) فِي الْبَيْتِ خَلَلَ عَرُوضِي ، وَلَوْ قَالَ « النَّبِيُّ » لَاسْتَقَامَ الْوِزْنُ .

جنات النعيم

سَبَقَ أَهْلُ الثُّقَى لِذَارِ نَعِيمٍ يَتَهَادَوْنَ حَيْثُ حَلَّ الْهَنَاءُ
تَتَلَقَّاهُمْ الْمَلَائِكُ بُشْرَى بِأَسْمَاتٍ وَجُوهَهَا سَمْحَاءُ
نَزَانَ أَبْوَابَهَا وَمِيزُ الدَّرَارِي تَتَسَامَى أَنْوَارُهَا الزَّهْرَاءُ
تِلْكَ دَارُ الَّذِينَ نَالُوا بِحَقِّ أَجَرَ إِيْمَانِهِمْ فَنِعْمَ الْجَزَاءُ
أَمَنُوا بِالْكِتَابِ لَمَّا أَنَاهُمْ وَأَطَاعُوا الرَّسُولَ نِعْمَ الْوَفَاءُ
صَدَقَ الْوَعْدُ فَادْخُلُوا بِسَلَامٍ دَارَ خُلْدٍ يَطِيبُ فِيهَا الْبَقَاءُ
إِنَّ فِيهَا مَا تَشْتَهَى كُلُّ نَفْسٍ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ لَهَا مَا تَشَاءُ
حُورٌ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ الْوَلَلَى كَاعْبَاتٍ قُدُودُهُنَّ الضِّيَاءُ^(١)
يَتَسَابَقْنَ حَوْلَ زَهْرٍ وَمَاءٍ لَاعِبَاتٍ يَزِينُهُنَّ الْبَهَاءُ
رَاتِعَاتٌ عَلَى بَسَاطٍ بَدِيعٍ تَتَرَامَى أَطْرَافُهُ الْخَضْرَاءُ
تَتَوَارَى خَلْفَ الدَّوَالِي دَلَالًا تَتَشَتَّى أَعْطَافُهَا الْحُسْنَاءُ
ثُمَّ يُهْرَعْنَ لِلْقُصُورِ حُسَاةً مِنْ رَحِيقِ مِزَاجِهِ السَّرَّاءُ
حَيْثُ يَلْقَيْنَ أَهْلَهَا فِي نَعِيمٍ وَسُرُورٍ بِهِمْ أَحَاطَ الْهَنَاءُ
تَتَجَلَّى عَلَى الْأَرَائِكِ بِشْرًا وَابْتِهَاجًا عِيُونُهَا حَوَازَاءُ
وَعَلَيْهِمْ تَطُوفُ وَلَدَانُ خُلْدٍ بَكُورٍ سُلَافُهَا الصَّهْبَاءُ
وَأَبَارِيقَ مِنْ لُجَيْنٍ نَقِيٍّ صَفْهًا الْخُورُ كَيْ يَدُومَ الصَّفَاءُ
إِنَّ لِلْجَنَّةِ الْبَهِيجَةِ وَضْعًا فَوْقَ مَا قَدْ تَخَيَّلَ الشُّعْرَاءُ
ظِلِّهَا دَائِمٌ فَلَا لَيْلَ فِيهَا عَاطِرَاتُ رِيَاضِهَا الْفَيْحَاءُ
فَوْقَ أَغْصَانِهَا الْعُنَادِلُ تَشْدُو وَعَلَيْهَا تُزْفَرُ الْوَرَقَاءُ

(١) قوله حور عين بالإضافة ليس صحيحاً ، والصواب أن عين وصف للحوار بجمال العيون وسعتها .

وَتَقْيِضُ الْأَنْهَارُ شَهْدًا مُصَدِّقًا
ثُمَّ تَجْرِي أُخْرَى بِدَرٍّ شَهِيٍّ
وَيَجْمَعُ كَالْأَرَى تَنْسَابُ أُخْرَى
إِنَّ دَارَ الْفِرْدَوْسِ كَانَتْ مَابَاً
أَدْخُلُوهَا قَدْ بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا
فَانْعَمُوا وَاهْنَأُوا وَطِيبُوا نَفُوسًا
رَحْمَةُ اللَّهِ قَدْ تَجَلَّتْ عَلَيْكُمْ
حَيْثُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا رَغْدَاءُ
لَمْ تُفَيِّرْ مِنْ طَعْنِهِ الْأَجْوَاءُ
رِيحُهَا الْمِسْكُ رُوحُهَا نَشْوَاءُ^(١)
خَيْرَ دَارٍ يَحْفَظُ بِهَا الْأَنْقِيَاءُ
فِي خُلُودٍ لَا يَغْتَرِيهِ فَنَاءُ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ حُنَفَاءُ
فَاشْكُرُوا مَنْ لَهُ الرِّضَا وَالْبَقَاءُ

دار الجحيم

ثُمَّ سَبَقَ الْكُفَّارُ نَحْوَ جَحِيمٍ
وَوَقُودُ السَّعِيرِ زَادَ اشْتِعَالًا
ثُمَّ هَاجَتْ دَارُ الْجَحِيمِ وَمَاجَتْ
فِي زَفِيرٍ كَالرَّعْدِ تَنْدُكُ مِنْهُ
وَشَهيقٍ يَنْقُضُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
شَرًّا كَالْجَمَالَةِ الصُّفْرِ تَرْمِي
تِلْكَ نَارُ الْأَشْوَى الَّتِي فِي لَفْظِهَا
إِنَّ حُرَّاسَهَا غِلَظٌ شِدَادُ
مَا الْحَدِيدُ الشَّدِيدُ أُعْظِمَ بَأْسًا
حَوْلَ أَبْوَابِهَا الصَّوَاعِقُ دَوَّتْ
أَدْخُلُوهَا تَطَايَرَ أَهْلُهَا فِيهَا
يَسْتَفِيثُونَ حَيْثُ حَلَّ الْبَلَاءُ
وَأَسْتَشَاطَتْ مِنْ غَيْظِهَا الرَّمْمَاءُ
تَقْذِفُ الرُّعْبَ وَالْقُلُوبُ هَوَاءُ
هَامَةُ السَّمَاءِ وَالذَّرَا السَّمَخَاءُ
رَجَعَتْهُ مِنْ هَوَالِهِ الْأَرْجَاءُ
مِنْهُ الْقَصْرُ بِئْسَ ذَلِكَ التَّوَاءُ^(٢)
يُسْحَبُ الْمُجْرِمُونَ وَالْأَشْقِيَاءُ
يَتَقَانُونَ طَاعَةً ، أَقْوِيَاءُ
مِنْ قُلُوبٍ لَهُمْ بَرَاهَا الْقَضَاءُ
مُرْعِدَاتٍ صَيَحَاتُهُمْ فَزَعَاءُ
فَاغْرَاتٍ أَقْوَاهُهَا غَضَبَاءُ

(١) الأرى : الشهد

(٢) التواء : الهلاك

سَارِيَاتُ اللَّهْمِبِ تَنْسَابُ مِنْهَا
 مِنْ حَمِيمٍ تَفِيضُ فِيهَا عُيُونُ
 إِنَّ هَذَا شَرَابُ كُلِّ أَثِيمٍ
 وَطَعَامُ ذُو غُصَّةٍ وَعَذَابُ
 إِنْ دَارَ الْجَحِيمِ شَرُّ مَكَانًا
 مَا جُنُودُ الشَّيْطَانِ إِلَّا غَوَاةٌ
 شَاغَلَتْكُمْ بِقِيَّهَا فَعَمِيَتْكُمْ
 إِنْ هَذَا الشَّيْطَانُ كَانَ عَدُوًّا
 قَدْ سَلَكَكُمْ سُبُلَ الضَّلَالَةِ جَهْلًا
 أَيُّهَا الظَّالِمُونَ ذُوقُوا نَكَالًا
 فَتَنَّتْكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَبَنُوكُمْ
 وَكَفَرْتُمْ بِأَنْعَمَ اللَّهُ حَتَّى
 إِنْ هَذَا تَصْدِيقُ مَا قَدْ كَفَرْتُمْ
 فَهَلُمُّوا إِلَى الْجَحِيمِ جَمِيعًا
 إِنْ فِيهَا الْعَذَابُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ
 قَدْ أَطَاعُوا الرَّحْمَنَ فِي كُلِّ أَمْرٍ
 دَرَكَاتٍ سَنَعٌ طِبَاقٌ عَذَابُ
 كُلُّ مَنْ فِي الْعَذَابِ يَسْتَصْرِخُ لِلَّهِ
 وَهَبَاءٌ يَضِيعُ كُلُّ تَمَنٍّ
 لَا مَمَاتَ بِهَا يُهَوِّنُ كَرْبًا
 كَلِمَا أَنْضَجَ الْحَرِيقُ جُلُودًا
 إِنْ هَذَا جَزَاءُ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ

وَبَرِيحِ السَّمُومِ يَجْرِي الْهَوَاءُ
 وَبِمَاءِ كَالْمُهْلِ يَجْرِي السَّقَاءُ
 مِنْهُ تُشَوَّى الْوُجُوهُ وَالْأَمْعَاءُ
 مِنْهُ تُكْوَى الْجَبَاهُ وَالْأَحْشَاءُ
 لِعَصِيٍّ طَاشَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ
 قَدْ أَطْعَمَ أَهْوَاءَهُمْ يَارِعَاءُ
 عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَعَزَّ الدَّوَاءُ
 مِنْذُ وَافَتْ مِنْ خُلْدِهَا حَوَاءُ
 وَتَرَكْتُمْ مَا أُنْزِلَتْهُ السَّمَاءُ
 إِنْ هَذَا جَزَاءُ قَوْمٍ أَسَاءُوا
 وَظَلَمْتُمْ فَحَقَّ هَذَا الْبَلَاءُ
 حَلَقَ الْمَوْتُ فَوْقَكُمْ وَالْفَنَاءُ
 إِنْ صَبَرْتُمْ أَوْ إِنْ جَزِعْتُمْ سَوَاءُ
 لَا أَعْتَذَارُ لَكُمْ وَلَا شَفْعَاءُ
 وَعَلَيْهَا الْمَلَائِكُ الرُّقَبَاءُ
 وَيَأْمُرُ الْعَزِيزُ بِجَرَى الْقَضَاءِ
 لَا ظَلِيلٌ بِهَا يُحِيطُ الْقَضَاءُ
 تَ وَهَيْهَاتَ يُسْتَجَابُ النَّدَاءُ
 حَيْثُ حَلَّ الْخُلُودُ زَالَ الْفَنَاءُ
 أَوْ عَذَابٌ مُخَفَّفٌ أَوْ رَجَاءُ
 بَدَّلَ اللَّهُ غَيْرَهَا مَا يَشَاءُ
 وَعَلَى الْعَدْلِ قَامَ هَذَا الْجَزَاءُ

يَا أَبْنَ حَوَاءَ قَدْ قَضَى اللَّهُ أَمْرًا
هَامِي الْأَرْضُ وَفُيَّتْ مَا اسْتَحَقَّتْ
قَدْ تَسَامَى عَرْشُ الْقَدِيرِ جَلَالًا
حَوْلَهُ حَفَّتِ الْمَلَائِكُ تَتَلَوُ
لَا يَمْلُونَ لَحْظَةً مِنْ دُعَاءِ
تَجَدُّوا اللَّهَ بِالنَّاءِ دَوَامًا
هُمْ جُنُودُ الْمُهَيْمِينَ الْمَتَمَالِي
رُكَّعًا سَجْدًا قِيَامًا قُعُودًا
وَيَحْكُمُ عَدْلٌ تَجَلَّى الْقَضَاءِ
وَتُوفَى بِمَثَلِ هَذَا السَّمَاءِ
فَاسْتَضَاءَتْ بِنُورِهِ الْأَرْجَاءِ
أَحْسَنَ الذِّكْرِ كِي يِعْمَ الرِّضَاءِ
هُمْ عَبِيدُ رَبِّهِمْ أَوْفِيَاءِ
حَمَلَ الْعَرْشَ مِنْهُمْ الْأَكْفَاءِ
مَظْهَرُ الْبَطْشِ مِنْهُمْ الْأَقْوِيَاءِ
مَنْ تَوَالَى تَسْبِيحِهِمْ سَعْدَاءِ

* * *

عَمَّ نُورُ الْإِلَهِ سَبْعًا طِبَاقًا
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
حَقَّهُ الْمَوْلُوعُونَ بِاللَّهِ حُبًّا
وَتَدَلَّى الْوَحْيُ الْأَمِينُ أُبْتِهَالًا
فَتَلَاثَتْ أَمَامَهُ الْأَضْوَاءُ
ضُجُجًا جَمِيعًا ، وَفَاضَتْ الْآلَاءُ
وَحَبَّاهُ الْأُتَمَّةُ الْأَمْنَاءُ
يَا قَدِيرًا يَا مَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ^(١)

* * *

أُسْفَرَتْ هَيْبَةٌ فَاشْرَقَ عَدْلٌ
يَا عِبَادَ الرَّحْمَنِ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ
وَمُسْلِمًا لَكُمْ بِمَا قَدْ أَطْعَمْتُمْ
فَالِ الْجَنَّةِ الْفَسِيحَةِ سِيرُوا
فَتَعَالَى الْهَتَافُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
فَأَفَاضَ الْعَطَاءُ حَمْدًا وَشُكْرًا
وَتَجَلَّى عَفْوٌ وَعَمَّ رِضَاءُ
مَ خُلُودٌ يَدُومُ فِيهِ الْمُنِيبَاءُ
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّكُمْ رُحَمَاءُ
قَدْ وَهَدْتُمْ بِهَا وَتَمَّ الْوَفَاءُ
جَاوَبَتْهُ الْآفَاقُ وَالْأَرْجَاءُ
لِلَّذِي الْمُلْكُ مُلْكُهُ وَالْبَقَاءُ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا بَيَانٌ
أُنْزِلَتْهُ الشَّرِيعَةُ الْمَمْحَاهُ

(١) يقصد بالوحى الأمين جبريل عليه السلام ،

جاء بالحق للقلوب ضياء
لم يُغَادِر من الشرائع شيئاً
جاءكم بالهدى كتاب كريم
إنه من لدن حكيم عليم
عاطِرُ الذِّكْرِ للقلوب شفاء
إن هذا القرآن يكفيه فحراً
فاض نوراً بالوحي صدر نبي
ورسول للرُّسل جاء ختاماً
جاء برداً للعالمين سلاماً
كافح الكُفْر والضلالة حتى
وأقام الدين الحنيف وباتت
آية الحق قد تجلّت عليكم

* * *

أيها الناس إن هذا بلاغ
إن دنّا الخير فإلّساء صباح
إن هذا الحديث أحسن ذكرى
فصّلت فيه رحمة أو بلاء
أو دنّا الشر فإلّصباح المساء !
كل نفس يحلو لها ما تشاء

* * *

أيها الظالمون قد شاغلتمكم
فأجبتم نداءها وأتبعتم
وضربتم بشرعة الحق عرضاً
وملكتم سبيل الضلالة جهلاً
وعميتم عن الهدى ومحال
وأندفعتم إلى المعاصي سُكاري
وغزّتم بطيشها الأهواء
شهوات يفر منها الحياء
فأشمازت نفوسها العلياء
نجا النور وأستحال الضياء
أن ترى النور مقلّة عيياء
وأرتكبتم مافاض منه الإلناء

وَأَتَّبِعْتُمْ أَهْوَاءَ غَاوٍ مُضِلٍّ زَيْنَ الشَّرِّ مَكْرُهُ وَالذَّهَاءُ
حَبَبَ اللَّهِوَ الْفَسَادَ إِلَيْكُمْ وَحَدَّثَكُمْ جُنُودَهُ الْأَشْقِيَاءُ
فَرَكَبْتُمْ غِمَارَ بَحْرِ خِصَمٍ هَائِجَاتٍ أَمُوجُهُ الظَّلَمَاءُ
مَآخِرَاتٍ عُبَابُهُ سَفُنُ اللَّهِ وَرَمَاهَا أَلَى أَرَادَ الْهُوَاءُ
حَمَلْتُمْ إِلَى ضَلَالٍ بَعِيدٍ تَتَلَاشَى أَحْلَامُهُ الْحَقَاءُ
فَمَلِئْتُمْ مِنَ الْحَيَاةِ غُرُورًا زَيْنَتُهُ لَدَيْكُمْ الْخِيَلَاءُ
تَتَوَارُونَ فِي الزَّاهَةِ وَالصَّدِّ قِيَامًا يَسْتُرُ الْإِنَاءَ الطَّلَاءُ
وَتُقِيمُونَ لِلنِّفَاقِ صُرُوحًا شَيْدَتِهَا الْمَطَامِعُ الْجَوَفَاءُ
وَتُبِيحُونَ لِلخُمُورِ مَجَالًا مَا أُبِيحَتْ مِنْ أَجْلِ الصَّهْبَاءِ !
قَدْ تَنَاهَى فِيهِ الْفُجُورُ وَأُخْجَى وَالْفَوَانِي عَقُولُنَّ هَوَاءُ
وَسَلَبْتُمْ بِهِ عَقُولَ الْفَوَانِي مِنْهُ يَبْكِي وَيَسْتَفِيثُ الْحَيَاءُ
فَقَضَيْتُمْ عَلَى الْعَفَافِ وَجْهَ زَالَ مِنْهُ الْحَيَاءُ زَالَ الْمَاءُ
إِنَّمَا الطُّهْرُ لِلنُّفُوسِ جَمَالٌ فَإِذَا ضَاعَ زَالَ عَنْهَا الْبَهَاءُ
سَهْلَ الْمَالِ كُلِّ غَيٍّ لَدَيْكُمْ فَلَهَوْتُمْ بِهِ فَحُمَّ الْقَضَاءُ
إِنَّمَا الْمَالُ قُوَّةٌ فَتَنَّتْكُمْ فَضَحِكْتُمْ وَرَاحَ يَبْكِي الْوَفَاءُ
إِنَّهُ لِلنُّفُوسِ خَيْرٌ أُخْتِبَارٍ فَهُوَ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ أَوْ بَلَاءُ
حَكْمُهُ الْمَالِ أَنْ يُبَرَّ يَدِيمٌ وَتُوفَى حُقُوقُهَا الْأَقْرَبَاءُ
وَتُودَى لِلْوَالِدَيْنِ فُرُوضٌ وَاجِبَاتٌ بِهَا يَدُومُ الْوَلَاءُ
وَتَعْمُ الْخَيْرَاتُ كُلَّ فَقِيرٍ دَهْمَتُهُ بِشَرِّهَا النُّكْبَاءُ
إِنَّ الْمُحْسِنِينَ أَحْسَنَ ذِكْرِي يَشْهَدُ الدَّهْرُ أَنَّهُمْ رُحَمَاءُ
خُلِقَ الْمَالُ لِلْفَضِيلَةِ ذُخْرًا وَسَلَاحًا تَسْمُو بِهِ الْعُلِيَاءُ
فَأَسَأْتُمْ فِيهِ التَّصَرُّفَ حَتَّى

ذَهَبَ الْمَالُ حِينَ كُنْتُمْ سَكَارَى قَدْ رَفَعْتُمْ عَنِ الْحَيَاءِ قِنَاعًا
قَدْ رَفَعْتُمْ عَنِ الْحَيَاءِ قِنَاعًا أَيُّهَا الْجَاهِدُونَ فَضَلَ إِلَهٍ
أَيُّهَا الْجَاهِدُونَ فَضَلَ إِلَهٍ كَيْفَ يَعْصِي الضَّعِيفُ أَمْرَ قَوِيٍّ
كَيْفَ يَعْصِي الضَّعِيفُ أَمْرَ قَوِيٍّ كَمْ أَبَاحَتْ نَفُوسَكُمْ لَكُمْ الشَّ
كَمْ أَبَاحَتْ نَفُوسَكُمْ لَكُمْ الشَّ أَلَمْ تَحْذَرُوا عِنْدَ الْمُهَيِّمِينَ عَهْدًا
أَلَمْ تَحْذَرُوا عِنْدَ الْمُهَيِّمِينَ عَهْدًا أَمْ جَهَلْتُمْ بِأَنَّكُمْ مِنْ تُرَابٍ
أَمْ جَهَلْتُمْ بِأَنَّكُمْ مِنْ تُرَابٍ خَدَعَتْكُمْ بِسُخْرِيهَا أَمْ دَفَرٍ
خَدَعَتْكُمْ بِسُخْرِيهَا أَمْ دَفَرٍ وَأَسْمَاتُ عُقُولِكُمْ فَجُنِدَتْ
وَأَسْمَاتُ عُقُولِكُمْ فَجُنِدَتْ إِنَّ فِيهَا مِنْ الْقَوَاتِنِ طَيِّفًا
إِنَّ فِيهَا مِنْ الْقَوَاتِنِ طَيِّفًا فَهِيَ مَجْبُولَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْفَظُ
فَهِيَ مَجْبُولَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْفَظُ كُلُّ دَمْعٍ مِنْهَا يَسِيلُ عَلَيْهَا
كُلُّ دَمْعٍ مِنْهَا يَسِيلُ عَلَيْهَا دَائِمًا تَسْعَرِدُ مَا تَهَبُ الدِّ
دَائِمًا تَسْعَرِدُ مَا تَهَبُ الدِّ وَعَجِيبٌ أَمْ بَغِيرِ حَلِيلٍ
وَعَجِيبٌ أَمْ بَغِيرِ حَلِيلٍ وَلَدَتْهُمْ وَمَتَّعَتْهُمْ قَلِيلًا
وَلَدَتْهُمْ وَمَتَّعَتْهُمْ قَلِيلًا فَطَوَّوهُمْ فِي جَوْفِهَا وَأُطْمَأْنَنَتْ
فَطَوَّوهُمْ فِي جَوْفِهَا وَأُطْمَأْنَنَتْ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ بَاطِلٌ كُلُّ شَيْءٍ زَيْنَتُهُ بِكَيْدِهَا الْهَيْفَاءُ !
أَيُّهَا النَّاسُ بَاطِلٌ كُلُّ شَيْءٍ زَيْنَتُهُ بِكَيْدِهَا الْهَيْفَاءُ !
فَاجْلَالِ الَّذِي سَبَّأَكُمْ خِيَالٌ زَائِلٌ فَوْقَهُ يَحُومُ الْفَنَاءُ
فَاجْلَالِ الَّذِي سَبَّأَكُمْ خِيَالٌ زَائِلٌ فَوْقَهُ يَحُومُ الْفَنَاءُ
كُلُّ بَيْتٍ يَبْلَى عَلَى الدَّهْرِ مَاعَةٍ رَمَاهَا تَفَنَّنَ الْبِنَاءُ
كُلُّ بَيْتٍ يَبْلَى عَلَى الدَّهْرِ مَاعَةٍ رَمَاهَا تَفَنَّنَ الْبِنَاءُ
وَنَعِيمُ الدُّنْيَا الَّذِي نَالَ مِنْكُمْ مَا تَقْضَى حَتَّى تَلَاهُ الْعَنَاءُ
وَنَعِيمُ الدُّنْيَا الَّذِي نَالَ مِنْكُمْ مَا تَقْضَى حَتَّى تَلَاهُ الْعَنَاءُ
تَعَبُ النَّاصِحُونَ طَوْعًا وَكَرْهًا وَمَلَالًا أَعْيَى الطَّبِيبِ الدَّوَاءُ
تَعَبُ النَّاصِحُونَ طَوْعًا وَكَرْهًا وَمَلَالًا أَعْيَى الطَّبِيبِ الدَّوَاءُ

لو نظرتم إلى الحقيقة يوماً
خُلِقَ الناسُ للبقاء وَجَهْلُ
سِنَةٍ كُلِّهَا الحياة وَصَحْوُ
أَرْجَعِ السَّمْعِ للأصمِّ وصارت
وأعاد الضياءَ للعينِ حتى
ثم رَدَّ المسلوبَ من كلِّ جسمٍ
إنما عَيْشُكُمْ مَنَامٌ قصيرٌ
وكذا العمرُ والسنون خيالٌ
تترأى لكم طَوَّالاً ولكن
ينقضى العمرُ بين عُسْرٍ وَيُسْرٍ
كلُّ مَنْ أَطْلَقَ البَصِيرَةَ بَحْثًا
فاسألوا مَنْ قَضَى ثمانينَ عاماً
لستُ أدري كيف أنقضى وكأني
كنتُ بالأمسِ لاهياً بالتَّصَابِي
فَفَقَدَتِ الشَّبابَ حينَ دَعَانِي
إنما اللحظةُ التي أنا فيها

ما سهوْتُم حتى أذاهمُ البلاءُ
بعد هذى الحياةِ يَفْنَى البقاءُ
فَارَقَ المَيْنَ بَعْدَهُ الإغفاءُ
تُحْسِنُ النُّطْقَ أَلْسُنُ خرساءِ
أَبْصَرْتُ مِنْهُ أَعْيُنُ عَمِيَاءِ
عَذَّبَتْهُ الأمراضُ والأدواءُ
فيه تَشَقَّى وَتَسَعَّدُ الأحياءُ
تَتَهَادَى كما يَمُرُّ الهواءُ
لو عَقَلْتُمْ لَزَالَ هذا انقفاءُ
حُلُوهُ المُرُّ والهناءُ الشَّقَاءُ!
يَتَسَاوَى سُرُورُهُ والبُكَاءُ
كيف مرَّت وكيف زال الرُّؤْءَاءُ؟
في مَنَامٍ أحلامُهُ فَرْعَاءُ
لا أبالى بها أحاط الشَّقَاءُ
شَيْبُ رَأْسِي واللَّحْيَةُ البيضاءُ
هي عَيْشِي وليَكْفِنِي ذَا العَزَاءِ

* * *

ما الحياةُ الدنيا سِوَى دَارٍ لَهْوٍ
أو كسوفٍ قد هُدِّدَتْ بانْفِضَاضٍ
رابحاتُ قُوَى القَطَانَةِ فيها
يُنْقَلُ الناسُ من حياةٍ لِأُخْرَى
تلك دارٌ تدومُ فيها حياةٌ

تَتَقَفَّى متى تَوَارَى الضِّيَاءُ
سوف يَنْفَضُ بَيْعُهَا وَالشُّرَاءُ
خاسراتٌ من جَهْلِهَا الأغبياءُ
قَدَّرَ أَعْمَالُهُمْ يَكُونُ الجَزَاءُ
حيثُ في هذه البِلَى والتَّوَّاءُ

خُلِقَ اللُّوثُ بَيْنَ دَارٍ وَدَارٍ
فَهُوَ بَابٌ يَحْتَازُهُ كُلُّ حَيٍّ
أَيُّهَا النَّاسُ إِن هَذِي لَذِكْرِي
أَتُرِيدُونَ بَعْدَ هَذَا بَلَاغًا
أَيُّنَ مَنْ عَمَرُوا وَشَادُوا وَسَادُوا
أَيُّنَ مَنْ زَيَّنُوا العُرُوشَ جَمَالًا
أَيُّنَ مَنْ عَزَّ مُلْكُهُمْ وَتَسَاى
أَيُّنَ مَنْ كَالَفُوا المَصَاعِبَ حَتَّى
أَيُّنَ مَنْ دَمَرُوا الخُصُونَ بِبَاسٍ
أَيُّنَ مَنْ سَاقَبُوا الرِّيحَ بِخَيْلٍ
أَيُّنَ مَنْ جَالَدُوا الزَّمَانَ بِصَبْرِ
أَيُّنَ مَنْ شَيَّدُوا المِيَاكِلَ حُبًّا
أَيُّنَ مَنْ هَدَمُوا المَعَابِدَ ظُلْمًا
أَيُّنَ مَنْ خَرَبُوا المَدَائِنَ جَبًّا
أَيُّنَ مَنْ جَاهَدُوا وَمَاتُوا كِرَامًا
أَيُّنَ مَنْ كَانَ هُمُّهُمْ جَمْعُ مَالٍ
أَيُّنَ مَنْ أَصْلَحُوا فَأَحْيَوْا نَفُوسًا
أَيُّنَ مَنْ أَوْقَفُوا الحَيَاةَ لِنُصْحٍ
أَيُّنَ مَنْ حَارَبُوا النَفُوسَ بِزُهْدٍ
أَيُّنَ مَنْ أَرْسَلُوا لِجَمْعِ شُعُوبٍ
لَمْ يَضِرَّهُمْ مَرُّ الأَذَى وَبِصَبْرِ
رَفَعَ اللهُ ثُمَّ إِدْرِيسَ حَيًّا

مُجْتَمَعَةً بَعْدَهَا يَكُونُ الثَّوَاءُ
وَهُوَ كَأْسٌ فِيهِ البرَايَا سَوَاءُ
وَعِظَاتٌ جَاءَتْ بِهَا الأنبياءُ
فَصَلَّتْهُ الشَّرَائِعُ السَّمَحَاءُ
أَيُّنَ عُمَرَانُهُمْ وَأَيُّنَ البِنَاءُ
أَيُّنَ تَبِيجَانُهُمْ وَأَيُّنَ البِهَاءُ
أَيُّنَ سُلْطَانُهُمْ وَأَيُّنَ العَلَاءُ
ذَلَّلُوهَا وَأَيُّنَ ذَاكَ الدَّهَاءُ
مِنْ حَدِيدٍ وَأَيُّنَ تِلْكَ الدِّمَاءُ
صَافِنَاتٍ تَهَابُهَا الهَيْجَاءُ
أَيُّنَ مَنْ صَاوَلَتْهُمْ النَّكْبَاءُ
وَأَحْتَرَامًا لَهَا فَعَزَّ البِنَاءُ
وَعُتُوا وَأَيُّنَ مَنْ قَدَّ أَسَاءُوا
رَيْنَ بَلْ أَيْنَ تِلْكَمُ الأَشْلَاءُ
أَيُّنَ إِقْدَامُهُمْ وَأَيُّنَ المَضَاءُ
أَيُّنَ أُمُوالُهُمْ وَأَيُّنَ الثَّرَاءُ
أَوْشَكَتْ تَسْتِمِيلُهَا الأَهْوَاءُ
أَيُّنَ إِيْمَانُهُمْ وَأَيُّنَ النَّدَاءُ
أَيُّنَ تَقَوُّهُمْ وَأَيُّنَ الوَفَاءُ
مَرْقَتَهَا الأَدْيَانُ وَالتَّخْلُطَاءُ
وَاصْلُوا الهُدَى ، نِعْمَتِ الأنبياءِ !
حَيْثُ أُنْخَتَ مَكَانُهُ الْعُلَيَاءُ (١)

(١) ثم : بفتح التاء بمعنى هناك

نوح

أَيْنَ شَيْخُ الطُّوفَانِ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ صَنَعَ الْفُلْكَ حِينَ حَلَّ الْبَلَاءُ
أَنْقَذْتَهُ وَأَهْلَهُ وَهِيَ تَجْرِي بَيْنَ مَوْجٍ جَالَهُ الدُّمَاءُ
بَرَكَاتُ الْإِلَهِ يَا نُوحَ حَلَّتْ قُضِيَ الْأَمْرُ أَقْلَعِي يَا سَمَاءُ
هَذَا الرُّوْعُ بَعْدَ أَنْ قِيلَ بَعْدًا وَنَجَا الرُّكْبُ حِينَ غِيضَ الْمَاءُ
أَيْنَ هُودٌ وَقَدْ دَعَا قَوْمَ عَادٍ فَعَصَوْهُ فَحَلَّ فِيهِمْ وَبَاءُ
وَتُمُودُ الَّذِينَ قَدْ أَخَذَتْهُمْ صِيْحَةُ الْقَهْرِ وَفُقَ مَا قَدْ أَسَاءُوا
نَاقَةُ اللَّهِ أَنْكَرُوهَا وَظُلُمًا عَقَرُوهَا فَحَقَّتْ النَّكَبَاءُ

إبراهيم

أَيْنَ مَنْ حَطَّمَ أَهْلِيَا كُلَّ حَتَّى فَارَقَتْهَا أَصْنَامُهَا الصَّمَاءُ
أَوْقَدُوا النَّارَ فَاسْتَحَالَتْ هَبَاءً وَمَحَلَّ تَذُوقُهَا الْأَنْبِيَاءُ
إِنَّمَا النَّارُ لِلْعَصَاةِ عَذَابٌ وَهِيَ لِلْمُشْرِكِينَ بَيْتُ الْجَزَاءِ
نَارُ كُونِي عَلَى خَلِيلِي بَرْدًا وَسَلَامًا وَفِي السَّلَامِ الْوِقَاءُ
وَأَرَادُوا كَيْدًا فَزَادُوا خَسَارًا حَيْثُ شَاءَ الْقَدِيرُ بِالْخُزْيِ بَاءُوا

* * *

يَا أَبَا الْخُلُقِ وَالرَّسَالَةِ وَحَيٍّ وَيَقِينٍ وَمِلَّةٍ وَأَبْتِلَاءِ
أَنْتَ خَلَقْتَ نَمَّ آِلِهَةِ الْقَوِّ مِ جُذَاذًا وَهُمْ لَدَيْكَ سَوَاءُ
بَعْدَ أَنْ سِيلَ كُلُّهُمْ هَلْ يُرْجَوُ نَ طَعَامًا وَهَلْ يُجِيبُ الْفَضَاءُ
وَرَمَيْتَ الْكَبِيرَ مِنْهُمْ بِجُرْمٍ هُوَ فِينَا الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ
ثُمَّ أَوْفَقْتَهُمْ لَدَيْهِ حِيَارَى يَتَمَارُونَ، حِينَ ضَلَّ الْمِرَاءُ
يَوْمَ لَمْ تَحْشَ غَيْرَ رَبِّكَ قَهًا رَا وَلَمْ يَنْتَقِصْكَ طِينٌ وَمَاءُ

بل تَقَدَّمَتْ وَالنَّوَاطِرُ حَسَرَى . وَرَفَعَتْ التَّوْحِيدَ وَهُوَ اللَّوَاهُ
 ثُمَّ لَمْ تَعْتَصِمِ بِأَجْنَجَةِ الرُّوحِ وَلِلظَّيْرِ فِي الْجَحِيمِ أَنْطَوَاهُ
 فَتَأَيَّيْتُ عَنْ سِوَى اللَّهِ غَوْنًا يَا رَسُولًا يَرَادَ مِنْهُ شِوَاءُ
 وَبِهَا كُنْتُ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ وَاللَّهُ فِي يَدَيْهِ الْعِطَاءُ
 وَاهْبُ الشَّيْخَ بَعْدَ ضَعْفٍ وَبَأْسٍ فَلَذَاتٍ نَعِمَتِ الْأَنْبَاءُ
 ثُمَّ لَمَّا أُرِيتَ مِنْهُمْ ذَبِيحًا قُتِمَ لَكَ ثُمَّ سِيقَ الْفِدَاءُ

يعقوب

أَيْنَ مَنْ وَاصَلَ الْبُكَاءَ حَزِينًا فَتَوَارَى عَنْ مُقْلَتَيْهِ الصَّيَّاهُ
 يَوْمَ جَاءَهُ بِالْقَمِيصِ عِشَاءُ وَعَلَيْهِ لِلْإِفْكِ تَجْرَى دِمَاءُ
 وَأَدْعُوا كَاذِبِينَ أَنْ أَخَاهُمْ خَانَهُ الذَّنْبُ وَأَعْتَزَاهُمْ بُكَاءُ
 قَالَ بَلِ سَوَّلَتْ نَفُوسُكُمْ الْكَيْدَ دَفَصِيرٌ وَرَحْمَةٌ وَرَجَاءُ
 كَظَمَ الْغَيْظَ بِالتَّصَبُّرِ دَهْرًا وَإِلَى اللَّهِ حَقٌّ مِنْهُ التَّجَاءُ
 وَدَعَا اللَّهَ وَالْهَامَا مُسْتَعِينًا خَاشِعًا قَانِتًا فُحْلَ الرِّضَاءِ
 يَا أَبَا الْغَائِبِ الْعَزِيزِ سَلَامٌ بَعْدَ طُولِ الْفِرَاقِ أَنْ الْلِقَاءِ
 حِينَ رَدُّوا قَمِيصَ يَوْسُفَ فَارَةً دَفَصِيرًا وَزَالَ عَنْهُ الْعَنَاءُ

يوسف

وَأَبْنُ يَعْقُوبَ إِذْ أَرَأَى الشَّمْسَ وَالْبَدْنَ رَمَنَامًا وَلِلزُّوَى فَيَاهُ
 وَبِمَرَّاهَا رَأَى أَحَدَ الْعَشْرِ رَوَجَّاهُ كَوَكَبَ لَأَلَاءِ^(١)
 سَجْدًا كُلُّهُمْ لَهُ وَهُوَ عَبْدٌ ذُحِّتَ عَنْهُ سَخْلَةٌ عَجْفَاءُ
 وَتَجَلَّتْ كَانِهَا فَلَقِيَ الصَّبَّ يَحِ لِسِبْطِ الذَّبِيحِ فِيهَا رَجَاءُ^(٢)

(١) قوله أحد العشر خطأ .

(٢) سبط الذبيح : يراد به يوسف بن يعقوب بن إسحق ، وفي رواية ينسب الذبح إلى إسحق والأصح أنه لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وَنَهَاةٌ عَنِ الْإِبَاحَةِ بِالسَّرِّ
هَكَذَا يَجْتَنِبُكَ رَبُّكَ بِالتَّائِبِ
وَرَأَوْهُ أَحَبَّ مِنْهُمْ إِلَيْهِ
وَرَأَوْا قَتْلَهُ فَقَالَ أَخُوهُ
قَالَ أَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ هَذَا الْجُ
وَإِذَا بَيْعَ مَرَّتَيْنِ نَبِيِّ
كُلُّ ضَرَاءٍ تَرْجُفُ النَّفْسُ مِنْهَا
يَا صَبِيًّا رَأَى الْكُوكِبَ فِي النَّوَى
حَكَمَهُ اللَّهُ فِي الْقَضَاءِ فَأَكْرَمَ
إِنْ زَوْجَ الْعَزِيزِ أَوْسَعُ عُذْرًا
إِذْ رَأَتْ مَشْهَدَ النُّبُوَّةِ نُورًا
وَعَزِيزٌ عَلَى الْقُلُوبِ التَّجَنُّي
غَيْرَ أَنْ الْحَيَاءُ أَدْنَى إِلَى الْإِفْ
حِينَ هَامَتْ وَحِينَ هَمَّتْ رَأَيْنَا
نَفْسَهَا سَوَّلَتْ وَأَسْبَاطُنَا أَدْ
وَكُنِيَ نِسْوَةَ الْمَدِينَةِ عُذْرًا

* * *

حَسَمُوا فِتْنَةَ الْجَمَالِ بِسَجْنِ
بَيْعِ بَيْعِ الرِّقِيقِ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَا
وَبَرُؤْيَا النَّدِيمِ صَادَفَ عَهْدًا
قَالَ مَا تَعْبُدُونَ إِلَّا خَيْالًا
وَبَرُؤْيَا الْعَزِيزِ حَطَّمْ أَصْفَا
ضَمَّ مَنْ كُلُّ أَهْلِهِ أَنْبِيَاءُ
وَالِ السَّجْنِ سَيْقَ وَهُوَ بَرَاءُ
بَدَأَ الْوَعْظُ فِيهِ وَالْإِلْقَاءُ
قَلَدَتْهُ وَشَاحَهَا الْأَسْمَاءُ
دَ الْبَلَايَا فَرَزَاتِ اللَّأْوَاءُ

وَدَعَوْهُ وَلِلْبَرَىٰ احْتِكَامٌ واحتجاجٌ وهكذا البراءة
 قال ما بالهنَّ قطعن أيديهنَّ من قبل أيها الوزراء ؟
 قالت الآن حصحص الحقُّ إني أنا راودته وقدَّ الرداء
 ليس لي أن أخونَ بالغيِّبِ عهدًا ثورة النفس في ابنِ آدمَ داء
 هي نفسي وما أبرئ نفسي إنما النفسُ لومها إغراء
 فتلقوه طاهر اليدِ والذِّبِ لي ولاحت بأفقه الجوزاء
 وأحلته عند ذى العرش حقًّا مقعد الصِّدِّيقِ نفسه العصماء
 واجتبه لنفسه وخليقٌ ابن يعقوبَ عندها الاجتباء
 هكذا يَصْهَرُ النَّضَارُ لِيَصْفُو والبلايا يَتِمُّ فيها الصِّفَاء

أيوب

أَيْنَ مَنْ قَامَ الْبَلَاءُ بِصَبْرٍ وثباتٍ ولم يفذه الدَّواء
 مسَّهُ الضُّرُّ وانبرى الدَّاءُ يَفْرَى جسم طَوْدٍ فانهارَ هذا البناء
 صَبْرُهُ يَدِ التَّحُولِ خِيَالًا وتعدَّى على الصُّبُورِ البَلَاء
 إِيَّهَ أَيُّوبَ قَدْ بَرَّكَتْ سِقَامٌ كاد يدعوكَ لو جَزَعْتَ الثَّوَاء
 كَلَّمَا ازْدَادَ كَرْهُهُ زَادَ صَبْرًا هَزَمَ الدَّاءُ حَمْدُهُ والثَّناء
 كَشَفَ اللَّهُ ضَرْهَ حِينَ عَادَتْ لرميمِ العظام تجرَى الدِّمَاء

شعيب

أَيْنَ مَنْ قَالَ أَهْلَ مَدِينٍ أَوْفُوا واتَّقُوا اللهَ مَنْ لَهُ مَا يَشَاء
 فَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا ضَعِيفٌ أنتَ فينا وهمُّ همُّ الضُّعْفَاء
 وَأَصْرُوا عَلَى الْعِنَادِ عُتُوءًا ونُفُورًا ولم يُفِدْهُمْ دَوَاء
 وَأَهَانُوا شُعَيْبَ بِنْتِ نَفُوسٍ قَادَهَا الْكُفْرُ وَالْعَمَى وَالرِّيَاء
 فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ لَمَّا تَعَالَوْا كِبْرِيَاءَ وَحَلَّ فِيهِمْ شِقَاء

موسى

أَيْنَ موسى مَنْ جَاءَ فِرْعَوْنَ طِفْلاً
 أودِعَ اليمَّ خَوْفَ بَطْشِ عَدُوٍّ
 أَكْرَمُوهُ إِذْ قِيلَ قُرَّةُ عَيْنٍ
 إن فِرْعَوْنَ قد طَغَى وَتَعَالَى
 آلُ فِرْعَوْنَ عَذَّبُوا قَوْمَ موسى
 ودَعَوْا رَبَّهُمْ فَأَرْسَلَ سَيْفًا
 عَزَّ قَدْرًا فِي قِصْرِ فِرْعَوْنَ حَتَّى
 نَمَّ لَمَّا آتَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا
 بَاتَ فِي مِصْرَ لِلْمَلِكِ ظَهِيرًا
 وَأَتَى الْقَوْمَ يَرْقُبُ الْأَمْنَ فِيهِمْ
 فَدَعَا رَبَّهُ فَأَوْلَاهُ عَفْوَاً
 جَاءَهُ مُؤْمِنُ الْمَدِينَةِ يَسْعَى
 فَرَّ يَدُو تِلْقَاءَ مَدِينٍ خَوْفًا
 وَعَلَى مَائِهِ تَزَاوَمَ قَوْمٌ
 مَا لَيْسَتْ شُعَيْبَ عَنْهُ تَذُودًا
 فِي مِصْرَ كَغَزَمَةِ اللَّيْثِ وَفَى
 ودَعَاهُ شُعَيْبُ يَجْزِيهِ أَجْرًا
 فَالْتَقَى عِنْدَهَا نَبِيَّانِ شَيْخٌ
 هَذِهِ (صَفْوَةُ) الْعَزِيزَةُ فَاهْنَأُ
 بَعْدَ عَشْرِ سَمَى فَأَنَسَ نَارًا
 إِخْلَعَ النَّعْلَ وَأَسْتَمِعَ مَا يُوحَى
 تَرَقَّبُ النَّجْمَ عَيْنُهُ النَّجْلَاءُ؟
 وَتَوَلَّى مَهْدَ الْكَلِيمِ الْمَاءُ
 تَمَّ حَقًّا مَا قَدَّرَتْهُ السَّمَاءُ
 بِئْسَ عَهْدٌ أُبِيحَ فِيهِ الدَّمَاءُ
 فَاسْتَجَارَتْ رِجَالُهُمُ وَالنِّسَاءُ
 كَانَ حِصْنًا عَزَّتْ بِهِ الْأَبْرِيَاءُ
 إِذْ بَدَأَ الرُّشْدُ دَبَّتْ الْبَغْضَاءُ
 وَأُسْتَوَى حِينَ فَاضَتْ الْأَلَاءُ
 وَتَوَارَتْ أُمَامُهُ الْأَقْوِيَاءُ
 فَالْتَقَتْهُ الْجَنَايَةُ النَّكَرَاءُ
 نِعْمَةٌ مِنْهُ وَأُسْتُجِيبَ الدَّعَاءُ
 حَذَرَ الْمَوْتِ هَكَذَا النُّصَحَاءُ
 خَشْيَةُ الْعَذْرِ يَوْمَ تَمَّ الْعَدَاءُ
 وَعَنِ الْوَرْدِ أَبْعَدَ الضُّعْفَاءُ
 نِ انْكَسَارًا إِذْ هَزَّ موسى الْوَفَاءُ
 وَسَقَى وَأَتَقَى وَحُقَّ الثَّنَاءُ
 وَهُوَ مِنْ مَوْقِفِ الْأَجِيرِ بَرَاءُ
 وَفَتَى فَنِعْمَ هَذَا الْقَلَاءُ
 زَانِهَا الطُّهْرُ وَالْوَفَا وَالْحِيَاءُ
 مَا رَأَاهَا حَتَّى تَعَالَى النَّدَاءُ
 وَتَجَلَّدَ لَا تَضْطَرِبُ بِهَا هَوَاءُ

جَانِبَ الطُّورِ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
قَالَ أَلْقِ الْعَصَا فَادْبَرَ خَوْفًا
وَتَبَدَّتْ بِيضَاءُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ
آلَ فِرْعَوْنَ قَدْ أَتَاكُمْ رَسُولٌ
قَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ
حِينَ أَلْقَى عَصَاهُ خَرُّوا جَمِيعًا
شَهِدَ الْكُلُّ أَنَّ مُوسَى رَسُولٌ
فَتَمَادَى وَجُنْدُهُ فِي ضَلَالٍ
أَدْرَكَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكُوهُ
وَأَقْتَفَاهُ عَوْفَرُنُ وَالْجُنْدُ سَعِيًّا
وَأُجْتَبَاهُ وَفَاضَتِ النَّعْمَاءُ
قِيلَ خُذْهَا تَجِدُ بِهَا مَا تَشَاءُ
يَدُ مُوسَى وَأَيَّدَتْهُ السَّمَاءُ
فَاطِيعُوهُ أَوْ يَحْيِقَ الْبَلَاءُ
ثُمَّ طَارَتْ بِالسَّاحِرِ الْأَنْبَاءُ
سُجَّدًا وَاعْتَلَتْ مُخَاهَا ذُكَاءُ
وَتَوَلَّتْ فِرْعَوْنُهُمْ كِبَرِيَاءُ
وَعَوَّثُهُمْ بِطَيْشِهَا الْخِيَلَاءُ
وَهَوَى بِالْعَصَا فَشَقَّ الْمَاءُ
كَانَ قَبْرًا لَهُمْ وَتَمَّ الْجَزَاءُ

قارون

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى
أَيَّنَ مَا حَازَ مِنْ كُنُوزٍ وَمَالٍ
كُلُّ مَنْ يَفْتَرِي يَنَالُ جَزَاءً
دَبَّرَتْ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ كَيْدًا
وَأَعْتَدَى ظَالِمًا غَوِيًّا كَذُوبًا
فَرَمَاهُ الْقَضَاءُ مِنْهُ بِخَسْفٍ
غَرَّهُ الْجَنَاءُ وَالْمَنَى وَالْتِزَاءُ!
خَبَّأَتْهَا فِي جَوْفِهَا الْجَرْدَاءُ؟
وَنَجَّ قَارُونَ هَدَاهُ الْأَفْتِرَاءُ
وَعَلَى الْحَقِّ لَا يَفُوزُ الْمِرَاءُ
وَأُسْتَفْزَتْ عَتُوُّهُ كِبَرِيَاءُ
عِزَّةٌ لِلَّذِينَ عَانُوا وَرَأَوْا^(١)

طالوت وجالوت

أَيَّنَ جَالُوتُ مَنْ تَعَاظَمَ بَأْسًا
أَوْقَدَ النَّارَ ثُمَّ شَادَ حُصُونًا
أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا الْهَيْجَاءُ
لَجِيوشٍ ضَاقَتْ بِهَا الْبَيْدَاءُ

(١) الصحيح : وراوا وفتح الهزرة وضما للضرورة .

ما تَمَادَى جَالوتُ فِي الظُّلْمِ حَتَّى
 كَانَ طَالوتُ قَدْ تَمَلَّكَ فِيهِمْ
 قَادُهُمْ مُرْعَمِينَ نَحْوَ الضَّوَارِي
 أَظْلَمَ الْجَوُّ حِينَ مَاجَتْ جِيوشُ
 صَالَ جَالوتُ حِينَ آنَسَ ضَعْفًا
 أَذْهَلَ الْخَوْفُ جَيْشَ أَبْنَاءِ إِسْرَا
 صَاحَ طَالوتُ بَيْنَهُمْ لَا تَخَافُوا
 وَأَنْتَبَرَى كَالْحُسَامِ يَطْلُبُ خَصْمًا
 رَحْمَةُ اللَّهِ أُرْسِلَتْ خَلْفَ طَالُو
 كَانَ هَذَا دَاوُدُ سَابِعَ رَهْطٍ
 رَفَعَ النُّصْرَ حِينَ صَالَ لِيَوَاءِ
 لَمْ يَرَوْعَهُ بَأْسُ خَصْمٍ عَنِيدٍ
 فَتَمَشَّى كَاللَّيْثِ يَطْلُبُ قُوْتًا
 وَرَمَاهُ فَخَرَّ يَهُوَى صَرِيحًا
 سَبَّحَ اللَّهُ وَهُوَ يَرَى حَصَاهُ
 نَزَلَ الْهَوْلُ وَاقْتَفَتْهُمْ جُنُودُ
 تَمَّ نَصْرُ الضَّعِيفِ حِينَ تَجَلَّتْ
 أَمْرَ اللَّهِ قَوْمَ مُوسَى فُجَاءُوا
 وَهُوَ بَذَنُ كُلُّهُمْ ضَعْفًا^(١)
 جَيْشُ جَالوتَ صَخْرَةٌ صَمَاءُ
 وَبَدَأَ الرَّعْبُ وَأَذْلَهُمُ الْبَلَاءُ
 وَتَمَشَّتْ فِي جَيْشِهِ الْكِبَرِيَاءُ
 ثِيْلٌ أَوْ كَادَ فِيهِ يَخْفَى الْمَهْوَاءُ
 كَمْ ضَعِيفٍ دَانَتْ لَهُ الْأَقْوِيَاءُ
 لَا يُبَارِيهِ فِي الْوَفَى قُرْنَاءُ
 تَ غَلَامًا قَدْ عَزَزَتْهُ السَّمَاءُ
 أَيْنَا حَلَّ زَالَتِ النَّكْبَاءُ
 وَكَسَاهُ ثَوْبَ الْجَلَالِ الضِّيَاءُ
 وَجِيَادُ مَاجَتْ بِهَا الصَّخْرَاءُ
 ثُمَّ نَادَى جَالوتَ آتِ الْفَنَاءُ
 وَتَرَامَى عَلَى الْعَدُوِّ الْقَضَاءُ
 جَاوَبَتْهُ الْقِفَارُ وَالْأَرْجَاءُ
 لَمْ يَرَوْهَا وَسَالَتِ الرُّحُضَاءُ^(٢)
 قُوَّةُ اللَّهِ وَاسْتِقَامَ الْبِنَاءُ

داود

أَيَّنَ دَاوُدَ مِنْ أَنْابِ بَقْلٍ
 وَأَقَامَ الصَّلَاةَ خَمْسِينَ عَامًا
 حَوْلَهُ أَوَّبَتْ جَمِيعُ الرِّوَاسِي
 خَشْيَةَ اللَّهِ حَلَّ فِيهِ الْحَيَاءُ
 لَمْ يَشُبْ حُسْنٌ صِدْقَهَا إِعْيَاءُ
 ثُمَّ حَنَّتْ لَصَوْتِهِ الشَّمَخَاءُ

(١) بدن : عظم البدن ، وفي القرآن : « وزاده بسطة في العلم والجسم »

(٢) الرحضاء : العرق

وكذا الطيرُ جاوبتهُ بِشِدْوٍ رَجَعَتْ حُسْنُ شَدْوِهَا الْأَرْجَاءُ
وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ هِيَ الدَّرُوعُ رِداءُ^(١)

سليمان

أَيَّنَ مِنْ سُخَّرَتْ لَهُ الْجِنُّ وَالْإِنُّ سِ وَغَنَّتْ بِمُلْكِهِ الْجُوزَاءُ
يَأْمُرُ الرِّيحَ حَيْثُمَا شَاءَ تَجْرِي مَلِكٌ صَدْرُ تَاجِهِ الزَّهْرَاءُ
زاده اللهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ عِلْمًا وَتَبَاهَتْ بِمُلْكِهِ الشَّعْرَاءُ^(٢)
وَرِثَ الْمُلُوكَ عَنْ أَبِيهِ وَمُلْكُ شَادِهَ الْحَدُّ طَابَ فِيهِ الثَّنَاءُ
يَا ابْنَ دَاوُدَ قَدْ ظَفِرْتَ بِحُكْمٍ كَمْ تَمَنَّتْ مَنَالَهُ الْأَكْفَاءُ
كُنْتَ فِي الْأَرْضِ خَيْرَ مَنْ حَازَ مُلْكًا يَا سَلِيمَانَ تَمَّ فِيهِ الْعَطَاءُ

يونس

أَيَّنَ ذُو الثُّونِ إِذْ تَوَلَّاهُ كَرْبٌ فَاْمَتَّطَى الْفُلُكَ حِينَ طَابَ الْهَوَاءُ
وَقَفَ الْفُلُكُ بَغْتَةً حِينَ قَالُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ سَاهُمُوا أَوْ تَسَاوُوا^(٣)
قَدَّرَ اللهُ أَنْ يُونُسَ يُجْزَى لاختبارٍ وَأَنْ هَذَا الْجَزَاءُ
فَرَمَوْهُ فِي الْيَمِّ وَالْحَوْتُ يَجْرِي سَاقَهُ الْوَحْيُ رَحْمَةً وَالنَّدَاءُ
ظَلَّ فِي بَطْنِهِ يُسَبِّحُ حَتَّى أَمَرَ اللهُ أَنْ يَرْزُولَ الْعَنَاءُ
فَرَجَّ اللهُ كَرْبَ يُونُسَ عَدْلًا وَبِهَذَا تَمَّ الرِّضَا وَالصَّفَاءُ

زكريا

أَيَّنَ مَنْ قَالَ لَا تَذَرْنِي فَرَدًا وَهَنَ الْعَظْمُ وَأَضْمَحَلَ الْبِنَاءُ
يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ هَبْ لِي وَلِيًّا يَرِثُ النُّورَ كِي يَدُومَ الضِّيَاءُ

(١) لاوجه لرفع كلمة رداء ، وكان يصيب لو قال : (هي الدروع الرداء)

(٢) زاد : زود

(٣) قوله تساءوا خطأ ، صوابه تساهون ، أي يقع عليكم سوء .

هَدَى الرُّوعَ وَأَبْتَهَجَ زَكْرِيَّا يَا كَفِيلَ الْعِذْرَاءِ آنَ الْوَفَاءِ
رَحِمَهُ اللَّهُ أَكْرَمَتَكَ بِيَحْيَى نَالَ حُكْمًا مَا نَالَهُ أُنْبَاءُ

عيسى

ظَلَّ حَيًّا مَنْ كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَمَى دِ وَطِفْلًا وَعَظَمَتُهُ السَّمَاءِ
خَيْرُ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَطْهَرِ أُمٍّ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهَا عِذْرَاءُ
جَاءَهَا الْوَحْيُ فَاسْتَعَاذَتْ بِرَبِّهَا نَاسٍ مِنْهُ وَدَبَّ فِيهَا الْحَيَاءُ
قَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّكَ حَقًّا فَأَحْلِي النُّورَ نِعْمَ هَذَا الْعَطَاءُ
فَتَوَارَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا وَأَضَاءَتْ مِحْرَابَهَا الزَّهْرَاءُ
وَأَنَاهَا الْمَخَاضُ إِذْ تَتَنَاجَى لَيْتَنِي مِتُّ أَوْ دَعَانِي الثَّوَاءُ
وَضَعَتْهُ وَالْجَذْعُ يَحْنُو عَلَيْهَا وَاسْتَنَارَتْ بَوَضْعِهَا الْأَرْجَاءُ
إِلَيْهِ أُمِّي لَا تَحْزَنِي وَأَحْلِيْنِي سَوْفَ يَبْدُو لِلْقَوْمِ هَذَا الضُّيَاءُ
فَأَتَتْ قَوْمَهَا بِهِ وَهِيَ خَجَلِي فَرَمَوْهَا بِأَنْ هَذَا بَغَاءُ
أُخْتُ هَارُونَ كَيْفَ تَرْضَيْنَ هَذَا آلُ عِمْرَانَ كُلُّهُمْ أَتَقِيَاءُ
إِنْ هَذَا بَيْتُ الْعَفَافِ قَدِيمًا كُنْتُ نَذْرًا فَكَيْفَ ضَاعَ الْوَفَاءُ
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ فَاهْتَزَّ عَيْسَى وَتَجَلَّى عَلَى الْمَسِيحِ الْإِبَاءُ
بُوعِثَ الْقَوْمُ إِذْ تَكَلَّمَ فِي الْمَمَى دِ صَبِيًّا وَخَيَّمَ الْإِصْفَاءُ
قَالَ إِنِّي عَبْدُ رَبِّ الْبَرَاءِ أُرْسَلْتَنِي بِالْبَيِّنَاتِ السَّمَاءِ
حَمَلْتَنِي أُمِّي كَمَا شَاءَ رَبِّي فَهِيَ أُمٌّ مَا شَابَهَتْهَا نِسَاءُ
أَحْسَنَ اللَّهُ نَبْتَهَا وَأَحْبَبَهَا وَحَبَّاهَا الرِّضَا فَنِعْمَ الْعَطَاءُ
وَأَضْلَقَهَا عَلَى النِّسَاءِ جَمِيعًا آيَةُ الطُّهْرِ دُرَّةُ عَضْمَاءِ
أَمَّنَ الْكُلُّ بِابْنِ مَرْيَمَ حَقًّا أَمْطَرْتَهُمْ فِي عَهْدِهِ الْآلَاءُ
كَانَ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ وَجِبْهًا فَتَفَانَتْ فِي حُبِّهِ الْأَوْفِيَاءُ

منه جاءت بالخارقَات عِظَاتُ
طَالَمَا أَبْرَأَ الْمَسِيحُ وَأَحْيَا
سَأَلُوهُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا طَعَامًا
قَالَ عِيسَى : اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا
فَرَحَ الْقَوْمِ حِينَ قَالَ بَشِيرٌ
وَتَوَالِي نَزْوِهَا فِي أَوَانٍ
ظَلَّ يَدْعُو عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فِيهِمْ
بِئْسَ قَوْمٌ كَلُّوا لِعِيسَى عَدَاءً
دَبَّرُوا لِلْمَسِيحِ كَيْدًا وَدَوْمًا
رَفَعَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْهُ عِيسَى

حَدَّثَنَا عَنْ صِدْقِهَا الْأَنْبَاءِ
حَكَمَهُ اللَّهُ نَاهَا مَنْ يَشَاءُ
عَلِمَ اللَّهُ مَا أَصْرُوا وَشَاءُوا
مَا أَرَادُوا حَتَّى يَسِمَ الْوَفَاءُ
إِيَّاهِ يَأْقُومُ قَدْ أُحْبِبَ الدَّعَاءُ
كَانَ عِيدًا لَهُمْ وَزَالَ الْمِرَاءُ
لِلْهُدَى نَاصِحًا فَسَادَ الْوَلَاءُ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ سَقَاهُ
يُحِبُّ اللَّهُ كَيْدَ مَنْ قَدْ أَسَاءُوا
أَكْبَرِي الضَّيْفَ رَحِّي يَا سَمَاءُ

محمد صلى الله عليه وسلم

من كُنُوزِ الْبَاقِينَ بَدْرُ قُرَيْشٍ
خَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ مَنْ بَشَّرْتَنَا
أَرْسَلْتَهُ لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
وَرُؤْيَا أَسْرَى بِهِ الْحَقُّ لَيْلًا
وَبِفَضْلِ الْإِلَهِ أَحْرَزَ مَجْدًا
وَتَدَانَتْ لَهُ الصَّعَابُ وَأَنْجَحَى
وَأَنَارَ الْقُلُوبَ بِالْهُدَى حَتَّى
وَأَقَامَ الدِّينَ الْحَنِيفَ بِسَيْفٍ
وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ رَغْمَ أَنْوَفٍ
رَدَّ كَيْدَ الْعَدُوِّ شَرْقًا وَغَرْبًا
عَزَزْتَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ جُنُودُ

(أَحْمَدُ) الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الثَّنَاءُ
قَبْلَ مِيلَادِهِ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَأَصْطَفَاهُ الْعَلَاءُ
فَأَعَزَّتْ مِنْ شَأْنِهِ الْإِسْرَاءُ
لَمْ تَحْزُ بَعْضَ قَدْرِهِ الْأَكْفَاءُ
يَتَسَامَى إِلَى السَّمَاءِ الْبِنَاءُ
عَمَّ نَوْرُ الْهُدَى وَسَادَ الضِّيَاءُ
كُتِبَ النَّصْرُ فَوْقَهُ وَالْمُضِيَاءُ
خِيَمَ الْكُفْرُ حَوْلَهَا وَالْعَدَاءُ
بِجْيُوشِ رَجَالِهَا أَوْفِيَاءُ
لَا يُبَالُونَ بِالْوَفَى أَقْوِيَاءُ

طاردوا المشركين من كل صوب
 وعد المؤمنين جنات عدن
 جاهدوا طائعين أمر نبي
 شرف الله قدره وأجته
 جعل الله نوره بدء خلق
 رفع الله ذكره وأصطفاه
 جاءه الوحي بالرسالة لما
 كان للناس هادياً وبشيراً
 كان في الأرض والسموات عيداً
 كبرى يا بدور من كل برج
 هاهو النور يا شمس تجلى
 سيد العالمين خير بشير
 كوكب الفاتحين أشرف بدر
 أول الخلق رتبة ومقاماً
 شرف عز أن ينال ومجد
 همة جاوزت أقاصى الأمانى
 معجزاته تحير العقل فيها
 خير روح حلت بأشرف جسم
 جوهرة حليص تلالاً نوراً
 رحمة ساقها المهيمين للناس
 أحمد المجتبي شفيع البرايا
 جامع الأنبياء تحت لواء
 فتقشى في الكافرين الفناء
 فتمنوا لو أنهم شهداء
 كم تقات في حبه أتقياء
 فاضاءت بنوره العلياء
 وعلى نوره سعى الخنفاء
 وحباه من الكريم العطاء
 تم ميقاتها وحان الوفاء
 ونذيراً لمن عصوه فباهوا
 يوم ميلاده وعم النداء
 وأملئ الأرض رحمةً باسماء
 فانظروا كيف تسطع الأضواء
 قد أقرت ببعثه الأنبياء
 صاغت سيف نصره الجوزاء
 خاتم الرسل نورها الوضاء
 وأقذار وهيبة ومضاء
 ووفاء وحكمة وإباء
 لم تنل بعد شأوها أصفياء
 لم يمدله في الوجود نقاء
 لم يماثله في السناء صفاء
 س دواء فكان منه الشفاء
 يوم يشتد كرهها والعناء
 رفعت يمينه السحباء

قَائِدُ الْمُتَّقِينَ نَحْوُ خُلُودِ
صَاحِبِ الْخَوْضِ فِي فَيْسِحَاتِ عَدْنٍ
أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ
ثُمَّ بَاتَ فَرَضًا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ
يَا ضِيَاءَ الْأَبْصَارِ يَا بَدْرَ كَوْنٍ
يَا شِفَاءَ الْقُلُوبِ مِنْ كُلِّ دَاءٍ
يَا مُنِيرَ الْعُقُولِ فِي ظُلْمَةِ الْجَهْمِ
يَا رَجَاءَ الْعَيُونِ فِي كُلِّ آفٍ
يَا مُجِيرَ النَفُوسِ مِنْ كَرْبِ يَوْمٍ
يَا سِرَاجَ الْهُدَى عَلَيْكَ صَلَاةٌ

لَمْ يُشَبَّهْ نَعِيمُهُ وَالْهَنَاءُ
يَوْمَ يَحُلُو وَرُودُهُ وَالسَّعَاءُ
سَائِرُ الْكَائِنَاتِ وَالْآلَاءُ
تَتَنَاجَى بِذِكْرِهَا الْأَوْفِيَاءُ
أَبْدَى نُجُومُهُ الْأَنْبِيَاءُ
يَا طَبِيبًا مَا غَابَ عَنْهُ الدَّوَاءُ
لِي سَلَامٌ وَرَحْمَةٌ وَوَلَاءُ
يَا عَظِيمَ النُّهَى عَلَيْكَ الثَّنَاءُ
يُفْقِدُ الرُّشْدَ هَوَاهُ وَالْبَلَاءُ
وَسَلَامٌ يَعْمُ مِنْهُ الرِّضَاءُ

* * *

كُلُّ نَفْسٍ لَأَبَدٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
سُنَّةُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْبَرَايَا
إِنَّمَا الْخَلْقُ يَا ابْنَ آدَمَ فَرْدٌ
وَاحِدٌ لَمْ يَلِدْ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
عَالِمُ الْغَيْبِ لَمْ يُمَائِلْهُ شَيْءٌ

تِ يَقِينًا مَتَى دَعَاها الْفَنَاءُ
وَنَفَاذٌ لَمَّا أَرَادَ الْقَضَاءُ
لَمْ يُنَازِعْهُ مَا قَضَى شُرَكَاءُ
نَافِذُ الْأَمْرِ صَانِعٌ مَا يَشَاءُ
وَلَهُ وَحْدَهُ الْعُلَا وَالْبَقَاءُ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ خَالِفُوا طَيْشَ نَفْسٍ
وَاتْرَكُوا اللَّهْوَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَعَارًا
وَاْعْمَلُوا الطَّيِّبَاتِ مَا لَاحَ لُجْرًا
وَاصْنَعُوا الْخَيْرَ لِلْحَيَاتَيْنِ حَتَّى
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ فِي كُلِّ خَطْبٍ

صَرَفَتْهَا عَنِ الْهُدَى الْأَهْوَاءُ
أَنْ تَوَلَّى فِي عَيْهَا الْخَوْبَاءُ
إِنَّ لِلطَّيِّبَاتِ نِعَمَ الْجَزَاءِ
تَأْمَنَ النَّفْسُ إِنْ تَدَانَى الْقَضَاءُ
فَهُوَ لِلنَّفْسِ وَالْفَوَادِ الدَّوَاءُ

أَنْفِقُوا الْمَالَ فِي الْمَبْرَاتِ حَتَّى
وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ طَيِّبًا وَحَلَالًا
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ لِلَّهِ فَرَضًا
وَهِيَ تَهْدِي إِلَى الْعَفَافِ وَتَنْهَى
وَأَقِيمُوا الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ حَتَّى
وَاجْعَلُوا الْبِرَّ وَالزَّكَاةَ شَفِيعًا
وَأَتِمُّوا شَهْرَ الصِّيَامِ قِيَامًا
وَأَقِيمُوا مَنَاسِكَ الْحَجِّ سَعْيًا
حَرَمٌ طَاهِرٌ وَرُكْنٌ شَرِيفٌ
وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفِينَ عَظَمًا
وَأَغِيثُوا الْمَلْهُوفَ جودًا وَحِلْمًا
وَاطْمَنُّوا الْغَيْظَ وَاصْفَحُوا عَنْ مُسِيءٍ
وَأَطِيعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ حُبًّا
وَاحْذَرُوا الشِّرْكَ فَالْمُهَيِّمُ فَرْدٌ
قَادِرٌ قَاهِرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
وَاقْصِرُوا فِي الْخَطَا وَسِيرُوا الْهُوَيْنَا
وَاعْضُضُوا الطَّرْفَ فَالْعَيُونُ شُهُودٌ
وَاجْعَلُوا حِلْيَةَ التَّوَاضُّعِ تَاجًا
وَازْرِعُوا الْيَوْمَ تَحْصِدُوا بَعْدَ حِينٍ
وَصِلُّوا الْعَهْدَ بِالْوَفَاءِ دَوَامًا
وَاجْعَلُوا الْعَدْلَ إِنْ حَكَمْتُمْ شِعَارًا
وَاحْذَرُوا الْمَوْتَ بَيْنَ آنٍ وَآنٍ

لَمْ يُهَدِّدْهُ بِالنَّفَادِ الْفَنَاءِ
فَإِذَا طَابَ عَزٌّ مِنْهُ الْبِنَاءُ
فَهِيَ لِلْقَلْبِ وَالْيَقِينِ الضِّيَاءُ
كُلَّ نَفْسٍ طَاشَتْ بِهَا الْفَحْشَاءُ
لَا يَقُولُ الْكِرَامُ ضَاعَ الْوَفَاءُ
يَوْمَ تَجْرَى بِالْمَوْقِفِ الرُّحُصَاءُ
إِنَّ قُرْآنَ فَجْرِهِ لَأَلَاءُ
حَوْلَ بَيْتِ عِمَادِهِ الْعَلِيَاءُ
وَحَاطِيمٌ وَكَعْبَةٌ وَلِوَاءُ
وَحَنَانًا نِعِمَّتِ الرُّحَمَاءُ
وَاطْمَنُّوا فَلَا يَضِيعُ الْجَزَاءُ
وَاحْذَرُوا عَدْلَ مَنْ لَهُ الْكِبَرِيَاءُ
وَاتَّقُوا يَوْمَ لَا يُفِيدُ الْفِدَاءُ
لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا شُرَكَاءُ
خَالِقُ الْخَلْقِ فَاعِلٌ مَا يَشَاءُ
فَمَعَ الْعَدُوِّ تَعَثَّرُ الشُّهْبَاءُ
وَاحْذَرُوا أَنْ تَغْرَّكُمْ كِبَرِيَاءُ
وَأُبْتَنُوا حَيْثُ لَا يَزُولُ الْبِنَاءُ !
فَمَنْ الظُّلْمُ أَنْ يَمُوتَ الْوَفَاءُ
وَانصُرُوا الْحَقَّ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءُ
فَهُوَ وَرْدٌ تَجْتَازُهُ الْأَحْيَاءُ

أَيْنَ كُنْتُمْ يُذَرِّكُمْ الْمَوْتُ حَتَّى
سَارِعُوا لِلْهُدَى وَعَفُّوا وَتَوَبُّوا
وَاتَّقُوا النَّارَ دَارَ كُلِّ أَثِيمٍ
يَوْمَ يُدْعَى : هَلْ امْتَلَأْتِ؟ وَتَدْعُو
وَأَدْرَأُوا النَّفْسَ عَنْ سُمُومِ الْأَفَاعِي
بَادِرُوا بِالسُّجُودِ لِلَّهِ شُكْرًا
لَوْ حَوَّسَكُمْ فِي بُرْجِهَا الْجُوزَاءِ
وَأَهْدَمُوا إِنْكَ مَا أَدْعَى الْأَدْعِيَاءِ
فَهَوَى النَّفْسَ حَيَّةً رَقِطَاءِ
وَأَطِيعُوهُ فَالْنَعِيمُ الْجَزَاءِ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَعْبِرُوا أَسْتِمَاعًا
وَأَضْرِبُوا الْأَرْضَ بِالْخُرَافَاتِ وَأَمْشُوا
وَأُسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاوٍ
قَدْ عَصَى اللَّهَ فِي السُّجُودِ فَصَبَّتْ
قَالَ رَبِّ أَنْظِرْنِي حَتَّى تُوَفَّى
يَوْمَ تَجْرَى الْأَجْسَادُ لِلْحَشْرِ حَيْرَى
إِبْقَ حَتَّى مِيقَاتِ يَوْمِ عَبُوسٍ
حَارِبُوهُ بِالصَّالِحَاتِ وَأَذُوا
وَاتْرَكُوا الْخَمْرَ فَهِيَ أَكْبَرُ رِجْسٍ
سَهَلَتْ لِلنَّفُوسِ كُلِّ الْمَعَاصِي
لَقَبُّوْهَا أُمَّ الْخَبَائِثِ قَدَمًا
وَادْفَعُوا بِالْعَفَافِ كُلَّ حَرَامٍ
وَانشُرُوا الْعِلْمَ وَالْفَضِيلَةَ حَتَّى
وَاقْطَعُوا دَابِرَ الْفُجُورِ وَإِلَّا
لَهْرَاءِ مِمَّا أَدْعَى الْأَغْبِيَاءِ
مُطْمَئِنِّينَ حَيْثُ شَاءَ الْقَضَاءِ
وَمُضِلِّ قَدْ أَنْذَرْتَهُ السَّمَاءِ
لَعْنَةُ اللَّهِ فَوْقَهُ وَالْبَلَاءِ
مَنْ دَيَّاجِي أَجْدَائِهَا الْأَشْلَاءِ
وَيُنَادِي الْقَضَاءُ آتِ الْوَفَاءِ
قَمَطَرِيرٍ أَهْوَالُهُ صَعْقَاءُ (١)
كُلَّ فَرَضٍ يَدْعُو إِلَيْهِ الْعَلَاءِ
زَيْلَتُهُ جُنُودُهُ الْأَغْـوِيَاءِ
تَحْتَ إِغْرَائِهَا جَنَى الْأَشْقِيَاءِ
حَيْثُ مَالَتْ بِالنَّفْسِ زَالِ الْحَيَاءِ
بَيْنَتُهُ الشَّرِيعَةُ الْغَرَاءِ
تَتَوَارَى الرِّذِيلَةُ الْحَقَاءِ
تَتَمَشَّى مَعَ الدَّمِ الْفَحْشَاءِ

(١) ابق : جواب قوله « أنظرني » في البيت الأسبق .

وَابْذُلُوا النَفْسَ فِي صِيَانَةِ هِرْهَرٍ
وَأَجْعَلُوا الصَّدَقَ وَالْأَمَانَةَ نُورًا
وَامْنَمُوا بِالْتَّقَى مَطَامِيعَ نَفْسٍ
طَهَّرُوهَا مِنَ الذُّنُوبِ عَسَاهَا
وَتَقَانُوا فِي صُنْعِ كُلِّ جَمِيلٍ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَأَسْعَوْا كِرَامًا
وَأَمْلَأُوا الْقَلْبَ رَحْمَةً وَحَنَانًا
وَأَشْتَرُوا الْخُلْدَ بِاجْتِنَابِ الْخَطَايَا

كِي يُؤَارَى عَنِ الْعَيُونِ الْبَغَاءُ
فِيهِ تَمَشُّونَ حِينَ يَخْبُو الضِّيَاءُ
تَسْتَنِيهَا بِمَكْرِهَا الْأَهْوَاءُ
تُتَمَنِّحُ الْعَفْوَ يَوْمَ تُطَوَّى السَّمَاءُ
إِنَّمَا الْمَكْرُمَاتُ نِعَمُ الْعَطَاءِ
وَاطْلُبُوا الْعَفْوَ يَكْتَنِفُكُمْ رِضَاءُ
وَيَقِينًا إِيْمَانُهُ لَا يُرَاءُ (١)
صَحْوَةُ الْعَيْشِ لِحَقَّةٍ فَالْتَوَاءُ

* * *

يَا أَبْنَ حَوَاءٍ قَدْ خُلِقْتَ ضَعِيفًا
جِسْمُكَ الْفَضُّ هَيْكَلٌ مِنْ تُرَابٍ
سَوْفَ يَبْلَى مِمَّا حَبَّتْهُ الْأُمَانِي
وَأَثَقَتْهُ الْأَسْوَدُ بَرًّا وَبَحْرًا
وَبَكَتْهُ الْعَيُونُ شَرْقًا وَغَرْبًا
وَتَدَانَتْ لَهُ الْمَطَالِبُ سَعِيًّا
وَأَتَاكَ لَهُ الْمَعَالِي كُنُوزًا
وَأَعَدَّتْ لَهُ الْمَوَاهِبُ حُكْمًا
وَتَمَشَّتْ لَهُ الْمَصَاعِبُ طَوْعًا

فَالْأَمَ الْجَهْمُ أَلَّةُ الْحَقَاءِ؟
هَيْمَنَّتْهُ عَلَى الثَّرَى الْخَلْيَاءُ
خَاضِعَاتٍ وَمَاجٍ مِنْهُ الْهَوَاءُ
وَالْتَقَتْهُ الْمَوَانِعُ الشَّمَاءُ
وَرَأَتْهُ الْأُمَمَةُ الشُّعْرَاءُ
وَاسْتَنَارَتْ حَيَاتُهُ الرِّغْدَاءُ
لَمْ تَهَبْهَا لغيرِهِ الْعَلِيَاءُ
مَا اسْتَطَاعَتْ بُلُوعُهُ الْحُكْمَاءُ
حِينَ طَارَتْ بِمُلْكِهِ الْأَنْبَاءُ

* * *

يَنْعَمُ الْجِسْمُ بِالْخِيَاةِ قَلِيلًا
فَيَمْلِكُ نِدَاءُهُ وَتَوَلَّى

ثُمَّ يَدْعُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَنَاءُ
عَنْهُ تِلْكَ الْفَضَارَةُ الْحُسْنَاءُ

(١) لعله يريد أن يقول إن إيمانه حق لارياه فيه .

وَيُؤَارَىٰ عَنِ الْعِيُونِ وَيَبْلَىٰ
إِنَّمَا النَّفْسُ لِلْخُلُودِ فُجْسِي
مَوْقِفٌ حَاشِدٌ وَحَشَرٌ رَهِيْبٌ
يَجْمَعُ الْخَلْقَ كُلَّ قَاصٍ وَدَانٍ
فَادْرِعْ مَا يَقِيكَ هَوْلَ عَذَابٍ
إِنَّ تَقْوَى الْإِلَهِ أَكْبَرُ ذُخْرِ
وَهَشِيًّا تَضُمُّهُ الْفَسْطَهَاءُ
يَا أَبْنَ حَوَّاءَ يَوْمَ يَدْنُو الْقَضَاءُ
وَقِيَامٌ أَهْوَالُهُ فَرْعَاءُ
مَنْذَعَاتٌ عَلَى الثَّرَى حَوَّاءُ
وَأَذْخِرُ مَا يَفِرُّ مِنْهُ الْبَلَاءُ
وَهِيَ كَنْزٌ لَا يَمْتَرِيهِ الْفَنَاءُ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ هَذِهِ بَيِّنَاتٌ
أَوْقَفَ النَّفْسَ وَالنَّفِيسَ عَلَيْهَا
نَخَذُوهَا مِلءَ الْيَقِينِ وَوَفُّوا
هَاهُوَ الْعَقْلُ رَائِدٌ فَذَرُّوهُ
إِنْ تَكُونُوا مُصَدِّقِينَ قَائِمِينَ
أَوْ تَكُونُوا مُكَذِّبِينَ فَوَيْلٌ
فَاسْلُكُوا مَا حَالَ لَكُمْ مِنْ طَرِيقٍ
لَا يَرَى الظَّالِمُونَ فِيهِ سَبِيلًا
فَاسْتَقِيمُوا وَآمِنُوا وَأَطِيعُوا
وَأَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ تَنَالُوا
وَادْكُرُوهُ وَسَبِّحُوهُ كَثِيرًا
وَعِظَاتٌ قَامَتْ لَهَا الْخُطَبَاءُ
عَلَمَاءُ أُمَّةٍ أَنْبِيَاءُ
مَا أَمَرْتُمْ بِهِ يَحِلُّ الرِّضَاءُ
يَتَخَيَّرُ لِحَظِّكُمْ مَا يَشَاءُ
وَنَعِيمٌ وَرَحْمَةٌ وَهَنَاءُ
وَعَذَابٌ وَنِقْمَةٌ وَشِقَاءُ
خَيْرُهُ النُّورُ ، شَرُّهُ الظُّلُمَاءُ
وَبِنُورِ الْهُدَى يَرَى الْآتِقِيَاءُ
يَهْدِيكُمْ رَبُّكُمْ وَيَحُلُّو التَّنَاءُ
أَجْرَ إِيمَانِكُمْ وَتَرْضَى السَّمَاءُ
مَا تَغَشَّى دُجَى وَلَا حَ ضِيَاءُ

مرآة الزمن

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ حَيٍّ فَإِنْ
وَأَصْبِرْ عَلَى مَا قَدْ أَصَابَكَ وَأُخْتِمِلْ
وَأَجْمِلْ لِنَفْسِكَ مِنْ ثَبَاتِكَ قُوَّةً
وَأَنْظِرْ (لِمِرَاةِ الزَّمَانِ) بِنَظِيرِ
صَوْرٍ عَلَى إِنْسَانٍ عَيْنِكَ مَسْرَحًا
مِنْ كُلِّ عَاتٍ كَمْ تَحْيَلُ أَنَّهُ
فَطَعْنَى وَتَاهَ بِمَلَكِهِ مُتَالِّهَا
كَمْ مِنْ قُصُورٍ بِالْمَظَالِمِ شَادَهَا
سَفَكَ الدَّمَاءَ وَجَارَ جَبَّارًا وَقَدْ
وَمَشَى وَمَفَتْ الْكِبْرِيَاءُ يَقُودُهُ

* * *

يُرْوَى لَكَ الْمَاضِي عَجَائِبَ مَا رَأَى
فَإِذَا وَهَبْتَ لَهُ التَّأَمُّلَ لِحِظَةٍ
طَوْرًا تُبَاغِيكَ الْعِظَاتُ وَتَارَةً
كَمْ فِي الْعُصُورِ السَّالِفَاتِ تَمَثَّلَتْ
نَقِشَتْ عَلَى صُحُوفِ الزَّمَانِ فَسَجَلَتْ
بَيْنَا الْجَرَائِمُ يَسْتَفْرِكُ بَطْشُهَا
يَنْجَابُ دَيَّجُورُ الْمَظَالِمِ مُسْرِعًا
وَيُرْوِقُ لِلْعَيْنِ التَّمَتُّعُ حِينَا
وَيَعْرِثُ بِالذِّكْرِ عَلَى الْأَذْهَانِ
تَبْدُو إِلَيْكَ شَرَّاسَةُ الْحَيَوَانِ
تُدْمِي فُؤَادَكَ قَسْوَةُ الْإِنْسَانِ
عَبْرٌ جَرَتْ بِالْمَدْمَعِ الْهَتَّانِ
غَضَبَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَيْمِ الْجَانِي
وَالظُّلْمُ يَفْتِكُ بِالْبَرِّ الْعَانِي
وَيُلُوحُ لَخْرُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
تَبْدُو الْفَضِيلَةُ فِي أَجَلٍ مَعَانِي

يَصِفُ الْكَرَامَ الْعَامِلِينَ وَمَالَهُمْ فِي الْمَجْدِ مِنْ عِزٍّ وَمَنْ سُلْطَانُ
وَيُعِيدُ ذِكْرَ مَا تَرَقَّدَتْ سَطَرَتُ
لِدَوَى الْإِنَابَةِ آيَةَ الشُّكْرَانِ

* * *

هَمَّ تَجَاوَزَتْ السَّمَاءَ مَكَانَهُ
لَمْ يُبْلِهَا مَرُّ الْعُصُورِ وَلَمْ تَزَلْ
تَبْقَى بَقَاءَ الْعَالَمِينَ مَصُونَةً
تِلْكَ الْكَنُوزُ الْخَالِدَاتُ بَرَاءَةٌ
الْبَازِلِينَ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْعُلَا
وَالْعَاكِفِينَ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَالْتَقَى
بِیضِ الصَّنَائِعِ خَيْرٌ مِنْ قَدْ أَنْجَبَتْ
نُورٌ تَلَأَلَا مِنْ سَنَاءِ مَوَاهِبِ
شَهِدَتْ بِمَا لِلْمُحْسِنِينَ أُولَى النُّهَى
وَبِمَا أَقَامَ الْمُصْلِحُونَ مِنَ الْهُدَى
وَبِصِدْقِ عَزْمِ الْمُتَّقِينَ وَمَالَهُمْ
وَعَلَتْ عَلَى الْجُوزَاءِ وَالْمِيزَانِ
مَا عَمَّرَتْ مَرْصُوصَةَ الْبُنْيَانِ
تَزْهَوُ بِثُوبِ نَضَارَةِ الرَّيْعَانِ
لِلْعَامِلِينَ بِدَعْوَةِ الْإِيمَانِ
وَالطَّالِبِينَ مَرَاحِمَ الْغُفْرَانِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كُلَّ أَوَانِ
حَوَاهِ مِنْ أَسْمَى بَنَى الْإِنْسَانِ
سَطَعَتْ بِجَوْهَرِ أَطْهَرِ الْأَبْدَانِ
فِي الْبَرِّ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
فِي عَالَمِ الذِّكْرِ بِكُلِّ مَكَانِ
بِالزُّهْدِ مِنْ قَدَرٍ عَظِيمِ الشَّانِ

* * *

تَتَمَثَّلُ الْحُسْنَى وَمَا قَدْ خَلَدَتْ
تَبْدُو وَآيَاتُ الرِّضَاءِ تَضُمُّهَا
سِيرٌ تَمُرُّ عَلَى الْبَصَائِرِ وَالنُّهَى
فِيَفِيضُ مَاءُ الْغَيْثِ بَيْنَ سَهْوِهَا
حَتَّى إِذَا أَرْدَهَتْ الْمَرْوَجُ وَأَيَنْعَتْ
وَجَرَتْ يَنْأَبِيعُ الْحَيَاةِ وَنَوَّرَتْ
هَذِي قُلُوبُ الْمُهْتَدِينَ وَمَا حَوَتْ
بِصَحَافِ التَّارِيخِ مِنْ رِضْوَانِ
لِلْخُلْدِ ضَمَّ الرُّوحَ لِلْأَبْدَانِ
مَرَّ الْكَرِيمِ الْمُزْنَ بِالْوُدْيَانِ
وَيَسُوقُ سَيْلَ الْخَضْبِ لِلْعَبْدَانِ
لَعِبَ النَّسِيمُ بِمُورِقِ الْأَغْصَانِ
شَقَى الزُّهُورِ بِأَبْدَعِ الْأَلْوَانِ
بِالْهُدَى مِنْ صِدْقٍ وَمِنْ إِيْمَانِ

فَدَعِ التَّعَرُّدَ يَا ابْنَ آدَمَ وَأَتَّعِظْ
مَهَا بَلَغْتَ مِنَ الْمَكَانَةِ وَالْغِنَى
وَتَقَرَّبْتَ مِنْكَ الْحَاسِنُ كُلُّهَا
وَمَشَتْ تَحْيِيكَ الْجُنُودُ وَفَوْقَهَا
وَالْمَلِكُ أَقْبَلَ نَحْوَ بَابِكَ حَامِلًا
وَأُنْقَادَتِ الْأُمَالُ حَتَّى أَصْبَحَتْ
وَحَسِبْتَ أَنَّكَ قَدْ تَمَلَّكَتِ الشَّهَى
وَنَعِيمُكَ الرَّأْيَى خِيَالُهُ زَائِلٌ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ فِي نَعِيمٍ فَانِ
وَالْحِظُّ وَالْإِقْبَالِ وَالسُّلْطَانِ
وَسَعَتْ إِلَيْكَ مَوَاهِبُ الْعِرْفَانِ
رَفَعَ اللَّوَاءَ بَوَاسِلُ الْفُرْسَانِ
بِيَدِ الْمَهَابَةِ أَنْفَسَ التَّيْجَانِ
كُلُّ الْمَطَالِبِ مِنْكَ طَوَّعَ بَنَانِ
وَأَمِنْتَ شَرَّ تَقَلُّبِ الْأَزْمَانِ
كَأَلَوْهُمْ حَوْلَ فِطَانَةِ الْأَذْهَانِ

* * *

بَسَمَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَغَرَّكَ حُسْنُهَا
وَأُنْقَدَتْ مَدْفُوعًا بِطَيْشِكَ لِلْهَوَى
سَلَبْتَ نُهَّكَ بَغْيِيًّا وَدَهَائِهَا
مَرَّ الشَّبَابُ وَأَنْتَ مَسْلُوبُ النَّهَى
وَدَنَا الْمَشِيبُ مُبَاغِتًا لَكَ نَاعِيًا
فَصَحَوْتَ مَرْتَجِفَ الْفُؤَادِ مُقْلِبًا
تَبْكِي صَبَاكَ وَكَيْفَ ضَاعَ بَهَاؤُهُ
فَيُرِيقُ دَمْعَكَ ذِكْرُ أَيَّامِ الصَّبَا
تُمْسِي وَتُصْبِحُ نَادِمًا مُتَحَيِّرًا
يَا لَيْتَ عُمرَكَ مَا تَقْضَى غَضُّهُ
وَالْكَاعِبَاتِ السَّاحِرَاتِ رَشَاقَةً
وَالشَّارِدَاتِ الْغَيْدِ رَبَّاتِ الْبَهَا
وَبَوَاعِثِ الْأَنْسِ الْقَصِيرِ زَمَانُهُ
فَغَدَوْتَ عَبْدَ جَاهِلِ الْفَتَّانِ
وَسَبَاكَ مِنْهَا سَاحِرُ الْأَجْفَانِ
وَرَمَاكَ سَهْمُ خِدَاعِهَا الْخُلُوفَانِ
تَأَهُوْ وَتَلْعَبْ فِي صَفَا وَأَمَانِ
عَهْدَ الشَّبَابِ لِسَالِفِ الْأَزْمَانِ
كَفَيْكَ تَصَلَّى زَفَرَةَ النَّدْمَانِ
وَالنَّفْسُ طَامِحَةٌ إِلَى الْعِصْيَانِ
وَالذِّكْرِيَّاتُ مُثِيرَةُ الْأَشْجَانِ
وَتَبَيَّتُ فَوْقَ مَرَاجِلِ النَّيْرَانِ
فِي اللَّهْوِ بَيْنَ الْكُأْسِ وَالنَّدْمَانِ
وَاللَّاعِبَاتِ فَوَاتِنِ الْغُرْلَانِ
النَّاعِسَاتِ مَرِيضَةِ الْأَجْفَانِ
مَهَا طَرِبْتَ لِرِفْقَةِ الْأَلْحَانِ

والمُغْرِبَاتِ الصَّافِيَاتِ وَمَا كَلَّمَا فِي النَّفْسِ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ تَحَنُّانٍ

* * *

إِنَّ الْحَيَاةَ سُرُورَهَا وَبُكَاءَهَا وَنَعِيمَهَا وَشَقَاءَهَا سَيَّانٌ^(١)
وصفاه عَيْشِكَ يَسْتَحِيلُ دَوَامُهُ وَالنَّفْسُ لَا تَخْلُو مِنَ الْأَحْزَانِ
والدهرُ لَا يَبْقَى عَلَى صَفْوِ الْمُنَى يَلْقَاكَ بَيْنَ مَخَافٍ وَأَمَانِ
بَيْنَا يَسُوقُ لَكَ السَّعَادَةَ بِاسْمَا وَيَزِيدُ فِيكَ مَهَابَةَ السُّلْطَانِ
يَنْسَابُ كَالْأَفْعَى فَيَنْشِبُ نَابَهُ فِي أَمْنِكَ الْمُتَغَافِلِ الْوَسَّانِ
فَتَهْبُ مُلْتَمَعِ الْفُؤَادِ مُعَذَّبًا وَتَذُوقُ سُوءَ عَوَاقِبِ الْخُسْرَانِ
تَبْكِي عَلَى مَافَاتٍ مِنْ زَمَنِ الْهَنَا وَتَنْوُحُ نَوْحَ الْخَائِرِ الْوَلْهَانِ

* * *

إِذْ ذَاكَ يَنْقَشِعُ الظَّلَامُ وَيَنْجَلِي نُورُ الْيَقِينِ بَيَقْظَةِ الْوُجْدَانِ
فَتَذِيقُكَ الْأَيَّامُ مَرًّا كُؤُوسَهَا لِتَعِيشَ بَيْنَ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
عَدَلًا يُبَكِّغُكَ الْقَضَاءُ جِزَاءَ مَا أُسْرِفْتَ فِي حُبِّ الْمَتَاعِ الْفَانِي
فَاقْنَعْ مِنَ الدُّنْيَا بَزَادِكَ رَاضِيًا وَاهْجُرْ نَعِيمًا عَادَ بِالْخُسْرَانِ
وَاتْرُكْ هَذَاكَ اللَّهُ غَيْمِكَ وَاسْتَقِمْ وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ خَالِدَ الْبُذْيَانِ
وَإِذَا كَرِهَ وَانْكَرَ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى فِي الْمَفْزَعَيْنِ الرَّمْسِ وَالْأَكْفَانِ

* * *

أَيُّنَ الَّذِينَ عَنَّا لِسَطْوَةِ مُلْكِهِمْ قَاصِيَ الْمَدَائِنِ رَهْبَةً وَالْدَّانِي
وَمَشَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ تَحْتَ لَوَائِهِمْ طَوْعًا تَحِيطُ بِهِمْ عُمَتَا الْجَانِ
وَبِأَمْرِهِمْ جَرَتْ الرِّيَاحُ وَسُيِّرَتْ لَهُمُ الْجِبَالُ وَسُحَّرَ الثَّقَلَانِ

(١) سيان يقال للثنين وسواء لما زاد عن ذلك ، وفي البيت مطابقة بين السرور والبكاء من جهة ،
والنعم والشقاء من جهة أخرى .

أَيَّنَ الْأَكَاْسِرَةُ الَّذِينَ تَفَاخَرُوا بعروشهم وجلالةِ الْإِيوَابِ
وَنُفْصَامَةِ الْمَلِكِ الرَّفِيعِ عِمَادُهُ فِي عَهْدِ أَعْدَلِهِمْ أَنْوُ شِرْوَانِ
أَيْنَ الْفَزَاةُ الْفَاتِحُونَ وَبَأْمُهُمْ أَيْنَ الْأَسْوَدُ قِيَّاصِرُ الرُّومَانِ
أَيْنَ الرُّؤُوسُ الْعَبْقَرِيَّاتُ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَيْهَا حِكْمَةُ الْيُونَانِ
تِلْكَ الْكَنُوزُ الْغَالِيَاتُ شَهَادَةُ لِبُلُوغِهِمْ أَقْصَى مَدَى الْعِرْفَانِ

* * *

أَيَّنَ الْعَمَالِقَةُ الْعُتَاةُ وَأَيْنَ مَا تَرَكَهُ مِنْ تَرْفٍ وَمِنْ عُمرَانِ
مِنْ قَوْمِ عَادٍ وَالْعِرَاقِ وَتَبَّعَ وَنُمُودَ مَنْ شَقُّوا عَصَا الْعِصْيَانِ

* * *

أَيَّنَ الْعَصُورُ الْمُدْهَشَاتُ وَمَا حَوَتْ مِنْ فِطْنَةٍ أَعْيَتْ قُوَى الْإِنْسَانِ
عَهْدُهُ لَهُ شَهْدُ الزَّمَانِ عَجَابًا ضَنَّ الْوُجُودُ بِهَا لَعْدٍ ثَانِ
نَالَتْ بِهِ مَصْرُ الْفَرِيدَةِ هَيْبَةً لَجَلَالِهَا قَدْ كَبَّرَ الْقَمَرَانِ
عِلْمُهُ يَحَارُّ الْفِكْرُ فِي تَكْيِيفِهِ بَعُدَتْ مَدَارِكُهُ عَنِ الْأَذْهَانِ
سِرُّهُ أَصُولُ الْعِلْمِ فِيهِ طَالَسِيمٌ أَوْحَى بِهَا الْكَهْنُوتُ لِلْكَهَّانِ
دَرَسَتْهُ بَيْنَ هِيَائِ كُلِّ وَمَعَابِدِ مُتَعَاْقِدِينَ بِأَغْلَظِ الْإِيمَانِ
حَفَظًا لِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ وَمَاهِمِ فِي الْأَرْضِ مِنْ حُكْمٍ وَمِنْ سُلْطَانِ
فَأَطَاعَهُمْ شُمُّ الْجِبَالِ وَصَلْدُهَا وَالْمَاءُ لِبَأْمِهِمْ بِكُلِّ إِسَانِ
وَأَنْصَاعَ مُخْتَلَفِ الرِّيَّاحِ لِأَمْرِهِمْ وَمَشَتْ سِبَاعُ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ
رَصَدُوا الْكَوَاكِبَ وَهِيَ بَيْنَ بَرُوجِهَا تَجْرَى بِقُدْرَةِ مُبْدِعِ الْأَكْوَانِ
وَمَوَاقِعَ النُّجُومِ الْبَعِيدِ مَدَارُهُ فِي الشَّاسِعِينَ الْخُوتِ وَالْمِيزَانِ^(١)
وَالثَّاقِبَاتِ الشُّهُبِ سَابِحَةِ الْفَضَا كَالْبَرْقِ بَيْنَ الْجُدَى وَالسَّرَطَانِ

(١) الخوت والميزان : يرطان معروفان ، ويريد بالشاسعين البعدين .

حَسَبُوا طَوَالِحَ كُلِّ نَجْمٍ وَاهْتَدَوْا
وَتَبَيَّنُوا تِلْكَ الْبُرُوجَ وَفَعَلَهَا
فَبَنَوْا هِيَاطَهُمْ عَلَى أَسْرَارِهَا
عَلِمُوا أَنَّ الشَّمْسَ سَيِّدَةُ الْقُوَى
وَلِكُلِّ حِسٍّ حَلٌّ تَحْتَ شَعَائِهَا
فَالنَّبْتُ وَالْحَيَوَانُ مُتَمَقِّرٌ لَهَا
وَالْمَاءُ لَوْلَاهَا لِأَصْبَحَ رَاكِدًا
فَهِيَ الَّتِي جَعَلَتْهُ عَذْبًا جَارِيًا
بَعَثَتْ لِسَطْحِ الْأَرْضِ أَعْجَبَ آيَةٍ
نُورًا وَنَارًا مِنْ وَهِيَجِ سَنَائِهَا
حَمَلَتْ بِحَارِ الْمَاءِ عَذْبًا طَاهِرًا
صَعَدَتْ بِهِ مَتْنِ الْهَوَاءِ كَأَنَّهُ
حَتَّى إِذَا اصْطَدَمَتْ لِسُرْعَةِ سَيْرِهَا
طَوْرًا تُنَزِّقُهَا الرِّيحُ وَتَارَةً
فَالنَّيْثُ يَكْسُو الْأَرْضَ ثَوْبًا يَانِعًا
وَلَهَا عَلَى سَيْرِ الرِّيحِ قِيَادَةٌ
وَالْأَرْضُ لَوْلَاهَا لَكَانَتْ بَاقِعًا
شَادُوا لِهَيْكَلِهَا الْعَظِيمِ مَعَابِدًا
نَسَبُوا لَهَا مَجْدَ الْأُلُوهَةِ رَهْبَةً
عَكَفُوا عَلَيْهَا عَابِدِينَ وَهَدَمُوا
وَاسْتَخْدَمُوا تِلْكَ الْقُوَى لِبُؤْغِهِمْ

لعجائب الأفلاك في الدَّوَرَانِ
في مصر أمَّ المجد والعمرانِ
لِتَدُومَ رَغْمَ طَوَارِيءِ الْخَدَّائِنِ
رَمَزُ الْحَيَاةِ لِهَيْكَلِ الْإِنْسَانِ
وهي النَّمُو لِسَائِرِ الْأَبْدَانِ
وَالطَّيْرُ بَيْنَ خَمَائِلِ الْأَغْصَانِ
عَفْنًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالِدِيدَانِ
فَوْقَ السُّهُولِ وَفِي رُبَا الْوُدَيَانِ
حَفِظَتْ نِظَامَ الْعَالَمِ الْحَيَوَانِي
مَلَأَ الْفَضَاءَ وَعَمَّ كُلَّ مَكَانِ
خَلَوًا مِنَ الْأُمَلَّاجِ وَالْأَدْرَانِ
أَطْوَادُ مَاسٍ فِي سُهُولِ جُمَانِ (١)
تِلْكَ الْجِبَالُ هَوَتْ مِنَ الذَّوْبَانِ
تَجْتَاحُهَا قِيمٌ مِنَ الصَّوَانِ
وَالسَّيْلُ يَهْدِي الْخِصْبَ لِلْقِيَمَانِ
وَعَلَى الْعُنَاصِرِ إِمْرَةُ السُّلْطَانِ
جَرْدَاءُ خَالِيَةٍ مِنَ السُّكَّانِ
مُزْدَانَةٌ بِنَفَاسِ الْقُرْبَانِ
فَإِنَّكَ صَرَحْتَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ
مَا شَيْدُوا لِلْعَجَلِ وَالْجُعْرَانِ
مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ فِي الْخُسْبَانِ

(١) كلمة ماس خطأ شائع وصحتها : ألماس ، وبأداة التعريف : الألماس ..

تَحْتُوا بِيَّاطِينَ «مَنْفَ» أَقْدَسَ مَعْبَدٍ
صَنَعُوا لَهُ مِفْتَاحَ سِرِّ غَامِضٍ
بَصَانُوهُ فِي أَعْمَاقِ قَلْبٍ سَاهِرٍ
رَمَزَ الْمَهَابَةِ وَالرِّزَانَةِ وَالْحِمَى
يَرْمِي الْفَضَاءَ بِنَظَرَةٍ قَدْ أَوْقَفَتْ
جَسَدَهُ حَوَى أَسْمَى الْقَوَى رَمْزاً لَهُ
هَذَا أَبُو الْهَوْلِ الرَّهِيْبُ ثَبَاتُهُ
عَهْدُوا إِلَيْهِ حِرَاسَةَ الْوَادِي الَّذِي
وَاسْتَعْدَمُوا أَرْصَادَهُ لِبُلُوغِهِمْ
حَتَّى أَتَى (مِينَا) وَأَسَّسَ مُلْكَهُ

جَعَلُوهُ بَيْتَ سِرَائِرِ الْأَكْوَانِ
نُقِشَتْ عَلَيْهِ طَلَاسِيمُ الْكِتْمَانِ
لِلرَّابِضِ الْمُتَحَفِّزِ الْيَقْظَانِ
لِلصَّمْتِ فِيهِ وَلِلسَّكُونِ مَعَانِ
كَيْدَ الْعَوَادِي وَقَمَّةَ الْخَبْرَانِ
جِسْمَ الْهَزْبِ وَهَامَةَ الْإِنْسَانِ
مُقْنَى الْعُصُورِ وَقَاهِرُ الْأَزْمَانِ
ضَمَّ الْكُنُوزَ غَوَالِي الْأَثْمَانِ
مَجْدًا تَعَدَّرَ عَنْ ذَوَى التَّيْجَانِ
وَطَوَى الزَّمَانَ صَحِيفَةَ الْكُتُبَانِ

* * *

أَيْنَ الْفِرَاعْنَةُ الْمَلُوكُ وَأَيْنَ مَنْ
أَيْنَ الْأَسُودُ الْفَاتِحُونَ وَأَيْنَ مَا
آثَارُهُمْ فِي مِصْرَ تَشْهَدُ أَنَّهُمْ
عَهْدُ الْعَجَائِبِ عَصْرُ (مَنْفِيس) الَّذِي
وَطَلَّاسِيمُ السَّرِّ الَّذِي أَهْدَى إِلَى
وَادِ كَنْبُوزِ الْأَرْضِ تَحْتَ أَدِيمِهِ
لَوْ أَنَّ قِيَمَتَهَا وَمَا فَوْقَ التَّرَى
أَخْفَى تَحَابِثُهَا الْعَدِيدَةَ طَلَّاسِيمُ
حُرَّاسُهُ تَرْمِي الْفَضَاءَ بِنَظَرٍ
مَهْرَتٍ عَلَى تَحَفِّ الْمَلُوكِ أَمِينَةٍ

رَبَطُوا السِّفِينَ بِمَقْلَةٍ الرُّبَّانِ
بَلَفَتْهُ مِصْرُ بِهِمْ مِنَ الْعُمَرَانِ
كَانُوا الْأُتَمَّةَ فِي قَوَى الْإِمْكَانِ
قَامَتْ لِذِكْرِي مَجْدُهُ الْهَرَمَانِ
وَادِي الْمَلُوكِ سِيَادَةُ الْوُدْيَانِ
مُخْبِوَةٌ عَنْ أَعْيُنِ الْخَدَّائِنِ
فِي الْوَزْنِ نَالَتْ رَجَحَةَ الْمِيزَانِ (١)
أَسْرَارُهُ غَابَتْ عَنِ الْأَذْهَانِ
يَقْظُ تَدْبَعُ خُطْوَةَ الْعُدُونِ
مِنْ بَطْنِ مَنْفَ إِلَى رُبَا أَسْوَانِ

وعلى القباب البيض قام أشدها
كهف حوى كنز الكنوز ولم يكن
قد هياً الكهوت أرساداً له
تيجان بيت الملك من (ميناء) إلى
وصالج الأسد القراعنة التي
وحلي ربات الخدور قلائد
عزماً يؤدى واجب التيجان
أنداً لتدركه يد الإنسان
ألقته عليه طلاسيم النسيان
ملك الوغى (سيزوستريس) الثانى!
سحرت عيون قياصر الرومان
منضودة من جوهر فتان

* * *

أين الجبابرة الملوك وبأسهم
وجاهم الأعداء جنى سيوفهم
والجو أقسم والدرع تطايرت
وحياهم تنساب تحت عجاية
كالأسد تنقض انقضاض صواعق
تكدس الأشلاء تحت ركبها
لم يثنها حشد الجوع عن المنى
مها تلاحت الصفوف لردّها
وأنذك صرح حصونه وتشتت
ومشى القضاء إلى العدو ومزقت
وتقدم النصر المبين مصافحاً
يوم اشتداد الكرب في الميدان
تهال تحت سفابك الفرسان
من هول ما قد حل بالأبدان
ظلماء بين أسنة ودخان
تحتاج ما تلقاه من بليان
في موج بحر من نجيح فان
كلاً ولم تحفل بهول طعان
فشل العدو وباء بالخسران
أبطاله في ظلمة الوديان
يمناه قهراً راية العصيان
أبطال مصر ضياع الميدان

* * *

في كل وادٍ كان ميداناً لهم
أثراً يمثل بطشهم بعدوهم
نقشوا مواقعهم على الصوان
فك الجياع الأسد بالفرلان!

صُوراً تَدُلُّ عَلَى سَلَامَةِ ذَوَقِهِمْ وَهَيَامِهِمْ بِالْفَزْوِ وَالْعُرَابِ !
 دَخَلُوا الْمَدَائِنَ فَاتَّحَيْنَ وَتَعَمَّرُوا مَا هَدَمَ الْجَبْرُوتُ مِنْ بُنْيَانٍ
 وَبَنَوْا مِصْرَ الْمَجْدِ رَغْمَ مَطَامِعِ لِلْفُرْسِ وَالْأَشُورِ وَالرُّومَانِ
 دَوْلٌ تَمَنَّتْ مَا مِصْرَ مِنَ الْعُلَا وَلَكُمْ تَضِيعٌ مَعَ الْغُرُورِ أَمَانِ
 قَامَتْ لِتَبْنِي الْمَجْدَ لَكِنْ خَانَهَا بَطْشُ الْأَسُودِ بِهَا وَجَهْلُ الْبَانِي
 أَيْنَ الْفَرَاغَةُ الَّذِينَ تَأَلَّاهُمْ - وَ فِي مِصْرَ مِنْ (خُوفُو) إِلَى الرِّيَّانِ (١)
 زَعَمُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَلَّ بِرُوحِهِمْ نوراً وَهَيَمَنَهُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ
 فَطَفَعُوا وَعَاثُوا مُفْسِدِينَ وَأَسْرَفُوا فِي الظُّلْمِ وَالْجَبْرُوتِ وَالطُّغْيَانِ
 كَفَرُوا فَمَا الْإِنْسَانُ إِلَّا هَيْكَلٌ جَسَدٌ سَيُصْبِحُ طُعْمَةً لِلدِّيدَانِ
 وَالْكِبْرِيَاءِ إِذَا تَمَكَّنَ غِيْثُهَا مِنْ نَفْسِهِ دَفَعَتْهُ لِلْعِصْيَانِ
 فَهِيَ الْجُنُونُ لِكُلِّ غَرٍّ جَاهِلٍ قَدْ هَاجَهُ مَسٌّ مِنَ الشَّيْطَانِ
 أَوْ فَهِيَ مَقْتُ اللَّهِ صُبَّ عَلَى الَّذِي نَسِيَ الْإِلَهَ وَبَاءَ بِالْخُسْرَانِ
 ظَلَمُوا وَجَارُوا وَأَسْتَبَدُّوا قِسْوَةً وَأَسْتَسَامُوا لِأَوَامِرِ الْكِبَّانِ
 ظَنُّوا بِأَنَّ نَعِيَهُمْ وَهَنَاءَهُمْ فِي مُلْكِ وَادِي النِّيلِ لَيْسَ بِقَانِ
 وَأَسْتَعْبَدُّوا الْإِنْسَانَ فِي أَهْوَائِهِمْ وَأَسْتَعْبَدُّوهُ بِرَهْبَةٍ وَهَوَانِ

* * *

نَحْتُوا الْجِبَالَ وَشَيْدُوا مِنْ صَلْدِهَا فَوْقَ الْهَضَابِ غُرَابِ الْأَوْتَانِ
 رَمَزاً (لَامُونَ) الَّذِي عَكَفُوا عَلَى تَقْدِيرِهِ رَدْحاً مِنَ الْأَزْمَانِ
 وَلِجْدِ (إِيرِيس) الَّتِي ظَنُّوا بِهَا سِرَّ الْحَيَاةِ وَحِمَّةَ الْأَبْدَانِ
 وَلِعَجَلِ مَنْفٍ وَمَالِهِ قَدْ هَيْكَلُوا جَسَداً يُمَثِّلُهُ بِكُلِّ مَكَانِ

(١) الريان بن الوليد ، وهو في قول بعض المفسرين العرب اسم لفرعون موسى .

(آيسُ) حياً أكرموه وميتاً
ومشت تشيعهُ الملوك يحفهم
عبدوه في ظل الحياة وبعدَهَا
كفروا بمن خلق الوجود وأشركوا
وبنوا من الصخر الأصم معابداً
دوراً يطن الأرض لم تجسر على
قد أودعوها ما استحال وجوده
صوراً من الذهب المصق مثلت
وعلى الهياكل حولها تحف لها
وبأبدع الصور الجميلة سجّلوا
نقشاً على الصخر الذي عجز البلى
مرّت به الأجيال وهو كأنه
ترعى معانيه العجيبة عن مدى
علموا بأن الروح لا تفنى وإن
والجسم يقضى في الحياة نصيبه
فيفارق الدنيا إلى الدار التي
كل النفوس إلى الخلود مصيرها
قد برهن الإيضاح في تصويرهم
عن صوة الأجساد بعد رقودها
حيرى تبعثها القبور كأنها
هذا هو البعث الذي جحدت به
حقاً له فطِنوا ولما تأتتهم
قد جهزوه بأنفس الأكفان
كهنوت منف لمدفن الثيران
سجدوا لهيكله الرميم الفاني
بالواحد المتكبر الديان
تحت الرُبا وبباطن الوديان
تدميرها يوماً يدُ الحداث
مهما تولى الأرض من عمران
أشباح ما عبدوا من الهديان
قد رُصعت بالذر والمرجان
أسرار ما اعتقدوا على الجدران
عن مسّه لدقيق صنع الباني
لم يمض بعد لصنعه يومان !
بعد المُفكر في المصير الثاني !
عبث البلى بالهيكل الجسماني
حتى يحين من الحمام تداني
بسعادة تلقاه أو بهـوان
والحظ مؤكول إلى الفئران
بأدق فهم في أتم بيان
وقيامها للحشر والميزان
سئل الجرّاد يهيم في الوديان
أمم غوثها فتنة الشيطان !
رُسل لتهدّيهم إلى الإيمان

ولقد رأى الحكماء أن يد البلى
فظل تنشز في عظام رطبة
فاذا تجرد أصلها وتطهرت
أخذ البلى بسر فينخر هيكلاً
عنه فترباً كي يرد لأصله
لا بد يوماً كل من فوق الترى
لما بدا ليقينهم مراعهم
خافوا على أجسادهم من هول ما
فمكنوا بالعلم من تخايلها
فصوا كرات دم الوريد وكيف قد
وتبينوا القلب العجيب بطينه
ليحوّلا مصل الوريد إلى دم
نحو العظام وما حوت أدوارها
بحثاً يحار الطب في تعليله
وبقاءها عمراً طويلاً غضة
فنخاعها واللحم سر حياتها
ما غاب عنهم عنصر لم يفقهوا
لهم انطوى العلم العجيب وصرحت
فتوصلوا لنوال ما قد أمّوا

لا بد أن تسطو على الأبدان
حتى تجردّها من الديدان
من كل ما حلت من الأدران
ينهار تحت عوامل الذوبان
والترب أصل سلالة الإنسان
ذراً يسكون على مدى الأزمان
وتبينوا أن كل شيء فان
ينتابها في وحشة الأكفان
ودم الحياة يدب في الأبدان
رد الحياة لها دم الشريان !
وأذينه في الصدر ينقيضان !
حي إذا مدار ينبسطان
في الشيب والإطفال والشبان
عرفوا به ماهية الحيوان
في قوة وسلامة ومiran
وما لحفظ كيانهما حصنان
تأثيره في الهيكل الجثامى
بالرغم منه غوامض الكتمان
ومع الهزيمة لا تضع أمانى

* * *

كانت نتيجة بحثهم أن وفقوا
علماء بسر صيانة الأبدان

بعدُ الماتِ من اتَّصَلَ يدِ البليِّ يوماً لتبقى آيةُ الأزمانِ
 :أَمْنًا تَمُوتُ بِهَا القُرُونُ وبعدها تتعاقبُ الأحقابُ في اطمئنانِ
 وقوامها صلبٌ فتيٌّ ذابِلٌ قد غادرتهُ نضارةُ الرِّيمانِ
 ألقى السُّبُتَ عليه ساطانُ الكرى وقد اختفى عن أعينِ الحداثِ
 لم تنتقصهُ سوى الحياةِ ولم يكنْ باليتِ أحرى مِنْهُ بالوسنانِ
 ترمى مناعتهُ الزمانَ بنظرةِ سَخِرَتْ بفتكِ كوارثِ العدوانِ
 والدهرُ يعجبُ أن سلطانَ البليِّ مكتوفةٌ بالرغمِ منه يدانِ
 مرَّتْ به تلكَ العصورُ وتنقضى أمثالها وقواه في نقصانِ
 سدُّ رهيبٌ كلِّما قدَّهم أنْ يجتازهُ لا يستطيعُ تدانى
 هذا هو ألسرُّ الذي هزمتْ به حكاه مصرَ عواديَ الملوانِ
 أقصى عن الإغريق كلَّ حضارةٍ وقضى على مدينةِ الرومانِ
 ما أبعد الإنسانَ في تفكيره لو كان منصرفاً إلى العرفانِ
 تأتي المواهبُ لو تكامل نورها بالمُعْجِزَاتِ بعيدةِ الإمكانِ
 هل بعدَ تلكَ الخارقاتِ فطانةٌ أو بعدَ ذِيكَ النجاجِ أمانى ؟
 أجسادُهُمْ شهدتْ بقوةِ عزيمتهمْ وثباتهمْ وبحدَّةِ الأذهانِ
 ظهرتْ لنورِ الشمسِ وهي كأنَّها لم تقضِ بعدَ الموتِ غيرَ ثوانِ !
 وكانَ آلافَ السنينِ تبدلت يوماً مضى في راحةٍ وأمانِ
 هي بيننا وتظل دهرًا بعدنا وهي التي شهدتْ ضحى الطوفانِ !
 قد أظهر التحنيطُ أعجبَ آيةٍ وصلت إليها حكمةُ الإنسانِ
 عجَزَتْ شعوبُ الأرضِ عن إدراكه وخبا سراجُ الطبِّ في أليونانِ

وَحَلَّتْ بِحَارُ الْعِلْمِ مِنْ أَصْدَافِهِ	مُذْ كَفَّ كَوْكَبُهُ عَنِ الدَّوَرَانِ
عِلْمٌ تَوَارَى أَصْلُهُ وَتَحَجَّبَتْ	أَسْرَارُهُ وَنَأَى عَنِ الْبُرْهَانِ
صَعِدَتْ مُوَاهِبُهُ السَّمَاءَ فَأَصْبَحَتْ	مَمْرُوجَةً بِالْعَالَمِ الرُّوحَانِ
قَدْ كَانَ إِحْدَى الْمَعْجَزَاتِ وَلَمْ يَزَلْ	أَعْجُوبَةً الدُّنْيَا مَدَى الْأَزْمَانِ
وَكُنِيَ بِهِ نَخْرًا لِمِصْرَ وَأَهْلِهَا	أُمُّ الْقُرَى سُلْطَانَةَ الْوِذْيَانِ
هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا الَّتِي قَدْ أُخْرِزَتْ	مَا عَزَّ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ عُمرَانِ

حله

يَا مَنْ نَفَى عَنِّي لَذِيذَ مَنَامِي مَنَى إِلَيْكَ تَحِيَّاتِي وَسَلَامِي
يَا مَنْ لِأَوَّلِ نَظَرَةٍ قَدْ خِلْتُهُ مَلَكًا تَرَبَّعَ فَوْقَ عَرْشِ غَرَامِي
فَوَهَبْتُهُ قَلْبِي وَكُلَّ سَعَادَتِي وَحَسِبْتُ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ مَرَامِي
عَامَانٍ قَدْ مَضَيَا لِعَهْدِ غَرَامِنَا أَمْسَى بِهَا جِسْمِي أَلَيْفَ سَقَامِ
إِنِّي سَأُشْرَحُ قِصَّتِي لَكِنَّمَا أَخْشَى دُخُولَ الْوَجْدِ طَيَّ كَلَامِي

* * *

قَدِمَ الرِّيعُ فَفَاضَ بِالْإِنْعَامِ وَدَرَجْتُ أَرْسَمُ لِلزُّبَى أَحْلَامِي
أَعْدَوْ عَلَى النَّيْلِ الْحَبِيبِ هَنِيئَةً وَهَنِيئَةً أَزْتَادُ أَرْضَ سَلَامِ
حَتَّى نَزَلَتْ بِرَوْضَةٍ فَوَاحَةٍ هِيَ مَسْرَحُ الْفُزْلَانِ وَالْآرَامِ^(١)
حَوَتْ الْعَجَائِبَ مِنْ فَصِيلَاتِ الْفَلَاحِ وَبَدَتْ جَمَالًا فِي أَتَمِّ نِظَامِ
فَوَلَجَتْهَا وَالْقَلْبُ يَرْقُصُ غَبِطَةً وَسَمِعْتُ فِيهَا صَيْحَةَ الضَّرْغَامِ !
مَا سَتَ غُصُونُ الْبَانِ طَوْعَ نَسِيمِهَا فَانْجَابَ مِنْ فَرْطِ الْهَنَاءِ ظِلَامِي
يَا نِعْمَهَا مِنْ رَوْضَةٍ فِي مِصْرٍ قَدْ جَمَعَتْ جَمِيلَ الطَّيْرِ وَالْأَنْعَامِ
تَتَسَرَّبُ الْخُورُ الْحَسَنُ لِدُورِهَا مِنْ فَاتِكَاتِ اللَّحْظِ وَالْمُنْدَامِ !
أَلْفَيْتُ فِي وَسْطِ الْحَدِيقَةِ جَوْقَةً صَدَحَتْ تُوقِعُ أَطِيبَ الْأَنْعَامِ
فَرَغِبْتُ أَنْ أَبْقَى لِأَطْرِبِ مِسْمَعِي وَكَأَنَّ سَرْمَى بِالزَّائِرِينَ مَرَامِي
فَتَسَابَقْتُ نَحْوَ الْمَكَانِ الْكَاعِبَا تِ الْفَيْدُ يَجْذِبُهُنَّ صَدْحُ حَمَامِ
وَتَزَا حَمَتْ حَوْلَ الْكُوعِ فِتْنَةً كُلُّ لَهُ شَفَفٌ بِكَأْسِ مُدَامِي

(١) في هذا البيت والأبيات التالية يصف الشاعر حديقة الحيوان بالجيزة . وبلاحظ في هذه القصيدة بعض الأبيات الضعيفة مما يوحي بأنها من حيث موضوعها وصياغتها من أوائل نظمه .

بَيْنَا السَّهَامُ مِنَ الْعُيُونِ تَبَادَلَتْ
 كُنْتُ الْوَحِيدَ بِمَعْزِلٍ عَنْ جَمْعِهِمْ
 سَرْعَانَ مَا انْقَطَعَ الْخِيَالُ لِأَنْتِ
 ظَنِّي تَنَازَلَ مِنْ سَمَاءِ نَعِيمِهِ
 حُلُوُ الشَّمَائِلِ أَهْيَفُ مُتَرَبِّبٍ
 يُزْرِى بِغُضَنِ الْبَانِ فِي حَرَكَاتِهِ
 وَيُمَائِلُ الطَّائِفِينَ فِي خُطَوَاتِهِ
 بِهِجُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا
 رَشَاءً تَسْرِبَلُ بِالْجَمَالِ فَوْجُهُ
 فَإِذَا رَأَى لِلشَّمْسِ أَوْقِفَ سَيْرَهَا
 وَالْبَدْرِ يُخْجَلُ مِنْ ضِيَاءِ جَنِينِهِ
 أَهْدَتْهُ مُبْدِعُهُ الدَّلَالَ لِحَاطِهَا
 بَاهِيَ الْمُحْيَا زَانَ مُحَرَّةَ خَدِّهِ
 نَحْوَ الْقُلُوبِ عَلَى أُنْتَمٍ وَثَامٍ^(١)
 وَتَكَادُ تُسْعِدُ وَخَدَّتِي أَخْلَامِي
 حَالًا شَفِلْتُ بِمَا أُسْتَحَقُّ هِيَامِي
 لَا بَلَّ مَلَائِكُ إِفَاقَ بَدْرٍ تَمَامِ
 جَذَبَ الْقُلُوبَ بِغَفْرِهِ الْبَسَامِ
 وَبَفَوْقِهِ حُسْنًا بِلِينِ قَوَامِ
 مُتَفَاخِرًا بِجَمَالِهِ النَّعَامِ
 صَرَعَ الْقُلُوبَ وَصَادَهَا بِسَهَامِ
 قَدْ صَيَغَ مِنْ نُورِ الْغَرَامِ السَّامِ
 رَمَتْ الْقِنَاعَ وَأَرْدَفَتْ بِسَلَامِ
 وَيَخَافُ أَنْ يَبْدُو بِغَيْرِ لِثَامِ
 فَكَأَنَّهَا طَيْرٌ وَكَانَ الرَّامِ
 وَرَدُّ الصَّبَى وَتَوَقُّدُ الْأَحْلَامِ

مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيًّا بِاسْمًا
 وَمَضَتْ ثَوَانٍ خِلْتُ فِيهَا أَنْتِ
 وَجَرَى يُوجِّجُ بِالْأَرِيحِ ضِرَامِي
 زُرْتُ الْجَنَانَ وَحَقَّقْتُ أَخْلَامِي

بَيْنَا أَنَا فِي بَحْرِ وَجْدِي سَابِحٌ
 إِذْ قَدْ تَحَوَّلَ نَحْوِي وَجْهِي وَجْهُهُ
 وَتَحَرَّكَ قَدَمَايَ لَا أَدْرِى إِلَى
 وَمَشِيتُ مِنْ حَمْرِ الْهَوَى مُتَمَائِلًا
 أَشْتَاقُ أَنْ لَا تَنْقُضِيَ أَوْهَامِي
 فَتَسَعَّرَتْ فِي مُهْجَتِي آلَامِي
 أَيْ الْجِهَاتِ تَحَرَّكَتْ أَقْدَامِي !
 تَمَلًّا وَلَكِنِّي بِغَيْرِ مُدَامِ

(١) الأصح أن يقول « تبودات » .

دَخَلَ الْهَوَىٰ قَلْبًا خَلِيًّا لَمْ يَكُنْ
وَطَفِقْتُ لَا أَذْرِي أَحُلَمًا مَا أَرَى
وَتَحَرَّكَ قَدَمَاهُ نَحْوِي فَأَغْتَدَى
يَا نِعْمَهَا مِنْ سَاعَةٍ فِيهَا جَرَى
وَتَحَرَّكَ شَفَتَاهُ نَحْوِي وَانْحَنَى
وَرَنَا وَقَالَ : الْوَقْتُ أَرْجُو سِيدِي
فَأَجَبْتُهُ وَيَدِي تَلَاعِبُ سَاعَتِي
قَدْ مَرَّ بَعْدَ السَّتِّ عَشْرُ دَقَائِقِي
فَتَلَفَّتَ الظُّبَى الْجَمِيلُ كَأَنَّهُ
وَتَلَفَّظَتْ شَفَتَاهُ : هَيَّا سَاعَتِي
وَتَحَرَّكَ يَمْنَاهُ نَحْوِي وَانْتَنَى
فَرَأَيْتُ نَجْمَ سَعَادَتِي قَدْ أَظْهَتْ
وَجَعْتُ كُلَّ قَوَايِ بِلِ وَبَسَّالَتِي
وَتَحَرَّكَ شَفَتَايَ رَغْمَ إِرَادَتِي
وَسَأَلْتُهُ : مَا الْإِسْمُ ؟ قَالَ وَلِحَظُهُ
إِنْ شِئْتَ أَسْقِطُ سِتَّةً مِنْ مَائَةٍ
فَصَبِرْتُ حِينًا لَمْ أَذُقْ طَعْمَ الْهُدَى
وَمَضَتْ ثَوَانٍ وَالسَّكُونُ مُخِيمٌ
حَتَّى عَثَرْتُ بِمَطْلَبِي فَغَدَوْتُ مِنْ
نَادِيَتِهِ فَاهْتَزَّتْ تِيهًا جِيدُهُ

يَذَرِي الْهَوَىٰ حَتَّى اكْتَوَى بَغْرَامِ
أَمْ يَقْظَةً أَمْ فِتْرَةَ الْأَوْهَامِ
قَلْبِي يَدُقُّ وَخَانَ نِيَّيَ إِقْدَامِي !
مَا هِ الْحَدِيثِ فِجَاءِ طَبَقَ مِرَامِي
بِعَوَائِدِ التَّرَكِيِّ عِنْدَ سَلَامِ
إِيضَاحِهِ إِذْ حَانَ أَخْذُ تِرَامِي !
وَالْقَلْبُ يَرْقُصُ مِنْ لَذِيذِ مَنَامِي :
وَأَرَى الْغَزَالَهَ أَعْلَنْتَ بِسَلَامِ (١)
يَخْشَى هُجُومَ الْبَاطِشِ الصَّرْعَامِ !
إِنِّي أَرَى قَدْ حَانَ وَقْتُ طَعَامِي
يَنْوِي الرَّحِيلَ مَضَاعِفًا آلَامِي
أَنْوَارُهُ وَغَرِقْتُ فِي أَوْهَامِي
وَأَفَقْتُ حَالًا مِنْ لَذِيذِ مَنَامِي
كَيْمَا أَقَاوِمَ عِلَّةَ الْإِبْكَامِ
كَالسَيْفِ يَلْعَبُ فِي يَدِ الصَّمْصَامِ (٢)
هَذَا الْحِسَابُ بِجُمْلِ الْأَرْقَامِ
وَكُنْتُ قَدْ صُدَّعْتُ أَقْلَامِي
مِنْ حَوْلِنَا وَالْفِكْرُ فِي آلَامِ
طَرِبَ الْمَسْرَّةَ رَاقِصَ الْأَقْدَامِ
وَكُنَّ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ بِكَلَامِي

(١) الغزالة : الشمس ، وأعلنت : يريد غرت ، وقوله بعد الست عشر دقائق : يريد أن الساعة بلغت عشر دقائق بعد السادسة . (٢) الصمصام : هو السيف أيضاً بينما يقصد الشجاع .

وأجاب والإعجابُ صَيَّرَ خَدَّهُ
 كيف اهتديتَ إلى أصولِ حروفه
 من أين تَدْرِي أنه من أَرْبَعِ
 فأَجَبْتُهُ : هذا الحسابُ صناعتِي
 فَرَنَّا وَقَالَ : سَأَلْتُمُوهُ فَأَجَبْتُكُمْ
 لَكَ مَا تَشَاءُ فَمَا يَتَّكَانِ وَعَشْرَةٌ
 وحروفُهُ سَبْعٌ أَقُولُ بِوَضْفِهَا
 وبه وقد إن أخرجت فاستبدلتُ
 فتنبّه الطَّيْبُ الْجَمِيلُ وَتَمَتَّتْ
 فكأنني يعقوبُ أَبْصَرَ بعدما
 وكانَ دُرٌّ حَدِيثُهُ قَدْ جَاءَنِي
 والروضُ هَبَّ بِهِ النَّسِيمُ مَبَارَكًا
 وَبَلَابِلُ الْبُسْتَانِ طَارَتْ حَوْلَنَا
 وَالزَّرْجِسُ الْغَضُّ الْجَمِيلُ تَمَيَّيَلَتْ
 وتراقصتُ أغصَانُهُ وَتَبَسَّمتْ
 فوقفْتُ من طَرَبِ الْمَسْرَةِ حَائِرًا
 هَدَأَ النَّسِيمُ كُلُّهُ حَتَّى حَوَّلَنَا

ما بين لون الورْدِ والأعْنَامِ (١) :
 كيف اتَّصَلَتْ بفائِهِ وَاللَّامِ ؟
 قد صِيغَ والتكرارُ بالإلْزَامِ (٢)
 إني أُعَلِّمُ صِيغَةَ الْأَرْقَامِ (٣)
 وَعَلَى حَقِّ سُؤَالِ الاستِفْهَامِ !
 وَأَضِفُ إِلَيْهَا اثْنَيْنِ يَا ابْنَ كِرَامِ
 إسمًا بِهِ قَدْ عِيلَ صَبْرُ غَرَامِي (٤)
 بالياء بعد الراء تم مرامي
 شفتاهُ : صُنْ يَا ابْنَ الْخَلِيلِ زِمَامِي
 قَصَى زَمَانًا فِي بَكَا وَظَلَامِ
 كَقَمِيصِ يُوسُفَ فَانْجَلَتْ أَيَّامِي
 وَالطَّيْرُ أَشَدَّتْ مُنْعِشَ الْأَنْعَامِ (٥)
 وَكَأَنَّهَا تَدْعُو لَنَا بِدَوَامِ
 أَعْطَافُهُ بِالْوَرْدِ وَالْأَكَامِ
 أَزْهَارُهُ وَعَلَا هَدِيلُ حَمَامِ
 أَشْتَأَقُ حَكْمَ النِّقْضِ وَالْإِبْرَامِ
 قَدْ صَارَ يُشْبِهُ صُورَةَ الْأَصْنَامِ

(١) الغنم : زهر أحمر اللون ، جمعها على أغنام .

(٢) يريد أنه مكون من أربعة أحرف ، ويريد بالـ تكرار تكرار الفاء واللام ، ولعله يقصد الباء واللام فيكون الاسم المراد « بلبل » وبمجموعه نحسب الجمل ٦٤ وهو أقرب إلى رقم ٩٤ الذي أشار إليه في بيت سابق

(٣) يشير في هذا البيت إلى أنه كان مدرسا للحساب . (٤) يريد أن اسمه لإسماعيل صبري .

(٥) الصواب : والطير شدت ، ولو قال « تشدو » لاستقام الوزن أيضا .

هَبَّ النِّسِيمُ فَشَاغَلْتُ حَرَكَاتُهُ
وَتَدَفَّقَتْ عَنِّي حُنُوءًا نَحْوَهُ
وَتَحَرَّكَتْ يُنْمَايَ تَلَمَّسُ زَنْدَهُ
وَاشْتَدَّ فِي خَفَقَانِهِ قَلْبِي وَقَدْ
وَحَسِبْتُ أَنَّيَ عِنْدَمَا صَاحَبْتُهُ
وَكَأَنَّ مُوسِيقَى الْحَدِيقَةِ خَلَقْنَا
وَالشَّمْسُ عِنْدَ مَغِيبِهَا قَدْ قَبَّلَتْ
وَالطَّيْرَ عِنْدَ فِرَاقِهِ قَدْ أَبْدَلَتْ
وَحَنَّا عَلَيْهِ الْبَنَانُ يَمْنَعُ مَشْيَهُ
عَشِيقَتُهُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ لِحُسْنِهِ
خَطَّتْ يَدُ التَّكْوِينِ فَوْقَ جِينِهِ
وَعَشِيقَتُهُ لَا لِلْجَمَالِ وَإِنَّمَا
مَا زَالَ يُطَرِّبُنِي بِعَذْبِ حَدِيثِهِ

* * *

خَرَجَ الْأَمِينُ عَلَيْهِ يَسْتَدْعِي لَنَا
وَخَرَجْتَ وَالْيُسْرَى تُطَوِّقُ خَصْرَهُ
شَخَصَتْ لَهُ كُلُّ الْعْيُونِ وَلَيْتَنِي
سَاعَدْتُهُ حَتَّى جَلَسْتُ جِوَارَهُ
وَعَدْتُ هُنَالِكَ صَافِنَاتُ جِيَادِنَا
وَالْجَوُّ رَقَّ نَسِيمُهُ مِنْ حَوْلِنَا
وَتَجَلَّتْ الْهَيْفَاءُ تَلْعَبُ بِالنَّهْيِ
وَكُوكَاكِبُ الْعَلْيَاءِ زَادَ وَمِيزُهَا

سَيَّارَةٌ مِنْ شَارِعِ الْأَهْرَامِ!
فَكَانَهُ بَدْرٌ بَدَا بِظُلَامِ
ثُوبٌ عَلَيْهِ لَكِي أُرِيحَ غِرَامِي
إِيوَانُ كِسْرَى كَانَ دُونَ مَقَامِي
مَدَّتْ مِفَاتِنَهَا كَغَرْخِ نَعَامِ
وَالْبَدْرُ أَجْلَى مُزَعِجِ الْأَحْلَامِ
لَعِبًا تَضِيقُ لَوْصَفِهِ أَفْهَامِي
وَاصْطَفَتْ الْخُورُ الْحَسَانُ أُمَامِي

ما زال سائقنا يسوقُ حَيَّادَهُ حتى وصلنا مَلْعَبَ الأقدامِ^(١)
فسألتُهُ إن كان يَسْمَحُ وَقْتَهُ كما أقومَ بواجبِ الإكرامِ
فَرَنَّا بلحظِ جُهُونِهِ وأجانبى شكراً ولكن حانَ وقتُ منامى

* * *

فرأيتُ أنْ وَجَبَ الوصولُ لِدَارِهِ حتى أُفُوزَ بِصُحْبَةِ وَتَدَانِي
قَصْرُ بِمَصْرَ عَلَى الولاءِ مُشِيدٌ بيت الكرامِ لِقَاصِهَا والدَانِي^(٢)
تلتفتُ حولَ فنائه فيحاه قد عبت بسرُّ الوَرْدِ والرَّيْحَانِ
غناه نبسمُ والزهورُ تَزِينُهَا كقلائدِ الياقوتِ والمرْجَانِ
والطيرُ كانَ صغيرُهُ يدعو إلى تحريكِ أعطافِ لِفُصْنِ البَنَانِ
وَخَرِيرُ أَفْوَاهِ الجداولِ شاركت أنعامَ طَيْرِ الرَّوْضِ فى الألحانِ

* * *

وَلَجَّ العزيرُ عَرِينَهُ من بَعْدِ أن أَهْدَى سلاماً ضاع فيه بِيَانِي
والبدرُ أسفرَ والزهورُ تَبَسَّمتُ واستقبلته شقائقُ النُعمَانِ
نطقَ اللسانُ مُتَرْجِماً عن مُهْجَتِي : سِرُّ فى سلامٍ دائمٍ وأمانِ !
يا أيها البدرُ الذى عَنَى نَأَى ترعاك عَيْنُ عنايةِ الرحمنِ
إن كنتَ قد أظلمتَ جَوَّ مَسَرَّتِي فكذلكَ شَأْنُ البدرِ فى الدَّوْرَانِ
صبراً فؤادى كُلُّ بُعْدٍ ينقضى والدهرُ ضدَّ رَغائبِ الوُلْهَانِ

* * *

غَادَرْتُ ذاكَ القصرَ أَحْسَدُهُ عَلَى سِحْرِ به يُزْرِى بِسِحْرِ بِيَانِي
وقفلتُ مكتئباً أَحِنُّ إلى الذى مَلَأَ الفؤادَ بِلَحْظِهِ الْفَتَّانِ

(١) نعله يريد ملعب كرة القدم بالجزيرة . (٢) قول قاصها : خطأ ، والصحيح : قاصها .

سُبْحَانَ مَنْ زَرَعَ الْوَرْدَ بِحَدِّهِ
مَنْ لِي بِدَمْعِي كِي أُرَوِّيهَا بِهِ
سِيَانٍ فِي حُلْمٍ أَرَى أُمَ يَقْظَةٍ
وَقَضَيْتُ دَاجِي لَيْلَتِي مُتَقَلِّبًا
يَهْفُو النَّعَّاسُ بِمُقْلَتِي فَيَرُدُّهُ
حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الظَّلَامُ وَأَشْرَقَتْ
بَادَرْتُ حَالًا بَارْتِدَاءً مَلَابِسِي
وَالشَّمْسُ قَدْ نَشَرَتْ ذَوَائِبَ شَعْرِهَا
فَعَرَجْتُ نَحْوَ الْقَصْرِ أَذْكَرُ مَا مَضَى
وَأَرَأَيْتَ الظُّلَى الْغَرِيرَ لَعَلَّهُ
وَمَضَى طَوِيلُ الْوَقْتِ حَتَّى خِلْتُ بَنِي
بَيْنَا أَنَا وَالْجَوْهُ حَوْلِي مُعْتِمٌ
فَتَحَوَّلَتْ عَنِّي الْكَأَبَةُ وَأُعْتَلَّتْ
وَرَأَيْتُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ يَدْعُو إِلَى
غُصْنَيْنِ بَيْنَهُمَا مَهَابَةٌ قَدْ بَدَتْ
كَسَفَتْ جَمَالَ الشَّمْسِ وَجَنَّتْهَا وَمَا
فَاقَتْ غَزَالَ الْأَمْسِ عَشْرَ مَرَّاحِلِ
وَالثَّوْبُ لَمْ يَحْجُبْ خَفَايَا جِسْمِهَا
بَاحَ الْقَمِيصِ بِسِرٍّ مَكْنُونِ الْهُوَى
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الْقَمِيصَ وَلَيْتَنِي
حُورِيَّةٌ ضَمَّ الْوِشَاحُ قَوَامَهَا
سَلَّتْ صَوَارِمَ لَحْظِهَا مِنْ غَمْدِهَا

وَجَلَتْ سَنَاها زَهْرَةُ الرُّمَّانِ
حَتَّى تَضَاعَفَ حُسْنُهَا نِيزَانِي
دَاجٍ إِلَى خَدِّ الْحَبِيبِ دَعَانِي
حَيْرَانَ لَا يَهْوَى الْكَرَى أَجْفَانِي
طَيْفٌ يُجَدِّدُ ذِكْرُهُ أَشْجَانِي
شَمْسُ الصُّحَى تَزْهَوُ عَلَى الْأَفْنَانِ
وَخَرَجْتُ أَقْصِدُ مَسْرَحَ الْغَزْلَانِ
تَكْسُو الرُّبَى خُلَلًا مِنَ الْأَلْوَانِ
وَأَعْلَلُ الْأَهَالَ بِالْوِجْدَانِ
يَنْسَابُ بَيْنَ مَعَاوِلِ الْوُدْيَانِ
فِي مِرْجَلٍ وَالْجَوْهُ أَحْمَرُ قَانِ
عَصَفَتْ رِيَّاحُ صَبَا الْحَبِيبِ الْجَانِ
وَجَهَى الْمَسْرَةَ وَانْجَلَّتْ أَحْزَانِي
نَظُمَ الْقَرِيضِ يَحَارُ فِيهِ الْبَانِي
فَتَنَّتْ قُلُوبَ الْخُورِ وَالْوِلْدَانِ
لِلْبَدْرِ ضَوْؤُهُ جَبِينَهَا الْفَتَّانِ
وَعَلَتْ تَشَاهِدُ دَارَةَ الْمِيزَانِ
غُصْنًا تَرَبَّعَ فَوْقَهُ نَهْدَانِ
فَجَلَا سَنَا فَجْرِ أَضَاءِ عِيَانِي
كَانَ الْمُعَذِّبُ فِي الْغَرَامِ مَكَانِي
فَكَأَنِّهَا وَوِشَاحُهَا قَمَرَانِ
فَسَطَّتْ عَلَى الْأَسَادِ وَالْغَزْلَانِ

وَتَبَسَّمتُ عَنْ لَوْلُو مُتَمَنِّعٍ (مَرَجَ الشَّهَى بِحَرْيْنِ يَلْتَقِيَانِ) ^(١)
 تَرْكَنَهُ لِلْعُشَاقِ يَنْسِبُ خَدَّهَا وَاصْبُوتِي مِنْهُ بِأَحْمَرَ قَانِ
 خَدَّيْكَ يُرِيكَ نَعِيمَهُ فِي نَارِهِ يَأْمَنُ يَرَى الْفِرْدَوْسَ فِي النَّيِّرَانِ !
 تَرْنُو لَوَاحِظُهَا إِلَى عُشَاقِهَا فَتَصُولُ فِي أَحْشَائِهِمْ كَيْمَانِي
 صَاغَ الْجَمَالَ جَنِينَهَا مُتَعَبِّدًا (فَأَنَّى كَيْسَمِ اللَّهِ فِي الْعُنُونِ)
 شَخَّصَتْ إِلَى الزَّرْقَاءِ مِنْهَا مُقَلَّةً وَتَرْفَعَتْ عَنْ رُؤْيَا الثَّقَلَانِ ^(٢)
 وَعَلَتْ إِلَى الْجَنَّاتِ تَطْلُبُ أَنْ تَرَى هَلْ فِي السَّمَاءِ لَهَا شَبِيهٌ ثَانِ

* * *

فَحَسِبْتُ أَنِّي عُدْتُ أَحْقَابًا إِلَى عَهْدِ الْخُرَافَةِ أَعْصَرَ الْيُونَانِ
 وَعَجِبْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا قَدْ شَابَهَتْ تَمَثَّلَ (أُورَانِيَا) عَظِيمَ الشَّانِ
 وَجَرَى بِهَا نَبْتُونُ يَسْبَحُ فِي الْفَضَا وَغَدَتْ لَهَا الْأَفْلَاكُ طَوْنَعِ بَنَانِ
 وَكَأَنَّ (كَالِيْنُو) تَغَارُ لِأَنَّهُمَا مَلَأَتْ الْجَمَالَ إِلَهَةُ الْأَغْصَانِ
 لَكِنَّمَا (جُوبِيْتِرُ) تَخْشَى بَطْشَهُ فَهُوَ الْمُنْظَمُ خُطَّةَ الْأَكْوَانِ
 صَدَرَتْ أَوْامِرُهُ إِلَى الْأَلَى بَأَن تَبَقَى تُرَاقِبُ دِقَّةَ الدَّوَرَانِ
 وَأَشَارَ لِلْأُخْرَى إِلَى الْأَرْضِ أَهْبِطِي كَيْ تَظْهَرِينَ مَحَاسِنَ الْإِنْسَانِ ^(٣)
 وَعَلَا وَكُلُّ الْكَائِنَاتِ مُطِيعَةٌ رَغْمَ الْأُنُوفِ إِطَاعَةَ الْعِبْدَانِ

* * *

هَبَّ النَّسِيمُ فَأَقْشَعَتْ حَرَكَاتُهُ سِنَّةَ الْخِيَالِ وَعُدْتُ لِلْوُجْدَانِ
 فَوَجَدْتُني مَازِلْتُ أَقْتَحِمُ اللَّطَى وَالشَّمْسُ هَزَّ لَهَايْهَا أَرْكَانِي
 وَالرَّمَمُ يُظْهِرُ أَنَّهَا قَدْ لَاحَظَتْ أَنِّي أَصِبتُ بِسَهْمِهَا الْخُلُوفَانِ

(١) في البيت تضمين على عادة الشاعر .

(٢) الصواب أن يقول : الثقلين . (٣) الصواب أن يقول : كي تظهرى .

فَكَسَا الْحَبَاءَ وَرُودَ خَدَّيْهَا دَمًا ومشت وَذَيْلُ قِمِيصِهَا يِرْعَانِي
وَتَمَايَلَتْ كَالْفُضْنِ حَرَكَهُ الصَّبَا وَتَسَتَّرَتْ عَنْ نَاطِرِي وَعِيَانِي
نَاحَتْ لَهَا الْوَرَقَاءُ عِنْدَ فِرَاقِهَا وَأَحَاطَ جَيْشُ اللَّيْلِ بِالْبُسْتَانِ
وَبَقِيَتْ كَالْتِمْنَالِ لَيْسَ بِجَوْفِهِ قَلْبٌ يَدُقُّ بِفِرْقَةٍ وَتَدَانِي !
لَمْ أُسْتَطِعْ تَحْرِيكَ أَعْضَائِي وَلَمْ يَحْسُرْ عَلَى نُطْقِ الْكَلَامِ لِسَانِي
لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَقْيَالٍ لَمَّا هَامَ الْمُلُوكُ بِبَهْجَةِ النَّيْجَانِ
وَلَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ عَابِدٍ أَلِفَ السُّجُودَ مَحَبَّةَ الْغُفْرَانِ
لَرَنَّا لِطَلْعَتِهَا وَأَهْلَاهِ الْهُوَى عَنْ ذِكْرِ آيِ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ
أَنَا لَمْ أَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَلَيْسَ لِي أَمَلٌ بَأَنْ أُغْدُو وَحِيدَ زَمَانِي
لَكِنَّمَا مَا حِيلَتِي وَالسَّهْمُ قَدْ رَاشَ الْفُؤَادَ وَبَاتَ طَيِّ جَنَانِي
هَذَا جَزَاءُ فَتَى تَلَاعَبَ بِالْهُوَى فَاعْتَاضَ حُلُو الْعَيْشِ بِالْأَحْزَانِ

* * *

وَطَلَلْتُ أَنْتَظِرُ الْغَزَالَ وَإِنَّمَا نَارُ الْغَزَالَةِ أَحْرَقَتْ أَبْدَانِي
وَسَأَلْتُ نَفْسِي هَلْ تَكُونُ شَقِيقَةً لِلْبَدْرِ أَمْ هَذَا مَلَائِكُ ثَانِ
ظَهَرَ الْغَزَالُ وَتَغَرُّهُ مُتَبَسِّمٌ سَرَّعَانَ مَا يَمِينُهُ حَيَّانِي
(هَجَمَ السَّرُورُ عَلَىَّ حَتَّى أَنَّهُ مِنْ فَرْطِ مَا قَدْ سَرَّانِي أَبْكَانِي)
لِلَّهِ مَا أَبْهَى جَمِيلَ رِدَائِهِ ثَوْبٌ يُغَازِلُ خَلَّةَ السُّلْطَانِ
لَوْ أَنَّ كِسْرَى كَانَ فِي أَيَّامِهِ لِأَخْتَارَهُ خِلَافَةَ الْإِيوَانِ
مَدَّ الْيَمِينَ مُصَاحِفًا وَمُصَبِّحًا خِلْتُ الثَّرِيًّا عَلَّقْتُ بِنَبْنَانِي
صَاحْتُهُ وَضَغَطْتُ بِالْيُسْرَى عَلَى قَلْبِي أَحَقَقْتُ وَطْأَةَ الْخُفَّاقَانِ !
وَسَأَلْتُهُ مَاءَ الْأُطْفَى مَا بَدَأَ فِي الْقَلْبِ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ نِيرَانِ
فَأَشَارَ نَحْوَ الْقَصْرِ ثُمَّ تَلَهَّبَتْ وَجَنَاتُهُ كَعَشِيقِ بِنْتِ الْحَنَانِ

وَأَفْرَحْتِي لَوْ تَسْمَعَنُ بَرْيَارَتِي فَأَقَابِلُ الْإِحْسَانَ بِالشُّكْرِ
نَقَضِي قَصِيرَ الْوَقْتِ حَتَّى يَنْقَضِيَ وَقْتُ الْهَجِيرِ بِرَاحَةٍ وَأَمَانٍ
فَتَحَرَّكَتُ قَدَمَايَ تَتَّبِعُ سِيرَهُ وَالْفَرَحُ عَاقِبَةُ الثَّنَاءِ لِسَانِي
وَوَلَّجْتُ دَارًا بِالْجَمَالِ تَسْرُبْتُ مَا حَازَهَا قَدَمًا أَنُو شِرْوَانِ
مَا أُمُّهَا لَيْلٌ وَلَمْ تَذَرِ الدُّجَى وَتَكَادُ تَجْعَدُ دَوْرَةَ الْمَلَوَانِ
وَجَلَسْتُ أَرْشُفُ كَأْسِ حُبِّ طَاهِرٍ ضَنَّ الزَّيْمَانُ بِهَا عَلَى التَّيْجَانِ
وَخَلَوْتُ بِالظُّبَى الْجَمِيلِ وَبَيْنَنَا غَزَلٌ كَعَذْبِ الْمَاءِ لِلظَّمْآنِ
طَوْرًا نَكَلُّمُ بِالشِّفَاهِ وَتَارَةً يَكْفِي الْعُيُونَ الْهَمْسُ بِالْأَجْفَانِ
مَا كَانَ أَشْهَى خَلَوْتِي بِمُسَامِرِي لَوْ كَانَ يَسْمَحُ أَنْ يَدُومَ زَمَانِي !

* * *

غَابَ الْعَوَازِلُ وَالْوُشَاةُ وَلَمْ يَكُنْ بِالسَّرِّ يَعْلَمُ غَيْرُ غُصْنِ الْبَانِ
وَلَوْ أَعْتَقَدْتُ بِأَنَّهُ وَاشٍ بِمَا قُلْنَا لَصُنْتُ السَّرَّ بِالْكَيْمَانِ
وَلَكِنُّ وَشَى لِلزَّهْرِ مَا مِنْ زَهْرَةٍ إِلَّا بَعَيْنِ صَبَابَتِي تَرْعَانِي
خَفَتِ النَّسِيمُ يُذِيعُ أَسْرَارَ الْهُوَى وَيَبُوحُ بِالْمَكْنُونِ مِنْ أَشْجَانِي
فَسَأَلْتُهُ كَيْتَمَانَ مَا قَدْ لَاحَظْتَ خَطَرَاتَهُ وَالسَّمْعُ وَالْعَيْنَانِ
فَأَجَابَنِي خَفِضَ عَلَيْكَ وَلَيْتَنِي كَهْفُ أَعْوَقِكَ طَارِيءُ الْخَدَّائِنِ
وَجَرَى يَقْبَلُ وَجَنَّتِيهِ وَيَنْشِي يُهْدِي إِلَى قَلَائِدِ الْعَقِيَّاتِ
فَتَبَوَّذْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَازِلِي قَبْلُ يَقْطَعُهَا غَرَامُ هَانِي
يَهْفُو الْفَوَادُ لَوْعِمَهَا فِيرْثُوهُ بِاللُّطْفِ صَوْتُ الطُّهْرِ وَالْإِيمَانِ
مَا أَسْعَدَ الْوَلَهَانَ حِينَ يَضُمُهُ بَيْتُ الْمُحِبِّ بِخَلْقِهِ وَأَمَانِ
بِالْيَتَاهَا كَانَتْ تَدُومُ وَلَيْتَنِي قَبْلُ أَنْقِضَآهَا كُنْتُ فِي الْأَكْفَانِ
سَرَّعَانَ مَا تَجَرَّى أَوْيَقَاتُ الْهَنَاءِ وَمَنْ الْمُحَالِ يَدُومُ وَقْتُ تَدَانِي

نوديتُ والطَّبِيَّ الْجَلِيلَ : تَفَضَّلَا
يَدْعوكَا الطَّاهِيَ إِلَى الْأُلُوانِ !
بِئْسَ النَّدَاءُ فَقَدْ حُرِمْنَا خَلْوَةً
كَانَتْ دَوَاءً لِلْفُؤَادِ الْمَآلِي
مَا كَانَ أَقْصَرَ مُدَّةً أَنْسَتْ بِهَا
مِنْهُ الْعُيُونُ فَكَانَ وَصَلَ غَوَانِي
كَرَّتْ وَلَكِنْ لَمْ تَطُلْ فَكَانَهَا
طَيِّفُ الْخِيَالِ يَلْذُّ لِلْوَسْنَانِ

* * *

لَوْ أَنَّ أَيَّامِي تَفِي تَمَنَّا لَهَا
لَبَدَلْتُ أَيَّامِي لَهَا بِشَوَانِي
أَوْ أَنَّ عَمَرَ الْمَرْءِ طَوْعُ بَنَانِهِ
لَجَعَلْتُهَا عُمرِي وَقُلْتُ كَفَانِي

قصائد اجتماعية ووجدانية

حرب طرابلس^(١)

التَّاجُ أَثْبَتُ مِنْ رَضْوَى يُحِيطُ بِهِ جيشٌ على الحقِّ مكتوبٌ له الظفرُ
اللهُ يَحْرُسُهُ وَالَّذِينَ يَنْصُرُهُ كأنه كوكبٌ يسمو له النظرُ
يَا آلَ عُمَانَ لَا زِلْمَ بِمَنْعَتِكُمْ تعنوا الملوكُ لكم والدينُ يفتخرُ
وَالْغَرْبُ يَعْرِفُ يَوْمَ الْحَرْبِ بِطَشِكُمْ بقوةِ الله لا يُبْقَى وَلَا يَذَرُ
اِسْكُنْ تَجَاهَلَتِ الطُّلَيَانُ قَدْرَكُمْ فأصبح الذئبُ قُربَ الليثِ يُخْتَصِرُ
يَا ذئبُ مَالِكِ وَالْآجَامِ تَدْخُلُهَا إن غابت الأسدُ فالأسبالُ تَنْتَصِرُ!
(يا جيش روما) عَلَيْكَ الْيَوْمَ قَدْ نَقَمْتُ أهلُ السماءِ وَجِنُّ الْأَرْضِ وَالْبَشَرُ
(يا جيش روما) فَلَا ذُقْتَ الْهَوَى أَبَدًا أغراك بالجهلِ سيفٌ كاد يَنْكَسِرُ
وَكَيْفَ جَرَّدْتَهُ وَالْأَسَدُ رَابِضَةٌ تحمى العرينَ وَجَمْرٌ أُلْحِظُ يَسْتَعِرُ
أَهْلُ نَسِيتُ أَسْوَدَ التُّرْكِ مِنْ وَطِئَتْ أقدامهمُ هامةُ اليونانِ فاند حروا
فَسَلْ (أَيْنَا) زَ (فِرْسَالُوسَ) كَمْ فَعَلَتْ جيوشُ (أُدْهَمَ) لَمَّا سَاقَهَا الْقَدَرُ
إِنْ كَانَ أُدْهَمُ أَبِي أَمْرٍ خَالِقِهِ فكلمهمُ (أُدْهَمُ) فِي السَّلْمِ مُسْتَتِرُ
وَيَوْمَ يَبْلُغُ أَمْرُ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ تُرَى فَعَالُهُمُ مَا لَيْسَ يُنْتَظَرُ
سَلِ بَيْضَ عُمَانَ فِي الْهَيْجَاءِ كَمْ حَصَدَتْ من الرُّؤُوسِ وَدَمْعُ الْبَيْضِ يَنْهَمِرُ
لِلتُّرْكِ كَمْ طَاطَأَتْ هَامُ الْمُلُوكِ وَكَمْ عَنَتْ وَجُوهُ عَلاهَا الْجُهْنُ وَالضَّجَرُ
قِرْصَانِ رُومَا أَفِيَقُوا مِنْ سُبَاتِكُمْ جَبْرُ الزُّجَاجِ عَسِيرٌ حِينَ يَنْكَسِرُ
أَهْلُ نَسِيتُمْ أَمَامَ التُّرْكِ مَوْقِفَكُمْ وكيف يَثْبُتُ ذئبٌ جَاءَهُ نَمِرُ

(١) قيلت في قنا في ١٥ أكتوبر ١٩١١ بمناسبة حرب طرابلس وإيطاليا وقد نشرت في الصحف في حينها .
(١٧ - ديوان)

خليفةُ الله ربُّ العرش حافظُهُ
(محمدُ الخامس) المولى العظيمُ ومن
أنعمَ به من ملكٍ ساس دولتهُ
يادولة السيفِ أين الضيفُ الأسدُ؟
ما من شُرُوطٍ أوفًا أن تتركى بلدًا
فبادرى وأظهرى كالبدرِ في أفقٍ
بني أهلالِ العدوِّ اليومَ بطمع أن
لا كان يومٌ ترى القرصان ظافرةً
قومٌ أساطيلُهُم في البحر واقفةً
قومٌ جيوشُهُم في البر شاردةً
ومن عجيبٍ نرى أسطولهم طمعًا
هم يحسبون بأن الدهرَ يسبهم وأل
ويجهلون بأن الدينَ يأمرُنا
سيعلمون قريبًا أيُّ منقلبٍ
وتشرق الشمسُ والآفاقُ باسمه
ويخفق العلمُ المنصورُ فوق ربِّي
لكن على المسلمين اليومَ مَدُّ يَدِ
والمالُ مالٌ إذا جادَ الكريمُ بهِ

والمسلمونَ لمثلِ اليومِ تدخرو
ألقت إليه مقاليدَ النسي البشرُ
وما بغير علاء الدين يفتكرو
قرصان رومًا عليك اليوم تأتمرو^(١)
يحتلها الذئبُ والأعداء تفتخرو
لتجعلى دولةَ الطليان تعبيرُ
يحتل داراً عليها القلبُ ينفطرُ
على طرابلس يا نيس ذا الخبرُ!
تكاد من لطمه الأمواج تنفجرُ
خوفًا من السيفِ والأرواح تحتصرُ
خاض الظلامَ ولكن غرة القمرُ
واشين ينفعهم أن أحرق الخطرُ
يومَ الجهاد بأن للموت نبتدرو
ومن سينزل في ساحاته الكدرُ^(٢)
ويظهر الحقُّ والأعداء تذبهرُ
فرت جيوشُ العدا إذ هالها الخطرُ
فال حربُ يلزمه الإنفاقُ والسهَرُ
مال المالُ ما في كنوز الأرض يدخرو

* * *

يا مسلمي ألهند شدوا أزردولتكم
عن مجدكم حدث التاريخ والسير

(١) في البيت خلل عروضي في قوله « الأسد » .

(٢) تمام القول أن يقول : « أي منقلب ينتقلون » .

يا مسلمي الصين واليابان همتكم
يا مسلمي الفرس كسرى كان أكرم من
سكان أطلس إن الدين يأمركم
أبناء مصر أعيذوا اليوم مجدكم
قد كان مجدكم فاق السهى وسمّا
فبادرُوا بأداء الفرضِ وأسْتَبِقُوا
فالجيشُ يحتاجُ منكم بعضَ ما ملكت
يا عالم الغيب عجلْ نصرَ دولتنا

فالمال أحسن ما يُجْنَى به الثمرُ
ببذل أموالهم قد تشهدُ العصرُ
ببذل أرواحكم يا حبيذا السفر^(١)
النيلُ يشهدُ والأهرامُ والأثرُ
إلى العلا منزلاً يسمو له البصرُ
للاكتتابِ بمالٍ تحسن الذِّكرُ^(٢)
أيديكمو فأعينوا الجيشَ يذتصرُ
وأحفظ لنا تاجها يا من له القدرُ

(١) يريد بسكان أطلس : بلاد المغرب العربي .

(٢) تمام القول أن يقول « تحسن به الذكر » .

الى الأمير^(١)

بُشْرَى فحُجَّتْ للنبالِ سَلامُ وَبِهِ تَصَافَتْ مِصْرُنَا وَالشَّامُ
وَبِهِ سَمَا الْحَرَمُ الْحَرَامُ وَقَدْ غَدَتْ تَعْلُو قَوَاعِدُهُ بِكُمْ وَتُقَامُ
فَالدَّهْرُ عَيْدُكَ وَالسَّنِينُ أُسِيرَةٌ وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالزَّمَانُ غَلَامُ

* * *

جاءَ الْعَزِيزُ فَرَحَبًا بِقُدُومِهِ بِالْبِشْرِ عَادَ وَنَفَرُهُ بِسَامُ
وَأَفَى فَحَلَّ بِأَرْضِ مِصْرٍ نَجْدُهَا إِذْ أَمَّهَا الْإِسْعَادُ وَالْإِكْرَامُ
بِالْيُمْنِ أَبَ عَزِيزُ مِصْرٍ مُبَجَّلًا يَاطْلُمَا خَفَقَتْ لَهُ أَعْلَامُ
يَا مِصْرُ تَبَيَّ وَاطْرَبِي وَاسْتَقْبِلِي رَاعِي بِذِيكَ فَشَهْمُنَا مِقْدَامُ
بِالْحُجِّ أَتَمَمْتَ الْفُرُوضَ جَمِيعَهَا يَآخِرَ مَنْ بَسَمَتْ لَهُ الْأَيَّامُ
قَدْ زُرْتَ مَكَّةَ وَالنَّبِيَّ مُحَمَّدًا مَنَّا عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ
أَرْضًا حَلَلْتَ يَمِجُّ رِيًّا عُودُهَا لِلخِصْبِ أَوْ نُعْمَى يَدَيْكَ غَمَامُ
بِكَ زَيْنَتْ أَرْضُ الْحِجَازِ لِأَنَّهَا رَأَتْ الْهَلَالَ وَأَمَّهَا الْإِنْعَامُ
فَاهْنَأُ بِزُورَتِكَ الْمَدِينَةَ إِذْ بِهَا قَبْرُ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ الْأَعْلَامُ
أَرْضُ حَبَاها اللهُ مِنْهُ رِعَايَةٌ تَمْشَى الْمَلَائِكُ حَفَهَا الْإِعْظَامُ
فِيهَا جُنُودُ التُّرْكِ خَيْرُ بَوَاسِلِ مِنْ كُلِّ لَيْثٍ دَابَّةُ الْإِقْدَامُ
هُمْ خَيْرُ مَنْ سَلَّوْا سُيُوفًا فِي الْوَعَى وَبِهِمْ يَفُوزُ الدِّينُ وَالْإِسْلَامُ
قَوْمُ حُمَاةِ الدِّينِ يَشْهَدُ بِأَسْمِهِمْ أَنَّ الْوَعَى لِلتُّرْكِ فِيهِ غَرَامُ^(٢)

(١) تهنئة الحديو عباس بالحج ٢٧ يناير ١٩١٠ - ١٥ محرم ١٩٢٨ .

(٢) كان من حق الشاعر أن يضع كلمة « العرب » بدلا من كلمة « الترك » وإنما يلتمس له العذر في ذلك لأن الخلافة الإسلامية كانت قائمة وقتئذ .

أُنْعِمُ بِهِمْ وَبِمَجْدِهِمْ وَبِمُلْكِهِمْ إِذْ بِالتَّأْزِرِ أَدْرَكُوا مَا رَامُوا

* * *

نِلْتَ الْمَرَادَ وَنَجَّمُ سَعْدِكَ سَاطِعُ
وَالْبِشْرُ لَاحَ مُهِنَّتًا بِقُدُومِكُمْ
بُشْرَاكِ يَا مِصْرُ فَقَدْ وَافَى الَّذِي
كَمْ شَادَ (عَبَّاسُ) لَنَا بِالْعَيْنِ فِي
أَيَّامُهُ ضَنَّ الزَّمَانُ بِهَا عَلَى
بِسَاءِ مِصْرَ تُجِلُّهُ الْأَفْوَامُ
كَالْبَدْرِ نِصْفَ الشَّهْرِ وَهُوَ تَمَامُ !
دَوْمًا تَرُومُ بَقَاءَهُ الْأَعْوَامُ
أَيَّامِهِ يَا حَبَّ—ذَا الْآيَّامُ
مَنْ شَأْنُهُمْ فِي الْمَلَكِ لَيْسَ يُرَامُ

* * *

يَاعَهْدَ (طَيْبَةَ) إِنَّ مَجْدَكَ فَاقَهُ
(رَمْسِيْسُ) هَيَّامِنْ سُبَاتِكَ كَيْ تَرَى
(أَحْمِسُ) أَجَلَيْتِ الرَّعَاةَ فَكُنْتُ فِي
(سِيزُوسْتَرِيسُ) الْيَوْمَ عَهْدٌ غَيْرُذَا
(مُمِيَاءُ) خَوْفُ أَيَّهَا الْجِسْمُ الَّذِي
خَلَفْتَ آثَارًا بِمِصْرَ عَجِيبَةً
قُمْ مِنْ مَنَامِكَ (أَبْسَمَاتِيكُ) تَرَى
(يَانِيخَاؤُسَ) الْيَوْمَ أَصْبَحَ قُطْرُنَا
يَا أَيُّهَا الْأُمَلَاكُ قَوْمُوا كَيْ تَرَوْا
إِنَّ كَانَ مَجْدُكُمْ (بِمَنْفَى) قَدَسَمَا
فَاقَ الشُّبُهَاتِ فَضْلًا وَمَجْدًا فِعْلُهُ
مَجْدٌ لَنَا بِأَمِيرِنَا وَوِثَامُ
فِي مِصْرَ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ
ذَاكَ الزَّمَانِ تَطْلُكَ الْأَعْلَامُ
لَكَ الْعَهْدِ إِذْ ضَاءَتْ بِهِ الْأَفْهَامُ
عَبَّثَتْ بِهِ الْأَعْوَامُ وَالْآيَّامُ
(هَرَمًا) يَشِيبُ الدَّهْرُ وَهُوَ غَلَامُ
قَدْ أَرَّخَتْ أَعْمَالَكُمْ أَقْلَامُ
مِنْ نُورِهِ السَّامِيُّ يَزُولُ ظَلَامُ
مِنْ لِلْأَرِيكَةِ عَزَّزَتْهُ كِرَامُ
فِي (عَابِدِينَ) الْيَوْمَ جَلَّ هُمَامُ
فِي النَّيْلِ كَمْ خَصَّصَتْ لَهُ أَقْوَامُ^(١)

* * *

يَا بَدْرُ حَيَّاكَ السُّرُورُ فَرَحِبَا لِعُلَاكَ فِي مِصْرٍ يَدُومُ سَلَامُ

(١) من العجب أن يورد الشاعر هذه الفقرة في قصيدته في موطن التهينة بالقدوم من الحج . . .

عاد الأمير فحبذا يوم أتى فيه لمصر المجد والإعظام
فاليوم تجدُّ بالقلوب مسرَّةً حيث الندى للبائسين يرَامُ
(مصر) بمقدِّمك السعيد تشرَّفت ولقد غدت غداً وأنت حُسام^(١)
والنيل فاض من السرور وأهله يهيمو إلى مرأى العزيز هيامُ
لازال نجمُ غلاك يزهو ساطعاً في مصر دوماً ماسمت أهرامُ
وافيتَ والبدر التمامَ فأرَّختَ بُشرايَ عودَ البدر وهو تمام^(٢)

(١) لا نعتقد أن هناك من يقر الشاعر على هذا التشبيه ، الذي جعل به المدحوح سيفاً يعمد في قلب مصر ...
ولكن لعل الحق جرى على لسانه وهو لا يدري .

(٢) يقصد بقوله « والبدر التمام » بأن عودة الحديو كانت في ١٥ من شهر المحرم عام ١٣٢٨ ، كما حرص
علي تسجيل هذا التاريخ في تقديم القصيدة :

تشریف الأمير^(١)

إني أرى نورَ وادي النيلِ ينتشرُ
إني أرى أريجَ الجوّ قد رقت نسامه
إني أرى كلَّ وجهٍ بشٍّ مُبتَهجاً
إني أرى قلبَ وادي النيلِ في طربٍ
إني أرى القطرَ قد غنت بلايله
إني أرى نسماتِ الضُّبجِ شافيةً
إني أرى النيلَ تغري النفسَ لذتهُ
إني أرى مصرَ في أنهى مناظرها
وكيفَ لا وأميرُ الشرقِ شرفها
يامصرُ تبهى دلالاً فالعزيزُ أتى
واقى الأميرُ فلاحَ البشرِ مُبتسماً
يَمُمّتَ نحوَ أميرِ المؤمنينَ لقد
أنعمَ به من ملكٍ ساسَ دولتهُ
(محمدُ الخامسُ) المولى الرَّهيبُ ومن
يا آلَ عثمانَ يا منَ عزَّ نصرهمُ
فهلَ صحیحُ بدَا في بُرجِه القمرُ ؟
حتى السَّما لَمَعَتْ في أَفقها الدُّرُ
كأنما الفَيْثُ وقتَ الجذبِ ينهمرُ
من الشُّرُورِ وعرفُ المسكِ ينتشرُ
والكَيروانُ لبَّ الدَّارِ ينتظرُ^(٢)
من السَّقامِ لَمَنَ قد شَفَّه السَّهرُ
وماؤه ليس يَعْرِو صفوه كدَرُ
كأنها جَنَّةٌ قد حَفَّها ثمرُ
فبعد أن أجَدَبَتْ قد جادها المطرُ
من كانَ للمجدِّ والعلياءِ يدُخِرُ
وأُسْفَرَ القطرُ عن عَيْنٍ بها حورُ
نِلَتْ المُنَى بِرِضاهُ حبذا السَّفرُ
وعزَّ بالنَّصرِ مكتوباً له الظفرُ
أَلَقْتُ إِلَيْهِ مقاليدَ النُّهى البَشَرُ^(٣)
تَعْنُو المُلُوكُ لَكُمْ والدينُ يفتخرُ

* * *

اللهُ أَكْبَرُ عَبَّاسُ العَزِيزُ له
أَهلاً به مُقبِلاً من بعدِ رَحْلَتِهِ
طوبى لِتُرْبٍ عليه اليَوْمَ قد وُضِعَتْ
عندَ الخَلِيفَةِ ما يحلو به الأثرُ
كأنه كوكبٌ يسمو له النَّظَرُ
أقدامُهُ فهو مسكٌ أذقرَ عطرُ

(١) بعد مقابلة الحديو عباس لجلالة السلطان في أكتوبر ١٩١٠

(٢) يريد « بالكَيروان » نفسه ، وصحتها « الكروان » بكسر الكاف وسكون الراء

(٣) الشطر الثاني منقول من أبيات للحطيفة وجهها للخليفة عمر بن الخطاب وقد ورد البيت بأكمله في قصيدة

حرب طرابلس ، أول هذا الباب .

يَا مَهْلًا قَدْ تَمَتَّعْنَا بِكَ وَنَرِيهِ
إِلَيْكَ نَشْكُو أَشْيَاءَ هَاجَهُ السَّفَرُ
وَلَوْعَةً أُحْرِقَتْ مِنَّا الْفُؤَادَ بِمَا
وَقَاكُمُوهُ قَضَاهُ اللَّهُ وَالْقَدَرُ !
جَدَّدَتْ بِالْعَوْدِ يَا عَبَّاسُ بَهْجَتَنَا
وَأَسْعَدَتْ قُطْرَنَا آلَاؤُكَ الْغُرُرُ
الْعَوْدُ أَحْمَدُ وَالْعَلِيَا تُوَرِّخُهُ
يَا مُجْدَ مِصْرَ أَتَى عَبَّاسُكَ الْقَمَرُ !

تهنئة^(١)

البَذْرُ عَنْ وَجْهِ البَشَاشَةِ أَنْفَرَا وَالنَّيْلُ مِنْ طَرَبِ الْمَسْرَةِ مَاؤُهُ
وَالْحَوْ مِرْقَ نَسِيمُهُ وَتَعَطَّرَا وَكُوا كَبُ الْعِلْيَاءِ زَادَ وَمِيقُهَا
رَوَى بِلَذَّتِهِ الْقُلُوبَ وَأَسْكَرَا وَتَجَلَّتْ الْهَيْفَاءُ تَلْعَبُ بِالنَّهْيِ
وَعَقُودُهَا أُمْسَتْ تَفُوقُ الْجَوْهَرَا عَصَمَاءُ كُلِّ الْكَائِنَاتِ غَدَتْ لَهَا
لَعِبًا تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى شَخَصَتْ إِلَى الزَّرْقَاءِ مِنْهَا مُقَلَّةٌ
أُمَّةٌ تَرَى مِنْ سَعْدِهَا أَنَّ نُومَرَا وَعَلَتْ عَلَى عَرْشِ الْجِبَالِ يِعِزُّهَا
أَهْدَتْ إِلَى هَاتُورٍ لِحْظًا سَاحِرَا مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيًّا بِأَسْمَا
فَكَسَتْ أَدِيمَ الْأَرْضِ ثَوْبًا أَخْضَرَا وَالتَّقَتِ الْأَقْمَارُ تَسْطَعُ حَوْلَهَا
وَجَرَى فَحَفَّ بِزَهْرٍهَا وَتَبَعَثَرَا وَاصْطَفَتْ الْخُورُ الْحِسَانَ كَأَنَّهَا
كَانَ تَأْتِي الْمَاسِيَّ زَانَ الْخِنْصَرَا وَكَأَنَّ نَبِيَّ السَّعْدِ كَانَ مُرَافِقِي
نَظَمُ الصُّمُوفِ يُمَجِّدُ الْإِسْكَندَرَا فَسَأَلْتُ نَفْسِي هَلْ مَنَامٌ مَا أَرَى
زُرْتُ الْجِنَانَ وَقَدُورَتْ الْكُؤُوتَرَا أَمْ يَقْظَةُ أَمْ ذَا خَيَالٍ صُورَا ؟

* * *

سَنَةِ الْخَيَالِ وَأَبْعَدَتْ طَيفَ الْكَرَى هَبَّ النَّسِيمُ فَشَاغَلَتْ حَرَكَاتُهُ
فِي ذَا الْمَسَاءِ وَحُقَّ لِي أَنْ أَخْضَرَا فَذَكَرْتُ شَهْمًا قَدْ دُعِيْتُ لِعِرْسِهِ
وَجَدْتُهُ مَشْغُولَ الْبِرَاعِ مُفَكِّرَا بَدَرْتُ إِلَيْهِ يَدُ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا
جَعَلَتْهُ نَافَسَ فِي الْجَلَالِ الْقَيْصَرَا نَشَرْتُ عَلَيْهِ فَلَانِدًا مِنْ جَوْهَرٍ
لِجَاهِلَا قَامَ الزَّمَانُ مُكَبِّرَا وَكَسَتْهُ مِنْ حُلَلِ الْمَهَابَةِ بُرْدَةٌ

(١) ألفت في حفل عرس الشيخ طاهر العشي الحسبي ، رأس علماء قنا ، والعضو العلمي بمجلس المديرية . هذا وقد وجدنا للشاعر قصيدة أخرى رائية ردد فيها معظم أبيات هذه القصيدة ، ووجهها إلى الوزير إبراهيم الدسوقي أباظة فلم نقبها تجنباً لتكرار ممل ومطالعها :

بامرسل الآيات من فيض الهدى حي المهابة والجلال الأكبرا

وَسَمَتْ بِهِ عَرْشَ الْبَلَاغَةِ فَاعْتَلَى
خَاضَ الْقَرِيضَ بِفُلْكِهِ حَتَّى إِذَا
(الطَّاهِرُ الْعَشِيُّ) مَنْ نَفَحَاتُهُ
الكَاتِبُ اللَّبِقُ الْبَلِغُ بَيَانُهُ
شَمْسُ الثَّقَى وَشُعَاعُ أَقْمَارِ الْهَدَى
رَوْضُ بَزْهَرِ عُلُومِهِ فَاقَتْ (قِنَا)
حَسَنَاتُهُ نَفْدَ الْمِدَادِ لِحَصْرِهَا
شَفَلَتْ مُحَاسِنُ فَضْلِهِ وَخَصَالِهِ
جَمَعَتْ مَكَارِمُهُ مَكَارِمَ حَاتِمِ
يَا مَنْ لِحُجُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِهِ
فِي شَأْنِهِ وَجَنَانِهِ وَلِسَانِهِ
لَوْ أَنَّ مَوْجَ الْبَحْرِ مَسَّ يَمِينَهُ
يَا ابْنَ الذِّى مَا ضَمَّ بُرْدُ كَابِنِهِ
قَدْ شَدَتْ سَوْقًا لِلنَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ
مِنْكَ الشَّمْسُ أَوْ أَخَذَنْ ضَوْءَ جَبِينِهَا
صَاغَ التُّحَاةُ اللَّفْظَ وَقَتَ نَبَاتِهِ
يَا طَاهِرَ الْأَجْدَادِ أَبْلَغُ خَاطِبِ
لَوْ أَمَكُنَ الْأَقْلَامُ أَنْ تَسْعَى عَلَى
مِنْ كُلِّ مَنْبَتِ شَعْرَةٍ لَوْ كَانَ لِي
صَبْرِي إِذَا مَا تَمَّ بَذْرُ قِرَانِكُمْ
بِظَرْيَفِ عُرْسِكَ طَاهِرُهُ وَقُدُومِهِ

بِفَصَاحَةِ التَّعْبِيرِ هَيَامَاتِ الذَّرَى
عَبَّرَ السَّرِيعَ أُنَى يَوْمُ الْوَافِرَا
فِي الشَّعْرِ مِسْكٌ قَدْ يُخَالِطُ عَنْبَرَا
الشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ مَشْدُودُ الْعُرَا
وَسَلِيلُ مَجْدٍ بِالْعَلَاءِ تَفَاخَرَا
أَتْرَابَهَا وَغَدَتْ مَكَانًا عَامِرَا
وَعَدَا الْبِرَاعُ لِدَدَهَا مُتْقَاصِرَا
أَسْبَى مِهَاءَ لِلْقُلُوبِ وَجُودَرَا^(١)
وَأَعَادَ هَاطِطًا زَمَانًا غَابِرَا
نِعَمَ تَقْيِيزُ عَلَى الْيَتَامَى أَنْهَرَا
وَبَنَانِهِ حِكْمٌ تُثِيرُ الشَّاعِرَا
لَرَأَيْتَ مَاءَ الْبَحْرِ خَالِطَ سُكَّرَا
لَا زَالَ نَجْمٌ عَلَاكَ يَبْدُو زَاهِرَا
بَاقِلٌ مِنْ سَوْقِ الْقَرِيضِ مَا ثَرَا!
وَأَتَتْ تَقْوُدُ إِلَى الصَّبَاحِ الْعَسْكَرَا
وَوَظَلَّتْ تُصْلِحُ فِيهِ حَتَّى نَوَّرَا!
قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الصَّحَافَ مَنَبَرَا
قَدَّمَ لِعُرْسِكَ عَزًّا أَنْ تَتَأَخَّرَا
قَلَمٌ يُجِيدُ الْوَصْفَ كُنْتُ مُقَصِّرَا
وَحَلَا لَهُ التَّارِيخُ قَالَ مُسْطَرَا
أَمَّ الشُّرُورُ قِنَا وَزَارَ الْأَقْصَرَا

(١) الشطر الثاني من قصيدة التنبى لابن العبيد ، وتعام البيت :

يحملان مثل الروض إلا أنها أسبى مهاء للقلوب وجوؤرا

في تهنئة محمود وهبي^(١)

رَبُّ سَاعِدٍ عَلَى الْبَيَانِ لِسَانِي فِي جَمَالٍ قَدْ ضَاعَ فِيهِ بَيَانِي
مُبْدِعَ النَّثْرِ وَالْقَرِيفِ أَغْنِي أَنْتَ عَوَّدَتِي رَقِيقَ الْمَعَانِي
كَيْفَ أَسْلُو هَوَى غَزَالٍ رَشِيقٍ مَسَّ عُجْبًا بِكَأْسِهِ وَسَقَانِي
أَضْرَمَ الْوَجْدُ فِي الْفُؤَادِ سَعِيرًا وَبِسَهْمِ الْجُفُونِ مِنْهُ رَمَانِي
أَهَيْفُ أَغْيَدُ تَمَلَّكَ لُبِّي فِي جَمَالٍ قَدْ رَاقَ فِيهِ زَمَانِي
يَسْتَحْيِ الْبَدْرُ أَنْ يَرَاهُ وَيَأْنِي بِدَلَالٍ مِنَ الْبُدُورِ التَّدَانِي
فَاقَ شَمْسَ الضُّحَى بِضَوْءِ جَبِينِ وَقَوَامٍ يُزْرَى بِفُضْنِ الْبَنَانِ
يَأْسِمُ الصَّبَا تَرْفُقَ بِقَلْبِ بَاتَ يَشْكُو مِنَ الْأَسَى وَيُعَانِي

* * *

سَاقِي الرَّاحِ هَاتِ بِنْتَ الدَّانِ مِنْ رَحِيقٍ مَزْفُوفَةٍ لِابْنِ حَانِ
هَاتِ تَنْبَرًا عَلَاهُ دُرٌّ حَبَابِ كَنْزَارٍ مُنْضَدٍ بِحِمَابِ
عَاطِنِيهَا وَغَنِّ يَا بَدْرُ أَنْسِي وَاطْرِبِ السَّمْعَ رَحْمَةً بِحَنَانِي^(٢)
وَتَفَضَّلْ عَلَى النَّدَامَى بُسُورِ مِنْ رَحِيقٍ تَعَقَّتْ فِي الْقَنَانِ !
رَشْفَةُ الرَّاحِ مَا لَهَا مِنْ مَثِيلِ لَعِبَتْ بِالْعُقُولِ لِعِبِّ الْقِيَانِ !
هَاتِيهَا يَا نَدِيمُ فِي الْكَأْسِ تُجَلِّي بَيْنَ غَنَاءِ رَوْضَةٍ وَأَغَانِي
وِغْزَالٍ يَرْتَوِي إِلَى كُلِّ كَأْسٍ بَعِیُونَ وَاللَّحْظُ مِنْهُ بَرَانِي
نَالَ مِنْهُ الرِّحِيقُ نَشْوَةً صَبَّ مِنْهُ مُدَّتْ إِلَى الْكُوءِ وَسِ يَدَانِ

* * *

(١) بمناسبة نقله من وظيفة وكيل مديرية قنا إلى محافظة السويس ، وقد ذكر الشاعر أنه طبع من هذه القصيدة ٥٠٠ نسخة ورسم نسخة خصوصية لمن أهديت إليه .

(٢) قوله « واطرب » بوصل الهمزة خطأ ، وصحته إظهارها .

يَا حَمَّاهُ الْقَرِيبُ هَلْ مِنْ بَلِيغٍ يَنْظُرُ الْبَدْرَ بَيْنَ بُرْجٍ وَبُرْجٍ
هَكَذَا الْبَدْرُ دَائِبُ الدَّوَرَانِ أَشْعَلَ الْجَمْرَ فِي فُؤَادِي لَمَّا
غَابَ عَنِّي بِحُسْنِهِ الْفَتَّانِ وَتَجَلَّتْ لِي الطَّبِيعَةُ تَكْسُو
سُدُسَ الْأَرْضِ حُلَّةَ الْأَرْجَوَانِ مَطْلَعُ الشَّمْسِ أَوَّلُ الْمَهْرَجَانِ
يَا سَمَاءُ ا كَتْسِي خُدُودَ الْغَوَانِ شَفَقٌ يَفْتِنُ الشَّقَائِقَ فِي الرُّو
ضِ وَيُضِي قُلُوبَ حُورِ الْجَنَانِ لَوْنُهُ يَمَلَأُ الْعُيُونَ جَمَالًا
وَيُذِيرُ السَّعِيرَ بِالْوَهَّانِ بَيْنَمَا كُنْتُ غَارِقًا فِي خَيَالِي
وَلَذِيذُ الْمَنَامِ قَدْ عَادَانِي كَانَ زَهْرُ الرُّبِيِّ وَطَيْرُ الْأَرَاكِ
وَنَسِيمُ الصَّبَاحِ مِنْ نُدْمَانِي ^(١) هَبَّتِ الرِّيحُ أَحْيَتِ الْقَلْبَ مِنِّي
أَنْعَشَتْنِي فَضَاعَفَتْ أَشْجَانِي زَفَّ نَحْوِي النَّسِيمُ أَحْسَنَ بُشْرَى
وَجَرَى لِلشَّوَيْسِ يُهْدِي التَّهَانِي ! فَتَنَاشَدْتُ ذِكْرَ مَنْ رَقَّ طَبْعًا
وَعَدَا حَائِزًا جَمِيلَ الْمَعَانِي وَتَرَنَّمْتُ عَاشَ (مَحْمُودُ وَهْبِي)
رَاقٍ الْمَجْدِ مَا بَدَا الْفَرْقَدَانِ جَاءَ وَادِي قِنَا وَكَانَ وَكِيلًا
فَامْتَطَى الْجِدَّ رَغْبَةَ الْعُمُرَانِ بَاتَ فِيهِ حَلِيمٌ طَبِيعٌ كَرِيمًا
مُعْلَى الْحَقِّ مُقْسِطٌ الْمِيزَانِ نَاصِرًا لِلضَّعِيفِ خَيْرَ شَفِيقٍ
بِأَسْمِ الثَّغْرِ صَادِقُ الْإِيمَانِ جَازِبًا نَحْوَهُ النُّفُوسَ بِفَضْلِ
وَحَنَانٍ يَدْعُو إِلَى الْإِذْعَانِ كَوْكَبُ الْمَجْدِ نُورُهُ قَدْ تَجَلَّى
فِي قِنَا فَازْدَهَتْ عَلَى الْبُلْدَانِ جَاءَ بَرْدًا عَلَى قِنَا وَسَلَامًا
عَاطِرَ الذِّكْرِ يَسْتَحِقُّ التَّهَانِي شَادَ لِلْأَمْنِ حِصْنٌ مَجْدٍ مَنِيعًا
زَادَهَا رِفْعَةً فَصِيحَ اللَّسَانِ وَتَجَلَّى عَلَى الْمَعَارِفِ فِيهَا
فَاسْتَنَارَتْ بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

(١) لآوجه لإضافة الباء في كلمة «الأراكى» ، إنما هو الأراك نبات معروف .

كم ديارٍ للعلمِ عنها تَخَلَّى هَاطِلُ الغَيْثِ فَارْتَوَتْ بِالْأَمَانِ
جادها الغيثُ فارتوى العودُ حتى عَمَّ مَاءُ الحَيَاةِ بِالْعِيدَانِ

* * *

أصبح العلمُ شاكراً سَعَى شَهْمٍ رَقَى المجدَ فوق هامِ الزمانِ
مدَّ وادى قِنَا إليه يَمِينًا ثم أَبْدَى له مزيدَ اْمْتِنَانِ
وتمشَّت قِنَا إليه وقالت : دُمُ بِنَيْلِ المُنَى عزيزَ الشَّانِ
لستُ أَنَسَى عُلَاكَ مَا هَتَزَّ غُصْنُ بنسيمٍ وما بدا النَّيْرَانِ
كلُّ مَنْ في قِنَا وَمَنْ في الصَّوَاخِي بين نائِي الهَضَابِ وَالْوَدِيَانِ
إِنْ يَكُنْ عَزَّ أَمْرُ بُعْدِكَ عَنْهُمْ إِذْ مَلَكَتِ القُلُوبَ بِالْإِحْسَانِ
فَصُعودُ العُلَا لِمَثَلِكِ يَدْعُو كلَّ قَلْبٍ لَأَنْ يَرْفَ التَّهَانِ
أَيُّهَا المَوْلَعُونَ بالشَّعْرِ جُودُوا كيف لَمْ يَدْعُكُمْ قَرِيبٌ دَعَانِ؟
أَيُّهَا السَّاكِنُونَ فِي الخَوْضِ بُشْرَى أَنْ بَدَرَ العُلَا قَرِيبُ التَّدَانِ
أَيُّهَا السَّيِّدُ العَظِيمُ لِسَانِي لَمْ يَزَلْ قَاصِرًا عَنِ التَّنْبِيَانِ

* * *

يَا رَعَى اللهُ يَوْمَ سَافَرْتَ وَهَبِي مِنْ قِنَا والقُلُوبُ فِي خَفَقَانِ!
حِينَ هَلَّ القِطَارُ كُنْتُ مُحَاطًا بِلَفَيفِ الوُجُوهِ والأَعْيَانِ
يَرَأْسُ الكَلِّ خَيْرُ شَهْمٍ مُدِيرٍ بَاتَ وَالسَّعْدُ طَوَّعُ أَمْرِ البَنَانِ
دُمُ خَلِيلِ العُلَا « مُحَمَّدَ نَائِلِ » يَا عَظِيمًا يَهَابُهُ التَّقَلَّابُ^(١)
يَا كَرِيمًا أَتَى يُودِّعُ وَهَبِي عِشْ وَوَهَبِي فَاتِمَا آيَتَانِ
حِينَ هَمَّ القِطَارُ مَدَّتْ أَيْادِي لَوَدَاعِ أَجْرَى الدَّمُوعِ القَوَانِي^(٢)

(١) لاوحي هنا أيضاً لتسكين اللام في لفظ « نائل » ، إلا هذه الضرورات الشعرية التي تثقل كاهل الشاعر
بين حين وحين . (٢) جمع قان على قوان وهو غريب .

وَتَمَشَّتْ بَيْنَ الصُّلُوعِ قُلُوبٌ	هَزَّهَا الْوَجْدُ فَاشْتَكَّتْ مَا تُعَانِي
أَسْفَاتٍ لِبُعْدِهِ رَاقِصَاتٍ	بِاسْمَاتٍ لِفَضْلِهِ الْمُزْدَانِ
غَرَدَ الطَّيْرُ فَوْقَ رَأْسِ جُنُودٍ	أَطْرَبَتْنَا بِنَاعِمِ الْأَلْحَانِ
حِينَ طَارَ الْقَطَارُ يَحْمِلُ وَهْيِي	صَاحَ جَمْعُ الْأَحْبَابِ : سِرٌّ بِأَمَانٍ !
هَامَ (صَبْرِي) بِهِ فَانْشَدَ يَشْدُو	رَبِّ سَاعِدٍ عَلَى الْبَيَانِ لِسَانِي
عَامَ وَهْيِي رُقِّي قِنَا أَرْحَتَهُ	أَنْتَ فَرَدُّ حَجَّتْ إِلَيْهِ الْأُمَانِي

وداع^(١)

أَلَا مَنْ لِي بِنَظْمٍ كَاللَّالِي وَمَنْ لِي أَنْ أَحْلِيَهُ بِشُكْرِ
وَأَهْدِي مِنْ مَحَاسِنِهِ عُقُوداً رَجَالِ الْخَيْرِ أَشْرَافِ السَّجَايَا
فَمَنْ كُلُّ سَمَحٍ أَرْيَحِيٍّ وَمِنْكُمْ كُلُّ مُحْتَرَمٍ شَرِيفٍ
تَجَمَّعْتُمْ فَأَلْفَيْتُمْ قُلُوباً وَهَذِي لَيْلَةٌ أَحْيَيْتُمُوهَا
شَرِيفِ الْعُنُصُرَيْنِ عَرِيقِ مَجْدٍ تَزَاوَحَتِ الْقُلُوبُ عَلَيْهِ حَتَّى
أَقْلَدُ مِنْهُ أَجِيَادَ اللَّيَالِي تُضِيءُ بِهِ فَرَائِدُهُ الْغَوَالِي
لَأَهْلِ الْفَضْلِ أَرْبَابِ النَّوَالِ كِرَامِ الْعَصْرِ خُطَّابِ الْمَعَالِي
تَحَلَّى بِالْفَضَائِلِ وَالْكَمَالِ كَرِيمٍ فِي الْعَطَايَا وَالْخِصَالِ
وَبَرَهَنْتُمْ عَلَى حُسْنِ اتِّصَالِ لِدِكْرِي مَنْ تَبَدَّى كَالْهَلَالِ
كَرِيمِ الرَّاحَتَيْنِ عَزِيزِ خَالِ تَشَاوَعَتِ الْعِيُونُ عَنِ الْغَزَالِ !

* * *

عَلِقْتُ بِهِ فَتَيَّمَنِي هَوَاهُ دَخَلْتُ بِحُبِّهِ بُسْتَانَ وَجْدِي
نَفَرْتُ وَالنَّسِيمُ جَرَى بَلِيلًا تَلَاعَبُ بِالنَّفُوسِ ذَوَاتُ حُسْنٍ
كَنَسْوَةٍ يُوسُفٍ لَمَّا تَجَلَّى وَقَدْ بَدَتْ الْكَوَاكِبُ مُسْفِرَاتٍ
فَأَلْفَيْتُ الطُّيُورَ عَلَى الدَّوَالِي يُحَرِّكُ خَصَرَ رَبَّاتِ الْجَمَالِ
كَحُورِ الْخُلْدِ تَرْبِي بِالنَّبَالِ يَقْطَعْنَ الْأَنَامِلَ بِالنَّصَالِ !
تُضِيءُ مِنْ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ وَهَامَ بِمَهْمَةِ السَّحْرِ الْحَلَالِ
تَمَثَّلُ فِيهِ رَبَّاتُ الدَّلَالِ نَفَلَتِ الرُّوضُ لِلتَّمَثِيلِ دَاراً

(١) أُلْقِيَتْ فِي حَفْلَةِ الْوَدَاعِ بِمَنْزِلِ إِسْحَاقِ أَبَادِيرَ ، بِمُنَاسَبَةِ نَقْلِ إِبْرَاهِيمَ صَفُوتِ مَأْمُورِ سَجْنِ قَنَا ، إِلَى سَجْنِ أَسْوَطَ ، أَوَّلَ مَآيُو ١٩١٢ .

وَفَاقَ سَنَاهُ نُورَ الْبَدْرِ لَمَّا تَجَلَّى حُسْنُهُ فَأَهَاجَ بَالِي
تَرَنَّمْ تَحْتَ غُصْنِ الْبَانِ رِيمٌ رَشِيقُ الْقَدِّ فَتَانُ الْجَمَالِ
وَأَوْمَأَ بِالْيَمِينِ إِلَيَّ يَرْجُو حَدِيثًا قُلْتُ : أَسْرِعْ بِالسُّوَالِ
تَمَائِلَ عِطْفُهُ وَاهْتَزَّ رِيهًا وَأَجْرَى مَاءَ لَفْظٍ كَالزُّلَالِ

* * *

تَجَمَّعْنَا هُنَا لَوْدَاعِ شَهْمٍ يَرَى يَوْمَ الْوَعَى يَوْمَ الْوِصَالِ !
قَصَى فِي الْجَيْشِ أَعْوَامًا كَسْتُهُ لِبَاسَ النَّصْرِ بِالْبَيْضِ الصَّقَالِ
رَقَى بِالْجَيْشِ حَتَّى نَالَ مَجْدًا يُذَكِّرُهُ بِسَاحَاتِ الْقِتَالِ (١)
كَأَنِّي قَدْ سَمِعْتُ شِفَاهُ قَالَتْ وَقَدْ وَثَبَ الرَّعَالُ عَلَى الرَّعَالِ
بِبَيْضِ الْهِنْدِ وَالسَّمْرِ الْعَوَالِي غَرَامِي لَا يَرِبَّاتِ الْجَمَالِ
وَأَفْدَى يَوْمَ أَقْتَحِمُ الْمَنَايَا بِأَهْلِي كُلِّهِمْ وَأَيَّي وَمَالِي

* * *

أَتَى بَعْدَ الْجِيوشِ يُدِيرُ سِجْنًا فَأَخِيًا أَمْنُهُ طُولَ اللَّيَالِي
تَنْقَلُ بَيْنَهُمَا شَرْقًا وَغَرْبًا وَسَارَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ
أَسِجْنَ (قَنَا) لَقَدْ نِلْتَ الْأَمَانِي وَبَتَّ بِفَضْلِهِ فِي خَيْرِ حَالِ !
أَتَاكَ الشَّهْمُ أَصْلَحَ مِنْكَ شَأْنًا فَبِتَّ مُفَاخِرًا قِمَمَ الْجِبَالِ
وَبَتَّ بِفَضْلِهِ مَأْوَى حَصِينًا وَكُنْتَ بَعِزِّهِ أَقْوَى الثَّمَالِ
فَإِنْ تَكُ قَدْ سَمِعْتَ بِمَا تَأْتِي فَإِنَّكَ نَادِبٌ حُسْنَ الْخَوَالِي

* * *

سَيَزَحُلُ قَاصِدًا أَسْيُوطَ حَتَّى يُفَاخِرَ سِجْنَهَا الشَّهْبَ الْعَوَالِي !
فَوَدَّعَ فِيهِ إِنْسَانًا عَظِيمًا تَهَلَّلَ بِالْهِنَاءِ وَبِالْجَمَالِ

* * *

(١) الصواب رقى بفتح فكسر ، وأما ماورد في البيت فهو من الرقية وهو خطأ .

فَدَتَكَ النَّفْسُ يَا مَنْ غَابَ عَنِّي فغَابَ لِبُعْدِهِ عَقْلِي وَبَالِي
وَلَكِنِّي سُرِرْتُ لِأَنَّ هَذَا سَبِيلٌ فِي ارْتِقَائِكَ لِلْمَعَالِي !
وَحُذِّمَ مَعَكَ الْفُؤَادُ فَإِنْ هَذَا لِحَيْثُ هَدِيَةٍ عِنْدَ الرِّجَالِ !
لَأَنَا قَدْ وَجَدْنَا فِيكَ شَهْمًا هَامًّا لَا يَخَافُ وَلَا يُبَالِي
وَسَافِرٍ (صَفْوَتٍ) الْإِحْسَانَ أَنْتُمْ كَمَالٌ فِي كَمَالٍ فِي كَمَالٍ

✱ ✱ ✱

أُمُقْتَبِلُ أَنَا أَمْ ذَا وَدَاعُ وهل فَرِحْتُ أَنَا أَمْ غَابَ بَالِي (١)
إِذَا كَانَ الْمُدِيرُ أَتَى حَدِيثًا فَمَا لِي قَدْ سَكَتُ عَنِ الْمَقَالِ ؟
أَلَا أَهْلًا بِهِ مِنْ كُلِّ قَلْبِي فَنِعَمَ الشَّهْمُ فِي أَبْهَى بَحَالِ
وَنِعَمَ الْفَرْدُ رَبُّ الْعَدْلِ مَنْ قَدْ أَضَاءَ قِنَاً خِيَّتَهُ الْأَهَالِي
نِعَمَ قَدْ جَاءَهَا عَطْفًا عَلَيْهَا لِيُوصِلَهَا إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ

(١) توجه الشاعر بالأبيات الآتية إلى المدير الجديد حافظ حسن ولكنه لم يحضر قنا يوم الاحتفال ، فلم تلق هذه القطعة . . .

في قطار^(١)

تَقُولُ لِصَبْرِي أَتَنْسَى الْهَوَى وهل أنتَ تَذْكُرُ ذَاكَ الْهِنَاءَ ؟
وقَدْ أَعْمَضَ الدَّهْرُ عَيْنَ التَّجَافِي وَغَابَ الْعَوَازِلُ وَالرُّقْبَاءُ
فَقَبَّلْتُ شَعْرًا كَسُودِ اللَّيَالِي وَوَجْهًا مُنِيرًا كَبَدْرِ السَّمَاءِ
ولما التَّقَتْ مُقَلَّتَانَا بِكَيْنَا سرورًا فَيَا نَعَمَ هَذَا الْبُكَاءُ
ولما التَّقَتْ شَفَتَانَا ارْتَعَشْنَا لَأَنَّ الْمَحَبَّةَ كَالْكَهْرَبَاءِ !
أَقْبَلُ خَدَّيْكَ طَوْرًا وَطَوْرًا عُمُودَ الْهَوَى وَجُفُونِ الظُّلَمَاءِ
وَجِيدًا طَرِيًّا وَكَفًّا نَدِيًّا وَوَجْهًا تَهَيَّمُ بِهِ الْأَتْقِيَاءُ

* * *

وَلَسْتُ لِأَذْكُرَ كُلَّ الْحَدِيثِ وَخَيْبَةَ قَلْبِي وَمَوْتَ الرَّجَاءِ
وَأَخَذَكَ مِنِّي الْمَوَائِقَ أُنِّي أُمِيتُ الْهَوَى وَأَقِيمُ الْإِخَاءِ
أَتَرْضَى بِمَوْتِ الْهَوَى لِفُؤَادِي وَمَوْتَ فُؤَادِي بِذَاكَ الرِّضَاءِ ؟
وَأَنْتَ الَّذِي عَذَّبَ الْقَلْبَ عَامًّا فَادْمَعْ عَيْنِي بِنُورِ الذِّكَا
عَلَيْكَ التَّجِيَّةُ يَا نَوْرَ عَيْنِي تَحِيَّةَ صَبٍّ شَدِيدِ الْوَفَاءِ
تَحِيَّةَ مَنْ أَثْقَلَتْهُ الزَّرَايَا وَحَمَلَهُ الْبُعْدُ كُلَّ الشَّقَاءِ
أَتَنْسَى الْوَدَاعَ وَدَقَاتِ قَلْبِي أَتَنْسَى هَوَى لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ ؟
وَقَدْ جِئْتَ تَبْكِي بِدَمْعِ غَزِيرٍ وَكُنْتَ تُنَاجِي إِلَهَ السَّمَاءِ
وَدَمْعَكَ يَرَوِي وَرُودَ الْخُلُودِ وَضَاعَفَ حُسْنُكَ وَرَدُّ الْحِيَاءِ
نَفِخْتُ مَلَاكًا تَدْفُقُ لُطْفًا وَأَبْصَرْتُ بَدْرًا جَمِيلَ الرِّدَاءِ
وَلَمْ تَخْشَ جَمْعًا يَمُوجُ كَبَحْرِ وَأَيَقَنْتَ أَنَّ سَيَرُولَ الْهِنَاءِ
تَشَجَّمْتُ لَمَّا رَأَيْتُكَ تَبْكِي وَفَقَنْتَ قَلْبِي أَلِيمُ النَّسْدَاءِ

وَلَمَّا الْقَطَارُ بَدَا لَمْ تَعُدْ	تُشَاهِدُ عَيْنِي بِهِجَ الصَّيَاءِ
وَقَطَعَ قَلْبِي دُنُوَّ الْفِرَاقِ	وَأَظْلَمَ عَيْنِي نَزُولُ الْقَضَاءِ
رَأَيْتُكَ تُسْرِعُ نَجْوَ الْقَطَارِ	كَأَنَّكَ تَرْجُو دَوَامَ الْبَقَاءِ
وَلَمَّا رَأَيْتَ الْبَقَاءَ مُحَالًا	وَأَيَقَنْتَ أَنَّ لَا يُفِيدُ الدَّوَاءِ
وَضَعْتَ يَمِينَكَ فَوْقَ جَبِينِ	تَبَارَكَ مَنْ خَصَّهُ بِالْبَهَاءِ
وَقُلْتَ : حَبِيبِي أَتَتْرُكُ قَلْبِي	أَسِيرَ الْفِرَاقِ شَهِيدَ الْوَفَاءِ ؟
أَتَذْرِفُ مِنْ نَزْجِ الْعَيْنِ دَمْعًا ؟	خَلِيقُ بَحْفَنِكَ سَفْكَ الدَّمَاءِ !

تقريظ (١)

إِنَّ الْكِتَابَ إِذَا حَلَا وَأَزْدَانَا
 يَهْدِي إِلَيْكَ فَسْكَاهَةً وَرِوَايَةً
 تَخْلُو بِهِ فَتَرَى صَدِيقًا مَخْلَصًا
 وَتَرَى بِهِ رَوْضًا تَمُجُّ غُصُونُهُ
 وَلِئِنْ بَلَوْتَ مَدَارِكَ الْإِخْوَانِ مَا
 تَتَرَاوَحُ الْأَسْفَارُ بَيْنَ مُحَدَّثٍ
 وَمُخْبِرٍ عَنْ رَحْلَةٍ وَمَنْسُقٍ
 وَمَنْظُمٍ رَوْضٍ، الْعُلُومِ وَبَاحِثٍ
 بَيْنَا أَطَالِعُ فِي الْعُلُومِ وَبَحْثِهَا
 إِذْ رَاقَ فِي نَظَرِي كِتَابٌ قَدْ حَوَى
 قَالِمًا يَجْمَعُ أَصُولَهُ شَهْمَانٍ قَدْ
 ذَا (أَحْمَدُ) وَأَخُوهُ نُودِي بِاسْمِهِ
 اللَّهُ دَرُّهَا قَدْ اتَّفَقَا مَعًا
 بِإِبَاقَةٍ مِنْ زَهْرٍ رَوْضِهِمَا بَدَتْ
 قَدْ لَقَبْنَاكَ لِحْسَنِ سَبِّكَ مُرْشِدًا
 كَمْ فِيكَ مِنْ حِكْمٍ أَتَيْنَا آيَةً
 إِنْ كُنْتَ بِكُرْبَانَاتٍ أَفْكَارٍ فَلَا
 أَنْعِمَ بَيْنَ وَضَعَ الْكِتَابَ وَمَنْ بِهِ
 أَهْلًا بِمُرْشِدِ أَحْمَدَ السَّفَرِ الَّذِي
 صَبَرِي إِذَا مَا تَمَّ قَالَ مُؤَرِّخًا
 نَعِمَ السَّمِيرُ إِذَا أَرَدْتَ بَيَانًا
 وَيَصُونُ سِرِّكَ إِنْ أَرَدْتَ أَمَانًا
 كَالْبَحْرِ يَحْوِي الدَّرَّ الْمَرْجَانَا
 رِيًّا وَتَشْدُو طَيْرُهُ الْأَلْحَانَا
 غَيْرَ الْكِتَابِ يُقَدِّمُ الْبَرْهَانَا
 عَمَّا جَرَى لِلْأَقْدَمِينَ وَكَانَا
 عِقْدَ الدَّرَارِي يُنْعِشُ الْأَبْدَانَا
 عَنْ كُنْهِ لَفْظٍ حَيْرَ الْأُذْهَانَا
 تَمَلَّا بِحَمْرِ حَدِيثِهَا وَلِهَانَا
 لِلْمُنْشِئِينَ بِلَاغَةً وَبَيَانَا
 نَبْعًا فِجَاءً يُقَوِّمُ الْعُرْفَانَا
 اسْمًا وَعِلْمًا حِكْمَةً وَجَنَانَا
 صِنْوَانٍ حَوْلَهُمَا الصَّفَا قَدْ رَانَا
 قَدْ حُزْتُ إِعْجَابًا يَدُومُ زَمَانَا
 لِلْمُنْشِئِينَ فَهَذَا زَمَانُكَ آتَا
 سَهْدُ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانَا
 عَجَبٌ إِذَا رَبِحَ الْجَوَادُ رِهَانَا
 دَارُ الْعُلُومِ تُحَدِّثُ الرُّسُكْبَانَا
 بِوَجُودِهِ رَوْضُ الْعُلُومِ أَزْدَانَا
 نِعْمَاءُ سِفَرٍ عَطَّرَ الْبُسْتَانَا

يا عظيم^(١)

يا عظيمًا قد نالَ عِزًّا وَمَجْدًا لستُ أنسى نَدَاكَ قُرْبًا وَبُعْدًا
 كلما قلتُ أَعْتَقَ الشُّكْرُ رِقِّي صَيَّرْتَنِي لَكَ الْمَكَارِمُ عَبْدًا
 فأبقي عُمرَ الزَّمانِ كيما أُوَدِّي شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُودَى^(٢)
 أَبْعَدَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا لَسْتُ أَدْرِي هل مُرُورُ الْأَيَّامِ يَقْطَعُ وَدًّا
 أَمْ نَسِيتُمْ مَنْ لَا يَرَى فِي سِوَاكُمْ خَيْرَ شَهْمٍ لَمْ يَأَلُ لِلْخَيْرِ جُهْدًا
 أَنْ أَنْ أَحْتَسِبَ بِبَابِكَ كَأْسًا يَاطِيبًا قَدْ حَوَّلَ الْمُرَّ شُهْدًا
 لَا تَضْنُوا عَلَى الْعَلِيلِ بِكَأْسٍ رَبَّ كَأْسٍ تُعِيدُ لِلْعَيْشِ عَهْدًا
 عَلَّمْتَنِي طَلَاقَةَ الْوَجْهِ مِنْكُمْ أَنْ أَجِدَ الْقَرِيبَ وَصَفًا وَوَجْدًا
 كيف لَا وَالَّذِي أُرْجَى نَدَاهُ صَاحِبُ الْفَضْلِ وَهُوَ أَصْدَقُ وَعْدًا
 إِنَّ كَفَّ الْمَعُونَةِ الْيَوْمَ قَصْدِي فَهِيَ كَفٌّ مِنْ هَاطِلِ الْغَيْثِ أَنْدَى
 عِيلَ صَبْرِي وَضَاقَ رَحْبُ نَعِيمِي وَسِوَاكُمْ لَا يَجْعَلُ الْعُمَرَ رَغْدًا
 لَا عَدِمْنَا وَجُودَكُمْ فِي نَعِيمٍ وَرُقِّي مَا هَتَرَ طَيْرٌ وَأَشْدَا^(٣)

(١) وجه الشاعر هذه النصيدة إلى السيد خالد حسنين في ٢٣ مايو ١٩٢٠ ، وكان قد وجهها قبل ذلك إلى ممدوح آخر في ١٥ يولييه ١٩١٣ ، وفيها سج على منوال قصيدة مشهورة للبحرَى وجهها للتوكل ، وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة (٢) هذا البيت بأكمله من قصيدة البحرَى المشار إليها . (٣) يريد شيدا .

فقيد الطيران^(١)

ما للمنون سَطَتْ على أُسْدِ الشَّرَى ما للضياءِ غَدَا ظلاماً أَعْكَرَا
 خطبٌ دَهَى الأبطالِ في رَحَلَاتِهَا بكتِ العيونُ لهُ نَجِيعاً أَحْمَرَا
 رُزْءٌ تَفَطَّرَتِ القلوبُ لِهُوْلِهِ لَبِسَتْ عليه حِدَادَهَا أُمُّ الْقَرَى^(٢)
 يَاشْرُقُ مالِكٌ كَلَمَّا رُمْتَ العُلَا حَكَمَ الزَّمانُ عَلَيْكَ أَنْ تَنَقَّهَ قَرَا
 يَاشْرُقُ مالِكٌ كَلَمَّا آتَى الشِّفَا خَلَعَ السَّقَامُ عَلَيْكَ ثوباً أَصْفَرَا
 يَاشْرُقُ كنتِ إلى المَعَالَى كَعْبَةً وإلى المَعَارِفِ كنتِ بَدِراً أَزْهَرَا
 يَاشْرُقُ مالِكٌ وَالْكَرَى أَعَشِقْتَهُ؟ هَلَّا عِلِمْتَ بِحَالِ مَنْ عَشِقَ الْكَرَى؟
 يَاشْرُقُ أَهْدَاكَ الزَّمانُ حَسَامَهُ لَمَّا رَأَاكَ بَلَغْتَ هَامَاتِ الذُّرَى
 خَلَفْتَهُ فِي غَمْدِهِ حَتَّى أَنْبَرَى مِنْ فَرَطٍ مَالَعِبَ الْبَلَى وَتَكَسَّرَا
 ماذا دَهَاكَ وَهَلْ مَنَامٌ مَا أَرَى أَمْ ذَاكَ فِي عَيْنِي حُلْمٌ صُورَا
 يادُولَةُ الأُسْدِ البَوَاسِلِ لَيْتَنَّا كُنَّا الْفَدَاءَ لِمَنْ غَدَوْا تَحْتَ التَّرَى
 ياتَسَائِدِينَ الْمَلِكَ بِالْهَمَمِ الَّتِي وَقَفَ السُّهَى يَرْنُو لَهَا مُتَحَيِّرَا
 يَأْمَنُ تَرَوْنَ دَمَ الْعَدُوِّ مُدَامَةً وَشَرَابَ جَيْشِهِمُ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرَا
 صَعِبٌ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ نَكْبَةٌ صَعِقَ الْفَوَادُ لِهُوْلِهَا وَتَسَعَّرَا
 خَطْبٌ تَلَا خَطْباً فُضَاعَفَ حُزْنُهُ أَبْكَى ضَرِيحَ الْمُصْطَفَى وَالْمُنْبَرَا
 فَلَوْ اسْتَطَعْتُ قَذَفْتُ حَبَّةَ مُقْلَتِي نَحْوَ الشَّامِ لَكِي تَشَاهِدَ مَا جَرَى
 خَاضَ الْفَضَاءَ سَمِيدَعٌ فِي مُلْكِهِ شَهِدَتْ بِهِ الرِّيحُ الْعَصِيبُ غَضَنْفَرَا^(٣)
 قَطَعَ الْبَحَارَ وَمَا ثَنَاهُ بِمَجَاجِهَا شَهِمٌ يُمَائِلُ فِي الْجَلَالِ الْقَيْصَرَا
 وَعَلَا رَبّاً (لُبْنَانَ) فَوْقَ هَضَائِبِهَا فَصَبَا شَذَا تِلْكَ الرُّبُوعِ وَأَسْكُرَا

(١) قيلت في فقيدى الطيران العثمانيين فتحي ونورى ، وقد نشرت بالصحف في حينها (٢) أم القرى : مكة .
 (٣) سميدع : كريم شجاع ، ويقال في الرجل السريع في حوائجه سميدع ، الفضنفر : اسم من أسماء الأسد .

والتفت الأبقار تسطع حوله
 هبطت سفينته الشأم فشاهدت
 أرض حبأها الله منه رعاية
 تمشى الملائك حوله وأديمه
 هتفت لرؤيته القلوب تقول يا
 حملة أكناف الرياح مطيعة
 وقضى قصير الوقت بين ربوعها
 سلّ الحمام على الحمام حسامه
 بكت النسور الجارحات على الذى
 عم الأسى والحزن جو صفائنا
 ما كاد ينضب دمع أول حادث
 إنا لنعجب منك (نورى) كيف قد
 فلحقته وصديقه متبسمًا
 وضممت جسمهما إليك وحوّلكم
 وسكنتمو بيتًا تقادم عهده
 هذا صلاح الدين من غزواته
 يا أيها الشهداء همتكم بما
 إنا سنذكر عهد رحلتكم فقد
 يا مبدع الأكوان عزز جيشنا
 كالخاتم الماسى زان الخنصر
 بالبشر والترحاب عيداً أكبرا
 ساحاتها حوت المكان الأعطر
 مسك يخالط فى العبيق العنبر
 (فتحى) لقد جددت مجداً غابرا
 كرهها كما حملت أخاك الطائرا^(١)
 حتى أنقضى ما كان قبل مقدرا
 فهوى صريعاً مرغماً فتحسرا
 عرضت منيته له فتعشرا
 والدمع فاض من المحاجر أنهر
 حتى فجئنا فى همام آخر
 لاحظت أن أخاك رام الكونرا
 فرحاً لأنك قد طلبت الجوهرا
 جيش السماء مهلاً ومكبرا
 نجداً حوى ملكاً عظيماً أشهر
 أهدت إلى العرب الكرام مفاخرا
 نلتهم من الفردوس فوزاً أكبرا
 ضمت إلى التاريخ ذكراً عاطرا
 وأحفظ لنا تاج القيادة (أنورا)

(١) أكناف : جم كنف ، وهو الناحية .

على أبو الفتوح

خل عَنْكَ الْهَوَىٰ وَخَلَّ الْأَمَانِ
 وَأَنْثَرُ الدَّمْعَ حَوْلَ رَمْسٍ فَقِيدٍ
 خَلَّفَ الْعِلْمَ وَالْمَعَاهِدَ تَنْعِي
 فِي سَبِيلِ الْعِلَالَةِ غَمَامٌ تَوَلَّى
 كَيْفَ وَلَّى بَحْرُ الْعُلُومِ وَأَبْقَى
 أَيْنَ بَذَرُ الْعِلَالَةِ الَّذِي قَدْ وَرِثْنَا
 أَيْنَ رَبُّ الْأَقْلَامِ يَوْمَ نِدَاءِ
 أَيْنَ مَنْ نَالَ فِي قَصِيرِ زَمَانٍ
 أَيْنَ مَنْ أَصْلَحَ الْإِدَارَةَ فِي مَهْمٍ
 أَيْنَ مَنْ قَامَ بِالْمَعَارِفِ فِينَا
 كَمْ دِيَارٍ لِلْعِلْمِ عَنْهَا تَحَلَّى
 جَادَهَا الْغَيْثُ فَارْتَوَى الْغُصْنُ حَتَّى
 أَيْنَ وَلَّى ذَاكَ الْهَتُونَ وَخَلَّى
 فَاتَهَا وَالشَّبَابُ لَمَّا تَقَضَّى
 مَدَّ رَوْضُ الْعُلُومِ مِنْهُ يَمِينًا
 وَتَدَانَتْ إِلَيْهِ مِصْرُ وَقَالَتْ
 لَسْتُ أَنْسَى نَدَاكَ مَا هَتَزَ غُصْنُ
 إِنَّ تَرْبِي حِيَالَ جِسْمِي أَذْنَى
 فَاسْكُنِ الْخُلْدَ حَيْثُ تَبْقَى عَزِيزًا
 وَاتْرُكِ الْأَرْضَ لَاهِيًا مِنْ عَلَيْهَا
 كُلُّ حَيٍّ إِلَّا الْمُهَيَّمِينَ قَاتِ
 خَلَّفَ الشَّرْقَ بَاكِيَّ الْأَجْفَانِ
 بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْطَانِ
 رَصَعَتْهُ كَوَاكِبُ الْمِيزَانِ
 مَاءَ دَمْعِ الْعُيُونِ أَحْمَرُ قَانِي (١)
 عَنْهُ مَا فِي الْخُشَا مِنْ النَّيِّرَانِ
 كَعَوَالِي الرُّمَاحِ يَوْمَ الطَّعَانِ
 مَا تَنَاهَى عَنْ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ
 رَ فَبَاتَتْ تَمْوُجُ بِالْعُمُرَانِ
 فَهَضُنَا بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
 هَاطِلُ الْغَيْثِ فَارْتَوَتْ بِالْأَمَانِ
 عَمَّ مَاءُ الْحَيَاةِ بِالْعِيدَانِ
 مِصْرَ تَخْشَى طَوَارِيءَ الْخُلْدَانِ
 بَلْ ذَوَى غُصْنِهِ قُبَيْلَ الْأَوَانِ
 ثُمَّ أَبْدَى لَهُ مَزِيدَ امْتِنَانِ
 أَنْتَ قَلَّدْتَنِي عُقُودَ الْجُمَانِ
 بَنَسِيمٍ وَمَا بَدَا النَّيِّرَانِ
 أَنْ يُوَارِيَ جَلَالَهُ الثُّورَانِ
 بَيْنَ حُورِ الْجِنَانِ وَالْوِلْدَانِ
 وَتَرْفَعُ عَنْ رُؤْيَا النَّقْلَانِ

(١) الصواب أن يقول : « قَانِي »

إِيَّاهُ يَامِصْرُ قَدْ فَقَدْتَ عَظِيمًا كَادَ يُعْلِيكَ فَوْقَ هَامِ الزَّمَانِ
إِيَّاهُ يَاشَعْبُ قَدْ نَبَأَكَ دَهْرُهُ مِنْهُ مُدَّتْ إِلَى حَشَاكَ يَدَانِ
فَأَمَلْتَ مِنْ عَرْشِ رَوْضِكَ غُصْنًا كَانَ مِنْ أَصْدِقَائِهِ الْفَرْقَدَانِ
بَاتَ جَمْعُ الزُّهُورِ يَنْعِيهِ حُزْنًا وَأَذْلَهُمُ الدَّيْجُورُ بِالْأَغْصَانِ
أَيُّهَا الطَّالِبُونَ لِلْعِلْمِ جُودُوا كَيْفَ لَمْ يَرْعَكُمْ قَرِيبُ رَعَانِي
مَنْ ثَوَانِي يَرَاعِهِ فَوْقَ طَرَسِ فَدُمُوعُ الْحَزِينِ تَأْبَى الثَّوَانِي
كَيْفَ لَا يَنْدُبُ النَّجِيبُ أَبَاهُ كَيْفَ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِالْهَوَانِ
حَوْلَ دُورِ التَّهْذِيبِ سَأَلْتُ دُمُوعَ مِنْ جُفُونِ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانِ^(١)
يَنْدُبُ الْكُلُّ حَظَّ مِصْرٍ وَيَشْكُو جَوَرَ دَهْرِ يُسِيءُ لِلْإِحْسَانِ

كَلَّمَ شَبَّاءَ مِنْ بَنِيهَا هَامًا * * *
أَسْرَعَ الدَّهْرُ نَحْوَهُ فَرَمَاهُ مُخَاصِصُ الْقَلْبِ صَادِقُ الْوُجْدَانِ
يَارَجَاءَ الْعُيُونِ فِي أَرْضِ مِصْرٍ بِسَهَامِ الْمُخَاتِلِ الْخَوَّانِ
لَيْتَ كُنَّا يَوْمَ الرَّحِيلِ فِدَاءً لَيْسَ يَدْعَا إِذَا بَكَى الْهَرَمَانِ
كَمْ لِيُؤْمِنَاكَ مِنْ أَيْدٍ عَلَيْنَا يَافْقِيدًا قَدْ فَازَ بِالرَّضْوَانِ
غَابَتِ الرُّوحُ عَنْكَ لِلْعَرْشِ تَسْعَى كَنْصَارٍ بَدَا لَنَا مِنْ جُحَانِ
جَادَ مِنْوَاكَ يَا عَلِيَّ غَمَامٌ تَتَهَادَى فَرَائِدُ الْإِيمَانِ
أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمَشِيعُ مِنَّا دَائِبُ الصَّوْبِ مُفَعَّمُ بِالْخَنَانِ
أَنْتَ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ مُقِيمٌ نَمُّ هَنِيئًا فِي طَيِّبَاتِ الْجَنَانِ
كُلُّ قَلْبٍ لِفَقْدِكَ الْيَوْمَ يَبْكِي وَفُؤَادِي عَلَيْكَ فِي النَّيْرَانِ!
وَأَشْكُرُ اللَّهَ قَدْ تَرَكْتَ رَجَالًا آسِفًا نَادِبًا صُرُوفَ الزَّمَانِ
وَتَعَطَّفَ عَلَى ذَوِيهِ بِصَبْرٍ مِنْكَ نَالُوا مَحَبَّةَ الْأَوْطَانِ
يَا قَدِيمَ الْوُجُودِ وَالْغُفْرَانِ يَاقَدِيمَ الْوُجُودِ وَالْغُفْرَانِ

(١) فِي الْبَيْتِ قَلْبِي عَرُوضِي فِي كَلِمَةِ «الْفَتَيَاتِ» .

رثاء^(١)

دَهَانَا مُصَابٌ فَادِحُ الْخُطْبِ مُؤْلِمٌ لَهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَدَبَاتٌ مَأْتَمٌ
مصَابٌ عَظِيمٌ فِي عَزِيزٍ شَبَابُهُ تَوَارَى يُخَصِّبُ وَرْدَ وَجَنَّتِهِ الدَّمُ
فَيَأْتِيهَا الْحَمُولُ فَوْقَ مَوَاكِيبِهَا مَلَائِكُ وَالْأَطْيَارُ تَبْكِي تَرْحَمُ^(٢)
وَيَا ثَاوِيًا لَمَّا نَعُوهُ لَوَاضِحِهَا نَهَارٍ تَوَارَى ضَوْؤُهُ فَهُوَ مُظْلِمٌ
وَيَا مَنْ إِذَا مَا الْخُطْبُ أَرْسَلَ جَدِيشَهُ تَرَاهُ شَجَاعًا يَلْتَقِيهِ وَيَبْسِمُ
لِسَانُ تَعَوَّدَ أَنْ يَقُولَ صِرَاحَةً وَقَلْبٌ وَدِيعٌ بِالتَّأَلُّفِ مُعْرَمٌ
عَزِيزٌ إِذَا مَا حَلَّ بِالْبَدْرِ رُزْؤُهُ أَوَّالِ الْبَحْرِ مَا كُنَّا لَذَا الْخُذِّ نَنْدَمُ
فَوَاحِزَنِي لَوْ أَنَّ حُزْنَكَ يَرُدُّهُ وَوَاللَّيْلِ لَوْ كَانَ يُجِدِّي التَّأَلُّمُ
أَنَاهُ الرَّدَى وَالْقَوْسُ فَارَقَ سَهْمَهُ وَقَدْ كَادَعْنَاهُ فِي دُجَى النَّقْعِ يُجْحِمُ
أَنَاهُ الرَّدَى وَالسَّيْفُ كَانَ صَدِيقَهُ نَغْرًا صَرِيحًا وَالْجِيَادُ تُحْمَحِمُ
ذَوَى غُصْنِهِ قَبْلَ الْإِوَانِ فَمَزَّقَتْ قُلُوبٌ لِهَوْلِ مُصَابِهِ تَخَضَّرَمُ^(٣)

* * *

خَلِيلِي طُوفًا بِالْمَدَائِنِ وَأَبْكِيَا فَإِنِّي أَرَاهَا أَوْشَكَتْ تَتَهَدَّمُ
وَتِلْكَ الْجِبَالُ الْمُسْتَقَرَّاتُ حَوْلَهَا سَتُسْفَى فِي كَفِّ الرَّدَى وَتُحْطَمُ
وَإِنْ تَسْأَلَانِي عَنْ زَمَانِي فَإِنَّمَا لِسَانِي بِمَا فِي صَدْرِهِ مِنْهُ أَعْلَمُ
فَمَا أَلْيَوْمَ إِلَّا وَالْعَجَاجُ تُثِيرُهُ حَوَافِرُ خَيْلِ النَّائِبَاتِ فَيُظْلَمُ
وَمَا شَمْسُهُ إِلَّا سَيُوفٌ يَسْلُهَا فَهَلْ أُغْدِثُ إِلَّا وَأَطْرَافُهَا دَمٌ

(١) عبد المجيد إسماعيل كان ضابطاً بالجيش المصري ، ولد بعيت النصارى مركز سنمود دقهلية . وقتل في واقعة الانواك في شهر أبريل عام ١٩١٢ أرسلت إلى شقيقه عثمان فهمى محمد الضابط بمدرسة طانطا الثانوية

(٢) قوله ترحم : أصله تترحم ، حذفت إحدى التاءين للتخفيف .

(٣) في الشطر الثاني خلل عروضي له شبيهة في بعض الأبيات السابقة لأنه كثيراً ما يخلط بين بحرى الطويل والكامل وهما متقاربان .

تُغِيرُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ صُرُوفُهُ فَتَنْهَبُ مِنَّا مَنْ تَشَاءُ وَتَنْعَمُ

* * *

وَيَا قَبْرُ يَا مَنْ لَا يَرَى الدَّمْعَ إِنْ جَرَى	عَالِيهِ ، وَلَا شَكْوَى الْحَبِيبِ يَفْهَمُ !
لَقَدْ بَتَّ أَعْلَا مَنْزِلٍ جَادَهُ الْعُلَى	وَرَوَّكَ غَيْثُ دَائِبِ الصَّوْبِ مُفْعَمُ
أَعْبَدَ الْجَمِيدِ الْعَيْشُ بَعْدَكَ عِلْقَمُ	أَجَلٌ وَبَقَائِي فِي شَقَائِي تَوْهَمُ
فَلَوْ كَانَ سَفْكَ دَمِي يَقِيكَ مِنَ الرَّدَى	لَجَدْتُ بِرُوحِي إِذْ حَيَّاتِي تُحَرِّمُ
فَنَمَّ آمَنَّا أَنْتَ الشُّجَاعُ وَأَنْتَ مَنْ	ذَهَبْتَ شَهِيداً فِي الْجَنَانِ تَنَعَّمُ
تَنَاجِيكَ حُورُ الْعَيْنِ أَنْعَمَ بِصَيِّمِنَا	عَفِيفٌ شَرِيفٌ عَاطِرٌ أَلْدَكْرِ يُكْرَمُ ^(١)
فِيَارْبُ أَلْهِمِ آلَهُ الصَّبْرِ وَأَرْعَهُ	وَأَسْكِنَهُ دَارَ الْخُلْدِ فِيهَا فَيُزَحَمُ

(١) سبقت الإشارة إلى قوله « حور العين » رخصتها « الحور العين » على الوصف لا الإضائة .

إلى زوجة راحلة

حول رمسٍ تطلُّهُ الأوفياءُ وعليه ترفرف الورقاهُ
 وغصونُ الأراكِ منجنِيَّاتُ كاللبواكى والأدمعُ الأنداهُ
 ونجومُ السماءِ تحجبها السحُ بُ وتبدو كأنها رُقَباهُ
 وقفت غادةً سِماويةً الوجُ هِ عليها من الضياءِ رداهُ
 يَسْتَقْبِي الناظرينَ منها جمالُ لم تصف بعضَ حسنهِ الشعراءُ
 إن بدا الوجهُ فالسَّاءُ صباحُ أو بدا الشَّعْرُ فالصباحُ مساءهُ !
 يحسب القلبُ حينَ تزو بعينٍ أن ما في عيونها كَهْرَبَاهُ
 ولها من شجونها زَفَرَاتُ محرقاتُ من دونها الرمضاءُ
 تَلْطِمُ الجِيدَ تارةً وتدقُ الـ صدرَ طوراً كأنها الخنساءُ
 وتُرِيقُ الدموعَ جمرًا على الأر ض فتروى أعشابها الخضراءُ
 وشكَّتْ حالمًا الطبيعةُ حتى ركد الماءُ وأستكَّنَ الهواءُ
 وعَلَا ذلك المكانَ وقارُ أنزلتهُ عَلَى الصَّريحِ السماءُ
 لَهْفَ قلبي على شريكةِ عمرى ذهب العِزُّ بعدها والوفاءُ^(١)
 ليس لى بعد نأيتها من حبيبٍ أرْتَجِيهِ وليس إلا العزاءُ
 كنت لى فى الورى أعزَّ مقامٍ دونه الفرقَدانِ والجوزاءُ
 كنت لِلْعَفِيدِ خيرَ من عَفَّ طُهرًا ولها جِلَّةُ الورى أصفياءُ
 يازمانَ الشقاءِ لو عاتبَ اللهُ زمانًا لكنت أنتَ الشقاءُ
 لا يَرى فى بَذِيكَ وَاِفٍ بِعَهْدٍ أو صديقُ إن حَقَّتْ الأصدقاءُ
 ذاكِ يسعى فى قلبه أرَقَمُ الحَقِّ دِ وهذا تَهْزُهُ الكُبرياءُ

(١) فى هذا البيت إشارة إن أن الشاعر يرثى زوجته بهذه القصيدة ولعلها الزوجة الأولى ، وقد أشار فى آخرها إلى أن اسمها زينب .

حَسَدٌ زَائِدٌ وَخُبْتُ شَدِيدٌ وَخِذَاعٌ وَعَيْبَةٌ وَرِيَاءٌ
يتوارون في النزاهة والصد قِي كَمَا يَسْتَرِ الْإِنَاءُ الطَّلَاءُ
ويشيرون بالدواء عَلَى مَنْ حَازَ فَضْلًا ، كَأَنَّمَا الْفَضْلُ دَاءٌ
بِكَ ضَاعَ الْجَمِيلُ واشتهر النك ثُ كَثِيرًا وَعَمَّتِ الْبَلَاءُ
وَالْمُرَاءُونَ فِيكَ حَطَّاهُمُ الْوُ دُ مِنَ النَّاسِ أَحْسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا
وَإِذَا كَانَ مِنْكَ بَعْضُ كَرَامٍ (كَانَ أَهْلَ الْحَبِيبَةِ الْأَوْفَاءِ)
يَاحَيَاتِي قَدْ عِيلَ بِعَدِكَ صَبْرِي وَدَهَّتَنِي الْمَصَائِبُ الدِّهَامُ
أَبْتَغِي الْمَوْتَ وَهُوَ غَايَةُ مَا يُرَى جَى دَوَاءٌ وَلَيْسَ فِيهِ الدَّوَاءُ
أَنْتَ يَا قَبْرُ قَدْ حَوَيْتَ جَمَالَ وَمَلَأَ كَأَنَّ قَدْ احْتَوَتْهُ السَّمَاءُ
فُتِّحَ الرَّمْسُ فِيهِ «زَيْنَبُ» غَابَتْ كَيْفَ يَارْمَسُ مِنْكَ يَبْدُو الضِّيَاءُ ؟
وَدَوَى مِنْهُ فِي الْمَسَامِيعِ صَوْتُ رَجَعَتْهُ الْجِبَالُ وَالْأَدْوَاءُ^(١)
إِنَّ هَذِي هِيَ الْأَمَانَةُ ضُمَّتْ فِي ضَرِيحٍ بِهِ أَخُوهَا الْوَفَاءُ
لَنْ صَبْرِي حِيَالَ هَذَا يُنَادِي يَا إِلَهَ السَّمَاءِ أَيْنَ الْعِزَاءُ ؟

(١) الصواب دوى بالتشديد . والشاعر كثيراً ما يجري على هذا الاستعمال في شعره . ولعله يريد بالأدواء جمع دو ، وهي الصحراء المترامية .

فيدورا^(١)

هَيْمَاءُ زَيْنَ خَدَّهَا وَرْدُ الصَّبَى فَتَمَايَلَتْ كَالْفُضْنِ حَرَّ كُهُ الصَّبَا
حَسَنَاءُ طَاهِرَةٌ كَزَهْرَةِ رَوْضَةٍ مَا مَسَّهَا غَيْرُ النَّسَائِمِ وَالنَّدَى
بِيضَاءُ يُحْدِقُ شَعْرُهَا بِجَيْنِهَا فَتُرِيكَ وَجْهَ الصَّبِيحِ فِي غَسَقِ الدُّجَى
نَشَأَتْ وَحِيدَةً أَهْلِهَا فِي قَرْيَةٍ كَالزَّهْرِ يَنْشَأُ زَاهِيًا بَيْنَ الرُّبَا
لَمْ تَدْرِ غَيْرَ الْحَقْلِ وَالنَّبْتِ الَّذِي يَزْهَوُ عَلَيْهِ وَوَرْدُهُ الْفَضُّ الْجَنَى
وَالشَّمْسُ غَارِبَةٌ تُودِّعُهَا مَتَى غَابَتْ وَتَلْقَاهَا مَتَى لَاحَ الضُّحَى
وَالْبَدْرُ تَنْظُرُهُ فَتَحْسَبُ رَسْمَهَا فِيهِ وَيَحْسَبُ رَسْمَهُ فِيهَا بَدَا
وَقَفَتْ عَلَى بَابِ الْخَبَاءِ عَشِيَّةً كَالشَّمْسِ قَدْ وَقَفَتْ عَلَى أَفْقِ الضِّيَا
وَجَرَى النِّسِيمُ بِهَا يُلَاعِبُ شَعْرَهَا حِينًا فَيَخْفِقُ مِثْلَمَا خَفَقَ اللَّوَا
وَإِذَا يَوْقِعُ حَوَافِرٍ فِي قُرْبِهَا وَفَتَى عَلَى سَرَجِ الْجَوَادِ قَدْ أُسْتَوَى
ذُو قَامَةٍ هَيْفَاءُ تُزْرِي بَالِقَنَا وَلَوْ أَحِظُ نَجْلَاءَ تُزْرِي بِالطُّبَى
وَقَدْ أُنْتَضَى سَيْفُ الْقِتَالِ وَلَحْظُهُ أَمْضَى وَأَفْتَكُ مَقْتَلًا مِمَّا أُنْتَضَى
وَعَلَى مَلَاسِيهِ الْخَلِيُّ لَوَامِعٌ كَالْبَدْرِ فِي زُهْرِ النُّجُومِ قَدْ أُنْجَلَى
وَأَفَى خِيَاءٌ بِاسْمٍ مُتَلَطِّفًا وَدَنَا لَهَا مُسْتَسْقِيًا يَشْكُو الظَّمَا
فَضَّتْ لِحَاءَتَهُ بِكَأْسٍ وَأَنْثَنَتْ تَرْنُو لِطَلْعَتِهِ كَمَا تَرْنُو الْمَهَى
يَحْسُو الشَّرَابَ وَتَحْمَسِي مِنْ حُسْنِهِ خَرَأَ بِهَا قَلْبُ الْفَتَاةِ قَدْ انْكَوَى
حَتَّى اكْتَفَى وَأَعَادَ كَأْسَ شَرَابِهِ مَمْلُوءَةً بَعْدَ الْمِيَاهِ مِنَ الثَّنَا
وَمَضَى فَوَدَّعَهَا وَأَوْدَعَ قَلْبَهَا بَدَلًا لِهَرِدِ شَرَابِهَا حَرَّ الْجَوَى

(١) هذه القصيدة تروى قصة حب ، ومى جيدة السبك ، وربما أحسنها فيها تأثر الشاعر بالبارودي في إحدى قصائده التي تجرى على نفس الروى ، وقد كتب الشاعر في آخرها كلمتي « الفصل الأول » ، ولكننا لم نجد منها غير هذه الأبيات ومعها العبارة التالية : الرمل — الاسكندرية — ١٧ يولييه ١٩١١ « فلعلها إذا كان مشروع قصة طويلة لم تم . . . »

دَخَلَ الهوى قلباً خلياً لم يكن
فَقَضْتُ دِياجِي لَيْدِهَا فِي ظُلْمَةٍ
يَهْفُو النَّعَاسُ بِجَفْنِهَا فَيَرُدُّهُ
حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الظَّلَامُ وَأَشْرَقَتْ
وَأَفَى رَسُولٌ مِنْ حَبِيبِ فُؤَادِهَا
وَدَنَا وَقَالَ : هَدِيَّةٌ مِنْ سَيِّدِي
كَانَتْ جِزَاءً لِلشَّرَابِ وَلَيْتَ لَمْ
فَلَقَدْ سَبَا قَلْبَ الْفَتَاةِ صَبَابَةً
كَالْقَوْسِ أَطْلَقَ سَهْمَهُ فَجَنَى وَلَا
مَا زَالَ يُذَكِّبُهَا الْهَوَى وَيُذِيْبُهَا
وَهُوتُ عَلَى مَهْدِ السَّقَامِ عَائِلَةً
حَارَ الْجَمِيعُ بِهَا فَلَمْ يَدْرُوا لَهَا
وَأَقَامَ يَنْدُبُ وَالِدَاهَا حَسْرَةً
وَالظَّبْيُ خَفِيَّةٌ حَقِيقَةٌ دَائِمًا
حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الظَّلَامُ وَأَشْرَقَتْ
وَأَفَى رَسُولٌ مِنْ حَبِيبِ فُؤَادِهَا
سَمِعَتْ بِقُرْبِ الْبَابِ وَقَعَ حَوَافِرُ
وَأَفَى وَلَكِنْ بَعْدَ مَا انْقَطَعَ الرَّجَا
وَحَتَّى عَلَيْهَا وَهُوَ يَسْأَلُ جَارِعًا
فَرَنْتُ إِلَيْهِ بِمَقْلَةٍ فَتَانَةٍ

يَدْرِى الهوى حَتَّى تَمْلِكَهُ الهوى
لِلْأَسَى يُوشِكُ لَا يُضِيءُ بِهَا الرَّجَا
مَنْ تَمْلِكُهَا خَيَالٌ قَدْ سَرَى
تَمْسُ الضُّحَى تَزْهُو عَلَى تِلْكَ الرُّبَا
بِهَدِيَّةٍ تُهْدَى لِرَبَّاتِ الْبَهَا
تُهْدَى لِسَيِّدَتِي ! وَسَلَّمٌ وَأَنْشَى
يَكُن الشَّرَابُ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْجِزَا
وَهَوًى لَذِيكَ الْجَمِيلِ وَمَادَرَى
لَوْمْ عَلَيْهِ فَلَيْسَ يَدْرِى مَا جَنَى
حَتَّى غَدَتْ شَبَحًا أَرْقَ مِنَ الْهَوَا
تَشْكُو الَّذِي يَبْدُو وَتَكْتُمُ مَا اخْتَفَى
دَاءٌ تَكَابَدُهُ وَلَمْ يَدْرُوا الدَّوَا
وَأَسَى وَمَا يُجْدِي التَّحَسُّرُ وَالْأَسَى
وَتَقُولُ لَا أَدْرِى فَذَا حَكْمُ الْقَضَا^(١)
تَمْسُ الضُّحَى تَزْهُو عَلَى تِلْكَ الرُّبَا
بِهَدِيَّةٍ تُهْدَى لِرَبَّاتِ الْبَهَا^(٢)
وَرَأَتْ حَبِيبَ فُؤَادِهَا مِنْهُ أَتَى
وَوَفَى وَلَكِنْ حِينَ لَا يُجْدِي الْوَفَا
وَيَقُولُ كَيْفَ أَصَابَهَا سَهْمُ الرَّدَى
وَكَسَى أَصْفَرَ أَرْجِيْنِيهَا وَرَدُّ الْحَيَا

(١) قصد بالظبي الفتاة ، ولذلك قال « مخفية » .

(٢) هذا البيت مكرر ولعله زائد وقد وجدناه في هذا الموضع فأثبتناه في موضعه .

وتنهَّدتُ أسفاً وقالتُ إنَّ بي
هَذَا هو الدَّاءُ الَّذِي أَقْضَى بِهِ
فَأَجَابَ مَنْ هَذَا الْفَتَى ؟ فَتَنَاوَلَتْ
وَرَبَّتْ وَقَالَتْ عِنْدَمَا يَبْدُو الصُّحَى
إِنْ شِئْتَ تَعْرِفُ مِنْ قَضَيْتُ بِحُبِّهِ
مَنْهُمَا أَصَابَ الْقَلْبَ مِنْ عَيْنِي فَتَى
حُبًّا وَكَمْ مِنْ عَاشِقٍ قَبْلِي قَضَى
مُهْدَاتِهِ بِيَدِي يُصَافِحُهَا الْفَتَى
وَتَكُونُ رُوحِي فَارَقَتْ هَذَا الْمَلَا
أَنْظُرْ إِلَى الْمَرَاةِ تَلْقَى مَنْ جَنَى !

المنصورة^(١)

قُلْ لِلْغَرِيبَةِ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ بَلَدٍ وعن عزيزٍ وعن صَبْرٍ وعن جَلَدٍ
هل تَذْكُرِينَ لِيَا لَيْلِنَا الَّتِي سَلَفَتْ وليلةً لَسْتُ أَنْسَاهَا إِلَى الْأَبَدِ
سَرَقَتْ فِيهَا مِنَ الْوَاشِينَ خَلَوْتَنَا وناثمًا منك عن وعدٍ يَدَا يَدِ
وَبَتْ لَارِيبَةٍ أَخْشَى بَوَادِرَهَا كَلَّا وَلَا عَذْلٌ أَخْشَاهُ مِنْ أَحَدٍ
وَالنُّورُ فِي مَعَزِلٍ عَنَّا لَهُ لَهَبٌ

يَبْدُو وَيَخْفَى كَفَعَلَ الْقَلْبِ ذِي الْحَسَدِ
وَأَنْتِ فِي ثَوْبِكَ النَّاقِ الْبَيَاضِ عَلَى جِسْمٍ نَقَى بَنُورِ الْحُبِّ مَتَّقِدِ^(٢)
أَرَى عَلَيْهِ ضِيَاءَ الْبَدْرِ مُنْعَكِسًا يَكَادُ يَفْضَحُنَا فِي دَارَةِ الْبَلَدِ
أَهْوَى إِلَى رَشْفِ ثَغْرِ فِيهِ مُنْتَظِمٍ يُهْدِي لِي النَّارَ مِنْ صَفَيْنِ مِنْ بَرَدِ
وَيَمْنَنَا غَزَلَ رَقَّتْ مَوَارِدُهُ كَأَنَّهُ نَعَمَاتُ الطَّائِرِ الْغَرَدِ
شَكْوَى تَقَطَّعُهَا مَا يَمْنَنَا قَبْلُ وَلَوْ أَرَدْنَا سِوَى هَذَيْنِ لَمْ نَجِدِ
يَهْفُو الْفَوَادُ عَلَى آثَارِهَا طَرِبًا حَتَّى يُنَادِيهِ صَوْتُ : قِفْ وَلَا تَزِدِ
صَوْتُ هُوَ الطُّهْرُ فِي لَفْظِ الْعَفَافِ بَدَا وَالطُّهْرُ خَيْرُ صِفَاتِ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ
حَتَّى رَجَعْتُ بِجِسْمٍ عَنْكَ مُبْتَعِدٍ يَشْتَاقُ عِنْدَكَ قَلْبًا غَيْرَ مُبْتَعِدِ
يَا مَنَهْلًا قَدْ تَمَتَّعْنَا بِكَ وَتَرَهُ حِينًا رَوَيْنَا بِهِ لُودَامَ رِيَّ صَدِي
مَا كُنْتُ أَرْضَى وَصَالًا مِنْكَ عَنْ كَشْبِ

فَصَرْتُ أَرْضَى خِيَالًا مِنْكَ عَنْ بُعْدِ !

(١) هذه القصيدة تروى قصة حب وأغلب الظن أنها قصة واقعية جرت للشاعر في مدينة المنصورة ، ولذلك اتخذ من اسمها عنواناً للقصيدة .

(٢) الناقى خطأ ، وصحته « النقي » .

وردة

لِشَخْصِكَ مِنْ زَهْرِ الرَّبِّي لَقَبْتُ الْوَرْدَ

وَهَيَّاتَ مَالِ الْوَرْدِ حُسْنِكَ فِي الْوَدِّ

تَفُوقِيْنَهُ لَوْنًا وَرِيحًا وَمَنْظَرًا وَبَقِيَا عَلَى عَهْدِ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ

فَلِلْوَرْدِ شَهْرٌ وَاحِدٌ ثُمَّ يَنْقَضِي وَوَرْدُكَ بَاقٍ لَا يَزُولُ عَنْ الْخُلْدِ !

وَالْوَرْدُ رِيحٌ وَاحِدٌ لَا يَجُوزُهُ وَنَشْرُكُ رِيحِ الْوَرْدِ وَالْمِسْكِ وَالنَّدَى

وَيَقْطِفُ كُلُّ زَهْرَةِ الْوَرْدِ فِي الرَّبِّي وَوَرْدُكَ لَمْ يَقْطِفْهُ إِلَّا أَنَا وَحْدِي

وَتَعْرِى قُدُودُ الْوَرْدِ فِي الْعَامِ مُدَّةً وَقَدْ كُنتُ دَوْمًا بَيْنَنَا ضَافِي الْبُرْدِ^(١)

وَتَذْشَا غُصُونُ الْوَرْدِ مَبْلُولَةً الثَّرَى

وَمَنْشَاكَ فِي قَلْبِي الَّذِي جَفَّ مِنْ وَجْدِي !

فَسُبْحَانَ مَنْ أَنْشَاكَ شَخْصًا وَقَدْ حَوَى

جَنَانَ رِيَاضِ الْخُلْدِ بِاسْمِهِ مِنَ الْوَرْدِ

(١) لاوجه لـنصب « ضافي » إذ أنه خبر مرفوع :

ناظك^(١)

مَنْ لِعُضْنِ النَّقَا بِلِينِ قَوَامِكُ أَوْ لَزَهْرِ الرَّبِيِّ بِحُسْنِ ابْتِسَامِكُ
 مِنْ لِقَلْبِي بَأَنْ يَمِيشَ سَعِيداً أَوْ يَذُوقَ الرَّدَى شَهِيَّ غَرَامِكُ
 مِنْ لَدَرِّ الْبَحَارِ يَخْرُجُ مِنْهَا يَسْتَرَامِي نَشْأً عَلَى أَقْدَامِكُ
 مِنْ لِهْدَى الْأَفْلَاكِ تَغْدُو سَرِيراً وَدَرَارِيهَا وَسَادَ مَنَامِكُ
 مِنْ لَزَهْرِ النَّجُومِ يُصْبِحُ مِنْهَا لَكَ قُرْطُ أَوْ حِلْيَةٌ فَوْقَ هَامِكُ
 مَنْ لِيَدْرِ الدُّجَى بِحُسْنِ مُحْيَا كَإِذَا مَا أَرْحَتِ عَفْواً لِثَامِكُ^(٢)

إِلَهَا

كَمْ تَكْتُمِي عَنِّي هَوَاكَ وَأَكْتُمُ وَتَكْلُمْتِ مَا بَيْنَنَا النَّظَرَاتِ^(٣)
 فَكُنْفِي كَفَى هَذَا السَّكُوتُ لِأَنَّهُ فِي الْحُبِّ قَدْ رُفِعَتْ لَنَا رَايَاتُ
 عِلْمُ الْهَوَى أُمْسَى يُرْفَرُ فُحُولُنَا كُتِبَتْ لَنَا مِنْ فَوْقِهِ آيَاتُ
 لَا تَقْطَعِي عَهْدَ الْمَحَبَّةِ بَيْنَنَا يَا غَادَةً سَكَبَتْ لَهَا الْعَبْرَاتُ

(١) ليلة ١٥ أبريل ١٩١١ قنا — الكلوب .

(٢) وضع « لثامك » موضع الجر خطأ نحوى ، وصحته النصب لأنه مفعول لأزحت .

(٣) الصواب : كم تكتمين ، وقوله أكتم : لا يتفق والعروض .

هي أشعر

أَحْيَبَ قَلْبٍ تَنْظُرُ	فَدُمُوعُ عَيْنِكَ تُنْطَرُ ؟
أَمْ أُبْرِقَ الْعَلَمَيْنِ أَمْ	هَجَرَ الْحَيَبَةِ تَذَكُرُ ؟
أَمْ رَاشَ قَلْبِكَ جُودَرُ	أَخَوَى اللَّوَاظِ أَخْوَرُ
أَمْ هَبَّ مِنْ مِضْرِ صَبَا	أَمْ طَارَ بَرَقُ أَشْقَرُ ؟
أَمْ قَدْ ذَكَرْتَ سُوءَهَا	وَهِيَ الْبِسَاطُ الْأَخْضَرُ ؟
وَالنَّيْلُ فِي أَحْشَائِهَا	عِقْدٌ يَلُوحُ مُجَوِّدُ
وَالْجَوْ صَخَوٌ مُشْرِقُ	وَكَأَنَّمَا هُوَ مُنْطَرُ
هِيَ وَشَى نَسَجَ نِيلِهَا	فِيهِ الطَّرَازُ الْأَحْمَرُ
هِيَ جَنَّةٌ يُجَنَّى الْمَالَا	فِيهَا وَيَجْرِي الْكَوْثَرُ
أَنَا شَاعِرٌ فِي وَصْفِهَا	لَكِنَّمَا هِيَ أَشْعَرُ !

مطارحة^(١)

أتانى فى قيصِ النّومِ يسى ملاكٌ لى يلقبُ بالحبيبِ
وقد لعبَ الشرابُ بوجنتيه فصيرَ خدّه كسناً اللبيبِ
فقلتُ له لِمَ استحسنْتَ هذا لقد أقبلتَ فى زىِّ عجيبِ
أُخْرَةُ وَجْنَتَيْكَ كَسَتْكَ هذا أم أنتَ صبغتَهُ بدمِ القلوبِ
فقال الرّاحُ أهدتَنِ قيصاً كلّونِ الشّمسِ فى وقتِ المغيبِ
فتوَيِّ والمدامُ ولونُ خدّى قريبٌ من قريبٍ من قريبٍ !

مدح

فتى كملت أخلاقه غير أنه سحابٌ إذا استمطرته كان نادياً
فتى كلُّ ما فيه يسرُّ صديقه وإن كان هذا مايسوء الأعادياً

ثناء

علمَ الغيثِ الندى حتى إذا ما حكاه علمُ البأسِ الأسدِ
فله الغيثُ مقرُّ بالندى وله اللّيثُ مقرُّ بالجلدِ

مدح

تصلى عزائمهُ فى قلبِ حاسده ناراً تجرُّ عليه زائدَ الأودِ
إليك أرفعُ إجلالى وتهنيتي لازلتَ ترقى للمعالى آخرَ الأبدِ

(١) يبدو أن الشاعر قد تأثر ببعض تراننا النمرى فى هذه المقطوعة لبقية وبسبب أن المقطوعات التالية لها ،

وصف الحبيبة

والذى زاد مُقَاتَلَتِيكَ أَقْوَدَارَا أَنَّ (صَبْرِي) قَدْ آنَسَ الْيَوْمَ نَارَا
يَا غَزَا لَّا رَنَا وَغُصْنَا تَدَنِّي وَهَلَا لَّا بَدَا وَبَدْرًا أَنَارَا
كَانَ دَمْعِي عَلَى هَوَاكِ لُجَيْنًا فَأَحَالَتَهُ نَارُ قَلْبِي نَضَارَا
لَكَ جِيدٌ وَمُقَلَّةٌ تَرَكََا النَّا سَ سُكَارَى وَمَاهُو بِسُكَارَى
وَتَنَائِيَا أَخَذْتُ مِنْ رِيْقِهَا الْخَ رَ وَمِنْ لَوْنِهَا أَخَذْتُ الْحَارَا
حَلِيَّةٌ لَا أَعْسِرُهَا لِـلْمُحِبِّ لَا يَظُنُّ الْوُشَاةَ إِلَّا غِيَارَى

(القاهرة ١٨ يونيه ١٩١١)

غزل

بَدَتْ فِي رِدَاءِ الْحُسْنِ بِاسْمَةِ الشَّغْرِ مُرْتَحَّةَ الْأَعْطَافِ مَحَلُولَةَ الشَّعْرِ
فَقَبَّلْتُهَا (تُرْكِيَّةً) حُلُولَةَ اللَّمَى وَعَوَّذْتُهَا بِالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالْفَجْرِ
أَرَى الشَّمْسَ مِنْهَا فِي الْمِشَاءِ مُنِيرَةً
وَإِنْ خَطَرَتْ ظَهْرًا أَرَى النَّجْمَ فِي الظُّهْرِ !
سَقَتْنِي سُلَافَ الرَّاحِ مِنْ لِحَظَاتِهَا

فَصِرْتُ أُجَارَى خَدَّهَا نَشْوَةَ السُّكْرِ
تَدَاوَيْتُ مِنَ الْخَاطِمِ بِرُضَائِهَا كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ

(١٥ أبريل ١٩١٢)

عزيزة الروح

عَزِيزَةُ الرُّوحِ جُودِي بِالْوَفَاءِ عَلَى قَلِيلِ صَبْرٍ كَسَتْهُ الذَّلَّ عَيْنَاكِ
أَوْ فَاتَرُكِيْنِي أُمْتُ وَاللَّهُ يَرْحَمُنِي فَرَحَهُ اللَّهُ تَأْتِي فَوْقَ رُحْمَاكِ !

(٥ يونيه ١٩١٢)

صبري

يا رَبِّ قَدْ قَلَّ صَبْرِي وضاق بِالْهُبِّ صَدْرِي
وَأَشْتَدَّ شَوْقِي وَوَجْدِي وَسَيِّدِي لَيْسَ يَذْرِي
مُضَاعِفٌ فِي عَذَابِي وَلَيْسَ يَرْحَمُ صَبْرِي^(١)
إِنْ كَانَ تَاهَ دَلَالًا وَلَسْتُ أَمْلِكُ صَبْرِي
أَنَا الَّذِي لَفَزَ زَالٍ رَنَّا فَأَشْفَقَ لَفْزِي

(قنا ١٩٢١)

إلى صديق

لو كنتُ أَهْوَى سِوَاكَ ما كنتُ يَوْمًا أَرَاكَ
أيا مُنَيِّتِي وَعِمَّادِي مَالِي حَبِيبٌ سِوَاكَ

* * *

عَبْدَ اللَّطِيفِ تَأَكَّدْ صَبْرِي غَدًا فِي أَشْتِيَاقِي
مَعَذَّبٌ فِي هَوَاكُمُ يَرُومُ يَوْمَ التَّبْلَاقِي

* * *

يَا خَيْرَ شَهْمٍ هُمَامِ صَبْرِي غَدًا فِي هُمَامِ
فَاعْطِفْ عَلَيْهِ لِيُشْفَى مِنْ صَائِبَاتِ السَّهَامِ

(١) يريد الشاعر نفسه .

تطريز

زَكِّيْ جَلالاً أَنْتَ فِيهِ غَنِيَّةٌ وَتَصَدَّقِي مِنْهُ عَلَى الْمِسْكِينِ^(١)
يا ظبية ألوت ديونى فى الهوى كيف السبيل إلى اقتضاء ديونى
ناديتُ كُتِمَ الحبُّ بين جوانحى حتى تكلم فى دموع شؤونى
بالله لا تخفى علاماتِ الهوى كاد الحبُّ بأن يقول خذونى !

الشيخ فهمى الصيرفى

اللهُ يَعْلَمُ ما بالقلبِ من شَغَفٍ يا صيرفى فمَنك الحبُّ يكفينى
مُجِدِّدٌ بعِلْمٍ ولا تبخلِ علىَّ به يا كعبتى أَنْتَ بدرُّ بات يهدينى

تهنئة^(٢)

لَقَدْ سَرَّنِي فَوْزُ الْعَزِيزِ (مُحَمَّدٍ) فَلَا زَالَ دَوْمًا لِمَسَرَّاتِ غَانِمًا
فَتَى لَبِسَتْ مِنْهُ اللَّيَالَى قَلَانِدًا أَضَاءَ بِهَا الْأَفُقُ الَّذِى كَانَ مُظْلِمًا
أَهْنَيْتُكُمْ مِنْ كُلِّ قَلْبِي وَإِنِّي
أَرَانِي وَإِنْ أَبْدَعْتُ فِي الْوَصْفِ مُلْجَمًا

(١) انظر هذا البيت فى قصيدة فى باب غزل الأغاني مطلعها :

دمعى أهاج صبايى وشيجونى والسهد أتلّف مهجتي وعيونى

(٢) تهنئة بنجاح محمد صفوت حجازى نجل أحمد حجازى رئيس نيابة قنا ، فى الشهادة الابتدائية عام ١٩١٣ .

متنثرات في الهجاء

(١)

جَهُولًا بَرَاهُ اللَّهُ وَابْنَ جَهُولَةٍ أَرَى الْجَهْلَ طَبْعًا فِي أَيْكَ وَفِيكَ
أَبُوكَ إِمَامُ النَّاسِ فِي الْجَهْلِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ وَلِيُّ الْعَهْدِ بَعْدَ أَيِّكَ!

(٢)

يَطُولُ بِقُرْبِكَ الْيَوْمُ الْقَصِيرُ وَيَرْحَلُ إِنْ مَرَزْتَ بِنَا الشُّرُورُ
صَبَاحُكَ لِلْمُبَكَّرِ فَأَلُ سَوْءُ وَوَجْهُكَ أَرْبَعَاءُ لَا تَدُورُ

(٣)

أَتَيْتُ أَسْأَلُ شَيْئًا لَا مَدَرَ لَهُ وَالتَّيْسُ مِنْ ظَنِّ أَنَّ التَّيْسَ مَحْلُوبٌ^(١)

(١) النكتة ظاهرة في قوله (لأمدرك له) ...

رسالة^(١)

أَيْنَ الْحَبِيبُ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَشْفَانِي
أَيْنَ الْحَبِيبُ الَّذِي نَفْسِي لَهُ هَبَةٌ
أَيْنَ الْحَبِيبُ الَّذِي (صَبْرِي) بِهِ دَنْفٌ
أَيْنَ الْحَبِيبُ الَّذِي عِنْدِي لَهُ شَفَفٌ
أَيْنَ الْحَبِيبُ (حُسَيْنٌ) أَيْنَ طَلَعَتْهُ
أَيْنَ الْحَبِيبُ (حُسَيْنٌ) أَيْنَ بَهَجَتْهُ
عَنِّي نَائِتَ وَخَلَّيْتَ الدَّيَّارَ إِلَّا
فَارَقْتُمْكُمْ وَبُودِي لَا أَفَارِقُكُمْ
فَارَقْتُمُو مِصْرَ تَضُبُّو يَوْمَ أُوبِتِكُمْ
قُمْتُمْ عَلَى عَجَلٍ وَالْقَلْبُ فِي وَجَلٍ
صَبْرًا عَلَى أَلْفٍ قَدْ بَاتَ يَنْشُدُكُمْ
سَافَرْتُ فِي سَاعَةٍ قَدْ كُنْتُ أَرْقُبُهَا
لَكِنْ أَرَادَ زَمَانُ الظُّلْمِ يَمْنَعُنِي
يَادِيبُ سَافَرْتُمُو وَالْقَلْبُ فِي أَلَمٍ
فِرَاقُهُ عَنِ صَفَائِي بَيْنَ خِلَائِي
وَحُبُّهُ قَدْ غَدَا (صَبْرِي) بِهِ هَانِي
قَرِيحُ جَفْنٍ أَسِيرٌ مُعْرَمٌ عَالِي
وَكَيْفَ عَنِّي نَأَى أَوْ زَادَ أَحْزَانِي
يَادِيبُ مَهْلًا فَمَرُّ الصَّبْرِ أَضْنَانِي !
إِنِّي أَخَافُ غَدًا إِذْ رُبُّ يَنْسَانِي !
تَرْتَنِي لِحَالِي فِي هَذَا النَّوْمِ جَافَانِي ؟
يَا خَيْرَ مَنْ أَرْتَجِيهِ يَوْمَ سُلُوَانِي
وَالدَّمْعُ يَجْرِي غَزِيرًا مَلَأَ أَجْفَانِي
وَالدَّمْعُ مُسْتَرْسِلٌ يَا خَيْرَ إِخْوَانِي
يَادِيبُ فِي رَوْضِ أَنْسٍ بَيْنَ أَغْصَانِ^(٢)
وَكُنْتُ أَرْجُو وَدَاعًا دَمْعُهُ دَانِي
قَهْرًا فَكَدَّرَ عَيْشِي ثُمَّ أَغْيَانِي
مِنَ الْفِرَاقِ وَأَتَمُّ خَيْرٌ نُدْمَانِي

(١) وجه هذه الرسالة إلى صديقه الشاعر حسين الديب السويدي في المنصورة عام ١٩٠٩ .

(٢) قوله « أَلْف » بفتح الهمزة وكسر اللام خطأ في هذا الموضع ، إنما هو « إلف » بكسر الهمزة وسكون اللام وهو الصديق الذي يَأْلَف .

عاشق

وَنَزَّهْتَ فِكْرِي فِي بَدَائِعِ حُسْنِهَا فَأَزَكِي جَمَالُ جَبِينِهَا النَّارِ فِي صَدْرِي ^(١)
 أَمَّا وَنَحِيلِ الْخُصْرِ إِنَّكَ بِالْبَسْكَ وَبِالسُّهْدِ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي خُسْرِ
 مُعْنَى بَوَسْنَانِ اللَّوْاحِظِ سَارِقِ
 كَرَى مُقْلَتِي مِنْ حَيْثُ أُدْرِي وَلَا أُدْرِي
 يَخْرُ بْنُوَنِ الصَّدْغِ قَلْبِي لِلْأَمَى وَمَا خِلْتُ أَنَّ النَّوْنَ مِنْ أَحْرَفِ الْجُرِّ
 يُقَابِلُ دَمْعِي بِاسْمًا فَكَأَنَّمَا يَنْظُمُ مَا أَمَلْتُ جُفُونِي مِنَ النَّثْرِ
 وَمَالِي لَا أَبْكِي عَلَى دُرٍّ مَبْسَمٍ كَمَا بَكَتِ الْخُنْسَاءُ قَبْلِي عَلَى صَخَرِ
 وَأَجْرِي عُيُونِ الدَّمْعِ فَائِضَةً عَلَى عُيُونِ الْمَهَى بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالْجَنْسْرِ

للصباح ^(٢)

لَا وَأَجْفَانُكَ الْمَرَاضِ الصَّحَاحِ لَسْتُ أُدْرِي مَاذَا تَقُولُ اللَّوَا حِي
 مَا دَرَى مَنْ يَلُومُ هَظْلَ دَمْعِي أَنَّ قَابِي عَلَيْكَ دَامِيَ الْجِرَاحِ
 يَامْلِيحًا عَيْنَاهُ قَبْلَهُ حَسَنٍ سَجَدْتُ دُونَهَا وَجْهُهُ الْمَلَا حِ
 لَكَ شَعْرٌ وَقَامَةٌ إِنْ يَكُونَا رَايَةً فَهِيَ رَايَةُ الْأَفْرَاحِ !
 وَجِبِينَ إِذَا ذَكَرْتُ سَنَاهُ بَتْ أَبْكِي صَبَابَةً لِلصَّبَاحِ !

(١) في الشطر الثاني خال عروضي واضح .

(٢) ٢٥ يونيو ١٩١٠ .

مصر

سلبت عقلي بأحد أق وأقداح
 منكران من رشفة الساق ومقلته
 واطرح بحسبك أشباك الغرام فما
 دعنى إذا صبح نجى فى هوى قمرى
 بجوهر الكأس يجلو لى بها عرضاً
 يا مثرى الخد بالحمز من ذهب
 يا فاضى فى السهوى خال بوجنته
 ما أنس لا أنس لقيانا وقد غفلت
 قابلت شعرك بعد الوجه منتسماً
 حيث الرضى فى جبين الصب مكتنب
 وحامل الكأس تحت الدجن يعلها
 والرؤم وإن لكأس الراح يمزجها
 والآن كأس دموعى والتذكّر أن
 يا عنبر الخال فى ریحان سالفه
 أغر طامى بحور الشعر ناسبها
 ياليت شعرى أهل فى قضى كلف
 ياساحى الطرف أو ياساقى الراح^(١)
 فترك ملامك فى السكرين ياساحى
 حملت وزرى ولا كلفت إصلاحى^(٢)
 بحبة القلب أنشئ بيت أفراحى
 ظنى يفدى بأموال وأرواح
 دارك ضرورة محتاج ومحتاج
 لقد لويت على عشقى بفضاح
 عين الهوى عن قريح العين طمّاح
 فأنعم الله إمسانى وإصباحى !
 أيام لم يمح أسطار الصبا ماح
 كأنه مدجّ يمشى بمصباح
 يكاد يمسكه من قام بالراح
 أعى التذكر يشدو شدو إفصاح
 هل باب حى مغلق بمفتاح ؟
 بفائض فى بحور الشعر سباح
 عنكم وها أنا أرويهما لجرّاحى ؟

(١) نشير للفارىء إلى جمال المقابلة بين أحد أق وأقداح .

(٢) لولا قوله أشباك فى موضع شباك لكان هذا البيت من أجل الأبيات .

رثاء^(١)

أَقِيمُوا فُرُوضَ الْحُزْنِ فَالْوَقْتُ وَقْتُهَا
وَلَا تَبْخُلُوا عَنِّي بِإِنْفَاقٍ أَدْمَعٍ
لِغَائِبَةٍ عَنِّي وَفِي الْقَلْبِ شَخْصُهَا
يَقُولُونَ كَمْ تُجْرِي (لِزَيْنَبَ) بَاكِياً
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَمْسُ مُحَاسِنٍ
تَعْرِقُهَا دِهْرًا يَسِيرًا فَأَعْقَبَتْ
وَقَالَ أَنَسٌ إِنَّ فِي الدَّمْعِ رَاحَةً
هَلِ الدَّمْعُ إِلَّا مُقْلَةٌ قَدْ أَذْبَتْهَا
نَصَبْتُ جُفُونِي بَعْدَ بُعْدِكَ لِلدَّجَى
وَقَالَ زَمَانِي هَاكَ بَعْدَ تَنْعَمٍ
بِكَيْتُكَ لِلْحُسْنِ الَّذِي قَدْ شَهِدْتُهُ
كِلَانَا طَرِيحُ الْجِسْمِ بِأَلٍ فَلَوَدَرْتُ
بِرُوحِي مَهَاةً ضَمَّهَا الرَّمْسُ بَعْدَمَا
حَبِيبَةُ قَلْبٍ كُنْتُ مُقْتَبِطًا بِهَا
وَأَنَسَ قَدْ كَانَ لِي لَيْنٌ عِظْفِهَا
أَنَادَى أَنَهَضِي وَالتَّرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
كَفَى حَزَنًا أَنْ لَا مُعِينَ عَلَى الْأَسَى
وَلَيْسَ أُمَامِي غَيْرُ دَمْعِي وَهَا أَنَا
قَضَيْتُهَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةً
مِلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ رَحَلَ الَّذِي

لِشَمْسٍ ضَحَى عِنْدَ الزَّوَالِ نَدَبْتُهَا
مُعْنَدَمَةً أَكْوَى بِهَا إِنْ كُنَزْتُهَا
كَأَنِّي مِنْ عَيْنِي لِقَلْبِي نَقَلْتُهَا
وَمَاعَلَمُوا النُّعْمَى الَّتِي قَدْ فَقَدْتُهَا
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ شَمْسَ النَّهَارِ فَأُخْتُهَا
دَوَامَ الْأَسَى يَا لَيْتَنِي مَا عَرَفْتُهَا
وَتِلْكَ لَعَمْرِي رَاحَةٌ قَدْ نَكَّرْتُهَا
عَلَيْكَ وَإِلَّا مُهْجَةٌ قَدْ غَسَلْتُهَا
وَأَمَّا أَحَادِيثُ الْكَرَى فَرَفَعْتُهَا
كَوُوسِ الْأَسَى وَالْحُزْنِ مِلَأَى قَفْلَتَهَا^(٢)
وَاللَّيْمُ الْعُرَّى الَّتِي قَدْ عَهْدْتُهَا
إِذَا نَدَبْتَنِي فِي الثَّرَى مِنْ نَدَبْتُهَا
تَأَلَّفَ قَلْبِي لِلْغَرَامِ وَقَلْبُهَا
وَلَكِنْ بَرَغَمِي فِي التُّرَابِ دَفَنْتُهَا
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ فَنَاءٍ خِيَالِهَا
يَعِزُّ عَلَى (صَبْرِي) الْمُتَعَمِّ صَمْتُهَا
سَوَى أَنَّنِي تَحْتَ الظَّلَامِ بَعَثَتْهَا
لِجِدِّكَ مِنْ دَمْعِي عُقُودٌ نَظَمْتُهَا
وَكُلَّ لَيْالٍ بَعْدَ (زَيْنَبَ) يَا لَهَا
تَطَلَّبْتُهَا مِنْ أَجْلِهِ وَأَرَدْتُهَا

(١) سبق في القصيدة الهزلية إشارة إلى زينب ورجعنا أنها هي زوجة الشاعر فلعله يرثيها بهذه القصيدة أيضاً

(٢) المعنى أن الزمان يقول له : هاك ، وهو يجيب بقوله : هات .

غزل

قفّا نَبَك من ساجي المَواحظِ أُغِيد
 غزال يَناجيني بلفظٍ مَعْرَبٍ
 وَقَدَّ روت عن لَيْثِه واعتداله
 إذا قعدت أَرْدافه قام عطفه
 كلفت به من قبل ما طال قدّه
 وعانيت من فيه العقيقِ خاتماً
 وحدثنى من ثغره ورضابه
 وكنت حَذَرْتُ الخُودَ حين تَمردت
 يَحْيِل لى أنى له لست عاشقاً
 ولولا الهوى مابت بالدمع غارقاً
 وألثم عَظْفِيه وجفنيهِ بَعْدَ ما
 وأبصر فيما تحت صدغيهِ من سنا
 ورب مُدَامٍ من يديه شربتها
 إذا جَبَّتْهُ تسعى إلى ضوء كأسه
 تحدثك الأنفاس فيها عن اللَمّا
 فشم بارقاً قد خَوَّلْتُكَ ولا تشم
 من اللاتى راقى في يمين مديرها
 مصفرة من حيث تمّ كيانهما
 فأحسِن بها من كفٍّ ساقٍ كأنّه
 يصول بأسياف الجفون ولا يَدِي^(١)
 ولكنه يسطو بلحظٍ مَهْنَدٍ
 صحاحُ العوالى مسنداً بعد مسند
 فيا طولَ شجوى من مقيمٍ ومقعدٍ!
 فطـوَّله فرط العناق المَرْدَدِ
 فصغتُ له باللّثمِ فصّ زبرجد
 عن الجوهرى المنتقى والمبرّد
 فأوقعنى حظى لأمرّدٍ أمرّدٍ
 لأنّ ليس لى فى حبه من مَفْدَدٍ
 عليه وأشكو للورى غُلة الصدى
 قُتِلْتُ برمحٍ منها ومهْنَدٍ
 خيالى خُلُوقاً تحت محراب مسجد
 معقّةً تدعو لعيشٍ مُجَدَّدِ
 (تجدّ خيرَ نارٍ عندها خير موقد)
 (ويأتيك بالأخبار من لم تزود)
 (لخولة أطلال ببرقة شهيد)^(٢)
 فلو أهرقتها الكأس لم تنبَدَدِ
 تطاف علينا فى إناء مجسّد^(٣)
 غزال تجلى فى وشاحٍ مورّدٍ

(١) لا يدى : أى لا يقدم الدية .

(٢) الصواب فى الشطر الثمانى أن يقول « لخولة » أطلالا ولكنه أبقي التضمين على حاله وإن خالف الإعراب

(٣) يريد تطاف بها علينا .

إذا قهقه الإبريق في فمه اثني
 كأن سنا الإبريق حول شرابه
 كأن بقايا ما نضا من كؤسه
 كأن ملك الفرس صور نفسه
 سقى الغيث عن ذلك العيش إنه
 وفرق إلا مهجتي وحنائها
 وبدر أسرى في طية الشحب مسرعا
 وقال التسلى بعدنا لحنونه
 حبيب قسمت الشعر ما بين حسنه
 فلا غزل إلا له في قصيدة
 ينثل غصنا ماس تحت مغرد
 حبال شعاع الشمس تفتل باليد
 أساور تسير في معاصم خررد
 على هامه عمدا فمن يدن يسجد
 تولى هناء الورد غير مصررد
 وجمع إلا مدمعي وتجلدي
 فيا صاحبي دمعاً لعلك منجدي
 سهرت زماناً يا نواعس فارقدى !
 فسبحان من وقاه شر الحوايد
 ولا مدح إلا للحبيب (المخلد)

غزل

لا ورشف اللما ولثم الحدود
 هائم في هواك مثلى ولكن
 يا مليحاً (صبرى) عليك تقضى
 لا تسل عن مسيل دمعى بخدي
 كل يوم تروع قلباً خليلاً
 حبذا في سناك لأم غرامى
 لك وجه يُعزى له كل حسن
 ما عذولى عليك غير حسودى
 يدفع الوهم عنه بالتفنى
 وفؤادى في النار ذات الوقود
 قتل الدمع صاحب الأخدود
 يا بديع السنا بحسن جديد
 لا ابتداء الهوى وللتوكيد
 كاعتزاء العلى إلى محمود !

صدودك

صدودك يا حسناء عني ولا البعد
بروحى من حسناء عطف إذا بدا
وجيد قد استحسنت دمعى لنظمه
من الترك إلا أن بين جفونها
على مثلها يَكوى العذول وإنما
(عزير) على (صبرى) المعنى دلالها
أعذ النامهلاً فقد بان حَقُّكم
وقلتم قبيح عندنا العشق بالفتى
سمحت بروحى للمهارة فالكم
وتفر ينيم الدرَّسُلم مُهَجَّتِي
هو البرد الأثمى لغلَّة هائم
ومرشفه المن الذى لا يشوبه
عهدت الليالى حلوة بارتشافه
فلا ابتسم البرق المنير (جبينها)
تولت شمس السعد عني ففى العلا
فيا قلب مهلاً فى التقطع بعدهم
ويادع فض وخذاً بذكر خدودها
رعى الله دهرأ كنت ألهو بحبها
جوادى من الكاسات فى خمرة الهوى
وفى مُهَجَّتِي بدرُ الجمال مؤسَّد

إذا لم يكن من واحدٍ منهما بد
على الفصن قال الفصن ما أنا والقُد
وفى الجيد يا حسناء يستحسن العقد
الأعيب سحر لا يقوم بها الهند^(١)
على مثلها تحي الصباة والوجد
يف بها لم تدر أنى أنا العبدك؟
وقد زاد حتى مالعذكُم حد
ومن أتم حتى يكون لكم عند؟
ومالى ، وما هذا التعسف والجهد
فأتلها من قبل مائتة الرشد
هو الغيث أو نور الأفاحى أو الشهيد
خول أو الراح السمول أو النهْد
وتلك الليالى لا يدوم لها عهد
غداة تفرقنا ولا لعل الرعد
سناها وفى قلبى المعنى لها وقد
وهذا العمرى جهد من لاله جهد
فإنك ماء الورد أن ذهب الورد
أروح إلى وصل (زينب) أو أغدو
كيت وإلا من قوام المها نهد
وقد قدحت للراح فى خده زند

(١) يوجه الشاعر هذه القصيدة إلى حسناء تركية ، وقد أشار فى آخرها إلى أنها زينب أيضاً . فلعلها هى
التي ورد ذكرها فى القصيدتين السابقتين على أنها زوجته . أولله يكنى باسم زينب عن كل محبوبة . خاصة وهذه
قصيدة غزل بينا القصيدتان السابقتان فى الرثاء .

زِمَانٌ تَوَلَّى بِالْمَلِيحَةِ وَانْقَضَى
وما زال بالأُ كدار حولى له جُنْدُ
فِيالْيَقْنَى لَمْ أَبْغِ عَشْقَكَ (زَيْنَبُ)
وَشِيمَةُ (إِسْمَاعِيلَ) أَنْ يَصْدُقَ الْوَعْدُ^(١)
وَيَالَيْتَ يَوْمًا مَالُ غُصْنِكَ كَانَ لِي
كَأَيَّامِ حِلْمٍ قَبْلَ أَنْ تَحْتَمِي لِلنَّهْدِ

(١) تنوين زينب للضرورة وفي الشطر الثاني إشارة لقوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام (لَهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ)
(٢٣ - ديوان)

سلام...

حياة ابن آدم مهما تطولُ
فيولد صباحاً ، وظهرأ يعولُ
وما العيشُ إلا منامٌ قصيرُ
فتَقَوَى الإلهَ وَصُنْعَ الجميلِ
وأمره العلى لا مردُّ له
ليجر القصاء بأحكامه
دَهَنِي الليالى بأرزائها
خدمت المعارف عهداً طويلاً
مُجِدِّداً نشيطاً سائِمَ القوَى
وبعد اجتهادى ثلاثين عاماً
ومن كَلَّفَ النفس فوق الذى
لذلك كان لإرهاق عيني
خبأ النورُ عن مُقلتى فاتمت
سلامٌ على بَانِعَاتِ الربيع
سلامٌ على طلعةِ النيرينِ
سلامٌ على ما حوَاهُ جمال
سلامٌ على نَابِغَاتِ الفنونِ
سلامٌ على خطراتِ الذسيمِ
سلامٌ على حالياتى اللواتى
لقد ضاع حقى الذى قَدَّرُوهُ
أَيُرْضَى الإلهَ ؟ ويرضى النبيَّ ؟
خيالاً تمرُّ كالمجج البصر^(١)
وعصراً يُوَارَى فيمسى أثر^(٢)
وما الدهرُ للناس إلا سِيرُ
لَأَقْوَمَ زادِ قبيل السففر
ومن دونه لا يفيد الحذر
ومن يستطيعُ عِنَادَ القَدَرِ ؟
فلازم جفنى البُكَا والسهر
أميناً وَفِيّاً حميدَ الذكر
حَلِيفَ النجاح ، حديدَ النظر
أحاطت حياتى غيومُ الكدَرِ
تطبق احتمالاً سعى للخطـر
من الخط ما لم أكن أنتظر
حياةُ اجتهادى بِفَقْدِ البصر^(٣)
سلام على باسماتِ الزَّهَرِ
سناً الشمس حسناً وضوء القمر
تحلَّتْ به مُتَقَنَاتُ الصُّوَرِ
سلام على عبقرىِّ الفكر
برَوْضِ المعلوم ، وَجَنَى الثمر
لها فى الثقافة ذكر عطر
كما ضاع مالى الذى أدخر !
ويرضيك أنتَ ؟ ويرضى البَشَرُ ؟

(١) خيالاً منصوب على أنه حال مقدم (٢) يعول : أى يصبح رب عائلة ، وأثر ساكن لضرورة الشعر .
(٣) فى هذا البيت ومقابلته إشارة واضحة إلى أن الشاعر فقد بصره فى آخر أيامه نتيجة الإرهاق والعمل المتواصل

استنهاض

أيهـا الشرقُ تيقظ	واجر اليوم الهجوع
ها هو الجـد يُنادى	وهو يبكى بالدموع
أين أبناء بلادى	أين سكان الربوع
قاوموا الجهل وهبوا	ألبسوا العلم الدروع
واطردوا من بات يسمى	نحو تفريق الجموع
كلكم عرب كرام	كلكم يأبى الخنوع
آية الله تجلّت	فهى فى أجلى سطوع
فاعملوا للمجد دوما	واتركوا ذل الخنوع
بلغوا مصر التهانى	بعد تسكاب الدموع
فهى عنوان الأمانى	أو كشمس فى الطلوع
ومى فى الدنيا عروس	حليها تلك الزروع
أهلها امتازوا بلطف	ذكرهم مسك يצוע
حبذا النيل بمصر	حبذا هذى الربوع

تحية(*)

بأبلغ لفظ رَوَّتهُ العَرَبُ أَحَيَّ احتراماً رجالَ الأدبِ
يرحَّبُ قلبي بفنِّ الأغاني وكلُّ مُجِدِّ إِلَيْهِ انْتَسَبِ
تطيب النفوسَ بفضلِ الفناء ويذهب عنها الأسى والتَّعَبِ
تُنِيرُ العقولَ وتُحْيِي القُلُوبَ وتمطيك نشوةَ بِنْتِ العِنَبِ
بنى الفرسُ مجداً أضاءت به نجومُ الأغاني سماءَ الطَّرَبِ
وأخرجت الدر من كَنْزِهَا ومن بعدهم هذَّبَتْهَا العَرَبُ
وللتركِ فخرٌ بما أَجْهَدَتْ ونالت من الفوز أسمى الرُّتَبِ
أذاع لها الفنُّ أَمْرَارَهُ وكلُّ الأمانى لها قد وَهَبِ
وأثمر في مصر روضُ الفنون وسرُّ التقدُّم منها اقترَبِ
وها قد تجلَّت لنا همة تبرهن أن الملا مُكْتَسَبِ
هنيئاً لمصر بأبطالِهَا كبار النفوس كرام الحسبِ
رجال دعاهم لُحْبُ المصالي فخمار جِدودِ أَتَوَا بالعَجَبِ
بكلِّ الفنون تَمَمُوا وارتَقَوْا وها هو يشهد فنُّ الطَّرَبِ
إلى المجدِّ يا مصرُ في عِزَّةٍ وتحيا الأغاني وتحيا الأدبِ

(*) أُلْفِيَتْ في الحفلة السنوية الأولى لقاعة ومعهد الموسيقى الشرقي التي أقيمت بمسرح حديقة الأزبكية بالقاهرة في ٥ يونية عام ١٩٣٠ .

تكریم (*)

دعاك حُبُّكَ للعلمِ والرتبِ إلى اكتشافِ كنوزِ العلمِ والأدبِ
أجهدتَ نفسك بحثاً عن جواهرها ونلتَ بالجدِّ منها غايةَ الأربِ
حتى وصلتَ بساتينَ الفنونِ وقد قامتَ تحييتُك فيها زهرةُ الطربِ
عشقتَ فنَّ الأغاني واتجهتَ له وما بخلتَ بما أنفقتَ من ذهبِ
كان اختيارك للفنِّ الجميلِ هُدىً لكشفَ سرِّ كنوزِ الفُرسِ والعربِ
قضيتَ عشرَ سنينٍ في دراستِهِ ولحظةً عنك بدرُ الفنِّ لم يغبِ
وفي اغترابك كم قاسيتَ من ألمٍ جميلٌ صبرك فيه آيةُ العَجَبِ
ثبات عزمك (يا حَفِي) أُنَاحَ لنا سرُّ التقدُّمِ معصوماً من الرِّيبِ
هذا اجتهدك قد جَلَّتْ موارده وذا ذكاؤك بادٍ غير محتجبِ
جددتَ في الغربِ المصريَّ منزلةً في العلمِ كانت تُسامى أرفعَ الشُّبِّ
أَكسبتَ مصرَ فخراً نعم ما وضعتَ يدك في عالمِ الأنعامِ والطربِ
فاقبلَ تحيتها واعملْ لرفعها وانفعْ بفنِّك فيها كلَّ مُنتَسِبِ
لازِلْتَ للوطنِ المحبوبِ نجمَ هُدىً تضيءُ بين رجالِ الفضلِ والأدبِ

(*) أَلقيتُ في الحفلة التي أقامتها نقابة ومعهد الموسيقى الشرقي في ٢٧ مارس سنة ١٩٣١، بمسرح حديقة الأزبكية لتكريم الدكتور محمود الحفني مفتش الموسيقى بوزارة المعارف .

(*) مصر

مصر العزيزة تاهت فيك أشجاني زدى هياماً بها ياطر البان
قم فوق أهرامها وادخ بما نظرت عينك من ساحر منها وفتان
يادرة في جبين الدهر لامعة يا كعبة العلم للقاصي والداني
آثار مجدك لا زال الشباب بها في عنقوان وريعان وسلطان
يامصريه في قربات القصور بنت لخالدات المعالي خير بنيان
ما زال قدرك يسمي المادحون له بالمبدعات ، بالياب ، وآذان

غزل الانعاني

ستريس

عذراء منف

يَا مَنْ عَوَاطِفُهَا تَفِيضُ حَنَانًا غَذَّى الْقُلُوبُ وَرَجَّى الْأَلْمَانَا
يَا رَبَّةَ الصَّوْتِ الشَّجِيِّ حَنِينُهُ رَنَاتُ صَوْتِكَ تَبْعَثُ الْأَشْجَانَا
شِيدَتْ صَرَحًا لِلزَّمانِ مُقَدَّسًا مَعْنَى الْأَوَائِلِ فَاذْفَعِي الْبُنْيَانَا
بَسَمَتْ أَغَارِيدُ الْأَغَانِي عِنْدَمَا صَدَحَ الْهَزَارُ فُجْدِي الْأَزْمَانَا
جَذَبَتْ عَوَاطِفُكَ الْقُلُوبَ فَأَقْبَلَتْ فَرَحِي تُحْيِي الْفَنِّ وَالْوُجْدَانَا
فَإِذَا شَدَوْتَ صَرَفْتَ عَنِ أَلْمِ الْهَوَى قَلْبًا أَسِيرًا حَائِرًا وَلَهَانَا
وَمَنْعْتَ عَنِ مُضَيِّ الْغَرَامِ عَذَابَهُ وَكَأَنَّ خَفَقَ قُودِهِ مَا كَانَا
وَإِذَا بَسَمَتْ بَعَثَتْ أَحْلَامَ الْمَنَى وَبَدَا السُّرُورُ فَبَدَدَ الْأَحْزَانَا
وَإِذَا خَطَرَتْ مَلَأَتْ أَنْفَاسَ الصَّبَا صِيًّا وَأَخْجَلَ قَدْكَ الْأَغْصَانَا (١)
وَإِذَا انْظَرْتَ تَكَشَّفَتْ لُغَةُ الْهَوَى عَنِ سَحْرِ مَعْنَى أَذْهَلِ الْأَذْهَانَا
لُغَةُ تَفْهَمَتْ الْعَوَاطِفُ سِرَّهَا أُمُّ اللُّغَاتِ فَصَاحَةً وَبَيَانَا (٢)
شَفَتَاكِ يُحْيِي الْمَيِّتَ دُرُّ حَدِيثِهَا وَتُبَدَّلُ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ أَمَانَا
عَصَاهُ حَصَّنَهَا الْعَفَافَ وَزَادَهَا عِزُّ الْحِجَابِ صِيَانَةً وَجِنَانَا
حُسْنُ تَمَنُّعٍ عَنِ مَطَامِعِ عَاشِقٍ دَنَفٍ تَشَبَّبَ سَاهِرًا نَشْوَانَا
خَدُّ تَقَبَّلَهُ النَّسَائِمُ وَخَذَهَا يَسْنِي الْبُدُورَ وَيَفْتِنُ الْإِنْسَانَا
سَهَرَتْ سُيُوفُ اللَّحْظِ تَحْرُسُ وَرْدَهُ وَإِذَا غَفَّتْ تَسْتَنْجِدُ الْأَجْفَانَا

(٢) أم اللغات : يقصد اللغة العربية .

(١) الصبا : ربيع طيبة تهب من الشمال .

وَمَقْبِلُ عَذْبٍ شَمِيٍّ وَرُودُهُ
وَجْهٌ حَبَاهُ الْحُسْنُ أَجْمَلُ صُورَةٍ
يَا مُنْتَهَى الْأَمَالِ قَلْبِي لَمْ يَمُذِّ
وَالدَّمْعُ لَمْ يَتْرُكْ جُفُونِي لَحْظَةً
فَالْإِلَامَ وَجَدِي وَالشَّهَادَ وَلَوْ عَنِي
هَذَا فُؤَادِي بِعَتُهُ لَكَ رَاضِيًا
فَإِذَا مَنَحْتَ لَهُ الْحَيَاةَ فَأَنْتَ
تَخِذَ الْوُصُولَ الْمُسْتَحِيلَ مَكَانًا
جَعَلْتَهُ بَدْرًا سَاحِرًا فَتَانًا
مَنْ سَقَمِهِ يَتَحَمَّلُ الْكِتْمَانَا
لَيْلِي نَهَارِي بَاكِيًا حَيْرَانَا
وَالْإِلَامَ أَلْقَى فِي هَوَاكِ هَوَانَا (١)
وَصَلَا حَكَمْتِ عَلَيْهِ أُمُّ هِجْرَانَا
صَبٌّ وَإِلَّا فَاْمُنْجِي الْغُفْرَانَا

هو القدر !

تَمَنَّتْ جُفُونِي أَنْ تَرَى النَّوْمَ لَحْظَةً وَلَمْ تَقْدِرِ أَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَسْتَطِعْ صَبْرًا
وَكَيْفَ يَنَامُ الْجَفْنُ وَالْفَكْرُ سَاهِرٌ تُشَاغِلُهُ النَّجْوَى وَتَخْرِقُهُ الذِّكْرَى
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو حُرْقِي وَصَبَابِي وَمُهْزِي وَآلَامِي وَمُهْجَتِي الْخَيْرَى
ظَنَنْتُ دَوَامَ الْحُبِّ حُلُومًا كَمَا بَدَأَ وَتَرَعَانَ مَا صَارَتْ حُلَاوَتُهُ مُرًّا
فِيَالَيْتَ قَلْبِي خَالَفَ الْعَيْنَ فِي الْمَنَى وَبَالَيْتَ عَيْنِي لَمْ تَذُقْ لَهْوَى خَمْرًا
هُوَ الْقَدَرُ الْجَارِي عَلَى مُهَيِّجِ الْوَرَى إِذَا شَاءَ مِنْ يَعْصِي لِأَحْكَامِهِ أَمْرًا
تَحَمَّلْتُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ احْتِمَالُهُ وَعَانَيْتُ وَجْدًا حَيَّرَ الْقَلْبَ وَالْفَكْرًا
أُحَاوِلُ أَنْ أُخْفِيَ لِهَيْبَ مَحَبَّتِي وَيَرْفُضُ دَمْعَ الْعَيْنِ أَنْ يَكْتُمَ السَّرًّا
فِيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ وَيَا نَفْسُ أَمْلِي بَلُوغَ الْمَنَى فَالْعُسْرُ لَنْ يَغْلِبَ الْيُسْرَا
سَابِقِي وَفِيًّا حَافِظَ الْمَهْدِ صَادِقًا أَمِينًا وَرَبِّي بَعْلُمُ السَّرِّ وَالْجَهْرَا

العاشق

إذا لم يُرَجَّ شَفَاءُ الْعِلَلِ تَمَنَّى الْعَلِيلُ دُنُوَ الْأَجَلِ
وَأَيُّ عَلِيلٍ كَفَيْتِ الْمَوَى جَرِيحُ الْفَوَادِ صَرِيحُ الْمَقَلِ
حَلِيفُ السُّهَادِ بِعَيْدِ الْمُنَى قَرِيحُ الْجَفُونِ ضَعِيفُ الْحِيلِ
تَعَدَّى السَّقَامُ عَلَى جِسْمِهِ وَفَوْقَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ اخْتِمَانِ
تَمَرُّ اللَّيَالِي وَطَيْفُ الْكَرَى عَنِ الْجَفْنِ عَمْدًا تَأَى وَارْتَحَلِ
فِيَا لِلْهَوَى كَمْ أَذَلَّ الْأُسُودَ وَأَخْضَعَ لِلْحُبِّ قَلْبَ الْبَطَلِ
بَقَاءُ الْوَفَى عَلَى عَهْدِهِ أَمِينًا يُنْذِلُ بُلُوغَ الْأَمَلِ
فَإِنْ فَازَ عَاشَ سَعِيدَ الْحَيَاةِ وَإِنْ لَمْ يُؤَفَّقْ شَهِيداً رَحَلِ !

عيون و عيون

قُوَّةُ السَّخْرِ فِي عَيُونِ الْعِذَارَى زَادَتْ الْحُبْنَ وَالِدَالَ اقْتِدَارَا
وَأَضَافَتْ إِلَى الْجَمَالِ جَلَالاً صَيَّرَ النَّاظِرِينَ حَيْرَى سُكَارَى
وَإِذَا تَمَّ فِي الشَّيْئَةِ أَمْرٌ مَنْ عَسَاهُ يُعَانِدُ الْإِقْدَارَا
يَا سِهَامَ الْجُفُونِ كُفِّيْ فِهْدَى مُهَيِّجُ الْعَاشِقِينَ جَرَحَى حَيَارَى
فَالَيْ نِي مِنْ نِيَالٍ لَحِظِكَ سَهْمٍ طَائِشُ الْعَقْلِ قَدْ تَعَدَّى وَجَارَا
صَالَ فِي مُهْجَتِي فَمَزَقَ قَلْبِي وَانْبَرَى فِي الْحَسَا ظُلُومًا أَغَارَا
وَرَمَانِي فِي لَوْعَةِ الْوَجْدِ حَتَّى ضَاقَ صَدْرِي وَلَمْ أَجِدْ لِي اصْطِبَارَا
كَانَ دَمْعِي يَجْرِي لُجَيْنًا فَأُخِّى مِنْ أَهْيَبِ الْهَوَى يَسِيلُ نُصَارَا
حَالَفَ الشَّهْدُ مُقَلَّتِي طَوَلَ لَيْلِي وَالْبَيْلَى تُجَدِّدُ الْأَفْكَارَا
يَا نَعِيمَ الْوِصَالِ رِفْقًا بِصَبِّ أَضْرَمَ النَّأْيُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ نَارَا

حيرة

بِرَبِّكَ مَا الَّذِي أَفْصَاكَ عَنِّي
نَوَاحِكِ حَارَتِ الْأَفْكَارِ فِيهِ
شَدَوْتُ فَالَتِ الْأَغْصَانُ مُجْبِنًا
وَجَدَّدْتَ الْحَيَاةَ إِلَى فَوَادِي
حَنِينِكَ صَيَّرَ الدُّنْيَا خِيَالًا
سَلَى الْأَفْكَارَ عَنْ دَقَّاتِ قَلْبِي
نَجُومُ اللَّيْلِ تَعَجَّبُ مِنْ سُهَادِي
بُسَاهِرُنِي النَّوَى فَيَزِيدُ وَجْدِي
سَقَامِي لَوْعَتِي دَمِي أُنِيدُنِي
سَاحِظُ يَا حَيَاةَ الرُّوحِ عَهْدِي
وَمَا تَبَغَّيْنِ مِنْ هَذَا التَّجَنُّي ؟
بُكَاءَ يَا حَامِئُهُ أَمْ تَفَنِّي ؟
وَيُعْجِبُنِي مِنَ الْمُضْنِ التَّنَنِّي
وَقَلْبُ الصَّبِّ يُحْيِيهِ التَّمَنِّي
وَمَكَّنَ شَارِدَاتِ الْفِكْرِ مِنِّي
وَعَنْ نَوْمِي وَكَيْفَ جَفَاءُ جَفَنِي
وَتَعْلَمُ صَادِقَ الْأَخْبَارِ عَنِّي
وَيَحْرِقُنِي الْجَوَى فَتَجُودُ عَيْنِي
تُهْدِمُ قِسْوَةَ مَا كُنْتُ أُبْنِي
لَأَنِي قَدْ وَهَبْتُكَ حُسْنَ ظَنِّي

لواعج

قد أودعَ الحبُّ لحظيكِ ابنةَ العنبِ
 وناولتكِ كنوزَ السَّحَرِ مُعْجَبَةً
 نَسَرَ البَدْرُ خَلْفَ الشَّجَبِ مِنْ خَجَلٍ
 باللهِ يَنْسَبَاتِ الصَّبَحِ أَيْنَ أَرَى
 ياليلةً لستُ أنسىَ مارأيتُ بها
 وياملاكاً رمانى قوسُ حاجبهِ
 أصابَ قلباً بريثاً لم يكن أبداً
 قد شاغلَ الحُسنُ عيني واستباحَ دمي
 سَطَا هَوَاكِ عَلَى جِسْمِي فَأَتْلَفَهُ
 مُهْدِي أُنَيْنِي دُمُوعِي لَوْعَتِي سَقَمِي
 إِنِّي عَلَى الصَّهْدِ بَاقٍ لَا أُصَيِّمُهُ
 لما تَقَرَّبَ مِنْكَ الحُسنُ بالنَّسَبِ
 سِرّاً الْجَمالِ وَتاجِ الطُّهْرِ وَالْأَدَبِ
 لما رَأَى الشَّمْسَ تُبْذِي آيَةَ الْعَجَبِ
 مَنْ بَاتَ قَلْبِي لِنَجْوَاهَا عَلَى اللَّهَبِ
 خيالُ ذِكْرِكَ عَنْ عَيْنِي لَمْ يَفِرْ
 بِمُرْهَفٍ مِنْ سُيُوفِ اللَّحْظِ مُلْتَمِبِ
 يَذْرى الفَرَامَ وَلَمْ يَأْتِ إِلَى الرَّيْبِ
 فَالْقَلْبُ فِي الْحَرْبِ وَالْعَيْنَانِ فِي اللَّعِبِ
 وَالْحَبُّ يَفْتِكُ فَتَكَ النَّارِ بِالْحَطَبِ
 لَوَاعِجُ عَرَّضَتْ قَلْبِي إِلَى الْعَطَبِ
 عَسَى بِالصَّبْرِ أَلْتَقَى غَايَةَ الْأَرْبِ

إليها

يَانَسِيمًا حَمَلْتَ طَيِّبَ الْأَغَانِي
عَجِبَ الرُّوضُ وَاخْتَفَى الْعَلِيرُ لَمَّا
يَا حَنِينًا مَلَكَتْ سَمْعِي وَقَلْبِي
كَنتُ أَغْشَى الْغَرَامِ حَتَّى رَمَنِي
إِنِّ لِلْفَيْدِ فِي الْغَرَامِ دَلَالًا
أَتَلَفْتَ مُهْجَتِي وَأَذَمْتَ فُؤَادِي
يَخْجَلُ الْبَدْرُ أَنْ يَرَاهَا وَتَأْتِي
أَنْ أَلْقَى يَا دَهْرُ مِنْ غَادَرْتَنِي
أَنْتِ أَشْهَى مِنَ السَّكُونِ وَأَحْلَى
إِنَّ طَوْلَ النَّوَى أَعَدَّ لِجِسْمِي
أَشْعَلِي النَّارَ مَا اسْتَطَعْتَ فَقَلْبِي
أَنَا رَاضٍ بِمَا أَرَدْتَ حَيَاتِي
سِرُّ إِلَيْهَا وَصِفَ لَهَا مَا أَعَانِي
وَقَفَ الْبَدْرُ وَقَفَّةَ الْخَيْرَانِ
أَنْتِ كَالسَّجَرِ فِي عُيُونِ الْحِسَانِ
فِي شِبَالِكِ الْهَوَى وَعُودُ الْأَمَانِ
كَمْ مُحِبِّ غَدَا صَرِيحِ الْغَوَانِ
غَادَةُ سَهْمٍ جَفْنَهَا قَدْ رَمَانِي
بِدَلَالٍ مِنَ الْبُدُورِ التَّدَانِ
بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
مَنْ نَسِيَمِ الْحَيَاةِ فِي وَجْدَانِي
مَنْ ثِيَابِ الضَّرَى نُحُولًا كَسَانِي
لَمْ تُرَوِّعْهُ زَفَرُهُ النَّاسِيرَانِ
أَوْ مِمَاتِي حَيْثُ الْوَقَاهُ دَعَانِي

وهبتك قلبي

لَمَنْ أَشْتَمَكِي يَا لَيْلُ بِاسْمَةِ الثَّمَرِ وَمَا نَأَلَنِي مِنْهَا مِنَ الْبُعْدِ وَالْهَجْرِ
 لَيْلِي الِهْمَا وَلَّتْ سِرَاعًا وَخَلَفَتْ فَوَادِي لِدِكْرَاهَا يَبِيتُ عَلَى الْجَزْرِ
 سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الْهَمَاءِ الَّتِي خَلَتْ مِنْ الشَّحْبِ أَحْلَى مَا يَسِيلُ مِنَ الْقَطْرِ
 إِلَيْكَ اشْتِيَاقِي رَبَّةَ الْحُضْنِ إِنِّي وَحَقُّ الْهَوَى مَابَاتِ غَيْرِكَ فِي فِكْرِي
 نَطْوُلُ اللَّيَالِي وَالشَّهَادُ مُلَازِمِي وَسِيلُ دُمُوعِي مِنْ لَهْيِبِ الْجُوعِ يَجْرِي
 سَلَى اللَّيْلِ هَلْ جَفَنِي يَرَى النَّوْمَ لِحْظَةً وَهَلْ غَيْرُ أَنَا فِي بَحْوَفِ الدُّجَى تَسْرِي
 وَهَلْ أَسْهَرُ اللَّيْلِ الطَّوِيلَ مُسَامِرًا سَوَى سَارِيَاتِ النَّجْمِ أَوْ طَلْعَةِ الْبَدْرِ
 رَعَى الْحُسْنُ تَفَرُّاً فِي مُحْيَاكِ بَاهِمَا تَبَدَّى كَبَدْرُ التَّمِّ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
 وَأَهْدَى الْجَمَالَ السَّحَرِ عَيْنَيْكَ مُنْجَبًا

بِمَا فِيهِمَا مِنْ فَاتِكَاتِ الْهَوَى الْمُذَرِي !
 وَهَبْتُكَ قَلْبِي عِنْدَ أَوَّلِ نَظَرَةٍ وَشَاهِدُ حُبِّي عَالِمُ السِّرِّ وَالْجَهْرِ
 سَأَحْفَظُ فِي قَلْبِي عُيُودَ مَحَبَّتِي وَمَنْ غَيْرُهَا يَأْخُذُ عَوْنِي عَلَى الدَّهْرِ
 وَأَصْبِرُ مَهْمَا أَتَلَفَ الصَّبْرُ مُهْجَتِي وَلَوْ أَنَّ فِي طَوْلِ النَّوَى ضَيْعَةَ الْعُمَرِ

راقبوها

راقبوها خَوْفَ التَّأْوِهِ حَتَّى	لا يُذِيحَ النَّسِيمُ سِرَّ هَوَاهَا
وَأَرَاقُوا دَمَ الْحَاجِرِ مِنْهَا	قِسْوَةً حِينَ أُسْرِفُوا فِي أَذَاهَا
وَأَعْدُّوا لِصَفْوِهَا كُلِّ كَيْدٍ	وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ أَرَادُوا صَفَاهَا
وَأَقَامُوا مِنَ الْعِيُونِ شُهُوداً	سَاهِرَاتٍ تَعُوقُهَا عَنْ هَنَاهَا
عَذَّبُوا قَلْبَهَا الْكَلِيمَ الْمُعْنَى	وَأَهَاجُوا بَيْنَ الصَّلُوعِ جَوَاهَا
فَارَقَ النَّوْمُ جَفْنَهَا وَتَوَارَى	نُورُ آمَالِهَا وَطَيْفُ مَنَاهَا
وَتَعَدَّى السَّقَامُ ظِلْمًا عَلَيْهَا	فَبَكَاهَا رَغْمَ التَّشْفِي عِدَاهَا
نَالَ مِنْهَا الضَّغْنُ فَصَارَتْ خِيَالاً	بَعْدَ أَنْ أَحْرَقَ اللَّهَيْبُ حَشَاهَا
أَقْسَمَتْ أَنْ تَصُونَ لِلْحَبِّ عَهْداً	وَتَقَامِيَ الْعَذَابَ مَعَهَا ضَبَاهَا
بَاتَ طَلِيفُ الْكُرَى مَنَاها وَأُضْحَى	وَاللَّهِ الصَّبْرُ زَادَهَا وَعَزَاهَا
مِثْلَتْ آيَةَ الْوَفَاءِ فَضُحَّتْ	كُلُّ مَا عَزَّ فِي سَبِيلِ وَفَاهَا
عَلِمَتْ أَطْهَرَ الْقُلُوبِ غَرَاماً	أَنَّمَا الصَّبْرُ خَيْرُ وَزْدٍ سَقَاهَا
زَهْرَةُ الْحَبِّ أَشْرَفُ الزَّهْرِ نَبْتاً	أَبَدَ الدَّهْرِ لَا يَضِيعُ شَذَاهَا
هَكَذَا يَرْفَعُ الْفِرَامَ نَفوساً	طَاهِرَاتٍ قَدْ أَخْلَصَتْ فِي هَوَاهَا

سحر الجمال

تَاهَتْ بِسَحْرِ جَمَالِهَا عَيْنَاكَ لَمَّا تَمَلَّكَ فِي الْقُلُوبِ هَوَاكَ
لَعِبْتَ بِمَيْدَانِ الْغَرَامِ سِوْفَهَا وَهَوَتْ مَوَاضِيهَا عَلَى قَتْلَاكَ
رُدِّىَ عَنِ الْمُهَيَّجِ السِّوْفِ فَقَدْ جَرَى بَدَمِ الْقُلُوبِ تَوَرُّدًا خَدَاكَ
يَارَبَّةَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَلَّى مَا شَدَّتْ كُلُّ الْعَاشِقِينَ فِدَاكَ
قَسَمًا بَيْنَ جَمَلِ الْقُلُوبِ لَكَ الْفِدَا وَبِقَاتِنِ الْحَسَنِ الْبَدِيعِ حَبَاكَ
أَنْتَ الرَّجَاءُ لِعَيْنِ صَبٍّ سَاهِرٍ هَجَرَ الْمَنَامُ جَفْوَنَهُ لِنَوَاكَ^(١)
يَا مَنْ عَلَى الدُّنْيَا تَدَيُّهُ بِحُسْنِهَا إِنْ الْجَمَالَ لِلْمَلِكِ وَلَاكَ
لَا تَمْنَعُنِي عَنِ لِقَاءِكَ وَارْحَمِي صَبًّا يَحُودُ بِنَفْسِهِ لِيْرَاكَ
وَجِدِي وَمَا بِالْقَلْبِ مِنْ أَلَمِ النُّوَى نَارٌ تُجَدِّدُ دَائِمًا ذِكْرَاكَ
جُودِي عَلَى أَوْفَى مُحِبِّ مَالِهِ سَلَوَى عَلَى الدُّنْيَا بِعِيرِ رِضَاكَ

شكوى

إلى الحبِّ أشكو حبيباً هجر وعلم جفنى اليكَّ والسهر
ليالى هنأتى عجيبٌ لها تمرُّ سِرَاعاً كلَّح البصر
تطيل الليالى صروفُ النَّوى وتمنَّعُ غنى ضياء القمر
عيونٌ تكامل فيها الجمالُ تبارك من زانها بالحوَر
تُدَاعِبُ بالسحرِ مُضَيَّ الهوى فتكشف من سره ما استتر
يمر فينمَش ورد الصبى عَلَى وَجَنَتَيْكَ نَسِيم السَّحَرِ
ترامى الفِرامُ عَلَى مُهْجَتِي وقد كنتُ منه شديدَ الحذر
فأودعَ قايى لهيبَ الجوى ومن يستطيعُ عِنَادَ القَدَرِ ؟^(١)
سَلَى الليلَ عن لَوْعَتِي إنه أمينٌ فيروى صحیح الخبر
عشقتك لما دعانى العفافُ وفرطُ الجمال وسحر النَّظَرِ
تعالى انظري كيف كاد الهوى لأوفى محبِّ أمين صَبَرِ
فؤادى يرضى بما تحكُمِينَ ولو أن مابى يذیبُ الحجر

(١) انظر قول الشاعر في قصيدة سابقة بعنوان « سلام » !
لجبر القضاء بأحكامه . ومن يستطيعُ عناد القدر ؟

يا عيوننا

يا عيوننا تملأ الدنيا غزل	إن سرَّ الحبِّ في سحر الثقل
ست أنسى نظرة قد أودعت	في صميم القلب نيران الأمل
صوبت عينك سهماً نزعته	من فؤادي لم تُفد فيه الحيل
لك وجهٌ جلّ من صورة	فتن الحسن به لما اكتمل
يا جمالا كل أقمار السما	غيرة منه تولأها الخجل
نار حي أبعدت عني الكرى	أسقمتني ، مكنت مني العلل
أسهر الليل حزيناً حاراً	است أدرى في غرامي ما العمل
مذمعي ، سُهدي ، أنيني ، لوعتي	كلما طال النوى أخشى لللل
والذي أعطاك حظاً ساحراً	وجملاً صار للحسن المثل
لو كنوز الأرض كانت بدلاً	من محياك لما اخترت البدل
فاذكري صبيّاً وفيّاً هائماً	واعلمي أن سبق السيف العذل

إليك وفائي

إذا أنكر الحسنُ البديع حنيني	فهل ينكرُ الليلُ الأمينُ أنيني ؟
سلى ساريات الليل عن سُهدٍ مُقلتي	ونيران أحشائي وَسَيْلِ جُفوني
وما حلَّ في قلبي من الوجد والجوى	وقد مكنت منى السقام شجونى
خطرتِ فحَمَلَتِ النِّسَامُ نفحةً	من الطيبِ زادت في هوائِ جنونى
وأُسْفرتِ عن وجهٍ تكامل حسنه	بطلعه نوراً ملأت عيوني
وأرسلتِ سهماً من لحاظك فاتكاً	أصاب هوى قلبٍ عليكِ أمين
سعيروُ سرى في مهجتي فأذابها	ومن حرٍّ آهاتِ الغرامِ يقينى
ظننتِ الهوى سهلاً ولم أدري أنه	هوانٌ لقلبِ العاشقِ المفتونِ
تَكْتَمْتُ حُبِّي غيرَ أنَّ مَدَامَعِي	تبوحُ بسرِّ في الفؤادِ مصونِ
تعلم جفنى الشَّهْدَ من روعة النوى	وتاهت بأبراج الخيالِ ظُنُونِي
كسانى ثيابَ السقمِ عهدُكُ فارحى	فؤاداً بما يُرضيكِ غيرَ ضنينِ
إليك وفائي إننى صابراً لما	قضته يد الأقدارِ فوقَ جَبِينِي

حرب !

بين قلبي وسحر عَيْنَيْكَ حَرْبٌ	أشعل النارَ فيه وجدُ غرامى
فأرفعى السيفَ يا جفونُ ويكفى	ما بقلبي من صائبات السهامِ
يا جمالاً تملك القلبَ مِنِّى	أنت شغلى فى يَقْظَتِي ومنامى
يا رجاءَ العيونِ إنَّ دموعى	شاهداتٌ بلوعتى وسَقَامى
ضاع نومي وحاربتنى هُمُومى	وكستنى ثوبَ الضنى آلامى
إنَّ جسمى يكادُ يُخَفِّى نَحْوَلًا	من زفيرِ الجوى وَسَطُو الهَيَامِ
أسهر الليلَ ساجحاً فى خيالٍ	أيقظته من نومه أحلامى
أرتضى المرءَ فى هواك وعندى	كل شئ يهون حتى حِمَامى
فأذكرينى وخفِّى نارَ وجدى	أنت قَصْدِي وغَايَتِي ومَرَامى

القلب القاسى

والعين فى روض المحاسن تَنعَمُ	القلب من نار الهوى يتألم
ما بال قلبك قاسياً لا يرحم	كل الحسان قلوبهن رحيمه
وسيوف لحظك فى دمي تتحكَّمُ	عينك ساحرتى وحسنك فاتنى
قلبي أسيرٌ فى هـواك مُتَمِّمٌ	يا من أرى الدنيا بقربك جنّى
شفتاك يا هبة السّما تقبّسُمُ	لم أنس أول نظرة كانت لها
إن العيون بسحرها تتكلّمُ	من سحر جفّتك قد تعلّمتُ الهوى
والدمع غاضٍ وفاضٍ من عيني الدمُ	ما حيلتى والجفن حالفهُ البُكا
والسقم أعلن ماله أتسكّمُ	قد راعنى سهدٌ وأتلفَ مهجتى
يا منتهى أملى لِمَن أنظلمَ ؟	إن كنتُ لأشكو إليك صبابتى

أين العهد

أين اللإلى اللواتى سببت سقمى	يا ليلة بعدها عيناى لم تنم
مررت كطيف خيال كان يسعدنى	لو دام لكنه ويلاه لم يدم
يا نظرة أرسلت سهما إلى كبدى	فبات من جرحه فى ثورة الألم
سرى الهوى كهييب النار فى جسدى	فالقلب فى حرقه والجسم فى سقم
سهدى حنينى عذابى لو عتى لهفى	دموع عيني غدت ممزوجة بدم
ياربة الحسن إن لم ترحمى سقمى	لابد يوما تعانى زفرة الدّم
أين العهد اللواتى علّت أملى	لو طال هجرى لأفضت بى إلى حكم
إنى على العهد مهاطل بى أمدى	وحق من علم الإنسان بالقلم

جفون

يا جفوناً أشكو إليها الغراماً جرح القلب فاستردى السهاماً
أصبح القلب للجفون أسيراً يشتكى الوجد والأسى والهياماً
يامهاة تجمع الحسن فيها وحباًها الجمال منه ابتساماً
كم لعينيك من مواقف سحرٍ علمت صامت العيون الكلاماً
لأك لحظاً وطلعةً وقواماً ودلالاً أنسى الجفون المناماً
كل بذرٍ يتم في الشهر يوماً ومحياك في التمام دواماً !
نارُ حُبِّي ولوعتي ودموعي أورثت مهبتي الضناً والسقاماً
إرحمني إن شئت أو عذِّبني أقسم القلب أن يصون الغراماً
أضرمي النار إن أردت عذابي أو فقولي يا نار كوني سلاماً !

دولة الحسن

في دَوْلَةِ الْحُسَيْنِ بَيْنَ اللَّحْظِ وَالتَّيِّهِ	يبدو الجمالُ الذي بالروحِ أَفْذِيهِ
إنَّ الْجَمَالَ سِلَاحُ الْغَانِيَاتِ بِهِ	تَسْطُو عَلَى قَلْبٍ وَلَهَانٍ فَتُذْمِيهِ
يَانْظُرَةً أَرْسَلَتْ نَارَ الْغَرَامِ إِلَى	قَلْبِي فَبَاتَ وَجْهُ الْحُبِّ يَكْوِيهِ
بِاللَّهِ مَرْحَمَةً يَاخِيرُ مِنْ جَمْعَتْ	جَوَاهِرَ الْحُسَيْنِ فِي ثَوْبٍ مِنَ التَّيِّهِ
لَا تَسْأَلِي عَنْ غَرَامِي فَهَوْلِي حَزَنٌ	وَلِلصَّبَابَةِ سِرٌّ لَسْتُ أَبْدِيهِ
أَبَيْتَ لَيْلِي حَزِينَ الْقَلْبِ مَكْتَنَبًا	وَمَدْمَعُ الْعَيْنِ قَدْ جَفَتْ مَا قِيهِ
أُلَازِمُ السَّهْدَ طَوَّلَ اللَّيْلِ فِي أَرْقٍ	حَتَّى أَرَى الصَّبْحَ يَحْيِيَنِي تَدَانِيهِ
مَا أَجْمَلَ الصَّبْرَ فِي ذُلِّ الْغَرَامِ وَمَا	أَحْلَى رِضَا شَادِنِ قَلْبِي يَنْجِيهِ
حَاوَلْتُ إِخْفَاءَ حَبِي عَنْ عَوَازِلِهَا	لَكِنَّمَا دَمْعُ عَيْنِي كَيْفَ أُخْفِيهِ ؟

معلتي

معلتي من ليس لي غيرَها شغلُ هنيئاً لعينٍ لحظةً منك لا تخلو
ألم يكف ماعانيتُ من ألم الجوى وكلُّ عذابٍ في غرامك لي يخلو
خطرتِ لحيتكِ الورودُ تبسُّماً وسلَّمتِ الأغصانُ وانتعش الظلُّ
وحسبك فتانٌ ولحظك قاتلٌ وقدك ما بين الفصون له العدلُ
جری الحبُّ يزجی فی دمی نارَ وجدها
ويكذب من قد قال إنَّ الهوى سهلُ
فهذي دموعي شهاداتٌ بلوعي
وعن طول سهدي يسأل النجم والليل
كان سهادي بات يمشقُ ناظري
فبينهما في كل هجرٍ لنا وصلُ
وما كنت أدرى قبلَ فتكِ جفونها
بأنَّ سهامَ الحبِّ ليس لها عقلُ
وكم أرسل السحرُ الذي في لحاظها
سهاماً بها مات المحبون من قبلُ
تملك مني الوجدُ حتى أذابني ومهما أنسلي جسمي لحبك لاأسلو

متى اللقاء

تَعَبْتُ مِنَ الشَّهْدِ الطَّوِيلِ جُفُونِي	وَشَكَتُ مِنَ الدَّمْعِ الْهَتُونِ غُيُونِي
وَاشْتَدَّ مَابِي مِنْ تَبَارِيحِ الْهَوَى	حَتَّى جَرَى يَشْكُو الْغَرَامَ أَنِّي
وَأَحَاطَنِي جَيْشُ الدُّجَى بِسُكُونِهِ	فَتَرَاكُمْتُ حَوْلَى هُمُومِ شُجُونِي
يَا لَيْلُ أَنْتَ عَرَفْتَ سِرَّ صَبَابَتِي	بِاللَّهِ بَلَّغْ لَوْعَتِي وَحَنِينِي
صِفْ مَا أَعَانِي فِي سَكُونِكَ مِنْ أَسَى	وَإِذَا كَرَّ أَلِيمُ مَوَاجِعِي وَابْكِينِي ^(١)
وَأُشْرَحُ أَمِينًا لِلْحَبِيبَةِ حَالَتِي	فَعَسَى حَنَانُ فُؤَادِهَا يَشْفِينِي
يَا مَنْ وَهَبْتُكَ عَنْ رِضَاءٍ مَهْجَتِي	وَدُمِي وَرُوحِي وَالسَّكْرَى هَزِينِي ^(١)
لَمْ أَسْتَطِعْ إِخْفَاءَ طَيْفِكَ لِحْظَةً	عَنْ نَاطِرِي فَمَتَى الْلِقَاءُ ؟ عِدِينِي !
قَسَمًا بِمَنْ جَعَلَ النُّفُوسَ لَكَ الْفِدَا	سَأُصَوِّنُ عَهْدِي فِي الْهَوَى وَيَعِينِي

(١) قوله وابكيني — وهنيتي — خطأ ، إذ موضعه الجزم في الحالين لأنه فعل أمر .

فدى لك روحى

نَهَيْمُ بِأَيَّامٍ لَنَا وَلِيَالِ	نَعَالَى فَقَدْ آنَ الْوَدَاعُ نَعَالَى
أَشْدُّ إِلَى وَادِي الْخُلُودِ رَحَالِ	أُمْدُ يَمِينِي لِلْوَدَاعِ وَبَعْدَهَا
وَجَارٍ عَلَى قَلْبِي وَأَشْفَلِ بَالِ	سَطَا حُبُّكَ الْقَاسَى فَأَتَلَفَ مُهْجَتِي
وَكَمْ شَتَّى الْهَجْرُ الطَّوِيلُ خِيَالِ	سَلَى اللَّيْلَ عَنْ دَقَاتِ قَلْبِي وَحُرِّ قَتِي
يَسِيلُ دَمًا مِنْ لَوْعَتِي وَمَلَالِ	أُسَاهِرُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَمَذْمَعِي
لَوَاعِجُهُ مَنَى تَغْيِيرِ حَالِ	ظَنَنْتُ أَهْوَى سَهْلًا فَلَمَّا تَمَكَّنْتُ
وَمَنْ يَحْتَمِلُ مَا رَاعَنِي وَجَرَى لِي	تَحَمَّلْتُ فَوْقَ الْمُسْتَطَاعِ مِنَ الْجَوَى
غَرَامِي تَقْدِيسُ بَغْيِيرِ وَصَالِ	وَهَبْتُكَ قَلْبِي فَاذْكُرْ عَهْدَ حُبِّنَا
فَدَا لَكَ رَوْحِي وَالْفُؤَادُ وَمَالِي	أُودِّعُ فِيكَ الطُّهْرَ يَا غَايَةَ الْإِنْفَى

جوابها

إذا راعني لَيْلِي بِجَفْنِ مُسَهَّدٍ عَلَّقْتُ بِأَهْدَابِ الْخِيَالِ الْمَشْرِدِ
وبتُ وحرَّاسِ الكواكبِ سَلَوَتِي عيونُ سُهَيْلٍ في الدجى وعطاردِ
وعني أختفى طيفُ التي كنتُ دائماً على نورها الهادي أروح وأغتدى
كحيلة طرفٍ أخجلَ البدرَ وجهها جمالاً فأبدى رهبةً المتعبدِ
إذا ما بدت بين الكواكبِ مثَلْتُ عقودَ اللآلئِ تزدهى حولَ فَرْقَدِ
هي الدَّرةُ المعصماءُ مَنْ نَظَرَتْ لَهُ رَمَتْهُ بِسَهْمٍ صَائِبٍ وَمُهَنْدِ
سبيَ حسنِها قلبي ومزقٍ مُهَجَّتِي حسامُ سَطامٍ فأتاك الطرفُ أَغْيَدِ
فأصبحتُ ولها نأجراً مَعْدَباً أَرَدَّدُ طَوْلَ اللَّيْلِ مُرّاً تَنْهَدِ
شكوتُ لها ما شَفَّنِي مِنْ غَرَامِهَا وما نالني مِنْ وَجْدِهَا الْمُتَوَقِّدِ
فلم تَتَكَلَّمْ بَلْ أَشَارَتْ كَأَنَّهَا تقولُ : فَلَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدِ !
كَأَنَّ مَلَكَ الْحُسْنِ أَوْقَفَ تَفَرُّهَا عن النطقِ حَتَّى لَا تَبُوحَ فَأَهْتَدِ
ولكنَّ عَيْنَيْهَا الْجَمِيلَةَ أَشْفَقَتْ على قَلْبِي الْمُضْنِي الْعَلِيلِ الْمَهْدِ
قَالَتْ وَآيَاتُ الرِّضَاءِ تَبَسَّمَتْ سَأَحْفَظُ عَهْدَ الْحُبِّ فَاصْبِرْ إِلَى الْعَدِ !

ملكت الفؤاد

فؤادُ الصبِّ يُخَيِّمُهُ لِقَاكَ وَيُضْنِيهِ التَّمَادِي فِي جَفَاكَ
تَعَجَّبَ فِي السَّمَاءِ النُّجُومُ لَمَّا ضِيَاءُ الْبَدْرِ أَخْجَلَهُ ضِيَاكَ
وَمَا جَرَّدَتْ سَيْفَ اللَّحْظِ حَتَّى تَرَاحَمَتِ الْقُلُوبُ عَلَى هَوَاكَ
عَيُونُكَ فَاتَسَكَتُ السَّحَرُ تَرْمِي عَلَى الْعُشَّاقِ مَحْبُوكِ الشَّبَاكَ
تَقْبَلُكَ النَّسَائِمُ كُلُّ صَبِيحٍ كَأَنَّ الْمُنْعِشَاتِ عَشِقْنَ فَالِكَ
وَلَمَّا فَاقَ حُسْنُكَ كُلَّ خَدَنِ تَمَنَّتْ كُلُّ عَيْنٍ أَنْ تَرَكَ
مَلَكَتِ الْقَلْبَ حَتَّى صَارَ عَبْدًا يَحْوِسُ النَّارَ حُبًّا فِي رِضَاكَ
عَشِيقُكَ فَارْحَمِي صَبَاً وَفِيَا يُعَذِّبُ جِسْمَهُ الْمُضْنَى نَوَاكَ
وَحَقِّكَ لَوْ مَلَكَتِ الْأَرْضَ طَرًّا لِأَسْلَمُوا أَوْ أَمِيلَ إِلَى سَوَاكَ
فَوَالْحُبِّ الْمَقْدَسِ لَسْتُ رَاضٍ وَكُلُّ سَعَادَةِ الدُّنْيَا فِدَاكَ !

عن غادة

إِنْ سَطَا الْحُبُّ فَلَا يُغْنِي الْحَذَرُ فَهُوَ سَهْمُ الْحِطِّ فِي كَفِّ الْقَدَرِ !
كُنْتُ فِي حِصْنٍ مَنِيعٍ اخْتَفَى عَنْ بَجَالِ الْغَيْدِ فَتَّانِ النَّظَرِ
أَتَّقَى شَرَّ الْفُجْوَائِ آمِنًا مِنْ شِرَاكِ الْأَخْطِ أَوْ أَسْرِ الْخَوَرِ
لَسْتُ أَفْرِى سِرًّا مَا قُدِّرَ لِي فِي سَمَاءِ الْغَيْبِ مِنْ سُحْبِ الْكَدَرِ
غَادَةٌ قَدْ أُعْجِبَ الدَّهْرُ بِهَا وَاشْتِيَافًا مِنْهُ حَيَّاهَا الْقَمَرُ
أَرْسَلْتُ مِنْ مُقْلَتَيْهَا نَظْرَةً تَيَمَّمْتَنِي ، شَاغَلْتُ مِنِّي الْفِكَرُ
خِلْتُ مِنْهَا أَنِّي أَرْقَى السَّمَاءِ بَيْنَ حُورِ الْعَيْنِ فِي جَوْ السَّمَرِ^(١)
لَيْلَةُ الْأُنْسِ سَرِيعًا تَمْقَضِي كَوْمِضِ الْبَرْقِ أَوْ لَمَحِ الْبَهَرِ
نَارُ حُبِّي حَوَّلَتْ دَمْعِي دَمًا رَوَّعْتَنِي ، عَلِمْتُ جَفْنِي السَّهَرِ
مَرْقُ الْمَجْرُ فُؤَادِي فَارْحَمِي قَلْبَ صَبٍّ مِنْ جَوَى الْحُبِّ اسْتَمْعَرِ
وَاحْفَظِي عَهْدَ غَرَامِي إِنِّي يَارْجَاءُ الْعَيْنِ أَوْفَى مَنْ صَبَرِ

سؤال

تُجُومَ السماء علينا اشمدي	فؤادي أم جفنها المعتدي؟
تطول الليالي على عاشقي	نأى النوم عن جفنه المسهد
أسأهرُ شوق هياماً بها	كأنى منها على موعد
يطوفُ خيالي بُرُوجَ السماء	لعلّى إلى بُرجها أهتدي
يُشَاغِلُ عَيْنِي طيفٌ له	نفوذٌ على فِكْرِي الشارد
أعدّ من السقم ثوبَ الضنى	لقلب ينار الجوى مُوقد
كسا الحسنُ وجهك ثوبَ الجمال	وأبدع في غصنك المائد
وقد أودع السحرُ أسرارهُ	بعينيك يافتنة العابد
يقبل وردَ الصبي باسمًا	نسيمُ الصبا فوق خدّ ندى
سقط نارُ حبي على مُهجتي	ومن من أليم الجوى منجدي؟
أخوضُ غمار الهوى راضياً	بما خطّه الدهرُ لى في غد
سأحفظُ للحبّ أوفى عهد	مددت إليها أميناً يدي

وفاء

سَابِقِ الرِّيحِ نَحْوَهَا يَا غَرَامِي فَعِ الرِّيحِ قَدْ بَعَثْتُ سَلَامِي
وَتَذَلُّ لَهَا عِبَاهَا حَنَانًا تَمْنَحُ الصَّفْوَةَ وَالْهَنَاءَ أَيَّامِي
نَارَ حَيِّ تَرْفُقُ بِفُؤَادِي إِنَّ قَلْبِي مَمَزَّقٌ بِالسَّهَامِ !
أَسْهَرُ اللَّيْلِ رَاصِدًا بُرْجَ نَجْمٍ صَوَّرَنَهُ لِنَظَرِي أَوْهَامِي
عَلَنِي أَهْتَدِي إِلَى نَوْرِ طَيْفٍ فَرَطُ شَوْقِي لَهُ أَضَاعَ مَنَامِي
مَاسِمِي غَيْرَ الدُّمُوعِ وَوَجْدِي وَسَهَادِي وَلَوْعَتِي وَهُيَامِي
إِنَّ كَرْبِي يَكَادُ يَحْرِقُ صَدْرِي وَأَنِينِي يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلَامِ
«لَسْتُ أَدْرِي وَلَا الْمَنْجَمُ يَدْرِي» يَا فُؤَادِي مَتَى يَحِينُ ابْتِسَامِي
أَتْلَفُ الْهَجْرُ مُهْجَتِي فَارْحَمْنِي يَا رَجَائِي وَحَقَّقِي أَحْلَامِي
أَنَا إِنْ عَشْتُ لَا أُغَيِّرُ عَهْدِي وَإِذَا مِتُّ سَوْفَ يَحْيَا غَرَامِي

هو الحب !

قَلْبِي وَرَبِّكَ لَا يَجِبُ سِوَاكَ	مَهْمَا هَجَرْتَ وَطَالَ عَهْدُ جَفَاكَ
إِنِ الْغَرَامَ إِذَا تَمَلَّكَ مِهْجَةً	رَفَعَ النَّهْيَ لِعَوَالِمِ الْأَفْلَاكِ
يَا مَنْ تَجَمَّعَتِ الْحَاسِنُ كُلُّهَا	فِي وَجْنَتَيْكَ وَلِحْظِكَ الْفَتَاكِ
عَيْنَاكَ بِالسَّحْرِ الْعَجِيبِ تَكْهَلَتِ	وَاسْتَوْدِعْتَ سِرَّ الْهَوَى شِفَاكَ
وَضَعَ الْغَرَامُ عَلَى جَبِينِكَ قُبْلَةً	لَمَّا تَوَرَّدَ بِالصَّبِيِّ خَدَاكَ
صَعَبٌ عَلَى قَلْبِي التَّوَجُّعُ وَالْأَمَى	وَعَذَابُهُ ظَلَمًا بِنَارِ هَوَاكَ
فَإِلَى مَتَى هَذَا الصَّدُودُ وَلَمْ أَكُنْ	أَدْرِى الْهَوَى وَهَوَانَهُ لَوْلَاكَ
إِنِّي سَاحَفٌ مَا حَيَّتْ مُحِبَّتِي	رُوحِي وَجَسْمِي وَالْفُؤَادُ فِدَاكَ

رجاء

شَغَلْتَ فُؤَادِي بِالصَّبَابَةِ وَالنَّجْوَى وَحَمَلْتَنِي مَا لَيْسَ بِحِمْلِهِ رَضْوَى^(١)
فِيَا لَكَ مِنْ حُبٍّ تَعْدَيْتَ ظَالِمًا سَهَامَكَ غَيْرَ الْقَلْبِ لَمْ تَتَّخِذْ مَأْوَى
حَمَلْتَ عَلَى قَلْبِي فَأَضْرَمْتُهُ جَوْى وَأَوْدَعْتُهُ وَجَدًا دَعَاهُ إِلَى الشُّكْوَى
يَشْقُ هَدْوَى اللَّيْلِ مَرُّ أُنَيْنِهِ وَشَكْوَاهُ تَجْرَى فِي الظَّلَامِ مَعَ النَّجْوَى
أَيَّتُ اللَّيَالِي طَائِرَ اللَّبِّ حَائِرًا يَسَاهُرُنِي شَوْقِي إِلَى طَيْفٍ مِنْ أَهْوَى
فِيَا بِهِجَةَ الدُّنْيَا هَوَاكَ أَذَابَنِي وَلَمَّا أَجِذْ غَيْرَ الدَّمُوعِ لَهُ سَلْوَى
فَلَا تَتْرَكْنِي لِلْغَرَامِ فَرِيَسَةً فَلِي مِنْ مَعَانِي حُسْنِكَ السَّبَبُ الْأَقْوَى

(١) رضوى : جبل معروف بالمجاز .

يوم الوداع

وَمَنْعَتْ عَنْ عَيْنِي طَلِيبَ رُقَادِي	يَوْمَ الْوَدَاعِ لَقَدْ أَضَعْتَ رَشَادِي
وَتَرَكْتَهَا تَكْوِي صَمِيمَ فُؤَادِي	أَشْعَلْتَ نَارَ الْحَبِّ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَسَلَبْتَ مِنِّي غَايَتِي وَمُرَادِي	مَكَّنْتَ مِنْ قَلْبِي التَّأَوُّهَ وَالضَّنِّي
سَلَّمْتُ لِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ قِيَادِي	لَمَّا خَضَعْتُ لِحُكْمِ سُلْطَانِ الْهَوَى
هَطَّالُ دَمْعِي شَاهِدٌ وَسُهَادِي	يَالَيْلُ كَمْ قَاسَيْتُ فِيكَ مَوَاجِمًا
وَلَكُمْ شَكْوَتُ إِلَيْكَ مُرَبَّعَادِي	يَالَيْلُ إِنَّكَ عَالِمٌ بِصَبَابَتِي
يَالَيْلُ يَصْفُو قَلْبَهَا لُودَادِي . .	حَلَّ نَسِيمِكَ حَرًّا أَشْوَاقِي عَسَى
فَلَعَلَّهَا تَرَوِي غَلِيلَ الصَّادِي	وَأَشْرَحَ لَهَا وَجْدِي وَشِدَّةَ لَوْعَتِي
يَادَهُرُ سَيْفِ عَدَاوَتِي وَعَيْنَادِي	مَالِي أَرَاكَ لَغِيرِ ذَنْبٍ شَاهِرًا
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُكِنُّ فُؤَادِي	مَهْمَا اعْتَدَيْتَ فَإِنَّ حَيَّ صَادِقٌ

لمن أشتكى ؟

أضاعَ رشادى يا مُنَاىَ جَفَاكَ	فِيَا لَيْتَنى مَا ذُقْتُ طَعْمَ هَوَاكَ
وهبتكِ قلباً كان لا يَعْرِفُ الهَوَى	ولم يدرِ آلامَ الجوى لَوْلَاكَ
فمكنت منه الوجدَ يَكْوَى صَمِيمَه	ولم ترحى أَنَاتِ قلبٍ شاكِ
رَمَتْنى العيُونُ السَّاحِرَاتُ بِسَمِهَا	وَمَنْ مُنْقِذِى مِمَّا جَعَتْ عَيْنَاكَ
لمن أشتكى سَهْدِى وَوَجْدِى وَلَوْ عَنى	وما نالنى من لَحْظِكَ الْفَتَاكَ
تَبَيَّنْتُ مِنْ عَيْنَيْكَ مَارَمْتُ كَتَمَه	وما لم تُدِغْ أَسْرَارَهْ شَفَاكَ
ولما بدا صُبْحُ الْيَقِينِ لَنَاظِرِى	جعلتُ فَوَادِىَ وَالْحَيَاةَ فِدَاكَ
يُسَاهِرُنِى شَوْقِى إِلَيْكَ وَمَذْمِى	يُبْرِزُهُنِى أَنِى لَا أَحِبُّ سِوَاكَ
أرى المرءَ يَحْلُو وَالْعَذَابَ كَأَنَّهُ	نَعِيمٌ لِقَلْبِى فى سَبِيلِ رِضَاكَ
إِلَيْكَ وَفَاىِ رَبَّةَ الْحُسْنِ إِنِّى	وَحَقُّ الهوى العذرىِّ لَا أَنْسَاكَ
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا	وإن كنتِ رَاحَةً فَسَوْفَ أَرَاكَ

قسم !

والله ما ذقتُ طعمَ الحبِّ لولاكِ
يا ظبيّة فتكتِ بالقلبِ مقلَّتْها
صَوْنِي جمالَكَ رفقاً بالعبادِ فما
أنتِ الهناء لقلبي والشَّقاء له
هبتِ نسيمُ الصبا تجزى معطرةً
فذكرتني ليالينا وقد غفلتُ
لما التقينا وكان البدر نالِنا
لو لم يكن حُسْنُكَ الأعلى لما خجلتُ
نبالُ لحظكِ لما مزَّقتِ كبدي
قالت تعذبُ بحبي كي تشاطِرني
أجبتها ودموعِ الصديقِ شاهِدَتني
ولا تعودتُ دَمْعَ المُغْرَمِ الباكي
سبحانَ من يبدعُ الحُسْنَ حلاكِ
أقسى جفاكِ وما أبهى محيأكِ
فما أمرك في قلبي وأخلاقِ !
لأنها لمتُ لما سَرَتْ فاكِ
عنا العيونُ وعينُ الصَّبِّ ترعاكِ
أحسَّ قلبي بأن البدرَ يهواكِ !
أنواره ياضياُني حين يَلْقَاكِ
سألْتُها رحمةً بالمغْرَمِ الشاكي
ذلَّ الغرامِ ونارَ الحبِّ ياباكي !
: عاهدتُ ربِّي أني لستُ أنساكِ

استسلام

من يُعِيرُ الْفُصُونَ لَيْنَ قَوَامِكَ	وجمال الزُّهور حُلُوْا أَبْنَسَامِكَ
من لِبَدْرِ الدُّجَى بِأَنْوَارِ وَجْهِهِ	كل عُشَّاقِهِ ضَحَايَا غَرَامِكَ
أَعْجَبَ الْحَسَنُ إِذْ جُمِعَتِ الْغَوَالِي	من كُنُوزِ الْجَمَالِ تَحْتَ لَثَامِكَ
كَوْكَبٌ أَوْ قَفَ الْعَيُونِ حِيَارِي	تَأْتِهَاتٍ فِيمَا بَدَأَ مِنْ تَمَامِكَ
رَائِعَاتٌ فِي رَوْضِ حَسَنِ بَدِيعِ	مُشْرِئٍ لِلدَّفَاعِ حَدَّ حَسَامِكَ
فَتَكَ اللَّحْظُ بِالْقُلُوبِ وَبَاتَتْ	مُهْجُ الْعَاشِقِينَ صَرْعَى سِهَامِكَ
يَا شِقَاءَ الْقُلُوبِ إِنْ فُؤَادِي	يَرْضَى السَّقَمَ خَاضِعًا لِحَكَامِكَ
لَمْ يَفَارِقْ خِيَالُ طَيْفِكَ عَيْنِي	مَذْ غَدَا الْقَلْبَ وَهُوَ عَيْنُ مُقَامِكَ

لقاء خيال

دمى أهاج صبايتي وشجوني	والشهد أتلّف مُهَجَّتِي وَعَيُونِي
يا دُرَّةَ خَلْقِ الْجَمَالِ لَوْجِهَا	فكأنها في لؤلؤ مكنونٍ
حاولت أن أخفي جِوَايَ وَلَوْ عَتَى	ورجوت أن تَنْسَى الدُمُوعَ جَفُونِي
لكنني ما استطعتُ كتمانَ أَلْهَوِي	فوشّت بِمَكْنُونِ الْفَرَامِ شُؤُونِي
زكّيتُ جمالاً حُزَّتْ فِيهِ تَمَامُهُ	وتصدق منه على المسكينِ ^(١)
لم أنس حين شكوتُ آلامَ الْهَوِي	في ليلةٍ منع المنامَ أُنِينِي
وجرى النسيمُ إليك في غسقِ الدجى	يسرّى بسرّاً في الفؤادِ دَفِينِي
أقبلت في ثوبِ العفافِ مصونةً	ودنا حناؤك راحماً لَحِينِي !
ما كان أشهى ذا اللقاءِ وليتهُ	أبدًا يدومُ لوالهِ مَحْزُونِي
قسماً بحبك ما حلفت على أَلْهَوِي	إلا لأنّي واثقٌ بيمينِي

هبينى لحظة

فؤادى فى عذابٍ من هوائِ	وجفنى دائماً بالدَّمعِ بأكِ
فعمى فى رياضِ الحسنِ تهْمى	وقلبى فوقَ جمرٍ من جوائِ
فيأذات الرِّشاقة والتَّننى	متى ألقاك أو أئى أراكِ ؟
جمالكَ ساحرى وهوائِ وجدى	وروحى يا معلّتى فـدأكِ
رنوتٍ بلحظكَ السحرى تيهاً	فما أقوى وأقسى ناظريك ^(١)
عشقك مذ رأيتُ الجفنَ يرْمى	لخالى القلبَ محبوكِ الشِّباكِ -
فصادتني الجفونُ بنبَلِ لحظِ	وقادتني الشِّباكُ إلى هوائِ
أبيتُ الليلَ أرقُبُ كلَّ نجمٍ	أناجى لوعتى وأسى نواكِ
عسى ألقى خيالكِ فيه يندو	فأملا نورَ عيني من سنّاكِ
هبينى لحظةً تُظفى سعيّاً	تأجّجَ فى ضلوعي من جفّاكِ
ويا نورَ المنى سيّانٍ عندى	حياتى فى غرامكِ أو هلاكِ
فجسمى قد غدا من فرطِ حبي	خيالا لا يفارقه ضياكِ
شكوتُ إليك هجرى فارحمنى	وبكفينى من الدنيا رضاكِ

(١) الصواب « ناظريك » .

سلى الليل

سلى اللَّيْلَ عَنْ سُهْدِي وَوَجْدِي وَمَذْمَعِي

ودقات قلبي وألجوى ومواجي	سكون الليالى شاهدٌ بصابتي
وَمَنْ غَيْرُ لَيْلٍ إِنْ تَهَدَّتْ سَامِعِي	يلازمني سُهْدِي وَقَدْ فَتَكَ الْهَوَى
بقلبٍ لسلطان المحبة خاضع	رمتني العيونُ الفاتناتُ بسحرها
فأَمْهَرْتُ جَفْنِي راصداً نجمَ طالعي ^(١)	لعلِّي أَرَى فِي طَلْعَةِ النَجْمِ طَيْفَهَا
يَرُدُّ كَرِي صَبٍّ مِنَ الْبَعْدِ وَالْعَرِ	يزيدُ أَشْتِيَاقِي كُلَّمَا طَالَ هَجْرُهَا
فَحَتَّى مَتَى يَا هَجْرُ أَلْقَاكَ مَا نَعِي؟	دموعي وسهدي والنحول ولوعتي
تُبْزِهْنِ أُنَى فِي أَلْهَوَى غَيْرُ خَادِعِ	تعدى على الدهرُ حتى كَأَنِّي
إِخَالُ أَجْتِهَادِي فِي الْمَنَى غَيْرَ نَافِعِ	فِيَا مَنْ أَرَى فِي الْقُرْبِ مِنْكَ سَعَادَتِي
إِلَّا رَحْمَةً بِالْعَاشِقِ الْمُتَوَجِّعِ	

(١) الصواب أن يقول « طالع نجمي . . . »

سأصون العهد

عَيْنَايَ مِنْ حَرِّ الْجَوَى	تَبْكِي عَلَى قَلْبٍ صَرِيعٍ
يَا لَوْعَةَ الْقَلْبِ الَّذِي	أَنَاتُهُ مَنَعَتْ هُجُوعِي
حَاوَلْتُ كَتَمَ صَبَابَتِي	وَأَرَدْتُ أَنْ يَخْفَى وَلُوعِي
لَكِنَّ دَمْعِي قَدْ وَشَى	بَسْرَائِرَ الْقَلْبِ الْوَدِيعِ
قَاسَيْتُ آلَامَ الْهَوَى	وَكَمْ احْتَمَلْتُ أَذَى خُضُوعِي
أَفْضَى اللَّيَالِي سَاهِرًا	أَبْكِي عَلَى زَاهِي رَيْعِي
حَوْلَى تَزَاحَتِ الْهَمُومُ	وَمَا لِكُرْبِي مِنْ شَفِيعِ
حُبِّي سَقَى قَلْبِي الضَّئِنِي	وَكَوَى بِلَوْعَتِهِ ضُلُوعِي
مَهْمَا يُحَارِبُنِي النَّـوَى	فَالصَّبْرُ فِي حِصْنٍ مَنِيعِ
سَأَصُونُ عَهْدَ مُحَبَّتِي	يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ

عهد

رويدك قد جفا جفني منامي
وأدنى مدمعي قاسي غرامي
تعدى ناظرك على فؤادي
فبات يئس من وقع السهام
جمالك تاهت الأفكار فيه
محيًا صورته يد التمام
تصبح وزد خديك الموادي
نسائم حملت نجوى هيامي
تقبل منك نغرا أودعته
معاني الحسن حلو الابتسام
لحافلك بالقواتك هاجتني
وكننت أمامها أخشى انهزامي
ولكنني تحملت المواضي
كشفت بلحظك السحري سرا
عشقتك فازحمت قلبا جريما
نحوي والسهاد ونار وجدى
وفاني لا تفيده الموادي
إذا طال النوى سأت حمى
وعهدى في المحبة سوف يبق

كم تحملت

سِرُّ بَوَّجْدِي وَلَوْعِي وَهَيَامِي	يَا نَسِيمَ الصَّبَا وَبَلِّغْ سَلَامِي
وَتَهَادِي إِذَا بَلَغْتَ حِمَايَا	وَتَلَطَّفْ إِذَا شَرَحْتَ غَرَامِي
أَنْتَ تَذَرِي بِمَا يَعْانِيهِ قَلْبِي	مِنْ أَلِيمِ الْجَوَى وَفَتْكِ السَّهَامِ
يَا رَسُولاً أَوْدَعْتَ سِرَّ فُؤَادِي	سَارِيَاتٍ تَشَقُّ جَوْفَ الظَّلَامِ
يَا أَمِينِي عَلَى رَسَائِلِ حُبِّي	صِفْ سُهَادِي وَمَدَمِي وَسُقَامِي
كَمْ تَحَمَّلْتُ فِي هَوَاكَ هَوَاناً	فَاضَ دَمِي لَهُ وَعِزَّ مَنَامِي
أَلْبَسَ الْمَجْرُ مُهْجَتِي ثَوْبَ سَقَمٍ	صَوَّرَتْهُ مِنَ الضَّغْنِ أَوْهَامِي
فَاعْطِنِي رَحْمَةً وَجُودِي حَنَاناً	أَنْقِذْنِي مِنْ رُوعَةِ الْأَحْلَامِ
سَوْفَ أَبْقَى عَلَى وِفَائِي أَمِيناً	فَاذْكُرِي مَا حَيَّتْ عَهْدَ غَرَامِي

الحقيقة

سلطانُ من فتَنَنِي فوقَ سُلْطَانِي	إن شاء عَذَّبَنِي أو شاء هَنَانِي
راشَتْ سِهَامَ جَهُونٍ من لواحِظِهَا	وَصَوَّبَتْهَا إلى قلبي ووجداني
لَحَظَ الحَبِيبَةُ راقب مهجتي كَرَمًا	متى رضاك يواسيني ويرعاني
لله فرطُ جمالٍ بات يشغلُنِي	عن كل شيءٍ وللأحزانِ خَلَّانِي
يا مَنْ تكامل فيها الحسنُ أَجْمَعُهُ	الوجد أَرْقَنِي والنوم عاداني
جمال وجهك لا ينجابُ عن نظري	وورد خديك ممزوج بنيران
بَسَامُ ثَغْرِكَ مطبوعٌ على كَبِدِي	وليلُ شَعْرِكَ تَهْمِي فيه أَجْفَانِي
يا لَيْلَةً لَدَّ لي كأسُ الغرامِ بها	حتى تخيلت أن الدهر صافاني
مضت سريعاً وذكرها تحملني	ذلَّ الغرامِ وَمُرُّ البعد أبكاني
كَأَنَّ وَعْدَكَ حُلْمٌ زَارَنِي وَمَضَى	كانت حقيقةً وَجَدِي وَأَحْزَانِي

لولا الهوى

بَدَتْ قَرَأً بِالْفَاتِكِينَ تَقْلَدًا وَقَدْ أَغْمَدَتْ فِي حَبَةِ الْقَلْبِ سَيْفَهَا
وَقَدْ أَشْهَرَتْ بِاللَّحْظِ سَيْفًا مُهِنْدًا وَلَمْ تَذَرِ عَيْنِي مَا بَقَلِي لِأَنْهَا
فَأَصْبَحَ جِسْمِي بِالْغَرَامِ مُهْدَدًا فَشَاغَلَهَا وَرَدُّ الْخُدُودِ عَنِ الَّذِي
رَأَتْ فِي رِيَاضِ الْحَسَنِ خَدًّا مُورَدًا كَلِفْتُ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ أَعْرِفَ الْهُوَى
تَأَجَّجَ نَارًا فِي الْهُوَى وَتَصَعَّدَا وَكَفْتُ حَذَرْتُ الْغَيْدَ حِينَ تَمَرَّدَتْ
فَأَصْبَحَ جَفْنِي فِي الْغَرَامِ مُسَهَّدًا وَلَوْلَا الْهُوَى مَا بَتُّ بِالْدمْعِ غَارِقًا
فَأَوْقَعَنِي قَلْبِي بِأَهْيَفِ أَغْيَدَا لِعُوبٍ لَهَا مِنْ بَاهِرِ الْحَسَنِ طَلْعَةٌ
وَقَدْ كُنْتُ خُلُوعًا قَبْلَهُ مُتَبَاعِدَا وَقَدْ رَوَتْ عَنْ لَيْنِهِ وَاعْتَدَالَهُ
إِذَا أَشْرَقَتْ أَبْصَرْتُ غُصْنًا تَأَوَّدَا لَهَا أَقْسَمْتُ عَيْنَايَ لَا تَتْرَكَ الْبُكَاءَ
صَاحُ الْعَوَالِي بِالْجَمَالِ تَفَرَّدَا تَجُودُ جَفُونِي بِالْدمُوعِ وَهَا أَنَا
وَنَفْسِي تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ لَهَا الْفِدَا تَعْدَى عَلَى جِسْمِي الضَّنَى فَأَذَابَهُ
أَيْتُ اللَّيَالِي سَاهِرًا مُتَوَقَّدَا فَيَا لَيْلَةَ مَرَّتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
نُحُولًا وَخَلَايَ خَيَالًا مُجَرَّدَا أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَوْفَقُ سَاعَةً
أَقَمْتُ لَهَا فِي جَذْوَةِ الْقَلْبِ مَرَصَدَا تَرُدُّ إِلَى رُوحِي الْحَيَاةَ فَأَبْتَنِي
إِلَى طَلْعَةٍ كَانَتْ لِحَبِّي مَشْهَدَا لِمَهْدِ زَمَانِ الْحُبِّ حِصْنًا مُشِيدَا

إليها

يَا مَنْ أَضَعْتُ بِحُبِّهَا أَيَّامِي مِنْنِي إِلَيْكَ تَحِيَّاتِي وَسَلَامِي
 يَا مَنْ لِأَوَّلِ نَظْرَةٍ قَدْ خَلَتْهَا مَلَكًا تَهَادَى فَوْقَ عَرْشِ غَرَامِي
 فَتَكَتْ سَهَامُ جَفُونِهَا بِمَشَاشَتِي فَتَكَتِ الْأَسُودُ الصَّيْدِ بِالْأَرَامِ
 لَعَبْتَ بِقَلْبٍ لَمْ يَكُنْ يَذَرِي الْهَوَى هَامَتَ بِهِ فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ
 يَادِرَّةً بِخَلِّ الزَّمَانِ بِمِثْلِهَا يَا بَدَرَ حُسْنٍ حَازَ كُلَّ تَمَامِ
 لَمْ أُنْسَ حِينَ شَكُوتٍ مَرَّ صَبَابَتِي مَا كَانَ مِنْ وَجْدٍ أَطَارَ مَنَامِي
 وَاشْتَدَّ وَجْدِي مِنْ تَبَارِجِ الْجَوَى وَمَدَامَعِي فَاضَتْ وَزَادَ هَيَامِي
 كَفَكَفْتُ بِالْكَفِّ الْجَمِيلَةِ أَدْمَعِي وَبِنَظْرَةٍ أَطْفَأَتْ نَارَ غَرَامِي
 عَقَدْتَ يَمِينُكَ عَهْدَ حُبٍّ بَيْنَنَا وَبَدَأَ الرِّضَا مِنْ ثَغْرِكَ الْبَسَامِ
 وَافْتَرَّ ثَغْرُكَ عَنْ حَدِيثِ خِلَّتِهِ سِحْرًا تَسَرَّبَ فِي دَمِي وَعِظَامِي
 صُنْ فِي فُؤَادِكَ مَا تَبَادَلَ بَيْنَنَا وَاحْفَظْ عَهْدَ مَحَبَّتِي وَزَمَامِي
 الْغَيْدُ تَحْدَعُ وَالْغَوَانِي طَبَعُهَا تَبْنِي الْعَهْدَ عَلَى رُبَا الْأَوْهَامِ
 يَا لَيْتَنِي مَا اجْتَرَزْتَ تِيَارَ الْهَوَى يَوْمًا وَلَمْ أَخْذَعْ بِعَذْبِ كَلَامِ

ليلة

فؤادى الذى وفى على الجر مَوْجَعُ
مَهَتْ لَيْلَةً لَوْ حَقَّقَ اللَّهُ مِثْلَهَا
تَكَامَلَ فِيهَا الصَّفْوُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
خَلَوْنَا وَدَارَتْ بَيْنَنَا نَشْوَةُ الْهَوَى
أَذَاعَتْ دِمْعَى مَا تُكِنُّ سِرَائِرَى
رَحَى الْحَرْبِ قَامَتْ بَيْنَ قَلْبِي وَجَفْنِهَا
أَرَى الْقَلْبَ مَهْمَا نَالَ حَكْمًا وَجُرْأَةً
تَجَلَّتْ لَعِينُهَا الْجَمِيلَةَ لَوَعَتِ
فَقَالَتْ وَيْمَنَاهَا تَكْفِكَ مَذْمَعَى
تَبَيَّنَتْ مِنْ عَيْنِكَ صِدْقَ مَحَبَّتَى
فَلَمْ أَخْشَ حِرَاسًا عَلَى يَوَاقِظًا
عَلَى يَمِينِ اللَّهِ أُنَى عَلَى الْوَفَا
فَقَاتَ لَهَا وَالْدَّمْعُ مِلْءُ مَحَاجِرَى
سَاحَفَظَ عَهْدَى مَا حَيَّيْتُ وَإِنْ أُمْتُ

وعَيْنَاى فِى رَوْضٍ مِنَ الْحَسَنِ تَرْتَعُ
بَلَغْتُ الْمُنَى وَأُمِنْتُ مَا أُنَوِّقُ
وَنُورُ الرُّضَا مِنْ كَوَكَبِ الْحُسْنِ يَسْطَعُ
وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو هَجْرَهَا وَهَى تَسْمَعُ
وَأَعَانَ سَقَمِى هَوْلٌ مَا كُنْتُ أُجْرَعُ
وَدَلَّ الْغَوَاىِى فِى رَحَى الْحَرْبِ يَخْدَعُ
ذَلِيلًا لِسُلْطَانِ الْحُبِّ يَخْضَعُ
وَأَبْ فؤادى فِى الْهَوَى يَتَقَطَّعُ^(١)
شَهِيدُ الْهَوَى الْعَذْرِ لَا يَتَوَجَّعُ
وَأَنْكَ إِنْ أَخْلَصْتَ لَا تَنْزَعُ
وَجْثِكَ لَا أَلْوَى وَلَا أَنْزَعُ
وَأَنْ لَيْسَ لِي فِى حُبِّ غَيْرِكَ مَطْمَعُ
وَصَدْرِى مِنْ حَرِّ الْجَوَى يَتَصَدَّعُ
سَيِّقِ غَرَامِى عَاطِرًا يَتَضَوِّعُ

(١) كان يجب أن يثنى النعت فيقول الجميلين !

لحظ العيون

لَحَظْتُ الْعَيُونَ حَمَلَتْ حَمَلَةَ عَاهِلٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ عَلَى الْمُحِبِّ الْأَعْزَلِ !
مَزَّقَتْ قَلْبِي بِالسَّهَامِ وَلَمْ تَكُنْ ذَارِحَةً بِصَرِيرِ جَفْنٍ أَوْ كَحَلِ
إِنِّي خَضَعْتُ لِحُكْمِ سُلْطَانِ الْهَوَى وَصَبَابَةِ أَبْكِي بِدَمْعٍ مُرْسَلِ
يَا مَنْ هَا بَيْنَ الْكَوَاعِبِ طَلْعَةٌ نَاهِ الْجَمَالِ بِمُحْسِنِهَا الْمُتَكَامِلِ
مَنْعَ الْهَوَى نَوْمِي وَأَتْلَفَ مُهْجَتِي وَسَطَا عَلَى جِسْمِي الضَّعِيفِ النَّاحِلِ
مَا حِيلَتِي لَوْ طَالَ بِي مَرْفُ النُّوَى وَالْذَمُّ جَفَّ وَبَاتَ يَشْمَتُ عَاذِلِ
وَاللَّهِ طَيْفُكَ لَا يَفَارِقُ لِحْظَةً عَيْنِي وَلَيْسَ سِوَى خِيَالِكَ شَاغِلِ
قَسَمًا بِحُبِّكَ إِنِّي بَاقٍ عَلَى عَهْدِي وَعَنْ نَجْوَايَ لَمْ أَنْحَوَّلِ
اجْتَنَحَ صَعْبَ هَوَاكَ مَهْمَا رَاعَنِي كَأْسُ الْمُنِيَةِ فِيهِ عَذْبُ الْمَنْهَلِ
إِنِّي أَقْدَسُ بِالْوَفَاءِ مَحَبَّتِي فَتَدَلِّي مَا شِئْتُ أَنْ تَدَلِّي !

ربة الحسن

أُضْرَمَ الْوَجْدُ نَارُهُ فِي فُؤَادِي	وَأَلِيمُ الْجَوَى أَضَاعَ رَشَادِي
هَامَ قَلْبِي لِسِحْرِ عَيْنِكَ لَمَّا	سَكَنَ الْحُسْنُ مِنْهُمَا فِي السَّوَادِ
مَنْ مُجِيرِي مِنَ الْجِرَاحِ اللَّوَاتِي	كُلَّ يَوْمٍ آلَامُهُمَا فِي ازْدِيَادِ
إِنْ وَرَدَ الصَّبِي تَبَسَّمَ عُجْبًا	فَوْقَ خَدَّيْكَ فَتْنَةً لِلْعِبَادِ
وَنَسِيمُ الصَّبَا تَعَطَّرَ طِيبًا	مِنْ رِيَّاحِينَ غُضُنِكَ الْمِيَّادِ
رَبَّةَ الْحُسْنِ خَفَّفِي نَارَ وَجْدِي	وَارْحَمِينِي مِنْ مَذْمَعِي وَسُهَادِي
تَسْهَرُ اللَّيْلَ فِي رَجَاءٍ وَيَاسٍ	بَيْنَ حُلُوِّ اللَّقَا وَمُرِّ الْبَعَادِ
فَالْإِلَامَ الْجَفَا وَهَجْرُكَ أَدْنَى	مِنْ يَدِ السَّقَمِ مَهْجَتِي وَفُؤَادِي
صَارَ جِسْمِي مِنَ السَّقَامِ خِيَالًا	طَارِدَتُهُ شِمَاتَةُ الْحَسَّادِ

حبيبة القلب

حبيبة القلب كم حالمت في لَهْفٍ عداى فيكِ وكم عادت أحلامي^(١)
أليمُ بُعْدِكِ هاجتني لَوَاعِجُهُ وشوقُ قُرْبِكَ ضاعت فيه أياي
رَمَتْ حَشَاي سِهَامٌ مِنْكَ فَاخْتَرَقَتْ صميمَ قلبي وأدمت دمعَ الهامي
يا من تصول سيوفٌ من لَوَاحِظِهَا تذودُ عن مُسْفِرٍ منها وبسام^(٢)
أودعتُ في الصُّبْحِ نومي عند ناظِرِهَا وعدتُ أشكو لليلي نارَ آلامي
أَسَامِرُ النَّجْمِ طَوَّلَ اللَّيْلِ مِنْ شَغَفٍ ياليلُ بَلَّغْ سهادي فيك لُؤَامِي
أَفْدَى التي كنتُ عنها كاتماً شَجَنِي والدمعُ أكبر واشِ بي وَتَمَامِ
سَهْمٌ رَمَتْهُ بقلبي نظرةٌ تَرَكْتُ في مُهْجَتِي لوعةً ياقسوة الرامي !
قد حالف الشَّهْدُ جَفَنِي فَأَنْضَى جَسَدِي من فَرَطٍ مَا أَسْرَفَتْ فِي الْوَجْدِ أَوْهَاي
مَا زَالَ يَسْبِقُنِي فِي قَرَبِهَا أَمَلِي حَتَّى حَدَثَ بِي لَوَادِي الْيَاسِ أَحْلَامِي
وَأَصْبَحَ الْجِسْمُ طَيْفًا لَا تَفَارِقُهُ يَدُ النُّحُولِ وَقَلْبِي جُرْحُهُ دَامِ

(١) حالمت : اصطلمت الحلم مع غيرة .

(٢) يريد بالسفر وجهها : وبالبسام ثغرها .

مناجاة

يا ليلُ فيكَ مواجِى وشُجُونى	يا ليلُ عَلمَتَ البكاءَ عيونى
يا ليلُ فيكَ لواعجى وتنهَّدِى	يا ليلُ نوى خاصمتُهُ جفونى
ينسابُ دمعى فى سكونك يادُجى	ويطوف فى جوفِ الظلام أنينى
يا أيها الليلى الطويلُ تراحمَتْ	حولى الهومُ وفاضَ بحرُ شؤونى ^(١)
قُلْ للحبيبةِ رحمةً بمتسيمٍ	فَتَكَ الفرامُ بقلبه المفتونِ
ما حيلتى فى سَهْدِ جفنى والجوى	وأنينِ قلبى والبكا وحنينى
قسما برابطةِ المحبَّةِ بيننا	إنى سأحفظ بالوفاءِ يمينى

(١) شؤونى : دموعى .

يا حياتي

أَبْعَدَ النَّوْمَ عَنْ جَفَوْنِي سُهَادِي	وَكَوَى الْهَجْرُ وَالصَّدُودُ فُؤَادِي
بَاتَ قَلْبِي مِنَ الْفَرَامِ يَمَانِي	لَوْعَةَ الْوَجْدِ وَالضُّعْنَى وَالْبُعَادِ
يَاجْمَالًا تَكَامَلَ الْحُسْنُ فِيهِ	كَيْفَ أَسْلُو وَقَدْ مَلَكَتْ قِيَادِي
هَذِهِ أَذْمُعِي تَفِيضُ لَأَنِّي	كُلَّ يَوْمٍ أَرَى الْهَوَى فِي ازْدِيَادِي -
يَا حَيَاتِي دَاوَى بِعَطْفِكَ قَلْبِي	أَنْتِ وَاللَّهُ غَايَتِي وَمُرَادِي
أُخْتَسِي الصَّبْرَ فِي هَوَاكَ وَأَرْضِي	أَنْ يَكُونَ الْعَذَابُ وَالْمَرْءُ زَادِي
لَسْتُ أَدْرِي مَا حِيلَتِي ضَاقَ صَدْرِي	مَنْ أَلِيمَ الْجَوَى وَضَاعَ رَشَادِي
فَانصِرْفِي مِنْ غَدَا لِبُعْدِكَ طَيْفًا	وَارْحَمِي قَلْبَ حَافِظٍ لِلْوَدَادِ

قسماً بشعر...

يا جفنُ إنَّكَ لم تَذُقْ طَعْمَ الْكَرَى يوماً ولم تهنأ بطيبِ رُقَادٍ
فَعَلَّامَ بِشْكَو هَجَرِهِ وَبِعَادِهِ وصدى أنينِكَ ضائعٌ في وادٍ
جُدْ بالبكاء عسى بِدَمْعِكَ تنطفئ نارٌ أحاطَ لَهْيُهَا بفُؤَادِي
حُبٌّ تَرَبَّى في دمي فَسَرَى بِهِ حتى تَمَلَّكَ مُهْجَتِي وَفِيَادِي
يَا مَنْ تُجِيدُ عِيُونُهَا لَفَةَ الْهَوَى هل غاب عن تلك العيونِ مُرَادِي
لَكَ نَظْرَةٌ فَتَنَ الْجَمَالَ بِسِحْرِهَا وَمُقَبَّلٌ يَشْفِي غَلِيلَ الصَّادِي (١)
إِنْ الْحَاسِنَ أَبْدَعَتْ تَصَوِّيرَهَا في نَظَائِرِكَ وَغَصْنِكَ الْمِيَادِ
قَسَمًا بِفَرَسٍ بِالسَّيُوفِ مُنَمَّعٍ وبسحرٍ لَحْظٍ قَدْ أَضَاعَ رَشَادِي (٢)
مَامَسَ خَدَّكَ غَيْرُ أَنْفَاسِ الصَّبَا نَسَمَاتُهُنَّ رَوَائِحُ وَغَوَادِي
أَنَا مَفْرَمٌ فَتَكَ النُّحُولُ بِجَسَمِهِ وَسَطَّتْ عَلَيْهِ عِدَاوَةُ الْحَسَادِ
إِنْ تَمْنَى عَنِ الْلِقَاءِ فَإِنِّي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذَبْتُ فِيكَ سَهَادِي

(١) المقبل : ثمر ، والصادي : العطشان .

(٢) ممنع محسن :

إلى قلب

يا قلبُ أنتَ وناظرِي	لم أذِرِ أَيُّكَا افِستَرِي
عَيْنَايَ تَمْنُكَ المَدُو	ء وَأَنْتَ تَمْنُهَا الكَرِي
عَطْفًا عَلَى فَإِنِّي	لم أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْبِرَا
إِنَّ الغِرَامَ سَطَا عَلَى	قَلْبِي وَفِي رُوحِي مَرِي
يَا مَنْهِي أَمَلِي لَقَدْ	حَكَمَ الهَوَى إِنْ أَسْهَرَا
لَمَنِّي عَشِيقَتُكَ فَاْمَنْعِي	عَنِّي العَذَابَ الْأَكْبَرَا
أَخْشَى إِذَا طَالَ النَّوَى	لَا أَسْتَطِيعُ تَصَابُرَا
مَهْمَا تَكَلَّمْتُ الهَوَى	فَالدَّمْعُ لَنْ يَتَسَّرَا
مَا بَيْنَ دَمْعِي وَالْجَوَى	أُنْسِي وَأَصْبِحُ حَاضِرَا
أَجِدُ الحَيَاةَ رَخِيسَةً	لَوْ كَانَ وَضَلْتُكُ يُشْتَرَى

غيرت حالى

يابدعَ الجمالِ غَيَّرْتَ حالى	أين يابدرُ صافياتُ الليالى؟
لستُ أنسى تلكَ العيونَ وقلبي	مزَّقتهُ لحاظُها بالنبالِ
أنتَ يا حُبُّ كم تركتَ نفوساً	حائراتٍ فى شارداتِ الخيالِ
وقلوباً أودَعْتَ فيها سعيّاً	أبدَ الدهرِ ناره فى اشتعالِ
أى ذنبٍ جنيتُ يا حُبُّ لما	زِدْتَنِي لوعةً وأشغلتَ بالى
ياملاكا سبى الحسانَ بلَحْظِ	أودَعَ الحُسنُ فيه بنتَ الدوالى
كم تَعَذَّبْتُ فى هواكَ وكانت	مؤلماتُ العذابِ فوقَ احتِمالِ
أُسْقَمَ البُعْدُ والتَّجَنَّى فُؤادى	وكسانى نوبَ النُّحولِ ملالى
إننى خاضعٌ لحكمك فاهجُرْ	أو فحقِّقْ يابدرُ لى آمالى

لقاء

نجوم الليل مهلاً لا تعيبي
 يُبشِّرُ باللقاء وأئى بُشرى
 ترانى بين مُنسدِلِ الدَّوَالِ
 سألتُ الريح يَحْمِلُنِي إِلَيْهَا
 فوافيتُ الحبيبةَ فى جَنَانِ
 تميلُ على الأزاهرِ وهى تلهو
 وفاقَت فى الرشاقَةِ والتَّذْنِى
 بدتُ قمرًا فكانت نورَ عَيْنِي
 وجاءت وهى تخطر فى قَبِصِ
 فقلت لها وقد تاهت دلالا
 فنوبك والورود ووجنتاك
 فمالت ثم قالت وهى نشوى
 فلما مَمَمْنَا وَقْتُ التَّلَاقِ
 بدا وجهي يعبر عن غرامى
 وهبتك مهجتى فاحر من عليها
 ومرت كالغزالة وهى ترنو
 فما أقمسى الغرام على فؤادى
 ويا قاسى النوى رفقًا بقلبي
 سأصبرُ حافظًا للحبِّ عهدًا
 فقد وافت أغاريدُ الحبيبِ
 أسرُّ من الهناء إلى القلوبِ
 وأخفق فى مُلاحَقَتِي رقيبِ
 على أهدابه خوفَ المنفى
 يُمثِّلُ بقطعة الرُّمِّ المَرُوبِ
 بضمَّ الوردِ فى غُصْنِ رطيبِ
 جالَ تَلَقَّتِ الظُّبَى اللَّعُوبِ
 سَطَّتْ أسدًا على قلبِ الحبيبِ
 تقى الذيل من كل العيوبِ
 لقد أصبحت فى زى عجيبِ
 كلون السحب فى وقت الغروبِ^(١)
 لبعْدِكَ كان جِسْمِي فى شحوبِ
 تَزَايَدَ فى تَسْعُرِهِ لَهْيِي
 لأنَّ الوجَّهَ مرآةَ القلوبِ !
 وصُنْ عَهْدِي وَقُلْ يَا نَفْسُ طيبي
 بمقلة شادنٍ كلف طروبِ
 إذا كان التَّجَنُّى من نصيبِ
 ويا نارَ الصَّبَابَةِ مَنْ مُجِيبِ ؟
 وأَرْضَى حُكْمَ عِلَامِ الغيوبِ

(١) لا يقلل من جمال هذا البيت إلا المخالفة العروضية فى قوله « وجنتاك » . .

نداءات عاشق

ما بال عيني لم تغمض ولم تنم
 يا غادة ملكت قلبي محاسنها
 رددي علي ليالي التي سلفت
 كم بات بارق ذاك النفر يبتسم لي
 يا رشفة هي راحي في الفرام بها
 ويا جمالا يواسيني بطلعته
 ويا جبيننا ضياء الصبح لاح به
 يا ربة الحسن جودي بالوفاء على
 أين المهود اللواتي علكت أمني
 ما سألمتنا الليالي في محبتنا
 يا لاني لا تلمني قبل تجربة
 لما خلونا وقد رابت ظواهرنا
 وبيننا عفة باتت تراقبنا
 تنو إلى بعين الظبي واجفة
 ودعته ودموعي جف مؤردها
 فذقت ماء حياة من مقبلها
 قالت تذكري عهدى وانتظري فرجا
 دين عليك ساحيا إن وفيت به
 سيول أذ ميعها ممزوجة بدم
 فبات من وجده في روعة الألم
 لم أنسها لا وما بال عهد من قدم
 مذجت أسى على العينين والقدم
 يهدي الدواء لقلبي من لمارك فمي^(١)
 بالله مرحمة ياربة النعم
 فأشرق الوجه منه في دجى الظلم
 من قد يرى يقظات العين كالعلم
 وخلفتني أليف الشهد والسقم
 حتى ذكرت هوى أيامنا القدم
 ذق الهوى فإن اسطقت الملام لم
 وفي بواطننا بعد عن التهم^(٢)
 والطهر ما بين هيب ومبتسم
 وتقطف اللؤلؤ السيال بالعم^(٣)
 فقبلتني ببسام فما لقم
 أحلى من الشهد أحياني من العدم
 أحببها رغم خفاق ومنسجم
 وإن بخلت تقاضينا إلى حكم

(١) المي : الريق (٢) رابت : بعثت على الريبة والشك .

(٣) واجفة : خائفة مهتعدة ، الغم : نبات أحمر اللون .

خبرها

خَبَّرَهَا بِلَوْعَتِي وَهَوَانِي	فِي هَوَاهَا وَبَلَّغَا مَا أَعَانِي
وَإِذْ كُرَا مَا شَهِدْتُمَا مِنْ غَرَامِي	وَسُهَا دِي وَمَذْمَعِي وَحَنَانِي
وَأَقِيمَا لَهَا بَرَاهِينَ حُجِّي	وَإِشْرَاحًا حَالَتِي لَهَا وَابْتِكِيَانِي
عَاهِدَاهَا عَلَى يَمِينٍ وَفَائِي	يَا نَسِيمَ الصَّبَا وَطَيْفَ الْأُمَانِي
أَيُّهَا الْحُبُّ قَدْ تَعَدَّيْتَ حَتَّى	كَادَ يَقْضِي عَلَيَّ دَلَّ الْفَوَائِي
كَنتُ قَبْلَ الْغَرَامِ فِي صَفْوِ عَيْشِي	خَالِي الْبَالِ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِي
فَرَمَانِي نَبْلُ الْجُنُفُونِ بِسَهْمِي	أَوْدَعَ الْقَلْبَ زَفْرَةَ النَّيِّرَانِي
وَسَقَاهُ مِنَ الْعَذَابِ كُثُوسًا	مُتَرَعَاتٍ بِالسُّقْمِ وَالْأَخْزَانِي
كَمْ تَحَمَّلْتُ فَوْقَ مَا كُنْتُ أَقْوَى	وَتَحْيَّرْتُ فِي قُلُوبِ الْحَسَانِي
فَاتَرَكِي التَّيَّةَ لِحِظَةٍ بِأَحْيَانِي	وَعَدِينِي مَتَى يَكُونُ التَّدَانِي

قصة لقاء

داري العيون اللواتي حيرت نظري
فتاك لحظك سهم قد فرى كيدي
ياطلعة البدر نور الحسن منك بدا
صاغ الجمال جبيناً منك فازدهرت
فروض وجهك بالأزهار مبتسم
وحسن قدك فتان لناظريه
أين الليالي اللواتي كنت أحسبها
لما اجتمعنا وزهر الرّوض أنمشنا
غاب الحواسد والعذال وانصرف
وقد خلونا وجو الحب راق لنا
وبيننا دار كاس الحب تملوها
يهدى إلى العين أنوار المني أملاً
تبادل شفتانا بيننا غزلاً
حتى إذا اشتد بي وجد الهيام بدا
لا تقرب حبیباً قد خلوت به
فارتاح قلبي لنصح الطهر وانبسطت
دنا الوداع فلا تنسى محبتنا
ودعته دموع العين مانعتي
قالت ودره الآلى فوق وجنتها
عن مقلتي قلبي بات في خطر
ولم يفد فيه ما أجهدت من حذر
كأنه فرقد يسمو له بصري^(١)
بالحسن آياته في وجهك النضر
ولولو الشعر منظوم من الدر
يسبي العيون ويدعو القلب للسم
تدوم يا ليلة قد سببت سهرى
تحت الدوالي وبين السحر والخور
عنا الرواصد إلا مقلة القمر
وراح عنا شديد الخوف والحذر
يد الطهارة في وشي من الزهر
وللفؤاد كؤوس المنهل العطر
أرق في لفظه من نسمة السحر
طيف العفاف بنصح غير منتظر
واقنع بحظك بين السمع والبصر
منى لمن فتنتني كف معتذر
إني على العهد حتى رحمة القدر
عن الكلام وشوقي جد مستعير
جفت دموعي فلا تغرم على السقر

غرامه في دمي يجري من الصَّغَرِ	مالي سواك حبيبٌ قد تملكني
يُقَرِّبُ اللهَ جَمَعَ الشَّمْلِ واضطربِ	فكنْ على البُعْدِ رَمْزاً للوفاء عسى
مُرَّ الوَدَاعِ وَيَا طَيْفَ النُّوَى اسْتَتِرْ ^(١)	دَقَّاتِ قَلْبِي الْهُوَيْنَا كِي أَشَاطِرَهَا
سَيْلُ الْمَدَامِصِ وَانْسَابَتْ عَلَى الْأَثَرِ	رَنْتُ إِلَى وَوَزْدُ الْخَدِّ أَطْرَهُ
من نار قلبي ودمع العينِ والسَّهَرِ	وخلفتنِي عَليلاً أُسْتغِيثُ بِهَا
طيفُ الحَبِيبَةِ حَتَّى يَنْجَلِيَ قَمَرِي	حَتَّى غَدَوْتُ خَيْالاً لَا يُفَارِقُنِي

(١) في البيت يخاطب دقات قلبه ويقول لها : مهلا .

عنها

فَتَنَّتْ عُيُونَ النَّاظِرِينَ بِحُسْنِهَا سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْجَمَالَ وَصَوَّرَا
هَيْفَاهُ زَيْنَ خَدَّهَا وَرَدُّ الصَّبِيِّ قَتَايَلْتُ غَصْنًا رَطِييًّا نَاصِرَا
حَسَنَاهُ طَاهِرَةٌ كَرَاهِرَةٍ رَوْضَةٍ عَذْرَاءُ ذَابَتْ دُونَهَا مُهْجُ الْوَرَى
مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيًّا بِاسْمَا وَجَرَى فَحَفَّ بِفِرْعِهَا فَتَعَطَّرَا
بِيضَاهُ يُحْدِقُ شَعْرُهَا بِجَيْنِهَا فَتَرِيكَ فِي الظَّمَاءِ بَدْرًا مُسْفِرَا
تَرْنُو لَوَاحِظَهَا فَيَلْعَبُ بِالشَّهَى لَعِبًا تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى
عَصَاهُ كُلُّ جَمِيلَةٍ أَضْحَتْ لَهَا أُمَةٌ تَرَى مِنْ سَعْدِهَا أَنْ تُؤْمَرَا ^(١)
نَظَرْتُ إِلَى الْعَلِيَاءِ مِنْهَا مُقَلَّةٌ أَهْدَتْ إِلَى هَاتُورٍ لَحْظًا سَاحِرَا ^(٢)
وَعَلَّتْ عَلَى عَرْشِ الْجَمَالِ وَأَرْسَلَتْ شَرَكَ الْغَرَامِ وَأَبْعَدَتْ طَيْفَ الْكَرَى
وَالشَّمْسُ بِاسْمَةٍ تُودَعُهَا مَتَى غَابَتْ وَتَلْقَاهَا إِذَا الصُّبْحُ أَنْبَرَى
رَمَتْ بَوَاجِهُ الْبَدْرِ صُورَةَ وَجْهِهَا وَكَانَ حُسْنُ الْبَدْرِ فِيهَا صُورَا
نَظَرْتُ إِلَى فَخِلَتْ كِسْرَى بِاسْمَا فَوْقَ الْجَيْنِ يَصَافِحُ الْإِسْكَندَرَا ^(٣)
فَوَقَفْتُ مُرْتَجِفَ الْجَوَانِحِ حَائِرَا فِيمَا أَرَى وَكَانَ حُلْمًا مَا أَرَى
حَتَّى رَمَتْ قَلْبِي سَهَامَ لِحَاطِهَا فَأَصَابَهُ مَا كَانَ قَبْلُ مُقَدَّرَا
دَخَلَ الْهَوَى قَلْبًا بَرِيئًا لَمْ يَكُنْ يَذَرِي الْهَوَى حَتَّى انْكَوَى وَتَسَعَّرَا
أَجْرَى الْغَرَامُ مَدَامِي وَسَطًا عَلَى جِسْمِي وَعَلَّمَ مَقَلَّتِي أَنْ تَسْهَرَا
يَحُلُو السَّامُ لِلنَّاظِرِي فَيَرُدُّهُ مِنْ تَمْلِكِي خِيَالٍ قَدْ سَرَى
حَتَّى إِذَا مَا السَّقَمُ أَتَلَفَ مُهْجَتِي وَغَدَوْتُ طَيْفًا هَائِمًا مُتَحِيرَا
أَيَقُنْتُ حَقًّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى فِي حُكْمِهِ دَوْمًا ظُلُومًا جَائِرَا
لَا بَدَّ أَنْ يَجْرِيَ الْقَضَاءُ بِحُكْمِهِ وَعَلَى الْمُعَذِّبِ بِالْهَوَى أَنْ يَصْبِرَا

(١) أمة : عبدة .
(٢) هاتور : من آلهة قدماء المصريين .
(٣) كسرى والإسكندر : كناية عن الفرس والروم وكان العداء بينهما شديداً .

متى يكون التدانى ؟

لَمْتُ أَذْرِى مَا حِيلْتِ يَا زَمَانِي
كَانَ قَابِي مِنَ الصَّبَابَةِ خُلُوعًا
كَانَ زَهْرُ الرُّبَا وَصَفْوُ اللَّيَالِي
كَمْ تَشَبَّتُ وَالْفَزَالَةُ تَكْسُو
شَفَقَ يَفْتِنُ الشَّقَائِقَ فِي الرَّوْ
لَوْنُهُ يَمْلَأُ الْعَيُونَ جَمَالًا
رَاحَةُ الْعَيْشِ لَا تَدُومُ وَتَأَلَّ
نَظْرَةُ أَطْفَانِ سِرَاجِ نَعِيمِي
لَمْتُ أَنْسَى سُلْطَانَهَا فِي عُيُونِي
وَسِهَامَ الْهَوَى الَّتِي صَوَّيْتَهَا
أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي عَذَابٍ وَوَجَدِي
كَمْ تَحَجَّيْتُ عَنْ عَيُونِ الْعِذَارِي
غَيْرَ أَنَّ الْقَمْضَاءَ طَئِرَ قَلْبِي
فَأَلْفَتُ الشَّهَادَ مِنْ حَرٍّ وَجَدِي
يَنْقُضِي اللَّيْلُ فِي سَكُونٍ رَهِيْبِ
طَائِرُ الْأَبِّ سَاحِمًا فِي خِيَالِ
يَا جَمَالًا سَلَبْتَ عَقْلِي وَقَلْبِي
يَا رَجَائِي مِنَ الْوُجُودِ وَقَصْدِي

ضَاعَ نَوْمِي وَشَاغَلَتْنِي الْأَمَانِي
وَعُيُونِي قَرِيرَةُ الْأَجْفَانِ
وَالنَّسِيمُ الْعَلِيلُ هُمْ نُدْمَانِي
سُنْدُسُ الْأَرْضِ حِلَّةَ الْأَرْجُوانِ
ضِي وَبَسْبِ قُلُوبَ حُورِ الْجَنَانِ
كَنْضَارٍ مُنْضَدٍ بِالْجَانِ
سُنَّةُ الدَّهْرِ صَافِيَاتِ الزَّمَانِ
وَهَنَائِي وَسَبَّيْتُ أَحْزَانِي
وَانْقِيَادِي لِبَحْرِهَا الْفَتَانِ
لِقَوَائِي وَزَفْرَةِ النَّيِّرَانِ
وَأَنْبِي وَلُوعَةٍ وَهَوَانِ
وَتَشَاغَلْتُ عَنْ جَمَالِ الْحَسَانِ
فِي شِرَاكِ الْهَوَى وَدَلَّ الْفَوَانِي
وَدُمُوعِي قَدْ قَرَّحَتْ أَجْفَانِي
وَاللَّيَالِي مَثِيرَةُ الْأَشْجَانِ
شَرَّدَتْهُ لَوَاعِيُ الْوَلَهَانِ
كَأَدَ قَلْبِي يَذُوبُ بِمَسَا أَعَانِي
وَنَعِيمِي مَتَى يَكُونُ التَّدَانِي ؟

رفقا بحالى

يا سقيم الجفون أشغلت بالي ليت شعري متى تعود الليالي؟
يا مهةً تكامل الحسن فيها فتبارت لها قلوب الرجال
لك لحظ حراسه ساهرات راميات عشاقها بالنبال
كل من نال من إحاطك سهمًا بات يشكو صريع هذا الدلال
يا جمالاً وهبتة كل قاي أنا عبد لفرط هذا الجمال
وجبهك البدر قد تساطع حسنا حول أنواره تميل الدوالي
نرجس العين فوق وزد خدود وعقيق مرصع بالآلي
لا أزال الوفي في عهد حبي فاذا كرى إذ ملأت كأس الدوالي
هذه مهجتي تذوب غراماً يا طيب القلوب رفقا بحالى!

أغنية حب

تَسِيلُ عَلَى خَدِّي دُمُوعِي كَأَنَّهَا سَحَابٌ عَلَى وَادٍ مِنَ النَّارِ يُنْطَرُ
سَمِيرُ غَرَامِي وَلَدَ النَّارِ فِي دَمِي وَأَوْدَعَنِي مَا كُنْتُ أَخْشَى وَأَخْذَرُ
دَعَنِي إِلَى قَاسِي هَوَاكِ ابْتِسَامَةً يَهُونُ لَدِينَهَا كُلُّ صَعْبٍ وَيَصْفَرُ
جَمَالُ كُنُوزِ الْأَرْضِ لَوْ قُدِّرَتْ بِهِ لَزَادَ عَلَيْهَا قِيَمَةٌ حِينَ يَظْهَرُ
جَفَا النَّوْمِ جَفَنِي حِينَ أَسَلَمْتُ مُهْجَتِي

وَقَلْبِي لِمَنْ فِي غَيْرِهَا لَا أَفْكَرُ
أَبَيْتُ حَزِينًا سَاهِرَ الْجَفْنِ حَائِرًا أَخَافُ إِذَا طَالَ الدَّوَى كَيْفَ أَصْبِرُ
يَزِيدُ غَرَامِي لَوْعَةً كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَشْتَدُّ كَرْبِي وَالْجَوَى حِينَ أَسْهَرُ
تَطُولُ اللَّيَالِي كُلَّمَا طَالَ هَجْرُهَا وَمَهَا انْسَلَى جِسْمِي فَلَا أَتَغَيَّرُ
أَنَا الْمُفْرَمُ الْمُضْنَى الْمَعَذَّبُ فِي الْهَوَى جَرِيحُ سِهَامٍ وَاللَّهُ الْقَلْبَ حَائِرُ
سَأَصْبِرُ لَا أَشْكُو إِلَيْكَ صَبَابَتِي وَيَفْعَلُ رَبِّي مَا يَشَاءُ وَيَأْمُرُ

حقيقة الحب

إِرْحَمْ فؤادى فالعذابُ حرامُ	واضْبِرْ عَسَى تصفو لك الأيامُ
قالت وقد رفعتْ سُيوفَ جُفُونِهَا	منى على عهدِ الغرامِ سلامُ
لا تحسبنَّ الحُبَّ أَمْرًا هَيِّئًا	فهو الذى خَضَعَتْ له الأعلامُ.
وسأستزيدُكَ أنَّ فى معنى الهوى	سِرًّا تَضِيقُ لِفَهْمِهِ الأحلامُ
فهو البيانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً	ولمن يخاطرُ فى الدُّجَى الإقدامُ
وهو اللسانُ لِمَنْ تعذَّرَ نطقُهُ	ولمن تأهَّبَ للدِّفاعِ حُسامُ
وهو البسالةُ والطَّهارةُ والنَّدَى	وهو الأسَى والكَرْبُ والآلامُ
ويعَلِّمُ العَيْنَ الكلامَ ونِعْمَهَا	لغةً يَفْضَلُ فَهْمَهَا مَنْ هَامُوا ^(١)
ويَهَيِّمُ بالنفسِ البريئةِ ساجداً	فى عالمِ أحلامِهِ الأوهامُ
وهو الذى شَغَلَ العواذلَ أَمْرُهُ	وإذا تمكَّنَ حارتِ الأفهامُ

(١) قوله « نعمها » يريد : نعم ماى . . وفى القرآن الكريم (إن الله لما يعظكم به) :

الضاحك الباكي

ولمّا التقيتُ العواذلُ والنّوى
فلم أرَ رَوْضًا ضاحكا مثلَ وجهِها
بِنَفْسِي من مَلَكَتْ زِمَامَ صباي
كَعَابٍ لها في دَوْلَةِ الحُسْنِ نظرةٌ
قوامٌ حَوَى كلَّ الجِمالِ وطلعةٌ
أَسألُها : هل تضحكين ومدّمي
فقلت وقد مالت بها نَشْوَةُ الصَّبِي
فأحببتُ أن يَهْدِي ابتسامي تحيةً
وفضلتُ أن ألقاكِ بالطلعةِ التي
فقلتُ : تعالى نَسْتَرِقْ خُلُوةَ الهوى
وقمنا وقامَ الطَّهْرُ يَحْرُسُ ذَيْلَنَا
هي العَفَّةُ العصماءُ بيني وبينها
تَبَاعَدَنَ عَنَّا كُنتَ أبكى وَضَحَكُ
ولم ترَ مِشْلِي مِيتًا يَحْرُكُ
ولاح لها في رفعة النجم مسلِكُ
بمُهْجَةِ أبطال الضياعم تَفْتِكُ
إذا ما تَبَدَّتْ حُسْنُهَا يَتَمَلَّكُ
يسيلُ دَمًا من لَوْعَةِ الوَجْدِ يُسْفِكُ ؟
: خَشِيتُ إِذَا جَادَتِ عِيُونِي تَهْلِكُ
ليهدأ قلبُ عاشِقٍ مُتَوَعِّلُ
بها كلُّ قلبٍ مُغْرَمٍ يَتَبَارَكُ
على غفلةٍ من عاذلٍ يَتَشَكَّكُ
من الرُّجْسِ حاشانا نَمِيلُ ونُشْرِكُ
وما عاشقٌ مَنْ لَيْسَ لِلنَّفْسِ يَمَلِكُ

تغريدة

يا من سَطَا سَيْفُهَا الْمَاضِي عَلَى كَبْدِي
أَعَارَكَ السَّجَرُ مَا أُولِيهِ مِنْ رَهَبٍ
يَادُرَّةً سَحَرَتْ عَيْنِي بِحَاسِنُهَا
أُنْذِرُكَ الْيَلِيلِي السَّالِفَاتِ لَنَا
مَرَّتْ كَطِيفٍ مِنْ مَنَامٍ كَمْ صَبَوْتُ إِلَى
شَرِبْتُ فِيهَا كُؤُوسَ الْحُبِّ صَافِيَةً
فَنَافَ وَجْهَكَ هَتَّئِنِي بِحَاسِنِهِ
مَلَأْتُ عَيْنِي بِالْحُسْنِ الْبَدِيعِ وَقَدْ
خَلَوْتُ رَغَمَ الْعُيُونِ الرَّاصِدَاتِ لَنَا
تَهَمُّ نَفْسِي فِيمَا فِيهِ لَذَّتُهَا
طَهَارَةُ الْحُبِّ تَسْمُو بِالنَّفُوسِ إِلَى
أَهْدَى الْجَمَالِ إِلَى عَيْنِكَ بِهَجَّتُهُ
وَزَادَ حُسْنُكَ نُورُ الْبَدْرِ حِينَ بَدَا
تَبَسَّمَ الْوَرْدُ فِي خَدَيْكَ فَانْتَمَشَتْ
وَكَانَ طَيْفُ الْمُنَى بِالْبَشْرِ مُبْتَسِمًا
تَفَانَرُ الدُّرُّ وَاجْتَاوَزَتْ غَوَالِيَهُ
دَارَتْ أَحَادِيثُ شَوْقِي بَيْنَنَا فَمَرَّتْ
سِحْرُ تَمَلُّكَ قَلْبِي فَانْشَغَلْتُ بِهِ
سِرُّ سَرَى فِي دِمَائِي فَانْصَرَفْتُ بِهِ

مَا مِنْ خَلَاقٍ أَنْ أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ^(١)
وَضَمَمْتُ الْحُسْنَ ضَمَّ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ
وَضَاعَ مِنْ وَلَهِي فِي حَبِّهَا رَشْدِي
وَلَيْلَةٌ لَسْتُ أَنْسَاهَا إِلَى الْأَبَدِ؟
دَوَامِهِ غَيْرَ أَنَّ الدَّهْرَ لَمْ يُرِدْ
وَنَلْتُ غَايَةَ آمَالِي يَدًا بِيَدٍ
وَحُلُوْهُ تَغْرِيكَ عَنِّي غَيْرُ مُبْتَعِدٍ
أَسَلَّمْتُ لِلَّهِ أَمْرِي فِي مُصِيرِ غَدِي
وَبِتْ لَاعْذَلَا أَخْشَاهُ مِنْ أَحَدٍ
لَا شَكَّ فِيهِ رِضَاءُ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
عَوَالِمِ الرُّوحِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْأَسَدِ^(٢)
وَأَوْدَعَ الْجَفْنَ مَا أَوْهَى بِهِ جَلْدِي
فَأَشْعَلَ النَّارَ فِي قَلْبِي وَفِي كَبْدِي !
أَزَاهَرُ الرُّوْضِ فِي أَنْوَابِهَا الْجُدُودِ
تَرْنُو إِلَيْهِ نَجُومُ اللَّيْلِ مِنْ صَعْدِ
حَصْنِ الْعَقِيقَيْنِ عَنْ صَفَّيْنِ مِنْ بَرْدِ
كَأَنَّهَا نَفَاتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
عَنِ السُّنَنِ الْعَدْلِ أَوْ عَنِ أَعْيُنِ الْحَسَدِ
عَنِ عَالَمِ الْأَرْضِ أَوْ عَنِ مَطْمَعِ الْجَسَدِ !

(١) الصواب « أخلاق » واستعمال خلان بمعنى أخلاق خطأ .

(٢) والشمس والأسد برجان فلكيان .

عيناك قد كاشفت قلبي بغايتها
 ناجيت حتى لحت الأخط حن إلى
 نجوى يسعها ما بيننا غزل
 ما كنت أعلم أن الحب يفتك بي
 حنين قلبك للشكوى أباح دمي
 يشكو الفؤاد على آثارها الهفا
 يقول للقلب : إن الحب أشرفه
 صوت هو الطهر في نور العفاف بدا
 سلامة النفس من رجس يدنسها
 واللهو كالشهد حلوا في مذاقته
 أرى بوجهك بديراً جلاً صانعه
 أقصيت نفسي عن وزر ظمئت به
 وإن نأيت بجسمي عن جنالك فقد
 وشت دموعي بحب كنت أكتمه
 ما أعجب الحبيب يدعوني إلى تلقى
 باربعة الحسن كوني للوفا مثلاً
 ووزدك العذب لم يبخل برى صدى
 نجوى فيه حنين الحلم والرشد
 ولو أردنا سوى هذين لم نجد
 ما بين منسجم منى ومتقيد
 وروعة الموت أذى من فم ليد
 حتى يناديه صوت : قف ولا تزد
 ما جرد النفس من طهر عن الرعد
 والطهر خير صفات النفس والجسد
 كنز يدوم لمن وفى إلى الأبد
 وأى سم ثوى في ذلك الشهد
 لو حل بالأفق لم يظلم على أحد
 حيناً وكم حاربني النفس من كمد
 تركت عندك قلباً غير مبعده
 وكلما رمت إخفاء الهوى تزد
 فأرغني لوعة قد مزقت كبدي
 فالتب آماله دوماً لقاء غدا

دلال

لقد هاجنى وَجْدٌ بمن زارها بعدُ
وَهَبْتُ الهوى قلبى البرىء ولم أكنْ
وأودعته من خالفتْ شِرْعَةَ الهوى
مُحالٌ تُؤَقِّ عَهْدَهَا وتَصُونُهُ
تزول الجبالُ الراسياتُ لمكرها
فإنْ حَقَدَتْ لم يَبْقَ فى قلبها رِضا
وإنْ عَشِقَتْ كانتْ أشَدَّ صباةً
كذلك أخلاقُ القيانِ فلا تَكُنْ
لقد فَتَنْتُ لُبِّي وقلبي وناظِرِي
إذا خَطَرَتْ فى الرّوضِ أَيْنَعُ زهره
وإنْ بَسَمَتْ رَقَّ النسيمُ ونَوَّرَتْ
وإنْ عَبَسَتْ أَجْرَى السَّحَابِ دموعه
شَكَّوتُ لها حَبِّي ومُرَّ صبايتي
فعاهدتها أَنَّى أَدُومُ على الوفا
وقد تَمَّ عَهْدُ الحبِّ بيني وبينها
على أَنَّ حُبًّا أَشْفَلَ القلبَ فى الصَّبِي
ألا قاتل الله الفــــرامَ فإنه
بَعَدْتُ عن الغِيدِ الغواني تعفُّاً
فيا ليتنى بعدُ وباليتمها وَجْدُ^(١)
أفكرُ أَنَّ القلبَ يُحْرِقُهُ الصَّدُّ
وطبَّعُ الغواني لا يدومُ لها عَهْدُ
ولو خَبَّأتُهُ بين أنيابها الأسدُ
وكم ذابَ من إغرائها الحجرُ الصَّلْدُ
وإنْ رَضِيتْ لم يُقْصَ عن قلبها الحَقْدُ
من الوالهِ الساعِى إلى حَتْفِهِ الشَّهْدُ
صَرِيعُ الغواني فالمنية والكَيْدُ
مهارةٌ سباني فى محاسنها القَدْ
وإنْ لَعِبَتْ فى الماءِ خَالَطَهُ الشَّهْدُ
تغورُ زهورُ الرّوضِ وابْتَسَمَ الورْدُ
وزاد وميضُ البرقِ واشتَبَكَ الرَّعْدُ
فتاهت بعينها وقد خَجَلَ الخَلْدُ
إذا هِيَ وَفَّتْ ثم طابَ لها العَهْدُ
وسرعان ما جارتَ وغيَّرها البُعْدُ
يزيد على مرِّ الزمانِ وَيَشْتَدُّ^(٢)
عذابٌ، كؤوسُ الموتِ فى فَمِهِ شَهْدُ
لذلك قامت بالتهانى لى الأسدُ

(١) أشرنا إلى هذا البيت فى المقدمة كمثل لتأثر الشاعر بقراءاته المتنبي وغيره . ولا يخفى على القارىء فى هذا الباب كثير من أمثال ذلك . فى (٢) البيت المتنبي بلفظ « خامر القلب » .

بالله رفقا

يا أُخْتَ أَقْصَارِ السَّمَاءِ مُحَاسِنًا
يا دُرَّةَ عَشِيقِ الزَّمَانِ جَاهِلًا
عينك ساحرةُ الجفونِ تَسَلَّطَتْ
إن تمنى نَبَلُ الجفونِ فَقَدْ سَطَا
كم من قلوبٍ قد مَلَكَتْ قِيَادَهَا
يا نَظْرَةً تَرَكْتُ بَقْلِي جَمْرَةً
هذا غِرَامُكِ قد تَسَعَّرَ وَجْدُهُ
كم كَابَدَتْ كَبْدِي لِإِبْعَادِكِ لَوْعَةً
بالله رِفْقًا أُخْتَ أَقْصَارِ السَّمَا
وشَقِيقَةَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ سَلَامُ
جَادَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِكِ الْيَوْمُ
منها عَلَى مُهَيِّجِ الرَّجَالِ سَهَامُ
من حَاجِبِيكِ عَلَى الْقُلُوبِ حُسَامُ
عَقَدَتْ عَهْدَ غِرَامِهَا الْأَوْهَامُ
منها تَأَجَّجَ فِي الْفَوَادِ غِرَامُ
فِي مُهْجَةٍ فَتَكْتُ بِهَا الْآلَامُ
وَجَفَا جَفَوْنِي فِي هَوَاكِ مَنَامُ
تَعْدِيبُ قَلْبِي فِي هَوَاكِ حَرَامُ

كيف أصنع ؟

بَدَا لِي بَرَقٌ مِنْ ثَنَائِكَ يَلْمَعُ أَسْأَلُ غُيُونًا مِنْ جَفُونِي تَهْمَعُ
فَأَصْبَحَ قَلْبِي فَوْقَ جَمْرِ مِنَ الْهَوَى

وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ
مَضَتْ لَيْلَةٌ لَمْ يَشْهَدْ الدَّهْرُ صَفْوَهَا بَأْمَالِهَا لَمْ يَحْظَ كِسْرَى وَتَبَعُ
وَدَارَتْ كُؤُوسُ الْحُبِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذُلُّ وَيَخْضَعُ
تَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ بِنَا نَشْوَةُ الْهَوَى غَرَامُكَ حَتَّى لَا لَيْسَ فِيهِ تَصْنَعُ
أَتَيْتُكَ لَمْ أَحْفَلِ بِلَوْمِ عَوَازِلِي وَجِئْتُكَ أَشْكُو مَا أَلَاقِي وَأَجْرَعُ
تَذَكَّرْ عَهْدِي وَاحْتَرِمْ شِرْعَةَ الْهَوَى

وَكَمْ مِنْ فُؤَادٍ شَفَّهُ الْحُبُّ يُخَدِّعُ
فَهَذِي يَمِينِي تُوثِقُ الْعَهْدَ بَيْنَنَا وَهَذَا فُؤَادِي مِنْ فُؤَادِكَ يَسْمَعُ
فَقُلْتُ لَهَا وَالِدَمْعُ مِلٌّ مَحَاجِرِي وَقَلْبِي مِنْ وَجْدِ الْجَوَى يَنْقَطِعُ
رَضَعْتُ لَبَانَ الْحُبِّ مِنْذُ طِفْلَوَاتِي فَصَارَ دَمِي يَجْرِي بِمَا كُنْتُ أَرْضَعُ !
سَرَى الْحُبُّ يُزْجِي فِي دِمَائِي حَرَارَةً

بُسْعُرُهَا حَجَرٌ طَوِيلٌ مُرَوِّعٌ
وَلَوْلَا النَّوَى مَا حَالَفَ الشَّهْدُ نَاطِرِي

وَمَا قَرَّحَ الْخَفْنُ الْمَعَذِبَ مَذْمَعُ
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ يَطَّارِدُ عَنِ النَّوْمِ كَرْبِي وَيَمْنَعُ
يُسَاهِرُ جَفْنِي النَّجْمَ حَتَّى إِذَا بَدَا جَبِينُ الضُّحَى مِنْ نُورِهِ أَتَشَجُّعُ
كَسَانِي عَذَابُ الْبُعْدِ ثَوْبًا مِنَ الضُّحَى لَهُ كُلُّ قَلْبٍ وَالِهِ يَنْقَطِعُ
طَوَالَ اللَّيَالِي مَكَّنْتُ عِلَّةَ الْهَوَى بِقَلْبِي فَأَمْسَى حَائِرًا يَنْفَزَعُ
كَفَانِي عَذَابًا مَا أَطَاعَنِي مِنَ الْأَسَى وَمَالِي سِوَى سُقْمِي وَدَمِي مُشْفَعُ

فجسني مما شفه كاد يخنني	نحولاً ونفسي أوشكت تشعم
ولو لم يكن صوتي لأنكرت أني	إذا ما التقينا واقف أتوجع ^(١)
فديتك مها قد نأى عنك ناظري	فطيفك حولي ما خلا منه موضع
وكم وشت المدال بيني وبينها	فقلت دعوني إني لست أسمع
أنا العاشق المضنى المقيم على الهوى	فلا تطلبوا ما لا يفيد وينفع
عقدت يميني بالوفاء وها أنا	غدت خيالاً ياهوى كيف أصنع؟

(١) في هذا البيت والذي قبله إشارة إلى قول المتنبي :
كفي بجسمي نحولاً أني رجل
لولا مخاطبتي إياك لم ترى !

فاتنتى ارحمى

لما تَأَهَّبَ للقتال	بالسيفِ أقسم لحظها
بيني وأفئدة الرجال	لأبدٍ من حَرْبِ الهوى
لما تحركت النِّبال	لمعت سِهَامُ جُفونها
كاللَّيْثِ يفتحم الرعاب	وانقضَّ فاتِكُ سيفِها
ببريقِ لمعتهِ اتَّصال	يسطو على مُهَجِّ لها
يا سيفُ متنتك والنصال	بِدمِ القلوبِ تَحَصَّبتْ
أقْسَى القلوبِ إلى الدلال	طعناتِ حدِّك أخضعتْ
فى مهجةِ الأسدِ الغزال	لك صولةٌ قد حَكَّمتْ
لم تُبْقِ للقلبِ احتمال	يا لحظُ . . آلامُ الهوى
والبُعدُ صيَّرنى خيال	فتَكَ الغرامُ بمهجتى
صَبًّا تَمَلَّكَهُ الجمال	باللهِ فاتنتى أرحمى
والوَجْدُ زاد بهِ اشتمال	الشَّهْدُ لازمَ جَفَنِّه

إلى رقيب!

هباء ضاع كيدك يا رقيبى
تناصبنى العدا بغير ذنب
ولما لم تنل بالبغى منى
أراد الله أن ينجاب كربي
علمت بأن حبي حب طهر
فخالفت الضمير بسوء قصد
فخففت ما استطعت أذاك عني
سئال في غد عن كل هذا
فدغ عنك الوشاية واجتنبها
توعدت الحبيبة بانتقام
فأرصدت العيون بكل فتح
ولما لم تنل ما كنت تبغى
فلفقت الأكاذيب اختلاقا
وكم حاولت فتلتنا خداعا
وخانتك المكائد ساخرات
فمت كمداً لأنك شر باغ
خلوت مع الحبيبة في صفاء
ودارت بيننا زفراء وجد
وقد نقل الغرام لنا حديثاً
قلوبُ العاشقين لها حنان
يلد لها العذاب وكل صعب
وودعني الحبيب ونار قلبي
فياليت الزمان يمن يوماً

فحسُن الحظ أصبح من نصبي
وتظلمني بالصاق العيوب
مرادك صرت في أقسى الكروب
لأن الله علام الغيوب
بعيد الشك عن كل الذنوب
وفوقك خلقت عين الرقيب
وحاذر وقفة اليوم الرهيب
نجيب عليه في وقت عصب
فإن الله ستار العيوب
وظلماً قد حلت على الحبيب
مزودة بالسنة الخطوب
عدت إلى مساواة الكذوب
وما فكرت في بطش الحبيب
ولم تك بالمهذب والليد
وقادت مقلتيك إلى النعيب
وأن البغى يغلب في الحروب
وقد غفلت عيونك يا رقيبى
تسرهما مناجاة الحبيب
أرق من النسائم للقلوب
يدوم من الشباب إلى المشيب
تقدمه إلى صدر رحيب
ودمع العين في وجد رهيب
يجمع الشمل في وقت قريب

أنت بدر

أنتِ بين الغيدِ بَدْرٌ قد حَوَى كلَّ الجمالِ
لكِ في عينيكِ سِحْرٌ يجعلُ الدنيا خيالِ

* * *

يا جفوناً قللتها قوةُ السَّحْرِ السَّهامِ
ولحاًظاً أودعتها آيةُ الحسنِ الفِرامِ

* * *

يا مهانِي إنَّ قلبي ذابَ من طولِ البعادِ
قد كَوَّنَتْهُ نارُ حُبِّي فاختنى طيفُ الرقادِ

* * *

كلُّ شَيْءٍ يا ملاكِي ما خلا حُبِّي يَهُونُ
إنَّ حظي من هوائِكِ كيفما شئتِ يَكُونُ

* * *

إنَّ عَفَوْتَ عن غرامي فَارَقْتُ جِسمي السَّقامِ
أو نَعَمَدْتَ مَلامِي فعَلَى الدنيا السَّلامِ

ياليل

مَكَّنْتَ مِنْ قَلْبِي الْهُوَى وَوَقَعْتُ فِي أَسْرِ الْعَيْونِ
بِالنَّارِ يَكُونِي الْجَوَى بِالنَّبْلِ تَرْمِينِي الْجَفونِ

* * *

يَا لَيْلُ فَيْكَ تَوَجُّعِي سُهْدِي تَحِيطُ بِهِ الْهُومُ
يَا لَيْلُ دَامِي أَذْمُعِي تَرْنِي لِحَالَتِهِ النُّجُومُ

* * *

يَا مَنْ تَمَلَّكَ حُسْنُهَا قَلْبِي فَأَوْدَعَهُ الْغَرَامُ
وَسَطْتَ مَوَاضِي لَحْظِهَا عَمْدًا فَأَبْعَدْتَ الْمَنَامُ

* * *

جَسْمِي سَرَى فِيهِ الْهُوَى وَالسُّقْمُ صَيَّرَنِي خِيَالُ
لَا تَتَمَنَّى عَنِّي الدَّوَا يَا مَنْ تَبْنَاهَا الْجَمَالُ

دمعی یخفف گری

إِنْ تَنْكَرَى سُوءَ حَالِي	أَوْ تَجْهَلِي مَا جَرَى لِي
سَلِي طَوَالَ اللَّيَالِي	مَا لِلشَّهَادِ وَمَالِي
شَبَّ الْفَرَامُ بِقَلْبِي	وَالْوَجْدُ فَوْقَ احْتِمَالِي
حَاوَلْتُ كِتَابَ حُبِّي	فَأُغْلِنَ الدَّمْعُ حَالِي
يَا لَيْلُ إِنْ سَقَامِي	لَمْ تُبْقِ غَيْرَ خِيَالِي
مَا حِيلَتِي فِي هُمَايِ	يَا سَهْدُ أَخْشَى مَلَالِي
يَا لَيْلُ فَيْكَ نَحْيِي	وَمَدَمَعِي وَاشْتِفَالِي
يَا لَيْلُ أَتَيْنَ طَيْبِي	يُعِيدُ كَأْسَ الدَّوَالِي
دَمْعِي يَخَفُّ غُرْبِي	يَا جَفْنُ جُدْ بِالْبَكَالِي
كَمْ عَذَّبَ الْحُبُّ قَلْبِي	وَأَشْقَلَ الْبُعْدُ بَالِي
سَهْدِي وَوَجْدِي وَحَزْنِي	وَمَا أَعْدَ الْهَوَى لِي
لَا شَكَّ تَذَهَبُ عَنِّي	إِذَا رَضَاكَ بَدَا لِي

تمنيت شهيدك

لو كنت تذکر عهدك	ما خفتُ والله صدكُ
يا من لك الحسن وخذكُ	لا خَيْرَ في العيش بعدكُ
تمجَّبَ الوردُ لما	كشفت في الروض خدكُ
والحسن تاه دلالا	وأكبر الفضنُ قدكُ
يا جفنُ شاکی سلاحی	أعدُّ للحرب جندكُ
أشکو إليك جراحي	فالقلبُ أصبح عبدكُ
لو كنت تدري سهادی	أو ذاق جفنكُ سهدكُ
ما كان مرُّكُ زادی	وقد تمنيت شهيدكُ
يا حبُّ عذبت قلبي	بالنارِ أضرمت وجدكُ
لم أدر ما هو ذنبی	كأنني كنتُ قصدكُ
رُحماكُ ابن فؤادی	ما زال يذكرُ عهدكُ
رضاكُ كلُّ مرادی	فوفَّ للصبِّ وعدكُ

لقاء على كأس

إليك أمّ التداوى وأبنة العنب
 قالت وقد أسفرت عن طلعة سحرت
 وصيرّ الراح خديها مودة
 تبسمت ودنت والكأس في يدها
 تقدّم الكأس باليمنى مدلهة
 هذا الدواء الذى ردّ اللقاء لنا
 وصوبت سهم عينيهما إلى كبدى
 فقامت الحرب من عيني لوجنتها
 كلفت حتى بدا لي الضعف وانهرمت
 وقفت في أسرها دامي الجراح ولم
 ظننت بأن فؤادى لم يكن دنفًا
 لولاحظت أذمى تجرى دما لبكت
 بينا لواعج هذا الحب تفعل في
 كانت أنامل يسراها بدت عنما
 تداعب الدرّ والياقوت لاهية
 والكأس ما زالت اليمنى تقدّمها
 لما تباطأ نغرى عن تناولها
 أحسّ قلب التى أهوى بمشغلتى
 فحاولت أن تردّ الكأس مسرعة
 فانقضّ كفى على أعنامها رغبا

فالكأس من فضة والراح من ذهب
 عيني فتاهت بها من شدة العجب
 والحرّ تذهب ما في النفس من ريب
 تهتز أعطافها من نشوة الطرب
 وتمنع القاب باليسرى عن الهرب
 أسرع لقد آن وقت اللهو واللعب
 وأطلقتها بلا ذنب ولا سبب
 ومن فؤادى لتلك العين النجب
 قواى مما تولى القلب من وصب
 ترأف بقلب بنار الوجد ملتهب
 وأن دمع جفونى غير منسكب
 فكيف لو نظرت قلبى على اللهب
 حشأى فعل ديب النار بالحطب
 تجوس صدرا تبدى آية العجب
 قد شاغلها اللآلى فهى في لعب
 وقد تفاخر فيها الحسن بالنسب
 لما دهم القلب والعينين من كرب
 ووسوس الظن أن الكأس لم تطب
 لكنى لم أمكنها من الطلب
 والنسر ضمّ جناحيه من الرهب

يا غادة فتكت بالقلب نظرتها
 أتجهلين بأن الخمر مفضية
 ترؤح باللب حتى ربما ارتكبت
 قالت وورد الحيا قد زان وجنتها
 ألا ترى أنها للروح منعشة
 بعزمها اجتزت تيار الغرام ولم
 تمكن الشهد من عيني فأرقها
 فقادني وجد قلبي غير واجفة
 شاغلتها ورفعت الكأس من يدها
 لم أستطع كتم ما بالقلب من شجن
 حبيبة القلب جددت الحياة إلى
 هذا غرامي يذكي النار في جسدي
 صبرت حيناً على وجد كلفت به
 حتى قضى الله أن أحظى بقربك يا
 أنت التي ملكت قلبي بعفتها
 هذا هو الطهر قد حيأك مبثماً
 إن العفاف جمال لا يزول وقد
 لا تشربني الخمر بعد اليوم فانتني
 يا لائمي في هوى ذات العفاف كفي
 وإن دنا منك صوت النضج فاصغ له

كيف اصطباري وقد صرنا على كسب
 وك سميناً بها في مجلس الطرب
 حساتها ماهوى بالطهر والأدب
 إن الشراب يواسي قلب مكتئب
 ترذ طيف الأسي عن فكر مضطرب
 أحفل بوقع سهام الظن والريب
 وقد تعدى على قلبي فواحر بي
 إلى اقتفاء خيال جد في طلي
 صفراء رصعها عقد من الحب
 فإن غدا خافاً لا بد من سب
 من كاد هجرك يدينه من العطب
 والنوم عن مقلتي قد جد في الهرب
 وأنت مشغولة بالأمور والأعب
 مليكة الحسن عن أمر لها وأب
 فإن بعدت فسا في العيش من أرب
 تاج الطهارة عز اليوم كالذهب
 يفيب كل جمال وهو لم يفيب
 وعاهدني بأن تنقي على كسب
 هوّن عليك وخفف ثورة الغضب
 واعمل لرفعة شأن الطهر والأدب

أوبريت وانشيد مدرسية

حنين الأرواح تاريخ السلم الموسيقى

[محاوره بين يوبال بن قابيل بن آدم عليه السلام مخترع الآلات الوترية والسلم الموسيقى
(قبل الطوفان) وبين الحكيم اليوناني مخترع السلم الموسيقى (بعد الطوفان) — هذه القطعة
التاريخية خيالية ، وهي خاتمة رواية (حنين الأرواح) التي وضعها المؤلف ^(١) .]

أوبرا

تُحَضِّرُ رُوحَ يُوْبَالٍ أَنْفَامُ مُوسِيقِيَّةٍ مُشْجِيَةٍ مِنْ آلَاتٍ وَتَرِيَّةٍ صُنِعَتْ بَعْدَ الطُوفَانِ .
فَتَدْخُلُ الرُّوحَ مُسْتَفْسِرَةً عَنْ صَانِعِ تِلْكَ الْآلَاتِ وَعَنْ وَاضِعِ السَّلْمِ الْمُسِيقِيِّ لاعتقادها أن
الطوفان محآ آثار هذا الفنّ واندثرت آلاته .

يُوبَالُ : هَلْ يَبْقَيْنَ لَيْتَ شِعْرِي مَا أَرَاهُ أُمَّ خَيْالٍ ؟
مُنْذُ كَانَ الْفُلُكُ يَجْرِي بَيْنَ مَوْجٍ كَالْجِبَالِ
لَمْ أَعُدْ يَا قَوْمُ أَذْرِي أَنَّ لِلدُّنْيَا اتِّصَالَ

كَانَ جِسْمِي فِي أَمَانٍ تَحْتَ أَبْرَاجِ الْعِلَا
لَمْ يُقَبِّزْهُ الزَّمَانُ لَا وَلَا كَفُّ الْبَلَى

إِنِّ تَارِيخِي الْمَجِيدُ كَانَ مِرَاةَ الْعَجَبِ
كُنْتُ مِنْ عَهْدٍ بَعِيدٍ عَاشِقًا فَنِّ الطَّرَبِ

(١) عثرنا على هذه الأوبرا منشورة في إحدى المصنف . على أنها خاتمة للرواية المشار إليها ، دون أن
نعر على نس هذه الرواية .

العُودُ وَالْقَانُونُ وَالنَّايُ الْخُنُونُ
تلك آلاتُ النِّغمِ
بَاعِثَاتُ الشَّجَنِ مُذْهِبَاتُ الْحَزَنِ
كَمْ أَضَاعَتْ مِنْ أَلَمٍ
إِنَّهَا صُنِعَتْ بِدِي مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ

يَا قَوْمَ قَدْ أَبْعَدَ الطُّوفَانُ مَا اخْتَرَعْتَ
مَوَاهِييَ ثُمَّ أَفْنَى مَا بَدَى صَنَعْتَ
فَكَيْفَ جَاءَتْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ مَا بَلَّيْتَ
آثَارُهَا فِي بُطُونِ الْأَرْضِ وَانْدَثَرَتْ
مِنْ ذَا الَّذِي أَخْرَجَ الْعَالَمَ الْعَجِيبَ لَكُمْ
وَمَنْ يَدَاهُ أُصُولُ الْفَنِّ قَدْ وَضَعَتْ ؟

(يدخل الحكيم مبتكر السلم الموسيقي)

الحكيم : أَنَا الَّذِي وَضَعَ النِّغْمَ وَأَعَادَهُ بَعْدَ الْعَدَمِ
كَوْنَتُهُ مِنْ سُلْمٍ بِأَدَقِّ تَنْسِيقٍ رِيمٍ

يوبال : كَيْفَ ابْتِكَرْتَ أُسَاسَهُ وَنَشَرْتَهُ بَيْنَ الْأُمَمِ ؟

الحكيم : لَقَدْ رَأَيْتُ خَيْالًا قَدْ جَاءَنِي فِي مَنَامِي
يَقُولُ هَيَّا فَبَادِرْ إِلَى اسْتِجَاعِ كَلَامِي
فِي شَاطِئِ الْبَحْرِ كَنْزٌ مِنْ الْمَوَاهِبِ سَامِي
إِذَا حَصَلَتْ عَلَيْهِ بَلَفْتَ أَفْعَى الْمَرَامِ

يوبال : وَهَلْ أَجَبْتَ نِدَاهُ ؟

الحكيم : إِلَيْكَ مَا قَدْ بَدَأَ نِي .

سَاقَتْ إِلَى الْهُوَادَى مِنْ الْفَضَاءِ رَيْنِنَا
 قَدْ كَانَ طَرَقًا وَلَكِنْ مُلِئْتُ مِنْهُ حَنِينَا
 مَشَى الْهُوَيْنَا لِسَمْعِي وَكَانَ سَمْعِي أَمِينَا
 دَقَاتُهُ قَدْ أُسْرَتْ إِلَى سِرٍّ دَفِينَا
 أَوْدَعْتَهُ فِي فُوَادَى وَكَانَ كَنْزًا نَمِينَا
 يُوْبَالُ : مَاذَا سَمِعْتَ أَجِبْنِي مَلَأْتُ رَأْسِي ظَنُونًا ؟

الحكيم : سَمِعْتُ تِنٍ تِنٍ أَرْبَعًا صَوْتًا بِهِ قَلْبِي افْتَنَ

دَقَّاتُ مِطْرَقَةٍ وَسِنْدَانِ تَسَاوَتْ فِي الزَّمَنِ
 قَدْ مِلْتُ مِنْهَا طَرَبًا وَضَاعَفْتُ عِنْدِي الْفِطْنَ
 فَسَاوَرْتَنِي فِكْرَةٌ وَالْحِظُّ بِالْوَقْتِ ارْتَهَنَ

يوبال : قَدْ زِدْتَنِي شَوْقًا إِلَى مَا نِلْتُ مِنْ ذِكْرِ حَسَنِ

الحكيم : لَمَّا انْصَرَفْتُ إِلَى الطَّرَبِ وَتَمَوْتُ فِي جَوْ الْأَدَبِ

وَجْهَتُ ثَأْقِبَ فِكْرَتِي وَالنَّصْرُ يَرْفَعُ مَنْ غَلَبَ
 فَصَنَعْتُ أُعْجَبَ آلَةٍ مِقْيَاسِ صَوْتِ الطَّرَبِ
 نَبْتُ سَبْعَ صَفَائِحَ فِي قِطْعَتَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ
 رَتَّبْتُهَا فِي وَضْعِهَا لِيَكُونَ مَحْفُوظَ النَّسَبِ
 أَطَوَّلْتُهَا التَّبَايُنَةَ لِنَجَاحِهَا كَانَتْ سَبَبَ
 ضَبَطْتُ مِقْيَاسِ النِّعَمِ وَبِذَاكَ تَمَّ لِي الْأَرْبَ

يوبال : قد جئت حقاً بالعجب وخدمت عُشاقَ الطَّرَبِ
الحكيم : نور الهداية قد أثار طريقى والحظ والتوفيق كان رفيقى
إنى ابتكرت من المعادن آلة سَمَّيْتُهَا بالسلم الموسيقي !

يوبال : إنى لیسعدنى النجاح وحسبها أن تُوجَّهت بالفوز والتوفيق

الحكيم : تَمَشَّتْ إليها قلوب الشعوب وما ذاك إلا بفضل العَجَمِ
لقد أبدع الفُرسُ تصويرها فحازت رضا جميع الأُمَمِ
وهذبها العرب من بعدهم بدر المعاني ونور الحكم

يوبال : حديثك أنعسَ منى الفؤاد فَرَدْنى سروراً بتلك المهمم

الحكيم : سَمَتْ وارتقت وعلا نجمها وثمر التهاني لها قد بسم
بما نالها من يد الفاتحين كبار النفوس كرام الشِّيمِ
تجلَّت على التُّرك روح الأغاني فأوحت إليها بسرَّ النغم
وكانت تفيض هبات الملوك على النابغين جزيل النعم
وقد أعجز الفنُّ فى وصفه فصيح اللسانِ ، وأعيا القلم

الموسيقى والعليل^(١)

كأن الطبَّ أغيَّاهُ اغْتِلَالِي	وما ألقاهُ من فَرْطِ الهُزَالِ
فغادِرْنِي أجوبُ ظلامَ يَأْسٍ	وأَسْبَحَ بين أَمْواجِ الْخِيَالِ
بَحْنْتُ عن الدَّواءِ فَعِيلَ صَبْرِي	وضاعف ماأعانيه ملالِي
سرتُ نحوى النِّسائِمُ حَامِلَاتِ	دواءِ غيَرتِ نَجْواهُ حَالِي
أغاريداً وأنفاماً وشَدَواً	تمشتُ في دمي فارتاحَ بالِي
هلمُّوا أَطْرِبُوا سَمِي وَغَثُوا	فمن أَلْخانِكُمُ تصفُو الليالي

(١) وهذه قطعة من رواية «حنين الأرواح» المشار إليها ، وجدت منشورة في الصحيفة المذكورة .

القطع الغنائية بفلم شجرة الدر

القطعة الأولى

يا طيورَ الرّوضِ غنّ واملئى الدنيا سرور
وابدؤ يا حُلُوّ الثّنى بين منشورِ الزّهور

جدّدى صفو الليالى يا عيوننا ساحرات
وانظى دُرّ السّلالى يا نفورا باسمات

يا ملاك الحبّ ياسرّ الحياه يا سمير القلب فى نجوى مُناه
أنت طيفُ الحظّ ترمى بالمنى فى ظلام اليأس أو نور النجاه

* * *

القطعة الثانية

أيها البلبُ غرّد فوق مياسِ القُصُوف
أطرب السمع وجدّد صوتك المُشجى الحنُون

فى أغاريد الهنا والغزل

وأناشيدِ المنى والأمل

قد صفا وقتُ الأغانى مُدّ بدتْ شمسُ الجمان
وازدهى عيدُ التّهانى فى علاّ ذاتِ الجلال

درة عماء حلّت فى سما بُرج السعود
هبة الملك تجلّت حين حيّاها الوجود

صُنِّ حَمَاهَا في هَذَا الْمَلِكِ الْأَمِينِ
وَأُنِيلَهَا مُشْتَهَاهَا يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ

أَيَّامَ سَعْدِكَ أَقْبَلْتُ يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ
وَشَمْسُ مُلْكِكَ أَشْرَقَتْ فَاسْتَقْبَلِي الْمَجْدَ الرَّفِيعَ

هِيَ إِلَى ذُرَا الْعُلَا يَا دُرَّةَ الْفَيْلِ الْفَرِيدِ
وَعَطَّرِي مَجْدَ الْأَلَى يَازَهْرَةَ الْوَادِي السَّعِيدِ

* * *

القطعة الثالثة

أَغْدِ رَنَا - أَهْيَفَ الْقَنَا - مَاسَ وَأَنْثَى - فِي حُلَى الْمَنَا
فَاتِنَ الدَّلَالِ - سَاحِرَ النِّظَرِ

هَزْهَ السَّرُورِ - مَنْعَشَ الزُّهُورِ - كَوَكَبَ الْقُصُورِ - مَحْجَلِ الْبُدُورِ
رَائِعَ الْجَمَالِ - وَجْهَ الْقَمَرِ

ظُبْيَةَ اللَّوَى - شَفَى الْهَوَى - قَدَّ عَزَّ الدَّوَا - وَالْقَلْبُ انْكَوَى
بِالسَّخْرِ الْخَلَالِ - مِنْ طُولِ السَّهْرِ

رَوْعَ يَسَقَامَ - وَاقْسُ يَاسِهَامَ - وَاهْجُرْ يَآمَنَامَ - مَا أَخْلَى الْغَرَامَ !
لَوْ تَمَّ الْوَصَالُ - فِي صَفْوِ السَّمَرِ !

تَبَيَّ وَانْعَمَى - قَدْ تَمَّ الْمَنَى - طَبِي وَاعْتَمَى - أَيَّامَ الْمَنَا
يَا ذَاتَ الْجَلَالِ - قَدْ شَاءَ الْقَدَرُ !

صحوة العلم ونشوة المال (*)

الثرى : أَيُّهَا البلبُلُ هَيَّا غَنِّ لِي . إِنَّ خَيْرَ الْعَيْشِ سَاعَاتُ الْهِنَا

الموسيقى : جَدِّدِي يَا نَفْسُ آمَالَ الْمُنَى وَأَنْفِ عَنِ عَيْنِي يَا طَيْفُ الْعَنَا
هَا هُوَ النِّشْوَانُ مَنِّي قَدْ دَنَا فَانْتَصِرْ يَا فَنُّ وَأَحْكُمْ يَبْنَا

الثرى : مِنْذُ حِينَ كُنْتُ أَهْوَى أَنْ أَرَى أَهْلَ الطَّرَبِ

الموسيقى : أَنْتَ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ أَنْتَ فِي أَسْمَى الرُّتَبِ
أَمْطَرْتَ سُحْبُ الْغِنَى فَوْقَ كَفِّكَ الذَّهَبِ
تُطْرِبُ النَّفْسَ وَتَلْهَوُ تَحْتَسِي بِنْتَ الْعِنَبِ
أَيُّ شَيْءٍ تَبْتَغِي حَيُّ وَأَشْكُرُ مِنْ وَهَبِ

الثرى : بِالْمَالِ كَانَ غَرَامِي وَقَدْ بَلَّغْتُ مُرَادِي
فَالْيَوْمَ أَصْبَحَ عِنْدِي لَا يَسْتَمِيلُ فُؤَادِي

الموسيقى : كُلُّ حَكْمٍ فِي الْوُجُودِ سَابِقٌ فِيهِ الْقَدَرُ
مِنْ دَنَا مِنْهُ السَّعُودُ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْعَكْدَرِ

الثرى : دَعِ خِيَالَاتِ الْحَيَاةِ وَأَغْتَنِمِ وَقْتَ السَّعَرِ

الموسيقى : كَيْفَ يَنْسَى الْقَلْبُ آهَ إِنْ فِي الذِّكْرِ الْعِزُّ

الثرى : إِنِّي لَا عَجَبَ أَنْ تَشْتَكِي وَفِيكَ تَكَامِلُ فَنُّ الطَّرَبِ
حُبَّتِكَ الْمَوَاهِبُ أَسْرَارَهَا وَمِنْكَ تَقَرَّبُ أَهْلُ الْأَدَبِ

الموسيقى : تدفق حولي بحرُ الفنون وأمطر فوق سحاب النعم
ومن عجب أننى كلما نبغت أرى البؤس فى احتكم

الثرى : غريب على مسمعى ماتقول لأن حديثك شئ عجب

الموسيقى : بالذى أعطاك قل لى كيف ينسى الأغنياء

الثرى : أن فى الأموال حقاً من حقوق الفقراء؟
دع أحاديث الثراء نحن فى فن الفناء!

الموسيقى : لا يبين الحق إلا حين ينجاب الغطاء

الثرى : عشت فى جو السروز بين آلات الطرب
أجنتى أشهى الزهور من بساتين الأدب

الموسيقى : متعت سمعك بالنعم ورتعت فى الرزق الجزيل
قل لى بحقك ما الذى قدمت للفن الجميل؟

الثرى : أرى فؤادى يحنو إلى سماع الأغاني
أسعى إليها طروباً كأن وخيلاً دعانى

الموسيقى : لعل كفك أسدت للفن بعض الأمانى؟!

الثرى : إن بسط الكف طبع من طباع السرفين
يعقب التبذير فقر بئس حال النادمين

الموسيقى : إن بذل المال جود نعم أجر المحسنين

الثرى : لم أجِدْ يوماً بمالى خِفْتُ من ذُلِّ الهوانِ
كنتُ أخشى سوءَ حالى لو بدا غدرُ الزَّمانِ

الموسيقى : اكتسب بالمال أجراً ليس للدُّنيا أمان
الثرى : نلت من سحر المَمانى سرَّ أعماق القلوبِ

الموسيقى : يا نصير الفنِّ هيا جُدْ كما جادَ الكرام
لو منعت البرَّ عفا فعلى الدُّنيا السلام

الثرى : كلَّفتَ نفسك نُضحى حتى أنزَرتَ طريقى
إني سَأَبْذُلُ مالى لله ————— لم والموسيقى

مجد مصر

(١)

إِنَّ تَجْدِيدَ الْأَغْنَى فِي غَلَا الشَّعْبِ الْحَيِّدِ
مَذَبَتْ شَمْسُ الْأَمَانِ فَوْقَ مَجْدٍ لَا يَبِيدُ
جَدِّى يَا مِصْرُ عَهْدًا كَانَ مِنْ أَبْعَى الْمُضُورِ
خَلَدَتْ عَلَيْهِ ذِكْرًا لَمْ تُغَيِّرْهُ الدَّهُورُ
فِيهِ جَاءَتْ خَارِقَاتُ هُنَّ آيَاتُ الْفِطَنِ
أُسْفَرَتْ عَنْ مُدْهِشَاتِ بَهْرَتِ عَيْنِ الزَّمَنِ
كَفْتُ لِلْعُمَرَاءِ كَنْزًا سَرَّهُ الْعِلْمُ الْعَجِيبُ
وَلِجَدِّ الشَّرْقِ عِزًّا ذَكَرَهُ دَوْمًا بِقَالِبِ

(٢)

يَا مِصْرُ أَرْضُكَ تَبِيرُ وَادِيكَ مَهْدُ الْعِظَاتِ
يَجْرَى بِسَمْلِكِ نَهْرٍ عَذْبٍ فَمِصْرُ فِرَاتِ
يَا نَيْلُ مَجْرَاكَ تَسْرَى مِنْهُ لِمِصْرِ الْحَيَاةِ
مَا دَامَ مَاؤُكَ يَجْرَى فَمِصْرُ دَوْمًا فَتَاةِ

(٣)

يَا حَامِ النِّيلِ غَنِّ مَطَرَبًا حُلُوَ الذَّشِيدِ
رَاقٍ لِلْفُضْنِ الثَّنَى فِي رُبَا الْوَادَى السَّعِيدِ
أَيُّهَا الشَّعْبُ الْمَفْدَى أَنْتَ مِصْبَاحُ الشُّعُوبِ
نَلَتْ فِي التَّارِيخِ مَجْدًا مِنْهُ تَهْتَزُّ الْقُلُوبُ

صوت الضمير^(١)

آن تَبْكَيتُ الضمير حينما حَلَّ النَّدَمُ
وانجلي ليلُ السرور مُذْ بَدَأَ صَبْحُ الأَمِ
اعتبر يَآذَا الجُحود إن في الذكري العِبَرِ
كلُّ شَيْءٍ في الوجود تحت أَحكامِ القَدَرِ
ليس للدنيا أمانُ فهي مِرَاةُ العَجَبِ
إن من طَبَعَ الزمانُ ساعةَ الصَّفْوِ الغَضَبِ
صَحْوَةُ العمر خيالٌ بَاطِلٌ فيه الأَمَلُ
لو دنا منه الزوالُ لم تُقَدِّ فيه الحِيلُ
إنما الطيشُ هَوَانٌ سَاقَهُ سُوءُ الأدبِ
فاحذروا كَيْدَ الحِسانِ واهجروا بِنْتَ العَنَبِ
انظروا آلامَ صَبٍّ عاش في اللَهْوِ سِنينَ
واسمعوا أُنَاتِ قلبِ رَاعِهِ فَرَطِ الأنينِ
حيث ضيعت الشبابُ كن مدى العُمُرِ حزينَ
عش ذليلاً في عذابِ إن للذكرى حنينَ

(١) لحن الحتام من رواية « الشبح الأبيض » من وضع المؤلف .

أناشيد مدرسية (*)

(١)

إلى العـ	إلى . العـ
بَلِّغُوا مِصْرَ الْمُرَادِ	يَا شَبَابَ النَّيْلِ هَيَّا
وَارْفَعُوا مَجْدَ الْبِلَادِ	فَاضْعُدُوا مَتْنَ الثُّرَيَّا
خَلِّدُوا الْمَاضِيَ الْعَجِيبَ	مِصْرُ يَامَهْدَ الْأَوَالِي
فَوْقَ وَادِيكِ الْخُلُصِيبِ	شَيْدَى صَرْحِ الْمَعَالِي
فِي نَشَاطٍ طَائِعِينَ	نَحْمُ لِلْعَلِيَاءِ نَسْعَى
كُلَّ أَوَابٍ أَمِينِ	وَالْإِلَهِ الْحَيُّ يَرْعَى
لِلنَّهْيِ نُورَ الْيَقِينِ	مَنْ سَعَى لِلْعِلْمِ أَسْدَى
لِلْمُنَى الْفَتْحَ الْمُبِينِ	نَالِ تَوْفِيقًا وَأَهْدَى
مِصْرُ يَازَاتَ الْجَلَالِ	مِصْرُ يَا كَنْزَ الْفَوَالِي
وَارْفَعِي شَأْنَ الْمِلَالِ	جَدْدَى عَهْدَ الْأَوَالِي
أَنْتَ آمَالُ الْقُلُوبِ	أَيُّهَا الْوَادِي الْمَفْدَى
حَازَ إعْجَابَ الشُّعُوبِ	قَدْ وَرَثْنَا عَنْكَ مَجْدًا
يَا مَصَابِيحَ الْحَيَاةِ	هَذَّبُوا النَّشْءَ تَسْوَدُوا
تَغَنَّمُوا عَقْوَ الْإِلَهِ	وَانشُرُوا الْعِلْمَ وَجُودُوا
فِي عُلَا الْوَطَنِ الْكَرِيمِ	إِنَّ بَذَلَ الرُّوحِ يَحُلُو
ذِرْوَةَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ	مَنْ أَرَادَ الْمَجْدَ يَعْـلُو
مِصْرُ يَاوَادِي الْكِرَامِ	مِصْرُ يَا كُلَّ الْأَمَانِ
يَوْمَ نَحْطِي بِالْمُرَامِ	حَقَّقِي عِيدَ التَّهَانِ

(*) نظم الشاعر بحكم عمله في وزارة المعارف يومئذ عدة أناشيد مدرسية ردها الطلاب في مدارسهم ، وكان هذا النشيد الأول من نصيب مدرسة شبرا الابتدائية .

(٢) (٥)

إلى العِلا	إلى العِلا
شَيْبَةَ الشَّعْبِ الْمَجِيدِ	هَيَّا إِلَى رَبِّ الْعُلَا
يَا زَهْرَةَ الْوَادِي السَّعِيدِ	وَعَطَّرِي ذِكْرِي الْأَلِي
يَا رَبَّةَ الْمَجْدِ الْعَظِيمِ	يَا مَعْرُ يَا أُمَّ الْقُرَى
مَهْدَ الْخَضَارَةِ وَالنَّعِيمِ	لَا زِلْتَ عَالِيَةَ الذُّرَا
أَخَيْتِ مَوَاهِبَهَا الْقُلُوبِ	إِنَّ الْمَعَارِفَ لَو سَمَتْ
سِرَّ التَّقْدُمِ فِي الشُّعُوبِ	وَقَتِ الْبِلَادَ وَأَوْدَعَتْ
طَوْعًا وَيَنْجَابُ الظَّلَامِ	بِالْعِلْمِ تَنْقَادُ أَلْفِي
حَتَّى نَرَى نُورَ السَّلَامِ	هَبْنَا الثَّقَافَةَ رَبَّنَا
يَا كَعْبَةَ الْعِلْمِ الْعَجِيبِ	يَا مَعْرُ يَا ذَاتِ السَّنَا
وَشَبَابُنَا حَتَّى الْمَشِيبِ	تَفْدِي حِمَاكَ قُلُوبُنَا
شَادُوا الصُّرُوحَ انْثَالِدَاتِ	هَا نَحْنُ أُنْبَاءُ الْأَلِي
شَهِدَتْ لَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ	آثَارُهُمْ رَمَزُ الْعُلَا
وَالْعِلْمِ مَطْلَبُهُ جِهَادِ	قُمْنَا لِتَنْقِيفِ الشُّهَى
شَأْنُ لِإِصْلَاحِ الْبِلَادِ	لِلنَّفْسِ فِي تَهْذِيبِهَا
نَسْعَى إِلَى نُورِ الْفَلَاحِ	رَبِّ الْمَشَارِقِ إِنَّنَا
وَأَمْنَحُ أُمَانِينَا النَّجَاحِ	حَقَّقْ لَنَا آمَالِنَا
أَنْتُمْ مَصَابِيحُ الْحَيَاةِ	أَهْلَ الثَّقَافَةِ وَالْهَدَى
تُرَاعِي عَيْنُ الْإِلَهِ	لِلْعِلْمِ دُومُوا سَرْمَدَا
عَهْدَ السِّيَادَةِ وَالْجَلَالِ	مَعْرَ الْفَرِيدَةِ جَدِّدِي
ذِكْرِي انتصاراتِ الْعِلَالِ	حَيِّ بَنِيكَ وَرَدِّدِي

نشيد^(*)

هَيَّا إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ فِي نَهْضَةِ الْفَوْزِ الْمُبِينِ
 سُدْنَا عَلَى كُلِّ الْمَلَا حَمْدًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 يَا رَبَّنَا هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا سُبُلَ الرِّشَادِ
 كُنْ عَوْنَنَا وَارْأْفَ بِنَا يَا مَنْ عَلَيْهِ الْإِعْتِمَادُ
 هَبْنَا الْهِدَايَةَ إِنَّنَا نَسْعَى إِلَى نَشْرِ السَّلَامِ
 حَتَّى تَمَّ لَنَا الْمُنَى فِي ظِلِّ آبَاءِ كَرَامِ
 الْمِلْمُ نَبْرَأْسُ بِهِ نَسْمُو إِلَى أَوْجِ انْفِلَاحِ
 مَنْ سَارَ فِي أَضْوَانِهِ يَحْظَى دَوَامًا بِاللَّجَّاحِ
 يَا مَعْرُ يَا أُمَّ الْقُرَى يَا رَبَّةَ الْوَادِي السَّعِيدِ
 يَا مَنْ لَهَا عَجَبُ الْوَرَى آتَارُ نَجْدِكَ لَا تَبِيدُ
 هَا نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى خَضَعْتَ لِبَأْسِهِمُ الْأَسُودُ
 قُمْنَا إِلَى صَرْحِ الْعِلَا نَبْنِي كَمَا شَادَ الْجِدُودُ
 خَيْرُ الْمَعَاهِدِ (دَارُنَا) أُولَى الْمَدَارِسِ فِي السَّبَاقِ
 ظَفَرَتْ بِغَايَاتِ الْمُنَى وَنَعَاهَدَا الْأَافْرِاقِ
 أَعْلَامُهَا أَسْدَوْا يَدَا لِلْعِلْمِ حَقَّ لَهَا الثَّنَاءِ
 وَبِفَضْلِ نَهْضَتِهِمْ غَدَا سَيُرُ الْجَمِيعُ إِلَى أَرْتِقَاءِ
 مَنَحُوا الثَّقَافَةَ حَقَّهَا وَسَمَوْا إِلَى نُورِ الْيَقِينِ
 صَقَلُوا بِعِلْمِهِمُ النُّهَى هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينِ

(*) نشيد مدرسة خليل أغا .

يَا مَنْ رَفَعْتُمْ شَأْنَنَا أَنْتُمْ لَنَا رُسُلُ السَّلَامِ
أَرْوَاحُنَا وَقُلُوبُنَا لَكُمْ الْفِدَاءُ عَلَى الدَّوَامِ
يَا صَفْوَةَ الْأَشْيَالِ قَدْ شَمَلْتُمْ نَعِيمُ الْإِلَهِ
حَيُّوا الْمُؤَدَّبَ وَاشْكُرُوا كَيْ تَغْنَمُوا صَفْوَةَ الْحَيَاةِ

نشيد^(*)

يا نشيد للمجد هيمًا قد لاح نجم السعود
إلى مناط الثريا إلى مكان الجدود
شادوا صرح المعالي فوق الرُبا شاهدات
تشدو بما للأولى في مصر من ذكريات
لمصر في الدهر تجدد مخلد لا يغيب
باق ولو طال عهد رمز الجلال المهيب
بالعلم تحيا الأمانى بالعلم تسمو الشعوب
يامصر عيد التهاني يوم اتتلاف القلوب
إننا نقوم اللىالى فى همية وأجتهاد
نرجو سماء المعالى سعيًا لمجد البلاد
يامصر تربة تبرى واديك مهد العظاب
يجرى بسلك نهري عذب زلال فترات
يا ملهم الرشيد إننا نرجو الهدى والفلاح
ثقف نهانا وزدنا علمًا وهيبًا الفجاح
خير المعاهد دامت أنوارك الساطعات
أعلام رشدك قامت نحو الأمل خافقات
يا قادة النصيح نلتهم بالعلم أسمى مقام
تقفمونا فكنتهم رسل الهدى والسلام

نشيد^(*)

إلى العُلا	إلى العُلا
سارعوا نحو العُلا	وَاهْتَفُوا يَحْيَا الشَّبَابُ
جَدِّدُوا مَجْدَ الْأَلَى	خَلِّدُوا الذِّكْرَ الْمُهَابُ
مَعْرُ يَا كُلُّ لَنَى	نَحْنُ أَشْبَالُ الْأَسُودُ
هَـذِهِ أَهْرَامُنَا	فَوْقَ وَادِيكِ شُهُودُ
أَنْتِ يَا أُمَّ الْقُرَى	كُلُّ آمَالِ الشُّعُوبُ
نِلْتِ إِعْجَابَ الْوَرَى	مُذْ تَمَلَّكَتِ الْقُلُوبُ
هَبْ لَنَا مِنْكَ الْمُدَى	وَأَتِنَا الْفَتْحَ الْمُبِينُ
نَحْنُ لِلنَّيْلِ الْفَدَا	يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ
رَوْضَنَا السَّامِي هَمَى	فَوْقَهُ غَيْثُ الْحَيَاةِ
زَهْرُهُ لَمَّا تَمَّا	دَاعَى الْعَلِيَا دَعَاةُ
إِنَّ تَهْذِيبَ النَّمَى	سَرُّ إِضْلَاحِ الْبِلَادِ
مُذْ تَجَلَّتْ تَنَمُّهَا	آنَ لِلنَّشْرِ الْجِهَادِ
إِنَّمَا الْعِلْمُ الْحَيَاةُ	فِي بَسَاتِينِ الْخُلُودِ
خَيْرُ مَا وَهَبَ الْإِلَهِ	مَنْ لَهُ كُتِبَ السُّعُودُ
مَهْدَنَا الْفَيْضَ جُدْ	بِالْكُنُوزِ الْغَالِيَاتِ
مَنْ شَيَّبَتْنَا وَزِدْ	عِزَّ نَهْضَتِنَا ثَبَاتِ
قَادَةَ الْعِلْمِ اصْعَدُوا	بِالشَّبَابِ النَّاشِئِينَ
لِلْعَالَى جَاهِدُوا	نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

نشيد^(*)

إلى العـــــــــــــــــ لا	إلى العـــــــــــــــــ لا
لِكُلِّ مُجِدِّ سَمِي لِلنَّجَاحِ	تَرُوقُ الْمَعَالِي وَتَصْفُو الْمُنَى
حَنَانًا طَرِيقَ الْهُدَى وَالْفَلَاحِ	فِيَا مُلْهِمَ الرُّشْدِ هَيَّ لَنَا
وَهَيَّ لَنَا مِنْكَ صِدْقَ الْيَقِينِ	إِلَى الْعِلْمِ نَسْعَى فَكُنْ عَوْنَنَا
فَجُدْ بِالرِّضَاءِ عَلَى النَّاشِئِينَ	لَكَ الْأَمْرُ وَحَدِّكَ يَا رَبَّنَا
وَيَبْعَثْ فِي النَّفْسِ رُوحَ الْكَمَالِ	سُمُو الْمَوَاهِبِ يُخَيِّ النُّهَى
كَسَنَهَا الثَّقَافَةُ نَوْبَ الْجَلَالِ	مَتَى تَمَّ لِلنَّفْسِ تَهْدِيهَا
قَرِيبُ التَّدَانِي لِعِزِّ الشَّبَابِ	إِلَى الْمَجْدِ سِيرُوا فَصَرِّحُوا الْعَلَا
أَذَلُّوا الْأَسْوَدَ وَسَاقُوا السَّحَابِ	هَلُمُّوا فَلَبُّوا نِدَاءَ الْأَلَى
وَفَوْقَ الْهَضَابِ لَهُمْ مُعْجِزَاتُ	لَهُمْ فِي بَطُونِ الثَّرَى آيَةٌ
رَوَّاسِي رَغْمِ الْيَلَى خَالِدَاتُ	لَأَنَارِهِمْ فِي الْوَرَى مَنَعَةٌ
دَوَامًا مِنَ الْمَهْدِ حَتَّى الْمَشِيبِ	تُفَدِّيكِ يَا مِصْرُ أَرْوَاحَنَا
سَرَّاجُ هُدَى نُورِهِ لَا يَغِيبُ	فِيَارَبَّةَ الْمَجْدِ كُونِي لَنَا
وَأَثْمَرُ فِي النَّفْسِ غَرْسُ الْعُلُومِ	زَهْرُ الْمُنَى فِي النُّهَى نَوَّرَتْ
تُبَارِكُ أَفْعَارَنَا وَالنُّجُومُ	وَشَمْسُ الْعُلَا فَوْقَنَا أَشْرَقَتْ
بِدُورِ الْهِدَايَةِ رُسُلَ الْحَيَاةِ	رِجَالُ الثَّقَافَةِ أَعْلَامُنَا
صَعَابُ الْأَمَانِي بِفَضْلِ الْإِلَهِ	صَقَلْتُمْ نُهَانَا فَلَانَتْ لَنَا
وَهَذَّبْتُمُونَا فَجُوقَ الثَّنَاءِ	وَأَرْشَدْتُمُونَا فَنِلْنَا الْمُنَى
وَفُوزُوا كِرَامًا بِخَيْرِ الْجَزَاءِ	فَدُومُوا لِرَفْعَةِ أَوْطَانِنَا

نشيد (*)

إلى العِلا	إلى العِلا
أَوْلَاكَ بِالنِّعَمِ الإِله	يا معهدَ التعليمِ قَدْ
وَأَشْكُرُ مَصَابِيحَ الْحَيَاةِ	فَزُ وَأَنْتَعِزْ وَأَغْنَمْ وَسُدْ
يَدْعُوا إِلَى نُورِ الْفَلَاحِ	الْعِلْمُ نِبْرَاسُ الْهَدَى
لَمَنْ أَعْتَلَى صَرْحَ النِّجَاحِ	يُهْدِي الْبَسَالَةَ وَالنَّدَى
وَقَفَّ عَلَى الْعِلْمِ الْمُنِيرِ	يَا مَعْرُ عَهْدُ شَبَابِيَا
فَإِلَى عِلَا الْوَطَنِ الْمَسِيرِ	حَتَّى تَتِمَّ لَنَا الْمُنَى
يَا رَبَّةَ الْوَادِي الْكَرِيمِ	يَا مَعْرُ يَا أُمَّ الْقُرَى
سَعِيًّا إِلَى الشَّرَفِ الْعَظِيمِ	لِعَلَّاكَ خَاصِمْنَا الْكَرَى
آثَارُهُمْ رَمَضُ الْخُلُودِ	هَا نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأُلَى
نَبْنِي كَمَا شَادَ الْجُدُودُ	قُمْنَا إِلَى صَرْحِ الْعِلَا
بَيْنِيكَ أَشْبَالِ الْأُسُودِ	مَضْرُ الْعَزِيزَةُ رَحْبَى
عَلِيَاءَ تَجْدُكَ أَنْ تَعُودُ	حَيَّ شَبَابَكَ وَأُطْلُبِي
تَرْعَاكَ عَيْنٌ لَا تَنَامُ	أَنْتِ السَّعَادَةُ وَالْمُنَى
رَهْنُ الْجِهَادِ عَلَى الدَّوَامِ	أَرْوَاحَنَا وَقُلُوبُنَا
وَأُكْتُبْ لَنَا الْفَوْزَ الْمُبِينُ	كُنْ عَوْنَنَا يَا رَبَّنَا
نَسْعِي إِلَى نُورِ الْيَقِينِ	هَبْنَا الْهَدَايَةَ إِنَّنَا

نشيد^(٥)

رَبَّنَا خُذْ أَسْمَاءَ وَشُكْرًا	أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ
كُنْ لَنَا عَوْنًا وَذُخْرًا	يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ
هَبْ لَنَا التَّوْفِيقَ دَوْمًا	وَاهْدِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ
وَأَمْلَأْ أَلْمَالِ عَزْمًا	يَا بَصِيرًا بِالْعِبَادِ
صَنْ لَنَا الْآبَاءَ عِزًّا	إِنَّهُمْ رَمَزُ الْخَنَانِ
وَاجْعَلِ الطَّاعَةَ زَادًا	لِلْفُؤَادِ وَلِللِّسَانِ
إِنَّ كَنْزَ الْعِلْمِ بَحْرٌ	لَا يَهْدِيهِ النَّفْسَادُ
لِلْعِلْمِ لَا سَيْفٌ وَبَذَرٌ	نَشْرُهُ يُخْبِي الْبِلَادُ
اطْلُبُوا الْعِلْمَ دَوْمًا	فَهُوَ مِصْبَاحُ الْفَلَاحِ
مَنْ سَعَى لِلْعِلْمِ يَحْطَى	بِالْأَمَانِي وَالْفَجَاحِ
يَا كِرَامَ النَّشْرِ هَيَّا	صَافِحُوا نَجْمَ الشُّعُودِ
وَارْفَعُوا فَوْقَ الثَّرِيَّا	نَجْدَ آثَارِ الْجُدُودِ
نِلْتِ يَا مِصْرُ الْمَعَالِي	مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ
فَازْكُرِي عَهْدَ الْأَوَالِي	وَارْفَعِي شَأْنَ الْبَنِينَ
أَيُّهَا الْوَطَنُ الْمُفْدَى	قَدْ وَهَبْنَاكَ الْحِمَاةَ
عِزٌّ مَنْ أَوْلَاكَ نَجْدًا	وَلِيْدُمْ فَضْلُ الْإِلَهِ
مِصْرُ يَا كُلَّ الْمُتَى	نَحْنُ أَشْبَالُ الْأُسُودِ
جَدِّدِ الْمَجْدَ لَنَا	فَوْقَ أَزْرَاجِ الشُّعُودِ
إِنَّا لِلْعِلْمِ نَسْمَى	بَيْنَ جِدِّ وَاجْتِهَادِ
وَعُيُوفُ اللَّهِ تَرْعَى	كُلَّ مَنْ رَامَ الْجِهَادِ

مَهْدُنَا مِصْرُ الْجَدِيدَةِ	مَعَهْدُ الْعِلْمِ الْمُنِيرِ
دَارُ تَهْدِيبٍ مَجِيدَةٍ	فَضْلُهَا فِينَا كَبِيرِ
قَدْ حَوَتْ أَتَقَى قُلُوبِ	مِلْؤُهَا نُورُ الْيَقِينِ
رُوحُ آدَابٍ وَعِلْمِ	فِي رِجَالٍ عَامِلِينَ
يَا رِجَالَ الْعِلْمِ أَنْتُمْ	لِلْهُدَى رُسُلُ السَّلَامِ
يَرْجِعُ الْفَضْلُ إِلَيْكُمْ	أَحْسَنَ اللَّهُ الْخِتَامِ
رَبَّنَا حَمْدًا وَشُكْرًا	أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ
كُنْ لَنَا عَوْنًا وَذُخْرًا	يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ

ربسية الكونخ

مسرحية مترجمة عن

تشارفس جارفس

أسهم الشاعر في الحركة الفنية في عصره
بتأليف وترجمة بعض المسرحيات ،
وقد اخترنا هذه المسرحية المترجمة إلى
اللغة الفصحى لتكون دليلاً على العمل
القي الذي كان يقدمه .

الفصل الأول

المنظر الأول

[غرفة بكوخ المطحنة بإحدى قرى برنستابل على نهر التو]

(مائدة حولها ثلاثة مقاعد . ليرا جالسة وفي يدها كتاب . تضعه)

ليرا : ما أهناً هذه الحياة . وما أسعدنى بين هذين الشيخين الجليلين : والد كرس حياته لتبذيب إبنته التى انقطع من أجلها عن العالم ، وخدام أمين ما ترك لحظة من ثمين وقته إلا نفحها فيها بغوى نصائح . فليباركهما الله كما سهر على نعيمى . (تقف) أماه ! أماه ! أين أنت الآن ؟ كيف تتر كيننى فى الربيع الأول من زهرة شبابى ؟ يا ترى أين أجذك يا من أسأل الله لك الرحمة ؟ أمى ! أو ماعلمت أن ابنتك تحن إليك كما لو كانت بين ذراعيك . إلهى ! أين أجدها ؟

آدون تشستر : (يدخل) — تجدونها فى شخصى يا عزيزتى . أنا أمك وأبوك ، يا زهرة الربيع . فهل تشكين الماء ؟

ليرا : (تطوق أباه بذرعاها) كلا يا أبتي . إنما أراى أحناً كثيراً إليها . وما خلوت بنفسى لحظة إلا رأيت خيالها الطاهر يبسم لى عن ثغر لعبت به يد البلى . وكثيراً ما شعرت بيمينها تمسح على شعرى ، كأنها تسألى الصبر على فراقها . فأشعر إذ ذاك براحة . وما هى إلا هنيهة حتى أفيق من خيالى ، فأندب سوء حظى .

تشستر : (يسقط على الكرسي) يا لها من ذكرى مؤلمة . ليرا ! (يمسح شعرها) تناسى تلك الشواغل . واطردى تلك الخيالات .

جرفث : (يدخل) هاقد أحضرت الحطب يا مولاي . فهل من حاجة قبل أن أبدأ فى تجهيز الطعام .

تشستر : نعم . (ينظر إلى ليرا) نسيت نظارتى بجانب الكتاب الذى كنت أطلع فيه على المائدة . فهل لك أن تحضرها يا ليرا (ليرا تخرج) .

جرفث ! ما أصعب الدين . الدين هم بالليل ومذلة بالنهار .

جرفث : هون عليك سيدى . فرجما ارتفعت الأسهم التى لك فى الشركة ، فتنظم لنا أسباب الحياة .

تشستر : هذا كل ما بقى لى من أمل . جرفث ! إننى أريد الجريدة . فاذهب إلى پترال وسل جربلى أن تعطيكها ، وبلغها تحيتى . (لنفسه) عسى أن يكون فيها تفريج كربتى .
جرفث : سأذهب حالا .

ليرا : (تدخل) ها هى النظارة يا بأبت .
تشستر : شكراً لك يا ابنتى (يقبلها ثم يقف) هيا بنا إلى الحديقة يا عزيزتى . (إلى جرفث)
إنى منتظر .

ليرا : (تبتقى ويخرج تشستر) إلى أين يا جرفث ؟
جرفث : إلى پترال .
ليرا : ولماذا ؟

جرفث : لأحضر شيئاً لأبيك ، يا عزيزتى .
ليرا : دعنى أذهب بذلك ، فأنت تعب كما يلوح لى . .
جرفث : لا يامس ليلا . فأنا لا أزال أشعر بقوة شبابى تتضاعف . ذلك لأنى أوقفتها على رعايتك .
ليرا : أنت تثق بحبى إياك . ولو كان فى وسعى أن أقوم بكل شئون المنزل ما توقفت عن ذلك لحظة .

جرفث : شكراً لمواطفتك .
ليرا : وتعلم أيضاً أن سعادتى فى ركوبى القارب . فلماذا تمنعنى عن الذهاب إلى پترال حيث أعبى النهر ، فأنسلى .

جرفث : ولكن
ليرا : (نطوقه بذراعيها) لا تعاند من أحببتك .
جرفث : بارك الله فيك يا عزيزتى . سأذهب حالا لأعد لك القارب . (يخرج) .

تشستر : (يدخل وفى يده كتاب) هل ذهب جرفث يا عزيزتى ؟
ليرا : نعم . ذهب ليعد لى القارب يا أبتاه .

تشستر : لك أنت ، ولماذا ؟

ليرا : لأنني سأذهب بنفسى لإحضار حاجتك من پترال .

تشستر : وهل تعلمينها ؟

ليرا : لا . وهل عندى علم الغيب ؟

تشستر : (بوداعة) وكيف تحضرين مالا تعرفين ؟

ليرا : سأسأل جرفث متى ركبت القارب .

تشستر : ولم اخترت الذهاب بنفسك ومنعت جرفث ؟

ليرا : لأنه تعب جداً يا أبى . وأحب أن أساعده ليستريح قليلا .

تشستر : وهل يسعدك أن تأخذ ميني يا ليرا ؟

ليرا : هذا كل منأى يا أبى . هل تثق بخدمتى بعد ذلك ؟

تشستر : حسناً يا ليرا . إنى أريد الجريدة ، فقد كانت مسز جربلى تعيرنى إياها كلما أردت .

ليرا : (تبتسم) نعم . (تشستر يجلس ويقرأ) .

أسمح لى أن ارتدى معطنى وقبعتى ؟

تشستر : لك ما أردت (تخرج) . ما أشد حى إياها إنها لا تعرف شيئاً عن الدين .
حسناً فلتذهب .

ليرا : (تدخل بالقبعة والمعطف على يدها) ها أناذى .

تشستر : إلى كى أقبلك (يقبلها . تخرج . لنفسه) إن ذكرى الماضى تؤلم الشيخ . ثروة زالت ،

وزوجة طاهرة ماتت . يالهول كل ذلك ! أولم تكفى تلك المصائب ، حتى أرزح تحت

عبء لم أعوده من قبل ! الدين ! الدين ! ما أصعب احتمال هذه الكلمة ! بل ما أشد وقعها

على سمعى ! رحماك يا إلهى ! (يدخل جرفث) هل ذهبت ليرا ؟

جرفث : نعم .

تشستر : وهل علمت شيئاً عن سبب إحضارى الجريدة ؟

جرفث : كلا . إنها لا تعلم عن العالم سوى شيئين .

تشستر : وما هما ؟

جرفث : أولها أنك أبوها . وثانيها أنني خادمها الأمين .

تشستر : ما أسعدها ، وما أشقاني !

جرفث : هون عليك يا سيدى .

تشستر : لتكن مشيئة الله إمض ، أنت إلى عملك . وسأحضر إلى غرفة المائدة بعد أن تعود ليرا .

(يخرج جرفث . تشستر يعود إلى القراءة . بعد قليل ينظر فى ساعته) .

تشستر : عجباً لقد انقضت ساعتان ولم تحضر ليرا . كيف تأخرت إلى هذا الحد والمسافه لا تحتاج

إلى أكثر من نصف ساعة . (يقف ويسير نحو الباب) جرفث ! جرفث !

جرفث : (يدخل) بماذا يأمر مولاي ؟

تشستر : لقد تأخرت ليرا . أليس كذلك ؟

جرفث : اهل مسز جربلى . . .

تشستر : دعته لتناول الغداء ؟

جرفث : ولم لا ؟

تشستر : ليس ذلك من عادتها . وقابى يحدثنى بأن هناك سبباً آخر .

جرفث : لا أظن . فأنا أعرف قلب الطائر الذى أربيه .

تشستر : لقد داخلنى الشك فى تأخرها . إذهب أنت إلى عملك . وسأستريح قليلاً فى مخدعى

حتى تحضر . (يخرج)

لورد : (يدخل مبلى الثياب وليرا معه تمسح الماء عنه بمنديلها ، وفى يسرها الجريدة) أظننى

لم أفهم قوانين هذه اللعبة الغريبة .

ليرا : أية لعبة تعنى ؟

داين : لا أعنى شيئاً وأسأل الله أن تكونى سالمة من كل أذى .

ليرا : نعم . إني سالمة . واسكن ما الذى حلك أنت على الاستحمام بملابسك ؟

داين : استحمام ! (بدهشة) إنك سليمة الفية يا حسناء .

ليرا : (بوداعة) لست أفهم معنى ما تقصد .

داين : (يعصر كم قميصه) إنك تعرفين ما يحول بخاطرى ، يا سيدتى . لقد ظهر لى أنك لم

تكونى فى خطر ، ولكنك كنت تستغيثين .

ليرا : أنا ؟ أوافق أنت مما تقول ؟ إني كنت أغرد لأداعب طيور الماء ... أهذه في عرفك استغاثه ؟

داين : تغردين ، (بمجب) ماأشد وهمى !. لقد حسبتك تفرقين ... لذلك بادرت إلى إنقاذك بأن قذفت بنفسى فى الماء قبل أن أفكر فى خلع ملابسى .

ليرا : لقد أخطأ ظنك يا سيدى .

داين : مصادفة عجيبة .

ليرا : (مبتسمة) أما أنا فكنت أظنك تفرق ... ولذا أسرعت لنجدة بك بقاربى . وكنت أنت تحسبنى أغرق فقذفت بنفسك لانقاذى . فكلانا فعل الواجب عليه .

داين : لقد أصبحت مديناً لك بحياتى يا سيدتى .

ليرا : (بنظرة شفقة وحنو) إنه ليسعدنى ان أراك دائماً . إن بيتنا هو هذا الكوخ الصغير .

أما أنا فأعيش بين شيخين : والد كريم ، وخادم أمين ..

تشستر : (يدخل) لماذا تأخرت يا ليرا ، وأين الجريدة ؟ (دون أن يلتفت إلى اللورد) .

ليرا : لقد أحضرتها يا أبى (مشيرة إلى داين) . وقد أوشك ان يفرق .

تشستر : (يتناول الجريدة .. إلى داين) أراك مبتل الثياب .

داين : نعم يا سيدى . ولولا ابتك لكنت الآن من سكان جوف السمك .

تشستر : (بدون اكتراث) أتحب أن تجفف ثيابك عندنا ؟ (يتردد اللورد بين الشيخ

وليرا ولا يتكلم) .

ليرا : (لداين) لماذا لا تقبل دعوة أبى ؟

داين : قبلت دعوتك يا سيدى .

تشستر : تفضل فاجلس . (يجلسون) .

داين : أقدم لك نفسى . أنا من أسرة ارمتايدج ، واسمى داين .

تشستر : وأنا من عائلة تشستر ، واسمى آدون ، وهذه ابنتى ليرا ، وهذا منزلى .

داين : إنى أعرف بعض أفراد هذه الأسرة الكريمة .

تشستر : (بلهجة حزن) أما أنا . فلم أرى أحداً منهم منذ سنين ، وكأنى آلم من ذكر الماضى

(إلى اللورد) إنى سعيد بزيارتك .

- ليرا : وأنا أيضاً أشارك أبى فى هذه السعادة .
- داين : شكراً ، يا سيدى . وأنت يا منقذة حياتى .
- تشستر : من أين أنت قادم ، يا مستر داين ؟
- داين : من لندن للترويج عن النفس ولقد صدق من قال : إن السفر قطعة من العذاب . .
- تشستر : وأين كان السفر ؟
- داين : إبنى قضيت أكبر شطر من حياتى فى السياحة : فحيت فى أيسلندة وسهول روسيا ، وغابات الهند وسيلان وجزائر الهند الشرقية الهند والغربية . وأواسط افريقية ، وهضاب الكنفو والكمرون والحبشة ، ومنابع النيل ، والنيجر ، والأمزون ، والميسيسيبي وسانت لورانس : تلك المناظر التى تأخذ بمجامع القلوب ، وكذلك زرت أعظم مدن أمريكا ، واستراياحيا فى الوقوف على أخلاق الناس وشفقاً بمناظر الطبيعة ، ورغبة فى الصيد والتسليه .
- تشستر : (يتفرس فيه بعد أن يصلح نظارته) وهل كنت تستطيع الوفاء بنفقات هذه السياحات الطويلة ؟
- داين : هذا سهل جداً ، لأن والدى يدفع ما احتاج إليه بسخاء .
- تشستر : (بإعجاب) إنه على ما يظهر واسع الثروة . وهل كنت سعيداً فى سياحتك الأخيرة ؟
- داين : بدون شك .
- تشستر : وهل أنفقت زمناً طويلاً فى رحلتك الأخيرة يا مستر داين ؟
- داين : نعم يا سيدى ، لقد قضيت فيها ثلاث سنين متواليات .
- ليرا : وكيف كنت تصبر على فراق أبويك ؟
- داين : ليس لى غير والديش ، لا يترك القلم طرفة عين . وهو الذى حجب إلى " السفر رغبة فى تهذيب أخلاقى ، ونمو معلوماتى ، كى أتمكن من احتلال مركزه فى المستقبل .
- ليرا : (بحزن) وأمك ، هل فارقتك صغيراً كما فارقتنى أمى ؟
- داين : نعم ، تركتني فى المهد .
- ليرا : إنها ... (يقاطعها الشيخ لغير الموضوع) .
- تشستر : ومتى عدت من هذه الرحلة يا ضيفنا العزيز ؟

داين : منذ شهر .

تشستر : هل رأيت الصين ، يا مستر داين ؟

داين : كلا ، لقد كان في نيتي أن اقضى شطرا من حياتي في الصين ، واليابان ، غير أن صديقي لي دعاني وأنا في كلنا إلى سنغافورة احتفالا بعيد ميلاده فلبيت الدعوة . وكان الجو في سنغافورة حاراً جداً ، ومع أن البلدة آية في الإبداع والرونق لم أتمكن من المكث بها سوى ثلاثة أيام ، ولما عزمنا على العودة إلى برنامجي الأول ، من زيارة بكين ، ويوكوهاما ، وطوكيو ، حُبب إلى صديقي تغيير هذا البرنامج ، والاستعاضة عنه بزيارة منحدرات نياجارا في أميركا . ورأيت أن أوافقه إذا شاركني فيها فكان أنيسى في تلك الرحلة الطويلة . ومالمالت الشمس للمغيب إلا وكنا على ظهر الباخرة .

ليرا : واعجباً ! إني لم أسمع مثل هذا الحديث من قبل .

تشستر : وهل رأيت أن صديقك كان محققاً في وصفه ، أم أنه أسرف في المبالغة .

داين : إن مارأيته من جلال المنظر كان أضعاف ما وصفه لي صديقي : رأيت الجبال هناك يعلوها الجليد الناصع البياض ورأيت ، الينابيع ينحدر ماؤها من ارتفاعات هائلة ، وشاهدت ماءها المتدفق وكأنه صيغ من سبائك الذهب ، وقد تناثرت حولها قصور عشاق المناظر الجميلة .

تشستر : أنت شاهدت ، إذاً ، أجمل مناظر العالم .

داين : تقريباً ..

ليرا : (لداين) أما أنا فلم أر غير هذا المكان ، ياسيدى ؛ ولم أعرف مخلوقاً آخر غير أبي وجرف ومسر جربلي جارتنا .

داين : ومن هو جرف ؟

ليرا : هو خادمنا الأمين .

تشستر : هل تسمح لي يا مستر داين أن أذهب إلى مخدعي لقضاء بعض العمل ؟ (يقف) .

داين : (يقف وتقف ليلا) كما تريد ياسيدى .

تشستر : شكراً لك (يخرج) .

داين : (ينظر إلى ليرا بإعجاب) أرى كوخكم هذا أشبه شيء بصومعة ناسك . لقد انفرد بالجمال بالجمال في هذه البقعة المنعزلة . مس ليرا ! أنعيشين هكذا وحده ؟ إنها لعيشة جافة . ألا تشعرين بذلك ؟

ليرا : لم أفكر في ذلك قط . فقد ألفت هذه الحياة منذ طفولتي .

داين : أليس لكم أصدقاء ؟

ليرا : ما أظن أن لنا صديقاً . أراك تستغرب كلامي ، فهل هو غريب حقاً ؟

داين : لا داعي للغرابة ، فيما أظن . ولكن أسعيدة أنت بهذه الحياة المملة ؟

ليرا : (ببساطة) لم لا أكون سعيدة ؟ وكيف تصف هذه الحياة بالملل ؟ أنت كثير الأصدقاء ؟

داين : إني كثير الأصدقاء . ذلك لأن أبي كثير الاختلاط بالناس . ألم تسمعي عن أستار منستر ؟

ليرا : لم يرد على سمي هذا الإسم قط . وهل تسكن أنت وأبوك بيتاً واحداً ؟

داين : أبي يسكن ستار منستر ، أما أنا فدائم التنقل . إنه في عملٍ مستمر ، وأنا في فراغ دائم .

ليرا : وهل هو راض عن ذلك ؟

داين : كلا . . . إننا في نزاع دائم : هو يريد أن أكون معه في مجلس النواب ، أو على الأقل أن أخلفه فيه .

ليرا : ولماذا ترفض ذلك المركز العظيم الذي تنمناه النفوس ؟

داين : لأنني لست من رجاله .

ليرا : وكيف اتفق ذلك وأنت في نضارة الشباب ؟

داين : أميل بطبعي إلى الراحة والسكون . ولا أعشق في هذا العالم سوى (يتوقف) . . .

ليرا : سوى ماذا ؟ ما بالك تفكر ؟

داين : سوى الرحلات ، والمناظر الجميلة .

ليرا : ولكن ألا تفضل ذلك المركز السامي على تلك الأمانات التي لا تلبث أن تزول ؟

داين : ربما فكرت في ذلك فيما بعد .

ليرا : يظهر لي أن أملك من أركان هذا المجلس العظيم .

داين : كان عضواً في البرلمان قبل أن ينتقل إلى مجلس اللوردات .

- ليرا : نعم ، فهمت . فهو أذن لورد .
- داين : (يحنى رأسه) نعم . هو لورد آرل ستار منستر . ألم تطلعي على شيء من أخباره ؟ ذلك لأنه لا تخلو صحيفة في لندن من ذكر اسمه .
- ليرا : لسوء حظي أنى لم أعود مطالعة الصحف . لكن لماذا يذكرون اسمه دائماً ؟
- داين : لأنه من الوزراء ، ومركزه يقتزن بجميع الحوادث العظيمة . (بصمت) عفواً يامس ليра ، فقد أنعبتك بهذا الحديث الممل .
- ليرا : (باحترام) لامستر داين . ولكن عفواً لجرائي . بماذا يجب أن أدعوك منذ الآن ؟ نعم ، لقد اهديت لورد داين . (تمنحنى) .
- داين : (يبتسم) أنا لا أود أن أسمع من هاتين الشفتين الجيلتين سوى داين فقط .
- ليرا : (بخجل) لك ماتشاء .
- داين : هل تعلمت شيئاً من الموسيقى ؟
- ليرا : (باستغراب) وكيف أعرفها ، وأنا بين شيخين لا يتكلمان إلا عند اللزوم ؟
- داين : مسكينة أنت يا ليرا . والتصوير ؟ وصيد السمك ؟
- ليرا : لا هذا ولا ذاك . وهل تصيد النساء السمك ؟
- داين : إنه من ألد متعهم . ولو كانت هناك قسبة لاهلك الصيد في ساعة واحدة . فقد علمت ابنة عم لي (يتوقف) فنبغت فيه ، ولكنها لم تستمر .
- ليرا : لأنها ملت الصيد ، أم ألهاها شيء آخر عنه ؟
- داين : لا ، بل خطر لها أن الصيد خطيئة . إذ بسببه يقع الظلم على الحيوان المسكين .
- ليرا : وكيف خطر لها ذلك ؟
- داين : في العالم أناس كثيرون لا يأكلون ولا يشربون ولا يتحركون قبل أن يتساءلوا عما إذا كان في ذلك خطيئة . وثيودوسيا . . . (يتوقف) .
- ليرا : (تقاطعه) ثيودوسيا ! ما أغرب هذا الاسم . لاشك أنه اسم ابنة عمك .
- داين : نعم (يدخل تشستر) .
- تشستر : أرجو أن تغفوا عن جرائي لدخولي عليكم بغير استئذان .

داين : (يقف) إن ذلك يضاعف سرورنا .

ليرا : إن سعادتي في أن أراك يا أبي . ألا توافقني على ذلك يامستر داين ؟

داين : وهل في ذلك شك ؟

تشستر : إنا نعتبرك صديقنا من اليوم . فلا تحررنا من زيارتك كلما سنحت لك الفرص . وأنا على يقين من أنك ستجد في كوخنا وما حوله من مناظر الطبيعة خسير تسلية لك . أليس كذلك يا ليرا ؟

ليرا : هذا يحتاج إلى برهان . وأنا أضم صوتي إلى صوت أبي ، عسى صوتانا يجدان إلى قلبك سبيلا .

داين : إن لساني ليعجز عن وصف شكري لمواطنكم . وإني أهني نفسي بهذه الصداقة وأسأل الله أن تكون سبب هنأني (ينظر إلى ليرا) وتأكدي يامس ليرا أني لا أنسى مالك على من جميل . وإني أعدك إلا أترك فرصة تسمح لي بزيارتكم دون انتهازها (يقف) لقد مضى النهار ، وأخاف أن يداهمني الليل . والطريق وعمر . فأستودعكم الله .

تشستر : (يقف) ألا يمكن أن تقضى معنا هنا هذا المساء ؟

ليرا : (باستعطاف) نعم ، ألا يمكن ؟

داين : كان يسرنى ذلك جداً ، لو لم أكن مضطراً أن أصل برنستابل الليلة لدواعٍ مهمة ، ويمكنني أن أراك في صبيحة الغد .

تشستر : حسناً .

ليرا : أصبح هذا ؟ أيمن أن أسعد بزيارتك غداً ؟

داين : سأبذل قصارى جهدي . (يصالحهما) إلى الغد . وما الغد ببعيد .

تشستر : إلى الملتقى يامستر داين ، إني على أهبة استقبالك غداً . (إلى ليرا) أنا ذاهب إلى غرفتي ، وبعد أن تودعي ضيفنا العزيز . . . (يخرج تشستر) .

داين : (يمسك يدها بيديه) أنظنين أن في صيد السمك خطيئة ، كما تقوم أترابك ؟

ليرا : وما الخطيئة في ذلك ؟

داين : إذا سأعود غداً لأعلمك الصيد ، إلى الملتقى (يخرج) .

ليرا : رعتك عين العناية . (لنفسها) ما أجمله ! وما أرق حديثه وأعذبه ! إنه لورد غنى شريف
نعم إنه الابن الأكبر لأيرل استار منستر ، وكفاه ذلك فخراً . (تتنهد) أما أنا ، أنا ابنة
الشيخ تشستر ، ربيبة الكوخ . آه . أين هذا الكوخ الحقير من ذلك القصر الكبير ؟
ولكن (بشم) مالى وهذه الأحلام التى تسبح بى فى عالم الخيال ؟ كيف للأرض
أن تساوى القمر فى رفعة ؟ كفى سعادة أنه هبط من سماء منزلته العالية ، وقبل أن
يتدانى فيصادقنى .. (نصمت) ثيودوسيا ، ثيودوسيا . من هى . أه ، إنها ابنة عمه ،
إنها صاحبة قصر وخدم ، غنية ونبيلة . إنها متناسبان ومتكافئان ثروة وجاهاً . ويلاه !
ماذا أصابنى ! أأحسد نعمة أسداها الله إلى غيرى ؟ إن هذا هو عين الحاقة . ما أضعف
قلب النساء ! يجب أن ننتظر الغد . . . (تقف) وما الغد ببعيد . (تمشى إلى الباب
وتخرج) .

(تطفأ الأنوار . يتغير المنظر بقاية السرعة)

المنظر الثاني

(غرفة فاخرة بفندق برنستابل . جاك خادم الفندق يرتبها . الوقت ليلاً)

جاك : ما أشد هوس هذا السيد ! إن انتسابه إلى أسرة ارمتايدج لفتة من فلتات الطبيعة !
(يضحك) شاعر ! (يضحك) شاعر مختل الشعور ! لا يعنى ما يكتب ولا يفهم معنى
ما يقول ، يسطو على قصائد جونز وبرومتيج فيسرق ما يروق له منها . وما أسرع ما يغير
الغرض ثم ينسب ذلك الجهل إلى نفسه . (يضحك) ومن أقبح ما سمعت أنه يعنى !
(يضحك ثم يجلس) مسكين شاب ، قوى غنى غير أنه مرتبك العقل ، ضعيف الإرادة ،
بليد الذاكرة . والأدهى من ذلك أنه جبان ، سابه الجبن كل علائم الشرف .. وهو فوق
هذا وذاك رسام و . . . (يضحك) يدعى أنه فنان يصور حقائق الأشكال . والحقيقة
أنه يقلب المرئيات كما تفعل عدسة الآلة الراسمة .. (يضحك) فينقش بذلك صوراً لا يفقه
ما ترى إليه إلا هو وحده . (يضحك) ولكن مالى وجهه ؟ الدينار هو هدفى . فما دام
يحب الألقاب ، ويعشق الظهور الكاذب ، فسأملأ منه جيوبى ذهباً ، وليس له إلا أن
أقول : حضر السيد تشاندس . تفضل يا مولاي . الجميلة سألت عن اللورد . ما أجمل
هذه الصورة ! ما أبدع هذا الخيال ! ما أطرب هذا اللحن ! ما أمتن هذا النظم ! إنى أسمع
وقع أقدام ، فمن الزائر يا ترى ؟ لعله هو المعتوه . (يجرى إلى الباب) .

داين : (يدخل داين ومعه أدوات الصيد) أنت هنا يا جاك ؟

جاك : (ينفخى) فى خدمة مولاي .

داين : حسناً ، خذ هذا إلى غرفتى الخاصة ، وأعد المسائدة .

جاك : (يأخذ الأدوات) هل سيدى اللورد ضيفنا الليلة ؟

داين : نعم . (يجلس ، يخرج جاك . داين لنفسه) لقد وعدتها بأن أعود فى الغد ، وما أشد
سرورها بذلك . مسكينة ، ما أضيعها فى ذلك المكان المنفرد ! إنها تعيش كراهبة .
تصبح وتمسى بين شيخين يمثلان الفناء بأجلى معانيه . فما أقسى الدهر ، وما أعجب
أطواره . يجب أن ترى لندن . يجب أن ترى السعادة وترفل فى لباس النعمة والهناء .

تشاندس : (يدخل وفى يده ورقة وقلم) آه . ابن العم . هل أنت هنا يا اللورد ؟

داين : (باز دراء) أى شيطان حملك إلى هذا المكان ؟
تشانس : شيطان ! (يضحك) والله ، يا ابن العم ، إن من يسمعك الآن يحسبك غير راض
عن قدومي .

داين : أوفى ذلك شك ! ألم تعهد فى الصراحة ؟

تشانس : إذن فأنت لا تمزح ؟

داين : ومن أدراك أننى أمزح مع المتبهوس ؟

تشانس : أمتبهوس أنا ؟

داين : هذا ما لا يختلف فيه اثنان .

تشانس : (بحدّة وهو يجلس) هذه بلاد حرة يا عزيزى ، وهذا فندق عام . فما معنى احتقارك لى
ونحن متساويان فى الضيافة ؟ بل يلوح لى أننى أكثر منك مالا .

داين : أنت يلوح لك كل شيء ؛ لأن مكروب الخيلاء الذى يملأ فراغ رأسك ، وإن كان
بطيء العمل ، إلا أنه دائم الحركة .

تشانس : أنا أعتقد أنك تمزح . ولولا ذلك . . .

داين : (يقاطعه) لهاجت عواطفك (يضحك) اليس كذلك ؟

تشانس : دعنا من الجدال ، فنحن يجب أن نكون أصدقاء ، ذلك لأننا من عائلة عريقة ومن
دم واحد فلاداعى إلى التفضيل .

داين : إن هذا لغريب ، لقد تركتك فى لندن أمس ، فما معنى قدومك برنستابل اليوم ؟

تشانس : أتجول باحثاً عن الجمال .

داين : (بهزء) الجمال ! ما أخف عقلك ! وأية جميلة تعشقك ؟

تشانس : حقاً إنك لا تعرف قدرى يا ابن العم . ألم تسمع بقصائدى التى يتغنى الناس بها فى جميع
المنتديات ؟ إن بعض الفاتنات الجميلات شهدن لى منذ شهر بأننى فقت مشاهير الشعراء .

داين : (يضحك) إنك واهم . .

تشانس : أراك تتهم ، ذلك لأنك لم تتعلم الشعر ، وإذا سمعته ، فكيف يتأتى لك أن تصل إلى

المعنى الذى يرمى إليه الشاعر ؟ وإن وصلت إلى قشور المعانى ، فهناك بون شاسع بين

ما تفهمه أنت وما نتشبع به نحن الشعراء .

داين : شعراء ! (يضحك) إنك لشديد التمسك بالفن .

تشانديس : لتترك الشعر لمن يفقه معناه ، وما قولك في فن التصوير ؟ ألسنت الآن من أمهر المصورين ؟ والموسيقى ؟ ألم أبلغ في الموسيقى منزلة لم يبلغها إنسان ؟ صرح بأفكارك ! تكلم !
داين : (بتهمك) أهنتك بهذا النبوغ . وأسأل الله ألا يجعل شعرك وألحانك وتصويرك سبباً في سقوط هذه الفنون الجميلة .

تشانديس : الفنون الجميلة ! (ببله) ما أحسن هذا الوصف ، وما أقدرك على حسن التعبير ! إنك تنجح ، إذا علمتلك الشعر يا عزيزي .

داين : كفى ، يا معتوه . أحسب أنك الآن محاط بلقيف من خفيفات العقول اللواتي يحسبن كل كلمة تقولها منزلة .

تشانديس : (بسرور) كل كلمة أقولها منزلة . بارك الله فيك يا عزيزي . لقد أنعشتني بهذا الوصف الجميل

داين : (بحدة وغضب) أترك السفسطة يا أحمق ، وأخبرني لماذا حضرت إلى هذا الفندق .
تشانديس : حضرت صباح اليوم لأرى مناظر الطبيعة حول ضعايف التو . ولقد شاهدت الغروب ونظمت فيه قصيدة ، يا لها من قصيدة ترقص الطير لها في كبد السماء ! أتحب أن أسمعك إياها ! (يحاول القراءة) اسمع يا لورد .

داين : ما أنحس هذه الليلة ، وما ألن هذه المصادفة !

تشانديس : (يطوى الورقة بنضب) إنك شديد التمسك بخرافاتك يا عزيزي داين . ولئن سألتني بعد ذلك أوتوسات إلى أن أسمعك شيئاً فسأرفض بتاتا ضارباً بتوسلاتك عرض الحائط ! أفهمت الآن يا لورد ؟

داين : لا بأس عليك (يضحك) .. أنا أعرف أنك عند نفسك نابغة في كل شيء ..

تشانديس : ولماذا تهينني ، وأنت تعلم أن نبوغى هذا هو الذى جعلنى كثير الكلام ؟

داين : هون عليك .

تشانديس : (بسرور) شكراً لك إني أحبك وأحترمك ، يا لورد .

داين : دعنا من هذا ، وأخبرني متى حضرت من لندن .

تشانديس: أمس ، في القطار الأخير — وقد صهرت بكاسل تروز .

داين : حسنًا ، أنعلم ماذا حدث لي ليلة أمس ؟

تشانديس: لا أعلم شيئًا .

داين : (بغضب) دخل على خادمي وفرد ، وأخبرني أن امرأة تريد أن تراني .

تشانديس: امرأة ! إنك لا شك لم تقابلها . فالمرأة الشريفة لا تزور الأشراف في مخادعهم ليلا .

داين : بل قابلتها رغم ذلك . فإذا بها فاتمة خالصة المحاسن ، وهي فوق ذلك في مقتبل الشباب .

تشانديس: ساحك الله يا عزيزي . وماذا يقول الناس عنك إذا ظهر الأمر ؟ إن خادك وفرد . .

داين : (يقاطعه) لا . إنني أثق بخادمي .

تشانديس: هذا صحيح . وماذا كانت ترجو هذه الحسنة من مقابلتك على إنفراد ؟

داين : حالمًا أبصرتني تقهقرت مذعورة . وعندما قمت لأقدم لها مقعداً تستريح عليه ، جعلت

ترسل إلى أشعة محرقة من نظرها المتلهب وكأن وجهها قد غيرته المفاجأة . فبينما هي عندهم

اللون ، إذ بالصفرة تضرب على وجهها نقاباً تنكشف للون القنوب . ولما خرجت من الشك

إلى اليقين اضطربت اضطراباً هائلاً مريعاً ، ثم وضعت يديها على وجهها لتستر الحجل الذي

تولاه ، وهي تقول بصوت خافت ضعيف . أخطأت يا سيدي فأعف عني الجرائي ،

ودعني أنصرف . ثم تمتت قائلة : إنه ليس هو . وكأنها كانت تنتظر أمراً لها

بالإنصراف . بيد أنني عوضاً من أن أستسلم للدهشة ، فهمت أن لها أمراً خطيراً ، فدفعني

الفضول إلى الاستمرار ، عسى أن أقف على آلام تلك العذراء المسكينة . وأظنك لا تجهل

نوادير الفتيات التمهيدات الاوآتي يلعب بهن طيش الشباب .

تشانديس : مسكينة تلك المنكودة وهل كانت حكايتها مؤثرة ؟

داين : ومدهشة .

تشانديس : وأية صدفة عجيبة قادتها إليك ؟

داين : إسمع . سأتم لك الحديث . قلت لك إنها خجلت وأرادت الانصراف . غير أنني منعتها ،

مدفوعاً بعامل الشوق إلى معرفة مصابها ، عساي أن أجد سبيلاً لمزيد المساعدة إليها .

فامتقع لونها ونظرت إلى نظرة كاد يحمد لهولها الدم في عروقي ، وأنت أنين المسوع

قائلة ، والدمع يملأ محاجرها : إن شاباً سطا على طهارتها ولكنه أخفى عنها اسمه ،
و بعد أن وعدّها بالزواج أخاف وعده وجد في الحرب .

تشانديس : يا إله السماء ! إنه لدنيء سافل .

داين : نعم . دنيء سافل ، وستدهشك جداً معرفته .

تشانديس : معرفته ؟ أو أعرف أنا مثل هذا الوحش السفاك !

داين : لا تعجل . فهو صديقك الذي لا يفصل عنك طرفة عين ، وأكثر بلاغة من هذا الذي
يرافقك كفضلك فلا يفارئك حتى في مخدع نومك .

تشانديس : لا يفارقني حتى في مخدع نومي ؟ أظنك واهماً بالورد . إذ أنه ليس لي صديق له عندي
هذه الميزة .

داين : لقد خانتك ملكة الشعر هذه المرة يا أحق . (لنفسه) ليس لهذا المقتوه الذكاء
الكافي وآسفاه !

تشانديس : خانتني ملكة الشعر ؟ إن هذه ألغاز لأفهمها .

داين : لاتفهمها ؟ شيء عجيب !

تشانديس : يظهر أنني لم أعر كلماتك تمام الإصغاء . لذلك فانتني فهمها .

داين : مادمت ضعيف الذاكرة ، بليد الفكرة ، سأفصح لك عن الأمر بكلمات أجلي . .
إسمع : إن ذلك النذل السافل ترك عند الفتاة المسكينة منديلاً مطرزاً باسم عائلته .

تشانديس : ياله من أحق . ولكن ما الذي قادها إليك ؟ أبلغها أنك أحد القضاة فأنتيك
هالعة لتنتصر لها ؟

داين : لقد قادها إلى تشابه الاسم ، أفهمت ؟

تشانديس : أو كان هذا الوحش يدعى داين ؟

داين : خست أيها النذل ! (يقف) آرمتايدج يا جبان . اسم عائلتي الشريفة .
إنك أهنتها بدناءتك .

تشانديس : (بخوف) وهل قالت تلك المحتمالة أن السالب لشرفها هو أنا ؟

داين : أيجسر لسانك على الإنكار ، وقد وصفتك من قمة رأسك إلى أخمص قدمك ، ولم

تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقتها حقها في الوصف ؟ اعترف أيها الجبان . هل تريد
برهاناً أقوى من دموعها ؟

تشانديس : (يثب من مكانه) ماذا تقول ؟ أنا ! ووصفتني أيضاً !

داين : مكانك يا أحق ، ولا تزد على فظاعة الجرم دناءة الكذب . فأنا أعرفك كما أعرف
نفسى أيها القديس المتفكر .

تشانديس : (بحدة) إنك تهيننى ، يا لورد . ومن يدريك أن لهذا الموضوع شأنًا آخر ؟

داين : إن مثل هذه الحوادث لا تخلو من المبالغة . ولكنى أرى هذه الحادثة خالية من
المبالغات . (يقف) أنا داين آرمتايدج وريث أسرة آرمتايدج أتسكلم الآن بالإجابة
عن رأس هذه الأسرة : لورد أرل أستار منستر آمرك بما يأتى : يجب أن تجعل لهذه
الفتاة قدرًا شهريًا تتقاضاه منك . . من خز يملك الخاصة ، مادمت فى عالم الأحياء . .
بذلك وحده يمكن أن تصالح ماأفسدت ، فاشتري شرف عائلتك بالمال .

تشانديس : (يرتجف) ولكن .

داين : (بغضب) لا أريد أن أسمع شيئًا غير القبول .

تشانديس : هدىء من روعك ، يا لورد ، ولكن .

داين : (يضرب الأرض بقدمه) لا تتردد ، وإلا . .

تشانديس : وإلا ماذا ؟

داين : (يهجم عليه) وإلا قذفت بك من هذه النافذة . أجب : أتقبل أم ترفض ؟
لا بد من أحد الأمرين .

تشانديس : (بخضوع) قبلت .

داين : (مشيرًا بأصبعه إلى الباب) اخرج (يخرج تشانديس متثاقلاً) إلى الشيطان ! . .

(يسدل الستار)

الفصل الثاني المنظر الأول

(طريق النهر . نور ضئيل . باكورة الصباح)

تشانديس : (يدخل من طريق وروبرت رودن من الطريق المضاء) من الذى أرى ؟ رودن ؟ أنت هنا يا روبرت ، وفى مثل هذه الساعة ؟

روبرت : لورد تشانديس ارمتايدج فى برنستابل ؟

تشانديس : صدفة غريبة ، ماذا تفعل هنا يا روبرت ؟ ألم تزل من رجال الكنيسة ؟
روبرت : لقد تركت الهياكل من زمن بعيد .

تشانديس : إذن ، ماذا تصنع الآن ؟

روبرت : أصنع ؟ (باستغراب) حقا إنك لشاعرايها الصديق . هل تحتاج حالتى إلى ترجمان ؟

تشانديس : انى لم أقابلك منذ عهد طويل . لذلك لا أعلم عنك شيئا .

روبرت : وفيم كانت تهملك مقابلتى ، وجيوبك مفعمة بالذهب ؟

تشانديس : دعنا من هذا ، واشرح لى حالك الآن ، وماذا تصنع ؟

روبرت : قضيت زمنا طويلا أجوب النهار وأقطع الليل باحثا عما أسد به الرمق . وكثيرا ما كنت

أقضيهم على الطوى فأعود وقد أنهكتنى التعب إلى بيتى الحقيقير . (يتأوه) ، فأفترش

بساط التعاسة . ولما ضقت ذرعا بحالى ، وكبر على أن أحتمل هذا الشقاء ، رجوت

صديقا كنت أتوسم فيه الخير أن يمد لى يد المساعدة بأن يجد لى عملا أيّا كان .

تشانديس : وماذا قدم لك ذلك الصديق ؟

روبرت : أجهد نفسه حتى وجد لى وظيفة صغيرة .

تشانديس : وأى وظيفة وجد لك ؟

روبرت : معلم صبيان فى مكتب صغير هنا .

تشانديس : لا تقطع الأمل ، فربما كانت هذه المقابلة فاتحة السعادة .

روبرت : سعادة ! انك سليم الفية يا عزيزى ! ألا يمكن أن تجد لى عملا عندك ، وأنت واسع الثروة ؟
تشاندى : سأفكر فى موضوعك ؛ ومتى وجدت عملا يليق بك ، بعثت فى طلبك .
روبرت : أشكرك يا صديق . والآن هل تسمح أن تقرضنى قطعة ذهبية . وإنى أذكر أن لك
عندى قطعتين من عهد المدرسة . (يضحك) لست إخالك تعتذر عن إقراضى .
تشاندى : كفى . (يضع يده فى جيبه) تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ! إنى فى غاية الخجل يا روبرت !
روبرت : أيعتذر الغنى الكبير السيد تشاندى وريث أسرة ارميتايدج العظيمة عن إقراض
قطعة ذهبية ؟

تشاندى : إنها الصدفة ، يا روبرت . فليس معى الآن سوى تحويل كبير سأصرفه متى عدت
إلى مصرف رنستابل . وأقسم لك بشرى أن أمر بمنزلك فأعطيك أضعاف ما طلبت .
روبرت : إنى منتظر ، فلا تنسى يا صاحب التحويل . أنظر تحت تلك الربوة تجد بناء أبيض .
هذا هو المكتب . أما منزلى فلا يبعد عنه كثيراً .

تشاندى : فهمت أأنت ذاهب إلى المكتب الآن ؟
روبرت : نعم . وأرانى تأخرت قليلا . وأنت أيها السيد ماذا جاء بك إلى أرض غير أهلة
بالسكان ، وعهدى بك ميالا إلى الملاحى والظهور ؟

تشاندى : قمت من لندن إلى رنستابل ، وفارقتها بعد منتصف الليل قاصداً تلك الربوة الجميلة .
روبرت : من لندن إلى تلك الربوة (يضحك) حقاً إنك لدهش . إن من يسمعك الآن
يتصور أن هذه الربوة إحدى هياكل الرمان .

تشاندى : إنى أعشق المناظر الهادئة الجميلة .
روبرت : إن وقتى لا يسمح لى بأكثر من هذا . وأظننى تأخرت ، فإلى اللقاء . (يصاحفه)
لا تنس وعدك !

تشاندى : لا تخف سأوفيه ! (يصاحفه . يخرجان كل من طريق . الصباح يزداد نوراً . وتدخل
ليرا من الطريق الذى خرج منه تشاندى بالقبعة وعلى كتفها رداء أسود) .

ليرا : (لنفسها) كأن إله النوم يأتى أن يمس جفنى بأنامله اللطيفة ، وكأن سلطان الكرى
قد كبر عليه أن يرفق بضعفى . فأرقت طول ليلتى . وما سبب لى ذلك سوى وعده
لى . هاهو الصبح قد أنبلج . فهل هو موف وعده ، أم طافه النسيان . (تصمت ؟)

- تسمع وقع أقدام فتفرك يديها فرحا) ما أسعدنى ! لقد حضر !
- داين : (يدخل من الطريق الذى دخل منه آشاندس وخرج منه روبرت ويده قصبة الصيد
وسلة بها طعام)
صدفة جميلة ! أنت على علم بساعة وصولي ؟ .
- ليرا : لقد أوحى إلى أنك ستبكر . وها قد صدق الوحي .
- داين : ما أظهر قلبك !
- ليرا : (ببساطة) ما هذا الذى تحمله فى يدك ؟
- داين : إيجاسى . (ينزع الرداء عنها ويجلسان) هذه قصبة الصيد .
- ليرا : إنها جميلة .
- داين : وزادها جمالا أن مستها هذه اليد (يمسك يدها)
- ليرا : وكيف يتسنى لهذه القصبة أن تصيد ؟
- داين : (يتنهد) أنعمى النظر . هذه قصبة الصيد ، وهذه العلبة بها الطعام .
- ليرا : الطعام ؟ وما معنى هذه الكلمة الغريبة ؟
- داين : الغذاء الذى يوضع فى الخطاف الحديدى ليلتذله السمك .
- ليرا : وعلى ماذا تحتوى هذه السلة ؟
- داين : خوف اشتداد الجوع ، رأيت أن أحضر غداء خفيفا .
- ليرا : حسنا فعات ، يالورد .
- داين : دعينا من الأتواب الآن . وها أنا ذا سأبدأ بشرح الدرس . فهل أنت على استعداد ؟
- ليرا : إني كلّى آذان صاغية .
- داين : إن من كانت لها هاتان العينان الساحرتان ، وهذا الوجه الصبوح ، وهذه الوداعة
النادرة لجديرة بأن تمثل أورانيا لدى قدماء اليونان . وهاتور لدى قدماء المصريين !
- ليرا : ماهذه الأسماء الغريبة ؟ أهذه من درس الصيد أم فاتحة لدروسه ؟
- داين : (يتنهد) لا دخل لهذه الأسماء بصيد السمك ، لأنها من درس صيد القلوب !
- ليرا : (ببساطة) أليس صيد القلوب دروس ؟

- داين : نعم . وستدرسينها متى خُفِقَ هذا القلب (مشيراً بيسراه إلى فؤادها) .
- ليرا : إنى لا أفهم هذه اللغة .
- داين : ستفهمينها من تلقاء نفسك بدون معلم وبغير درس . إنما لسكل شيء أوان .
- ليرا : وكيف أتعلم درساً لم أتلقنه عن أستاذ ؟
- داين : إن الهوى أستاذ قوى الإرادة .
- ليرا : الهوى ؟ لم أفهم هذا أيضاً . إنى أنشق الهوى كل لحظة ، ومتى أردت .
- داين : هذا صحيح ، (بسرور) إنك تشقين الهواء . أما الهوى فشيء آخر (يقنهد) .
- ليرا : إنك أخرجت مركزى ، وجعلتني أعتقد أننى بليدة ، ضعيفة الفهم .
- داين : أن جهلك بهذه اللغة لا كبر برهان على أنك أشرف ملاك في هذا العالم . والآن سنبداً درس الصيد . ومتى توات دروسه . تعلمت من خلالها ما تشوقت إليه الآن .
- ليرا : لقد زدتنى شوقاً إلى الصيد .
- داين : (يمسك يدها وفيها القصبه) هكذا تبدئين الصيد . (يرمى الخيط) .
- ليرا : ولماذا تقذف بهذا الخيط ؟ وما هذه العقدة التى أراها فى وسطه ؟ (ترفع القصبه)
- إنى أرى فيها قطعة من الغاب الخفيف .
- داين : (يمسك العقدة بيمينه و يضغط بيسراه على معصمها) أعيربنى كل سمعك الآن حينما تجلسين استعداداً للصيد ، إبدئى بوضع الطعم فى هذا الخطاف على هذه الطريقة . (يضع الطعم) .
- ليرا : وما فائدة هذا الخطاف الحاد ؟
- داين : إن السمكة لجهلها تزدرد الخطاف الملبس بالطعم ظناً منها أنه قطعة غذاء واحدة .
- ليرا : مسكينة ، أنت ، أيتها السمكة !
- داين : فما تلبث تشعر بأن الذى ازدردته إنما هو قطعة من الحديد حادة الطرفين ، فتسرع فى إخراجها ولا تكن يستحيل عليها ذلك ، فتحاول الهرب غوراً فى الماء ، فيعوقها الخيط عن الهرب ، ويكون الخطاف بهذه الحركة قد تمسكن من أحشائها فزقها ثم فزق .
- ليرا : يا للفظاعة ! هذه هى الخطيئة بعيها . فما أقسى الإنسان !

- داين : هذا ما كنت أخشاه .
- ليرا : (بألم) إني لأأري سعادة في الصيد . . لقد بدأ يخيل لى أن هذا الوحش الذى يسمونه الإنسان إنما خلق ليكون هولاً و بلاءً على فصيلة الحيوان .
- داين : ولماذا ؟
- ليرا : ألم تقل إن فى الصيد تسلية وهواً ؟
- داين : ومن ينكر ذلك ؟
- ليرا : أنا . إذ كيف يخطر لقلب ، مهما كان شعوره ، أن يسر بهذا المنظر المريع ، (بخوف) بينما تكون السمكة المسكينة تذوب المأمن أحشائها التى تنقطع فى يد جلادها الخطاف ؟
- إنى ضعيفة القلب ، فلا تعجب منى ، لأن هذا فوق مستطاعى .
- داين : (يتنهد) حمداً لله ، لقد بدأت تتعلمين لغة القلوب (يمس قلبها) .
- ليرا : مازلت لا أفهم شيئاً من هذه الرموز .
- داين : ستفهمينها فيما بعد ، ولنعد إلى تنمة الدرس ، قلنا إنك تضعين الطعم أولاً ثم ترمين الخيط فى الماء ، فيتدلى لى منه ما بعد العقدة ، وتسبح العقدة على وجه الماء ، تروح وتجيء طوع إرادته . ما بالك تقنهدين ؟
- ليرا : (تضع يسراها على فؤادها) لا شىء ، إنى سعيدة جداً بحسن تعبيرك .
- داين : وأنا أكاد أطير فرحاً بهذه البشرى .
- ليرا : وبعد أن تطوف العقدة على وجه الماء ؟
- داين : لا تلبث أن تهتز كأن يداً مرتجفة تجتذب الخيط إلى جوف الماء ، وتتوالى هذه الحركة حتى تفوص العقدة دفعة واحدة ، إذ ذاك تسرعين باجتذاب الخيط ، وبنعشك أن تخرجى بيدك الخطاف من جوف السمكة .
- ليرا : (بدهشة) أنا ؟ إنى أعتقد أن هذه وحشية ، فكيف أقربها ؟
- داين : لقد أعدت على ذكرى ثيو . . . (يسكت فجأة) .
- ليرا : نعم . ثيو دوسيا . (تتنهد فيرتفع صدرها وتمسح العرق عن جبينها) .
- داين : يظهر أن جميع الفائنات ضعيفات القلوب ، رقيقات العواطف ، يعتقدن أن الصيد خطيئة .
- ليرا : ربما كان ذلك .

- داين : ولكنى أقول إن هؤلاء فقط هن طيبات القلوب . (يلقى القصة) ألا تشعرين بالجوع ؟
ليرا : أنا ؟ لا أظن أنى أحتاج إلى شىء مادمت معى .
- داين : شكراً لهذه العواطف . (يتناول السلة) لا بأس من تناول شىء خفيف . (يفتحها ويخرج لقيات بالخبز) . تنازلى بقبول هذه منى .
ليرا : (بحياء) شكراً بالورد .
- داين : دعينى من بالورد هذه الآن ، فإنى فى خلوة لذيذة تسمن من هذا اللقب . معى قليل من الشراب ، أسمحين بشىء منه ؟
ليرا : أنا لا أشرب غير الماء .
- داين : والخمر ؟
ليرا : يشربها أبى وجرفث ، أما أنا فما نعودتها قط .
- داين : إنها تحلو فى مثل هذه الساعة .
ليرا : ولكنى لا أحسبها .
- داين : ستحسبونها من يدى ، أترفضين ؟
ليرا : (بنجل) كلا ، ولو كان سما .
- داين : (يخرج زجاجة خمر وكأساً واحدة) عوفيت يا عزيزتى ، إنى أفتخر الآن بصدائقك ، وأكاد أحسد نفسى عليها . إنى أخجل أن أقدم لكى خمر ستار منستر فى مثل هذه الكأس الحفيرة . (يملأ ويناولها) .
- ليرا : (تشرب) إنها لذيذة جداً . (تناول الكأس) أنت فى هذه الكأس أيضاً ؟
داين : (يتنهد) كان يمكنى أن أحضر كأسين . غير أنى تعمدت إحضار كأس واحدة .
ليرا : ولم ذلك ؟
- داين : إن هذه الكأس قبل أن تمس شفتيك الجيأتين كانت لا تسارى شيئاً . أما الآن فهى تقدر بالملايين .
- ليرا : (تنحى وجهها استحياء) وكيف ذلك ؟
داين : أنرك الحكم لقلبك ، فهو أعدل شاهد وأصدق حكم .

ليرا : (تضع يدها على قلبها وتنظر إلى الأرض) لقد بدأت أفهم لغة القلوب . إنك مخلص ، يا سيدى اللورد ..

داين : (يشرب الكأس) شكراً لك يا إلهة الجلال . إنى لا أحب الألقاب فى مجلس أنس كهذا . ليرا : اسمح لى أن أسقيك كأساً بيدي . (يملأ الكأس) ها هى ذى . (يضع الكأس على شفتيها ويسراه تطوق عنقها) إشر بى ..

ليرا : (تأخذ قطرة صغيرة فتهتز) كفاى الآن ، فإنى لم أعودها .

داين : بالله عليك لا ترفضى . (يذنى الكأس من فمها) .

ليرا : (باستعطاف) يا سيدى ، (تمد يدها إلى الكأس) سأشرب .

داين : بيدي لا بيدك .

ليرا : (بنجمل) أمرك (تشرب) كفى إنى لا أستطيع أكثر من ذلك .

داين : (يلتصق بها) لأجل . آه لو تعلمين (واضعاً يده على خدها) .

ليرا : (بخضوع) بحقك لا تحملى مالا أطيق .

داين : (يشرب ما بقى فى الكأس) لا بأس . فمن الذى يستطيع أن يصل إلى ما وصلت إليه ؟ أرانى أسعد مخلوق الآن .

ليرا : إنك تتكلم بلسانى يا داين . ولكن بماذا أشعر ؟ (تتأفف) أشعر أن الهواء بدأ يتغير ، فأين معطنى ؟ (تقف ويقف اللورد) .

داين : ها هو يا ملاكى . (يمسك بالمعطف) .

ليرا : عفوا ، يا سيدى .

داين : بيدي يجب أن ترتديه .

ليرا : هذا فوق الواجب يا سيدى . وهل يتنازل اللورد بأن يضع الرداء بيده الكريمة على كتفى ؟

داين : اللورد فى القصور ، أما هنا فإنه عبد .

ليرا : إن مقامك عظيم (ترخى يدها لتسحب الرداء) إنك أجهدت نفسك وأخجلتني (وهو يحاول أن يلبسها إياه) .

داين : (يطوق عنقها بيديه من الخلف ويقبض بأنامله على شفتيها ويدنى منها من فم) آه
ما ألد الهوى ، وما أقسى الغرام ! (يقبلها قبلة حارة) .

ليرا : (تدفعه عنها باحتقار) إليك عني . (تقف كالصنم شاخصة إليه) .

داين : (بخضوع) عفوا ! معذرة ! ليرا ، ليرا ، مالك لا تجيبين ؟ (يدنو منها فتبتعد) إلى
أحبك . ما كان يجب أن أعترف لك بفراحي الآن ، وفي مثل هذه الساعة . ولكنه
الحب . لم أقو على ضبط نفسي . (يدنو فتبتعد) أتخافين مني ؟ إلى أفضل أن أموت
على أن أخيفك . آه لو تعلمين ! ليراعفوا . لقد أذنبت ، فاغفري . ليرا . الرحمة !
إنها نزغة الشيطان وطيش الشباب ، فعفوا أيها الهيكل اللطيف .

ليرا : (واجهة وصدرها يرتفع وهي تنكمش في معطفها) لا عفو . . ولا مغفرة . الوداع يا لورد !
(تنحنى) لا أمل في أن تراني بعد الآن . (تعدو مذعورة ، تخرج من الطريق التي
دخلت منها) .

(يسدل الستار لتغيير المنظر بأسرع ما يمكن)

المنظر الثاني

(غرفة بكوخ الطحونة ، وبها جرفث جالساً يطالع) .

ليرا : (تدخل وترتمي على مقعد) ما أنتس حظي ، ياليت أمي لم تلدى ! . آه .

جرفث : (يهرع إليها) ماذا أصابك يازهرة الربيع ؟ ويلاه ! بالله لا تخفى عني شيئاً .

ليرا : لاشيء ، بيد أني قطعت مسافة طويلة على القدم . ولما كنت لم أعود ذلك فقد أنهكتي التعب .

جرفث : إنك بكرت شوقاً إلى تعلم صيد السمك فأين تركت المعلم ؟ ولماذا لم يصحبك في العودة ؟

ليرا : (باضطراب) لقد ذهب .

جرفث : ولم الاضطراب ؟ أحدث مايزعجك ؟

ليرا : كلا لم يحدث شيء (تتنهد) لقد ذهب ولن يعود أبداً .

جرفث : لا بد أن يكون في الأمر شيء . فهل لحقتك منه إهانة ؟

ليرا : أتظنه ضيعاً حتى يقدم على إهانتى ؟

جرفث : قرأت في وجهه الشرف والأمانة . ذلك ما جعلني أسمح لك بالخلوة معه . ولكني لم أفكر في طيش الشباب . ليرا ! إبنتي ! إذا كانت قد بدرت لك بادرة سوء ، فبماذا يعتذر خادمك الشيخ إلى ضميره إذا لم يرد الإهانة إلى صاحبها ناراً محرقة ؟ ليرا (بشهامة) إني وإن كنت أدب على العصا ، فإني لازلت أمام عدوك شاباً قوى الساعدين . .

ليرا : هديء روعك . وأعلم أنه قضى آخر لحظة من وقته الثمين بكل أمانة وشرف .

جرفث : ولماذا انصرف على عجلى ؟

ليرا : خاف أن يتخلف عن موعد الباخرة .

جرفث : باخرة ! أيفارق لندن ؟

ليرا : (تتنهد) نعم ، إلى اليابان . وقد أرسل أمتعته أول أمس ، وسيلحق بها اليوم . (يسمعان صرخة شديدة من الخارج . تقف) إني أسمع استغاثة . أنصت . إنه يطلب المعونة .

جرفت : (بهرع إلى الباب) استريحى أنت ، وسأبى بداء المستغيث .

تشاندس : (يدخل متوكأ على الباب) آه ، أظن أن ساقى انكسرت .

جرفت : يحمله (إلى مقعد) دعنى أر .

تشاندس : لا تمسنى . فالألم شديد . آه .

ليرا : مسكين ! (بشفقة) اعن به يا جرفت .

تشاندس : شكرا لك يا سيدتى . (إلى جرفت) أرجوك ان تسعفى بجراح ماهر . آه !

جرفت : (يفحص الساق) الأمر بسيط لا يحتاج إلى الجراح الماهر . إن قدمك مصدوعة فقط .

تشاندس : قدمى ؟ (يتوجع) ساقى كلها يا رجل . إني أكاد أموت ألماً - وبلاه إني سقطت من هذه الربوة الشائخة .

جرفت : ومن قال لك أن تقف على ربوة رملية ينهار رملها تحت أقل ثقل ؟

تشاندس : من قال لى ؟ آه ، سل الذى خلق هذه المناظر الجميلة ، لتكون خلوة للشاعر .

جرفت : عفوا يا سيدى ، فالمقام لا يدعو إلى فلسفة . إنك تحتاج إلى عناية .

تشاندس : آه (لنفسه) . . كل الناس لا يفهمون . . أسعفى بربط ساقى . (يتوجع) أرجوك

جرفت : انتظر قليلا (يخرج) .

ليرا : هدى من روعك ، فستريح حالا . (لنفسها) مسكين .

جرفت : (يدخل ومعه أربطة من الشاش) . ها قد احضرت لك ما يلزم .

تشاندس : اسرع ، بالله عليك . . آه !

جرفت : (يبدأ بالربط وتعاوده ليرا) لا تخف . لا تتألم .

تشاندس : اواه لا تضغط . . كن رحيما . . آه بالله عليك .

ليرا : تجلد يا سيدى ، فسيزول الألم .

جرفت : انتهى .

تشاندس : آه انى فى غاية الألم .

ليرا : إنك رجل فيجب ان تتحمل الألم مهما كان .

تشاندس : (بفرام) إنك ملك هبط من جنات الخلد .

دون تشستر : (يدخل) ماذا أرى ؟ من هذا ؟ أين معلم الصيد ؟ (يقف مبهوراً)

ليرا : (تنهد) أتسأل عنه يا ابى ؟
تشستر : نعم أين هو ؟ ومن هذا الذى يتألم ؟
ليرا : رحل إلى اليابان - وهذا كان يستغيث فأغثناه .
تشستر : إلى اليابان ؟ حسنا . (بعد قليل) وهذا ، ماذا أصابه ؟
تشاندس : لقد كسرت ساقى ياسيدى . . آه !
تشستر : لعلك احسن حالا الآن .
تشاندس : نعم اشعر ببعض الراحة . (يتوجع) .
تشستر : (يجلس) من انت ! وما سبب هذا الحادث ؟
تشاندس : انا جوفرى پارل (يغير اسمه) ، مولع بالنظم والموسيقى والتصوير ، وولعى بهذه
الفنون الجميلة سبب لى ما حدث .
تشستر : وكيف اتفق ذلك ؟
تشاندس : شوقا لمراقبة شروق الغزالة ، وحباً فى نظم قطعة فنية ، حضرت من لندن ، وعلوت
ربوة رملية . وبينما انا ساج فى بحر الخيال . زلت قدمى ، وانهارت الرمال ،
فهويت . آه !
تشستر : (يضحك) إذن فانت تجيد النظم ، يامستر پارل .
تشاندس : نعم . والموسيقى والتصوير . آه !
تشستر : يظهر أنك بلغت غاية هذه الفنون
تشاندس : ألم تقرأ شيئاً من نظمى ؟ ألم تسمع مقطوعة من ألحانى ؟ (يتألم) ألم يقع نظرك على
صورة من رسمى ؟
تشستر : كلا . لم أر ، ولم أسمع .
تشاندس : آه لقد فاتك الحظ الأوفر . واسكنى ألتس لك العذر . ذلك لأنك فى عالم آخر
غير عالمنا .
تشستر : إني أحمد الله الذى أوصانى عن عالمكم (يقف) كن مستريحاً فإني لا أحب أن
أزيدك المأ .

تشانديس : أرجو سيدى أن يسمح للمس ليرا ، بالبقاء هنا لمساعدة هذا السيد (مشيراً إلى جرفث) .

تشتير : (يمشى إلى الباب) — (إلى ليرا) اتسمحين بالبقاء يا عزيزتى لتسليية ضيفنا غير المنتظم الحواس ؟

ليرا : ومتى تسمح لى ان افارقه ؟

تشتير : متى سئمت هذيانه . جرفث ! جهز الغرفة الشرقية وانقله إليها متى طلب الراحة (يخرج) .

ليرا : حسنا ، سأفعل .

تشانديس : شكراً لك ياسيدى ، وانت ياسيدتى .

جرفث : سأقوم بهذا يامولاي .

ليرا : (تجلس وتطالع فى كتاب) ياترى أين هو الآن ؟ (بصوت منخفض) وهل ذهب إلى غير عودة ؟ (يتوجع) .

تشانديس : (لنفسه) إنها تعال . (إلى جرفث) هل تسمح لى بشربة ماء !

جرفث : (يقوم . يخرج) .

تشانديس : (يلتفت إلى ليرا) سيدتى ، هل يؤمك وجودى ؟

ليرا : وكيف تتصور ذلك ؟ إنه ليسعدنى أن أراك بكامل صحتك وعقلك .

تشانديس : بكامل عقلى ؟ شكراً لك يا احسناء . إن جمالك أنسانى ما أنا فيه من الألم ، وهام بى إلى العالم السماوى ، ويروق لى أن أنظم الآن (يبحث عن مفكرته وقلمه) إنى فقدت مفكرتى .

ليرا : (تضحك) الحمد لله .

تشانديس : أتمحمدين الله على فقد مفكرتى ، وقد خسرت بفقدتها كل شىء ؟

ليرا : (بسخرية) إن وجود مفكرتك الآن يضاعف آلامك ، فخير لك أن تفقدتها .

تشانديس : إنك لاتحبين لى الخير ، فما سبب ذلك ؟

ليرا : إنك سابع فى بحر خيالك .

تشانديس : أتوهم كل شىء . (يتوجع) دعينا من هذا ، واخبرينى . هل تشعرين بوحشة فى هذا الكهف المنعزل ؟

جرفث : (يدخل بالماء ويسمع السؤال الأخير) تفضل يا حضرة الفيلسوف ، وسأجيبك انا على هذا السؤال .

تشانديس : (يرتجف) جوزيت خيراً . (يتأوه) .

جرفث : (يسترد الكأس ويحلس) كيف تشعر المس ليرا بوحشة ، وهى بين شيخين أوقفا البقية الباقية من حياتها على حراستها وحمايتها وبذلا قصارى جهدهما في دفع الأذى عنها ؟

تشانديس : نعم ، فهمت ، فاعف عني .

جرفث : لا بأس عليك . فما دعاك إلى هذا إلا ميلاك الشديد إلى حب الاستطلاع ، شأن الشاعر .

تشانديس : هذا صحيح ، وإني لتعجبني منك هذه الشهامة .

جرفث : هاهى مولاتى زهرة الربيع تقوم بحاجتك حتى أعود . (يخرج وفى يده الكأس) .

تشانديس : (لنفسه) زهرة الربيع ما أبهج هذا الاسم ! إنه لينطبق عليها تماماً (لليرا) لك

تشبهين عصفوراً فى قفص يازهرة الربيع باعتزلك العالم المتمدين والحياة الصحيحة .

(يتلفت خائفاً من جرفث) .

ليرا : (غارقة فى بحار الفكر) ياترى أين أنت الآن ؟ (غير ملتفتة إليه) .

تشانديس : أراك منشغلة عن كلامى ، وكأنك تسبحين فى عالم غير هذا العالم ، ياسيدتى

ليرا : أظن أن مخلوقاً يخلو من الهم ؟

تشانديس : أنا خال من كل هم وحياتى لا يشوبها كدر ولم أرف القلق (يتوجع) ولكن لا ،

إنك صديقة أيتها الحسناء . إني بدأت أشعر أن قابى يدق . فى الشرف أن أقدم نفسى

فداء لك إذا احتاج الأمر .

ليرا : شكراً ياسيدى . إني لا أحتاج إلى مساعدة إنسان . هل تحب أن تذهب إلى المخدع

الذى أعدده لك استريح ؟

تشانديس : (يتأوه) . وما الداعى للمجلة ، وسعادتى فى أن اكون معك ؟

ليرا : لم أفهم معنى ماترمى إليه .

تشانديس : انت ايتها الروح اللطيفة ، لم تخافى لتعيشى هنا ، بل حيث يتجلى ضوءك بين من .

يعرفون معنى النور .

ليرا : (تتأفف) كفى ياسيدى . (تقف) .

تشانديس : (يحاول الوقوف فمساعده إلى غرفته) إنك لأطهر ملك وقع عليه نظرى حتى الآن .
آه (يتوكأ على ذراعها) ليرا !

ليرا : شكراً . (تساعده حتى يخرج جان . ثم تعود فترتمى على المقعد) . آه ؟ ياإلهى إنه ذهب غاضباً . لم أكن أعرف قبل الآن مألهى . أواء ! إنه يحرق الفؤاد (تتوجع) .
مأقساك أيها الإنسان الظالم لنفسه . أيها الحبيب الذى لأعلم عن مستقره شيئاً .
ترى ، أين أجذك ؟ هل يزورك طيفى ، كما لا يفارقنى خيالك ؟ وهل لازلت على عهدى
أم ضربت صفحاً عن غرامى ؟ علمتنى كيف أندب سوء حظى ، وعلمت مقلتى انهمال
العبرات (تقف) دايين ! دايين ! وهل بقلبك الآن ذلك اللهب الذى يتأجج ناراً
فى جسدى ، أم تناسيت تلك التى تتعذب لبعذك ، وتذوب شوقاً إليك ؟ ياإله السماء !
ياأشد مأناً فيه ! يالهول مأقاسى من أحله ! (تضع يدها على جبينها) ثيودوسيا ،
أين الرحمة باربة الغنى والجاه ؟ أين الساحة والحلم ياأميرة قصر تودزيارته الملايين .
(تبكى) يقول إنك طيبة القلب ، محبة للخير ، ولوعة بالإحسان . فهل تسمحين لى
بمن أحب ؟ ألم تشفقى على زهرة كادت تلعب بها يد الفناء ؟ (تسكت قليلاً) .
كلالين يسكون ذلك أبداً . الأجلى ، أنا للفتاة الحقيرة التمسعة ، تترك من خلقت
من أجله ؟ انى أكون ظالمة بهذا الحكم . ومن الحسد أن أرفع نظرى إلى مقام كما الأسمى .
فما أنا إلا العوبة فى يد الدهر وأضحوكة فى فم التماسة . إني حقيرة وفقيرة ، فمن الجنون
أن أطلب المستحيل . إذن فلتطمئن ، أيها اللورد . وليتولك إله السماء . (تسقط
على الكرسي)

تشستر : (يدخل) ليرا ! ليرا ! إبنتى ماذا أصابك ؟

ليرا : (تقف مرتجفة) سلمت ياأبى . لاشيء . إني أحتاج إلى الراحة قليلاً .

تشستر : هاتى ذراعك ياإبنتى . (يأخذ ذراعها) .

ليرا : (تمشى متوكئة على ذراع أبيها حتى الباب . تخرج ويبقى تشستر) .

تشستر : فى حراسة الله (ينادى جرفث) جرفث ! (يدخل جرفث) هل أعددت لى الشاى ،
' وهل انتهى عمل المنزل ؟

جرفث : الشاى ينتظر أمركم . أما أعمال المنزل فلم تتم بعد .
تشستر : اذهب فاحضر لى الشاى ، واستمر فى عملك (يخرج . جرفث لنفسه) آه يا إلهى ،
مالى أرى المصائب لاتكاد تتركنى لحظة ، مأشد ألى ، وما أعظم خوفى . ماعساه
أن يسكون ! إنى لأ كاد أذكر لىفى حتى يقشعر جسمى بمجرد ذكراه . ويكاد الدم
يقف فى عروق .

جرفث : (يدخل باضطراب) المستر دجارفن ينتظر أمركم .
تشستر : (يقف مذعوراً) دجارفن . ماذا عساه يطلب منى ؟ ولم يزورنى فى مثل هذه الساعة ؟
(إلى جرفث) هل يحمل أوراقاً ؟
جرفث : نعم . إن حقيقته مفعمة بالأوراق .
تشستر : أيمكنك أن تنكر وجودى ، أو أن تعتذر عن عدم إمكانى مقابلته ؟
جرفث : أما إنكار وجودك ، يامولاي ، فمستحيل ؛ ذلك لأنك لم تعودنى الكذب . وأما
اختلاق سبباً للاعتذار فممكن .

تشستر : (بكبرياء) جرفث ! لاهذا ولا ذاك . دعه يدخل ، فقد قضيت ذلك العمر الطويل
ولم أجبن أمام أشد الحوادث خطورة .

جرفث : تجلد يامولاي (يخرج) .
تشستر : (لنفسه) دقت ساعة الحساب . يا إلهى ، أسألك المعونة .
دجارفن : (يدخل ويتبعه جرفث) عفواً يامستر تشستر ، ومعذرة لدخولى عليك فى مثل هذه
الساعة المتأخرة (رافعاً قبعته بشماله ومصاحفاً تشستر بيمينه) .
تشستر : (يصاحفه) أهلاً بك يا صديق دجارفن العزيز . هذا بيت صديقك ، فيمكنك
أن تلجئه متى شئت وبغير استئذان . تفضل . (يجلسان) .
دجارفن : أشكرك يا عزيزى تشستر .

تشستر : (إلى جرفث) اذهب إلى عملك ، يا جرفث (يخرج جرفث) هل من خدمة يا عزيزى ؟
دجارفن : نعم ، مادعائى لزيارتك الآن إلا وجوب دفع المال .
تشستر : (بدهشة) المال ! وأى مال تعنى يا عزيزى ؟
دجارفن : كان يجب أن تعلم أن ذلك سيقع يوماً فتستعد لمقاومته .
تشستر : لم يخطر ذلك ببالى .

دجارفن : أجل فهذا شأن السادة أمثالك . أما رجال العمل فهم دائماً على استعداد .

تشستر : وكيف ذلك ياسيدى ؟

دجارفن : إني أراك غير يقظ ياسيدى .

تشستر : لم أفهم بعد ما ترمى إليه . فأفصح لى عن المسألة .

دجارفن : منذ سبع سنين استندت مبلغ خمسمائة جنيه من ليفى الراى .

تشستر : هذا صحيح . وبعد ؟

دجارفن : لو كنت تحسب لمستقبل ابنتك حساباً ، لما اقترضت خمسمائة بنس من هذا الرجل .

تشستر : (بدهشة) إنى لم أكن أعلم عنه شيئاً . فماذا جرى ؟

دجارفن : لا تأسف ، فقد فات الأوان . أنت استندت المبلغ ولكن أتعلم كم دفعت فى فوائده ؟

إنك بلا شك تجهل ذلك . لا تندم فقد أصابك السهم . (يضحك) إنك دفعت ستين فى المائة على أدق حساب .

تشستر : إذن فهو يستبيح شرب الدماء .

دجارفن : وعلى الأخص دماء من لا يقرءون العواقب . ومع هذا فلينى لا يفكر أبداً فى الدين ،

لأنه يحدد العقد كلما جاء يوم الاستحقاق . وذلك لأنه يثق فى قدرتك على الدفع .

ولسوء الحظ لقد انتقل هذا السند إلى وفاء لدين كان لى عند ليفى .

تشستر : (بارتياح) إذا أنا مدين بالمال لك أنت الآن ، لالى صاحب الستين فى المائة ؟

دجارفن : نعم ، من قال لك إننى لا أطالبك بالأرباح ؟

تشستر : إذاً لا بأس من تأجيل الدفع ، فإنى قادر على دفع الربح .

دجارفن : يسؤنى جداً أنى مضطر إلى رفض طلبك لأنى فى شدة الحاجة الى المال حتى لا تتوقف

أعمالى . وفوق ذلك فإنى أريده حالا .

تشستر : مستر دجارفن ، تريده حالا ؟

دجارفن : نعم ، اذا قلت أريده ، فالمعنى أنى أريده الآن .

تشستر : وإذا كنت لأملكه الآن ؟ ما العمل إذا ؟

دجارفن : وما ذنبى أنا ، وقد دفعت قيمة السند نقداً ؟
تشستر : ثنى أنى لو كنت أملك المال لكفيتك مؤونة طلبه . ولو كان عندى مايساويه
ماتوقفت لحظة .

دجارفن : (ينظر فى الغرفة) يظهر أن مسألتى أذى للأسف من مسألتك ، لأنى أرى جميع
أناث هذا الكوخ وئمة لاني بنصف ماأطلب (يتلفت) الأناث قديم ولست أرى
فيه شيئاً له قيمة ، فهل عندك حلى يامستر تشستر ؟
تشستر : (بانزعاج) عندى حلى ؟ إذا أنت تريد أن تبيع أناثى وأمتعتى وتخرجنى
من بيتى ؟

دجارفن : المضطر يركب الصعب . أتحسب أنى أتخلى عن حقى ؟ إنك لابد أن يكون
لك أصدقاء .

تشستر : لا صديق لى وأسفاه ! ليس لى فى كل هذا العالم غير ابنتى . ابنتى الوحيدة المسكينة .
إنى لأظنك يامستر دجارفن تقسو لدرجة طردنا من عشنا الهادىء
المطمئن ، (يتأوه) .

دجارفن : إنى حزين لأجلك من كل قلبى .

تشستر : كان لى مال ولكنى ابتعت به أسهماً من شركة الترام الأجنبية ، مؤملا أن أربح
ما أسد منه دينى ، وهأنذا أترقب الفرصة .

دحافن : إن هذا المضحك . أتشتري بكل مالك أسهماً ، وانت لاتعلم عن هذه الشركة شيئاً ؟
إن أسهم هذه الشركة آخذة فى الهبوط السريع .

تشستر : نعم ، وأسفاه . فقد طالمت هذا النبأ فى صحيفة لندن ، ولكن ربما تكون قد صعدت
بعد ذلك .

دجارفن : إذن سأملك أسبوعين . وتأكد أنى لا أسمح لك بعدها بيوم واحد .

تشستر : إنى أشكر كريم عواطفك .

دجارفن : على هذا أتفقنا . ويلوح لى أنك قبلت . (يقف ويرفع قبعته) . إلى اللقاء . (ويخرج)

تشستر : (يقف فيشيعه إلى الباب . لنفسه) لقد دنا الأجل ، فلا قوة إلا بالله . إلهىء ، أين أجيد

المال ؟ آه ! كيف تكون حياتي إذا طردت من بيتي . مسكنية أنت يا أبنتي ، لقد جنيت عليك .

جرفث : (يدخل) خفض عليك ، يامولاي ، ولا تيأس .

تشستر : جرفث . إذا انقضت المدة التي أعارني إياها الزائر ولم أوف الدين ، طردت وابنتي من هذا البيت ، فواحسرتاه على خاتمتي ، ووا أسفاه على شيخوختي ! .

جرفث : لاتعجل بالحكم يامولاي . وكم أعطاك من الزمن ؟

تشستر : أسبوعين فقط . فإن لم أوف ديني ، أصبح هو المالك المتصرف في بيتي وما فيه (يبكي) يقف) ساعدني إلى مخدعي ، فإني أشعر بأنحطاط قواي ، وكأن زورة دجارفن لي كانت نذير الهلاك . (يتوكأ على ذراع جرفث)

جرفث : مولاي ، مالي أرى اليأس بالغاً منك غايته ؟ إني قطعت معك شوطاً كبيراً من عمرك المملوء بالمصاعب ، فلم أكن أشعر باهتزازك أمام كوارث لاتعد هذه بجانبها شيئاً .

تشستر : لقد مات الأمل وقضى الأمر . فلا راحة إلا بالموت ، ولكن ليرا (يبكي) إني خلقت لأكون حزناً عليها . ليرا ! أعف عني يا أبنتي ، ولا تلمنيني . أمّلت لك السعادة ، فضاع أملی ، وحبط مسعای . أبنتي لم يكن هذا بخاطري ، ولكن هي مشيئة الله فتجلدي يا أبنتي ، وأعتصمي بالصبر ، وإسأل الله لي الرحمة . (الى جرفث) جرفث ! احتفظ بهذه الجوهرة ، انها كبدي ، فاسهر على حراستها . (يسقط مفشياً عليه) .

جرفث : (ينظر إلى السماء) . رحمتك ، يا إله السماء .

« يسدل الستار »

الفصل الثالث

غرفة الكوخ السابقة . . تشستر يجلس بادی المرض على كرسي كبير ، وجرفت بجواره (

تشستر : اليوم موعد الجريدة يا جرفت . . فهل ذهبت ليرا لاستحضارها ؟

جرفت : نعم ، ذهبت . هل أحضر لك كأس الدواء ؟

تشستر : لا . أنتظر حتى تحضر ليرا .

ليرا : (تدخل ومعها الجريدة) أبت ، (تطوقه بذراعيها) كيف أنت الآن ؟

تشستر : أحمد الله يا حبيبتي (يقبلها) .

ليرا : ها هي الجريدة ، يا أبتاه .

تشستر : (يتناول الجريدة بلهفة ويقرأ) .

جرفت : (يقوم) إني ذاهب لتجهيز الطعام (يخرج) .

تشستر : (يصرخ فتنزع الجريدة من يده ، ويرتمي على المقعد) . ويلاه ضاع الأمل

(يتحشرج صدره) :

ليرا : (تستغيث وتقف كالجنونة) المعونة . آه ، يا أبت . ماذا أصابك ؟ (تركم) . . ماذا

دهاك ؟ (تبكي) إلهي ! (تجري إلى الباب) جرفت ! جرفت !

تشاندس : (يدخل وهو لا يحسن المشي وينحني على تشستر .) لا تخافي يا مس ليرا . لا تضطربي

الأمر بسيط . على بقليل من الماء (تخرج ، لنفسه) السر في هذه الجريدة (يدفعها برجله

تحت المقعد) .

ليرا : (تدخل ومعها الماء) ها هو الماء يا مستر بارل (باضطراب) ماذا دهاه ؟ (تنحني على

أبيها) هل أختبرت نبضه ؟

تشاندس : آه ، رحماك يا أبي .

جرفت : (يدخل منزعاً) مولاي ! ماذا جرى يا مستر بارل ؟ ويلاه (ينحني على سيده) .

تشاندس : لا شيء هدىء من روعك . إنه في إغماء وسيبقى بعد قليل .

جرفت : (يضع أذنه على قلبه) مولاي ! مولاي ! (يبكي) .

تشستر: (يتحرك) آه ! بماذا أشعر ؟

ليرا : (بفرح إلى جرفث) إنه يتكلم (تقبل أباها) وافرحتاه !

تشستر : (يمد ذراعيه لابنته ويتأوه) آه ، ابنتى المسكينة .

ليرا : ماذا أصابك يا أبت . ماذا جرى ؟

تشستر : آه يا ليرا . لقد قضى الأمر . (إلى تشاندس) أشكرك ياسيدى لحسن عنايتك .

تشاندس : عافاك الله ياسيدى . لا شكر على واجب . (إلى جرفث) يجب أن تنقله إلى مخدعه

ولتسرع باستدعاء الطبيب (يحمله جرفث وتساهده ليلا ويخرجان) إلى لاحق بكما

متى أصلحت رباط ساقى (لنفسه) يجب أن أعرف سر هذه الجريدة . (يأخذ الجريدة

بتلف) ها هو السر . (يقرأ) شركة ترام بانجويلا ليمتد . إن . . إن أسهم هذه الشركة

سقطت إلى الصفر . (يقطع الجزء المكتوب ويخفيه فى ملابسه) . الآن ظفرت بليرا . .

فيجب أن أقوم بتمثيل دورى بمهارة (ينادى) جرفث . جرفث (يدخل جرفث) .

جرفث : (بألم) لايزال فى إغفاء شديد .

تشاندس : إذاً ، أسرع باستحضار أقرب طبيب . (يخرج جرفث مسرعاً)

تشاندس : (لنفسه) يجب أن أفاجئها بالخطر الذى يتهدد أباها ، وأفهمها أنى الوحيد الذى يستطيع

دفع هذا الخطر عنها وعن أبيها ، وأعدها بدفع الدين إلى دجارفن يوم الأجل

المضروب . وإذاك أكشف لها عن رغبتى فى الاقترن بها . نعم . إنه من السهل جداً

على فتاة مهدة كثيراً أن تقبلنى زوجاً لها متى رأت أنى أفنديت شرف أبيها بالمال

(يجلس) مأسعد حظى ! هذا ما كنت أمنى نفسى به ! سأدفع مبلغ الخمسمائة جنيه لقضاء

لباتنى من هذه الغادة الهيفاء ، ثم أطلق ساقى للريح ، فأذهب حيث لا تعلم عنى شيئاً .

جرفث : (يدخل) لقد حضر الطبيب ، وهو يعود مولائى الآن . فهل لك أن ترافقه يا مستر بارل .

تشاندس : حسناً ، هيا بنا . (يخرجان) .

ليرا : (تدخل) لماذا منعنى المستر بارل من حضور ما يقرره الطبيب ؟ بل لماذا سألتنى أن

أنتظره فى ردهة الاستقبال ؟ إلهى ، ما غرضه ، ولم أعود الانفراد به ؟ (تجلس) إلى

أقرأ فى وجهه الميل إلى ، وأشعر من نفسى النفور منه . يخيل لى أن هذا الشيطان

إنما يضمر لى الشر . ولكنى مع هذا سأنتظره لأعلم منه سر هذه المقابلة .

تشانديس . (يدخل) عفواً يامس ليلا ، فإنني سألتك الخلوة بضع دقائق لأمر ذي بلل .

ليلا . (بلهفة) ماذا قال الطبيب عن أبي ؟

تشانديس . إطمئنني ياسيدي فلم يذكر عنه إلا كل خير ، غير أنه يحتاج إلى مرض لا يفارق فراشه ، لذلك كلفت جرثومة بهذه المهمة .

ليلا . (لنفسها) لقد صدق ظني ، ها أنا ذا طوع إشارتك .

تشانديس . أعيرني سمعك ياسيدي ، أتعلمين ما قاله لي الطبيب عنك ؟

ليلا . عني أنا ؟

تشانديس . نعم ، إنه عندما رآك أشفق عليك من السهر والاهتمام بأمر المريض ، وقال إنك تنهكين قواك ، إذا واصلت السهر .

ليلا . (بأسف) المريض ! أنسيت أنه أبي ؟ إني ممثلة قوة وشباباً ، فما معنى ذلك ؟

تشانديس . إن مرض أبيك لا يعد شيئاً أمام هول المصيبة .

ليلا . المصيبة ، وأية مصيبة تعني ؟

تشانديس . إنه سر كان يجب أن أكتمه عنك .

ليلا . أراني أقوى على احتمال أشد المصائب ، فلا تأخذك الشفقة بي .

تشانديس . إنها عثرة لسان يامس ليلا ، وما كنت أود أن أبوح لك بشيء .

ليلا . ليم ياسيدي ؟ إنني أبلته وليس له في الدنيا سوى .

تشانديس . إني سمعت بعض الحديث بالصدفة .

ليلا . (بتوجع) وما هو هذا الحديث ؟ لا تتردد بالله عليك .

تشانديس . كلا ، لا أجسر أن أبوح لك بشيء .

ليلا . رحماك !

تشانديس . هوني عليك يا ليلا ، وأجلسي بجانبني كي أشرح لك الموضوع .

ليلا . (تجلس) عجل .

تشانديس . إنها مسألة مالية ، فهدئي من روعك . (يجلس) . لقد اكتشفت من محادثة طويلة

دارت بين أبيك ورجل مالي أن أباك اقترض مبلغاً كبيراً منذ سبع سنين ، وكأنه نسي

الدين لطول عهده .

ليرا : دين ! (باندهاش) أأبى يستدين ؟ إني لا أظنه فقيراً .
تشانديس : لم أكن أعلم عن أسرار أبيك شيئاً ، وكنت أظنه واسع الثروة ، لذلك أخذتني
الدهشة عندما رأيته يبكي أمام المرآة .
ليرا : أبى ! (باندهاش)

تشانديس : والذي ضاعف دهشتي أن المبلغ زهيد جداً وهو خمسمائة جنيه فقط .
ليرا : (بذهول) خمسمائة جنيه . إني لا أصدق ذلك . فأبى غني .
تشانديس : (بضحك) غني ؟ وما الذي أخره عن الدفع ؟
ليرا : (تبكي) وارحمته !
تشانديس : لا تعجبي من هذا . لم يكن أبوك أول غني زالت عنه ثروته .
ليرا : هل ما تقوله صحيح ؟

تشانديس : نعم . إن الضربة لشديدة . وإنه ليدي فؤادي أن يطرد هذا الشيخ الجليل من بيته .
ليرا : (نصرخ) إلهي هذا فوق ما أحتمل . (تسقط) .
تشانديس : (يحملها بين ذراعيه ويجلسها) ليرا ! ليرا ! الخطب جال ، والمصيبة عظيمة . ولكن
أجيلي نظرك فيما حولك ، عساك تجدين صديقاً ينقذك .
ليرا : آه ، إني عديمة الأصدقاء (تفكر) ولكن لا . ويلاه إنه بعيد (تبكي) بعيد جداً
حيث لا أعلم عن مستقره شيئاً .

تشانديس : بصوت خافت (لنفسه) ويلاه ، ألهما صديق ؟
ليرا : (تفكر) لا تفكر فيما أهدى به . آه . وآأسفاه !
تشانديس : وهل نسيت أن لك صديقاً يتمنى لك أية خدمة ؟
ليرا : (تقف) أين هو ؟

تشانديس : تفرسي في مليا . ألا يمكن أن تسمعي بمصادقتي ؟ صري تجديني عبداً .
ليرا : وهل تتنازل بمصادقتنا ، وقد علمت أننا فقراء ؟ (تتهند) .
تشانديس : وهل هذا يحتاج إلى شك ، أيتها العذراء الشريفة ؟ أنعتقدين أن الفقر عار ؟ ضعي
يمينك فوق صدري تعلمي لمن يخفق الآن .

ليرا : (باستغراب) أنحن في موقف غرام ؟
تشانديس : (بخداع) إنه الحب . ليرا . إني أعبد هذا الحما النضر . أتشكّين في حبي ؟ أغيرني
سمعتك ، واستحضري الرحمة من أعماق قلبك الطاهر ، يتجلّى لك صدقي . ليرا ! إن كلمة
واحدة منك تنقذ أباك .

ليرا : أأنت تدفع الدين عن أبي ، إذا قبلت حبك وصادقتك ؟ (تنهد) .
تشانديس : هذا ما لا ريب فيه .

ليرا : ولماذا تحتمل بلاء وقع على غيرك ؟
تشانديس : إنه الحب الذي يدفعني إلى ذلك . هل تشكين في حبي ، يامس ليرا ، وأنا
انتفض وجداً بين يديك الآن ؟ (بخداع) ليرا . . . تصوري أباك وما هو فيه ،
واذكرى مصيره بعد أيام . وقارني بين عزّك اليوم وتعاستك غداً وثقي أنني أدفع عنك
الكارثة فاستحق على ذلك الحب منك .
ليرا : لم أفهم مرادك من الحب .

تشانديس : لم تفهمي مرادى ؟ أن هذا العجيب . أقدم نفسي فداء لشرف أبيك ، ولا أستحق
منك كلمة شكر ؟

ليرا : أمراك مني أن أشكرك ؟
تشانديس : ذلك على الأقل .
ليرا : إذا كان هذا غرضك ، فإني أقدم لك عنى وعن أبي وافر الشكر اعترافاً لك بالجميل ،
وأقبل صداقتك .

تشانديس : إني أقبل منك هذا ، أيتها الفاتنة ، وأستزيدك رحمة لي وشفقة على .
ليرا : إذا أنت تريد أكثر من الشكر والصداقة ؟
تشانديس : نعم ، يا ليرا . أني أتمنى أن أقدم حياتي ومالي فداء لك وأبيك .
ليرا : إن شريف عواطفك تضطرنني أن أقبل أكثر مما ذكرت .
تشانديس : عديني أن تكوني زوجتي ، وأنا أنقذ أباك من خطر الدين (بتوسل) .
ليرا : (تهم ، وتسحب يدها من بين يديه) ذلك لن يكون ، أقام المأم قعد ؟ !
تشانديس : ليرا . . ماذا أسمع ؟ أترفضين يد من قدّم إليك ماله وحياته ، أيتها العذراء ؟

(يقف) أزيحي قليلا هذا الغطاء عن عينيك ، ينكشف لك عن هول المستقبل وسوء

المنقلب . وإذ ذاك تعلمين أننى إنما أردت بك خيرا . واحكمى بعد ذلك بما تشائين .

ليرا : (تقاطعه) كفى ، كفى .

تشاندىس : إن كلمة واحدة من فمك الطاهر تبعث رسول الرحمة إلى أبيك المسكين . ليرا . . .

إن السعادة بين شفتيك . تكلمى . مالى أرى جبينك يتصبب عرقاً ؟ ألحقتك منى أهانة ؟

ليرا : كلا (مرتجفة) .

تشاندىس : ليرا ! إنى أنتظر أحد أمرين ، القبول أو الرفض .

ليرا : (تنهد) يا إلهى ، إنك أخرجتنى . (تبكى) مستر بارل ، أنفذ أبى ، وأنا أقبل ماتريد

(وتسقط على المقعد واضعة يدها على جبينها) .

تشاندىس : (لنفسه) وأفرحتاه ! (إلى ليرا) إنى سأقوم حالا بوفاء الدين .

ليرا : شكراً لك . (يتأوه) .

تشاندىس : إنك الآن تحسنين إلىَّ وإلى أبيك . (يقترب منها) ما أوفاك فى عيني الآن !

ليرا : (تبعده بلطف) تمهل . هكذا أرادت مشيئة الله . إبقى هنا حتى أخطر أبى وجرفث

بذلك ، وما إخالهما يرفضان .

تشاندىس : (برعب) لا تفعلى هذا يا ليرا ، إذ يجب أن نخفى ذلك عنهما .

ليرا : (بتعجب) لا أفعل ؟ . أيجب أن أخفى ذلك ؟ (بدهشة) إنه من الشهامة إعلان الزواج

فهل هنا لك سر ؟

تشاندىس : (بحبث) نعم ، أعيرنى سمعك . إن ثروتى العظيمة تحت إشراف أحد أفراد أسرتى .

وإذا أعلن زواجى هذا الآن كان سبباً فى ضياع تلك الثروة الكبيرة ؛ ونحن فى حاجة

إلى المال ، لأنك كما تعلمين فقيره .

ليرا : (بذهول) زواجى يقضى على ثروتك بالضياع ؟

تشاندىس : ليس زواجك فقط ، بل كل زواج بغير شرط الوصية .

ليرا : أنشترط الوصية زواجا خاصاً ؟

تشاندىس : بلى ، ولكن إلى أجل محدود ينصرم بعد سنة . وحينئذ أكون حراً مطلقاً التصرف

لسيرا : إذا نؤجل زواجنا حتى تحصل على ثروتك .

تشانديس : (بخوف) والدين ؟ . أنسيت أن أجله قد حل ؟

لسيرا : ولم لا تقوم بالسداد ويكفيك منى العهد ؟

تشانديس : ومن يضمن لى ذلك ، والعدارى قلوبهن هواء ؟

لسيرا : كأنك تظن فى أمانتى .

تشانديس : (بغضب) إذا أنت ترفضين ، والرفض يفضى بأبيك إلى الهلاك . فهل تختارين له

التماسة والشقاء ؟ . أنت لا تعلمين الخطر المحدق بكم . إنكم بعد ثلاثة أيام ستطردون

جميعاً من هذا الكوخ والمزرعة و يسلب منكم قهراً جميع ما تملكون .

لسيرا : (تبكى) آه يا آلهى وارحمناه !

تشانديس : لا تجزعى يا ليرا ، فقد وفق الله لك منقذاً يحبك من كل قلبه .

لسيرا : ليسكن ما أراه الله .

جرفث : (يدخل) لقد طال انفرادكما ، فهل لذلك من سبب ؟

لسيرا : (باضطراب) وأبى ، كيف هو الآن ؟

جرفث : (بامتعاض) أبوك ! أظن أنه لم يعد يهتمك أمره . وإلا لما تأخرت عنه وهو يناديك فى

غيموبته ، فلا يجاوبه غير صدى صوته (إلى تشانديس) أبهذا تدعوك المرأة يا مستر بارل ؟

لسيرا : (برجفة) يدعونى أبى فلا يجذنى ؟ (تجرى إلى الباب وتخرج) .

جرفث : فميم كئنا تتباحثان ؟

تشانديس : كئنا نتكلم فى أمر العناية بالمريض .

جرفث : (بسخرية) المريض بين يدى رحمة الله ، وهو فى حاجة إلى الدواء ، وسأذهب لاستحضاره

من پترال . فكن حارس المنزل حتى أعود .

تشانديس : أأنت فى حاجة إلى مساعدة مالية ؟

جرفث : (بازدرأ) ومن قال لك إننا فقراء ؟ (يخرج مسرعاً) .

تشانديس : (لنفسه) لقد تم مرادى ، وحالفنى التوفيق ، بأن صرفت التحويل . سأشتري تلك

الغادة بمبلغ خمسمائة دينار . وإنه بلا شك ثمن بخس . إنى نسيت الكاهن . وأين

أجد كاهناً يقبل أن يعقد لي عليها؟ وماذا يكون جوابي إذا علم أنني اختلسها؟
(حيرة) وإذا تم العقد ، فهل يتيسر لي الهرب؟ ولو علم دايون بذلك فكيف يكون
موقفي أمامه؟

جرفث : (يدخل) مستر بارل ، إني لم أكن أبتعد عن المنزل حتى اعترضني رجل . وسألني عنك .
تشانديس : (برجفة) عني أنا؟ وبماذا أجبتته؟ وهل ذكر لك اسمه؟
جرفث : نعم ، علمت أن اسمه روبرت رودن .
تشانديس : (مذهلة) روبرت رودن؟ وكيف علم هذا الرجل أنني هنا وبماذا أسألتني؟
جرفث : (بتعجب) بماذا أسماك؟ . وهل لك اسم غير دوجرفري بارل؟
تشانديس : كلا .

جرفث : إنه وصفك دون أن يسميك .
تشانديس : (باطمئنان) كيف وصفني؟ وما ملخص هذا الوصف؟
جرفث : سألتني عما إذا كنت من سكان هذه الناحية ، وعما إذا كنت أعرف العائلة التي
تسكن هذا الكوخ ، فأجبتته بقولي أنا من سكان هذا الكوخ . فعلى من تسأل؟ .
فأردف قائلاً : أسأل عن سيد بلغني أنه نزل ضيفاً على أهله . إثر حادث ألم بساقه
وأزديك أيضاً أنه شاعر وموسيقى فعلمت أنه يسأل عنك .

تشانديس : (باهتمام) وماذا كان جوابك؟
جرفث : قلت نعم ، إنه لا يزال عندنا . . أنجب أن تراه؟
تشانديس : لا بأس ، دعه يدخل . واذهب في لقضاء حاجتك .
جرفث : إني عهدتك شريفاً . لذلك سأذهب مطمئناً (يخرج) .
تشانديس : (لنفسه) ها قد حضر الشقي روبرت . فلا أستخلصه لنفسى . إنه شيطان رجيم . وهو
نعم الكاهن المطلوب .

روبرت : (يدخل) المذرة ، ياسيدي تشانديس (رافعا قبعته) إذا جاءت زيارتي على غير دعوة منك
تشانديس : أهلاً بك يا روبرت .

روبرت : لقد دعيتني إليك الحاجة الشديدة ، يا لورد .

تشانديس : وأنا لا أنكر الوفاء بوعدى .

- روبرت : لقد أوشك الدائنون أن يسدوا في وجهي جميع الطرقات .
- تشانديس : (يضحك) إنك داهية ، يا روبرت . أخبرني كيف علمت أنني هنا ؟
- روبرت : انتظرتك طويلا ، فلما لم تشرفني بزيارتك ، كما وعدت ، تنسمت أخبارك .
- تشانديس : حسنا ، لقد كنت أفكر فيك قبل دخولك عليّ ببضع دقائق ؟
- روبرت : (بدهشة) عسى أن يكون الأمر خيرا .
- تشانديس : رأيت أن أنفجحك بمبلغ كبير ليكون لك رأس مال يضمن لك حسن المستقبل .
- روبرت : (بدهشة) مبلغ كبير ! إنك بذلك تبرهن على مجد أجدادك .
- تشانديس : سأثدك خمسين ذهباً .
- روبرت : (بدهشة) خمسين ذهباً ؟ إني لا أكاد أصدق ذلك .
- تشانديس : إنها الصداقة تدفعني إلى مساعدتك ، يا عزيزي روبرت .
- روبرت : سأتمكن بهذا المال من القيام برحلة تعود عليّ بالثروة .
- تشانديس : وسفرك إلى بلادك ثانية هو جل مرغوبي .
- روبرت : (بدهشة) جل مرغوبك ! إن هذا للعجيب .
- تشانديس : إني أتمنى لك السعادة والخير من وراء ذلك السفر .
- روبرت : لقد عدنا إلى الفلسفة ، إذ يربني منك هذا العطاء .
- تشانديس : إنه يهمني أن يكون صديقي غنياً ، فأبعد عن رأسك سوء النية .
- روبرت : الآن صرت على تمام الثقة ، فهل يمكنك أن تدفع لي الآن شيئاً على الحساب ؟
- تشانديس : لاشك .
- روبرت : (بدهشة) إنك تعاملني اليوم معاملة ما كنت أتوقعها . ويغلب على ظني أنك ستطلب مني قضاء مهمة .
- تشانديس : لا تكن كثير الفضول ، يا روبرت ، فستصبح سعيداً .
- روبرت : إنك أسرّتي بلطف معاملتك . وستجدني طوعاً أمرك من الآن .
- تشانديس : (بدهاء) ولولا ثقتي بك ما اخترتك (يضع يده على كتفه) روبرت ! أتذكر عهد المدرسة ؟

روبرت : نعم .

تشانديس : استجمع ذاكرتك . واذكر السنة الأخيرة من دراستنا ، وأخبرني هل تتمثل أمام عينيك الرواية التي مثلناها في ذلك العهد ؟

روبرت : نعم وأتخيلها الآن . وكنت فيها تجيد تمثيل البارون أليس كذلك ؟

تشانديس : (يضحك) ونسيت أنت الدور الذي كنت قائماً بتمثيله ، وأحرزت فيه سبق على جميع الممثلين .

روبرت : (يضحك) نعم . القس .

تشانديس : منذ ذلك العهد شاهدت روايات عديدة . ولم أوفق لرؤية ممثل أجاد دور القس إجادتك إياه . لذلك أطلب منك تمثيل هذا الدور غداً في التاسعة صباحاً

روبرت : (بدهشة) غداً في التاسعة صباحاً ! .

تشانديس : نعم لتعقد زواجاً بين شاب وفتاة .

روبرت : لاشك أنك تمزح ، إذ كيف يكون العقد محترماً أمام القانون ؟

تشانديس : دعنا الآن من القانون ، وافترض أنك تمثل ذلك تمثيلاً . .

روبرت : الممثل غير مسؤول بالورد .

تشانديس : لك ذلك . . فأجبنى : هل تقوم بهذه المهمة فتستحق الذهب ، أو ترفضها فأضطر

لمساومة سواك ؟

روبرت : (باهتمام) وأين يكون العقد ؟

تشانديس : في كنيسة القديس مرقس القديمة .

روبرت : على الضفة اليمنى من نهر التو .

تشانديس : إذاً يجب أن تكون هناك قبل الساعة العاشرة من صبيحة الغد .

روبرت : ومن ها ؟

تشانديس : أما الشاب فهو أنا .

روبرت : (بدهشة) أنت نفسك ؟

تشانديس : نعم ، ألم أقل إنها العوبة ؟

روبرت : وهل هي راضية ، وتعلم سر الموضوع ؟
تشانديس : عليك أن تقوم بواجبك كقفس حقيقي . سلها أراضية هي أم لا ، وسوف يجيبك .
روبرت : (بانزعاج) إسمح لي أيها السيد أني أشعر بأن هناك سرّاً ، وأخشى أن يكون خطراً علىّ .

تشانديس : إطمئن ، فلا خطر عليك .

روبرت : ومن هذه الفتاة ؟

تشانديس : هذا ليس من شأنك :

روبرت : وهل سنكون وحدنا في الكنيسة ؟

تشانديس : خوفاً من افتتاح أمرك ، سأحضر معها فقط . فهل أنت على استعداد ؟

روبرت : تنقصني ملابس القس ، وسأستأجرها اليوم .

تشانديس : (يضع يده في جيبه ويخرجها بالذهب) خذ هذا على الحساب . يجب ألاّ تستريب بك الفتاة .

روبرت : كن مطمئناً (بعد الذهب) والباقي من الخمسين ؟

تشانديس : سأدفعه بعد تمام العقد .

روبرت : (يمد يده) إلى الملتقى .

تشانديس : (وهو يصاحفه) غيرت إسمي هنا ، فأصبح دجوفري بارل . (بصوت خافت) فإذا صادفك الخادم الشيخ وسألك فلا تنسى .

روبرت : فهمت دجوفري بارل (يخرج) .

تشانديس : (لنفسه) لقد تم كل شيء . وأصبحت ليرا لي ، ألهو بها ماشئت . فيالسعادتي !

جرفث : (يدخل ومعه الدواء) لقد أحضرت الدواء .

تشانديس : حسناً . أسرع إلى المريض . (يدخل جرفث إلى مخدع المريض)

تشانديس : سأمثل دوري الأخير ، متى حضرت ليرا .

ليرا : (تدخل متلقتة) يخيل إليّ أني كنت أسمع محادثة هنا . كانت تدور بينك وبين رجل آخر . . فهل أنا على يقين ؟

تشانديس : (باهتمام) هل وصل إلى سمعك منها شيء .
ليرا : كلا إني كنت منصرفاً بكليتي إلى العناية بأبي .
تشانديس : اسأل الله له تمام الشفاء .
ليرا : شكراً ، يامستر بارل .
تشانديس : لقد دعتني حوادث مهمة وظروف حرجية إلى المبادرة بإتمام عقد زواجنا قبل فوات الوقت

ليرا : إنك غريب الأطوار ياسيدي . ماهي تلك الدواعي المهمة ؟
تشانديس : هنالك سببان قويان ، أولهما أنه وردت الآن رسالة إلى أبيك من مستر دجارفن الدائن يطلب فيها وجوب وفاء الدين بعد غد ، وإلا أضطر إلى تنفيذ ما اتفقا عليه ورفقاً بحال أبيك ، سأخفي عنه ذلك .

ليرا : ويلاه ! (مرتجفة) أين هذه الرسالة ؟
تشانديس : هاهي معي لأبرهن لك بها على صداقتي وحسن نيتي (يهمم بإخراجها ليوهما أن ذلك حقيقي) .

ليرا : (بسذاجة) دعها إنك صادق . تكفيني منك الصراحة .
تشانديس : أما الثاني ، فقد حمل إلى الرسول الذي كان هنا الآن نبأ مزعجاً ، لا وهو أن عمتي البارونة في فراش النزاع ، وهي لاوريث لها وتسألني العودة حالاً لأستلم الوصية .
ليرا : (تنهد) إذا ستسافر حالاً ؟

تشانديس : يمكنني تأجيل السفر إلى ما بعد إتمام العقد غداً .
ليرا : ولم هذه السرعة ؟
تشانديس : لأدفع المبلغ مطمئناً هادئ البال .

ليرا : وماذا عليك لو دفعت المبلغ وسافرت ، وبعد عودتك يتم ما أردت ، وربما تمائل أبي للشفاء ، فيشترك معنا في هذا الزفاف ؟

تشانديس : كان بودي أن أقوم بجميع أوامرك . غير أنني أخشى تغيير رأيك .

ليرا : أتخشى أن أنقض عهدك ؟ أقسم لك بأبي وأمي . . .

تشانديس : لاداعي للقسم ، وخير البر عاجله .

- ليرا : آه ، ولكن
- تشانديس : لا تترددى وتشجعى .
- ليرا : أنشترينى بالمال ، يامستر بارل ؟ إني أعتبر هذا قسوة منك .
- تشانديس : كفى . ها أنا راحل عنك . آسف لرفضك يدى .
- ليرا : (تبكى) إرحم دموعى ، يامستر بارل ، أيسمح شرفك أن تترك هذا الذى وسعك فى منزله واعتنى بك أيام آلامك لكى يذهب ضحية المال ؟
- تشانديس : كفى أيتها العذراء . فإنقاذ أبيك يتوقف على كلمة منك .
- ليرا : آه ! أيتها القاسى ! لا تزال مصمماً . (تنهد)
- تشانديس : لن أتحول قيد شعره عن عزمى . وأقسم لك بشرى أنك إن لم تدعنى لأمرى ارتحلت عنكم حالا . إن كلمة واحدة ترف إليك السعادة .
- ليرا : أليس للرحمة سبيل إلى فؤادك ؟
- تشانديس : لا أمل فى استعطافى ، أيتها العذراء . واحد من اثنين إجابة أم رفض .
- ليرا : (بجنون) تمهل . انتظر يا صاحب المال . نج أبى ، وافعل ما شئت (تبكى) .
- تشانديس : (يعود عودة الظافر) إنك الآن تستحقين حبنى ، يامس ليلا . فهل أنت راضية عن زواجنا ؟
- ليرا : والمال ، أندفعه حالا متى قبلت ؟
- تشانديس : بلى ، وها أنا على قدم الاستعداد . فغداً صباحاً يعقد العقد ويدفع المال .
- ليرا : (برعب) ويلاه . غداً يتم هذا الزواج العجيب !
- تشانديس : فى كنيسة مرقس القديمة .
- ليرا : (بذهول) يا آله السماء ! (لنفسها) أأدس هيكلها المقدس ! آه . كيف أطرده خياله عنى . يا آلهى . (تسقط) .
- تشانديس : (يساعدها على النهوض) ماذا أصابك ؟ (لنفسه) بماذا كانت تتمم كأنها مأخوذة ! لابد أن يكون لها سرٌ سأكتشفه بعد . (إليها) انهضى يا ليلا .
- ليرا : (تفيق قليلا . وهى تهذى) زواج ؟ هيكل القديس مرقس ؟ كهف صباى ؟ لا ! لا !

تشانديس : ليرا ! عودي إلى رشدي :

ليرا : (تسمع جبينها) نعم . (تقف) أنقذني . وأعلم أن ليرا العذراء باعت نفسها لتفدي شرف أبيها .

تشانديس : مسكينة أنت ، يا ليرا . (يضع يده على كتفها) أعيريني سمعك ، سأذهب إلى برنستابل الآن لاستحضار المال . وأعود في الثامنة صباحاً إلى الكنيسة مصحوباً بالأب المحترم . فيجب أن نجدك . ولن يكون لنا رابع أفهمت ؟

ليرا : نعم ، فهمت .

تشانديس : وماذا أنت قائلة ؟

ليرا : (تنتحب) لاشيء . وإن لم يتيسر لك الحصول على المال ، فماذا يكون العمل ؟
تشانديس : التحويل معي ، فاطمئني جداً . إلى الغد (يخرج) .

ليرا : (لنفسها) ما أشد ما أقاسى ! (تسقط على الكرسي) آه . أين أنت يا أماء ؟ إني أكاد أرى روحك الطاهرة تخلق بأجنحة رحمتها فوق غصن شبابي الذابل . أماء ، كيف تركيني فريسة هذا الوحش القاسي ، ينشب مخالب قسوته في هيكل أبتك المقدس ؟ أبت ، أين أنت لتذود عن أبتك ؟ لقد ضرب سوء طالعي حولك سورا من حديد . . (تقف) ويلاه بماذا أشعر ؟ ماذا أرى ؟ أني يقظة أنا أم في منام ؟ لورد داين ، أيها الحبيب ! أين رحلت عني شهامتك في وقت الحاجة إليها ؟ عفواً أيها الشريف ، إني مرغمة . ترى أين أجذك الآن قبل أن يفوت الوقت ؟ (تنهد) إلهي أنت وحدك القادر على الأخذ بناصري . فإليك أضرع وبك أستجير . إلهي أترضى أن يبيع نفسي كالسلعة ؟ أقدرت على العذاب ، وكتبت لي الشقاء ؟ أنا لم أقترف ذنباً أستحق عليه هذا الجزاء . فلم كتبت على التعاسة والشقاء ؟ (تبكي) إلى أي حمى غير حماك ألتجئ ؟ وبأي قدرة غير قدرتك أتوسل ؟ كنت أكل أمري إلى أبي وحببي ، بيد أن مشيئتك أفصتهما عني . (تبكي) إلهي إني أكاد أجن من هول هذه الضربات المتواليات . آه ، ماذا أرى ؟ (يحزن) وحقك يا ملك الموت (تركع) رفقا به ، رحمة بأبي . أتوسل إليك ، أتركه لي . (تبكي) . أيتها الروح الطاهرة ، أتوسل إليك بدموعي (تحديق بصرها وترتجف فاتحة ذراعيها)

أماه ! أماه ! يا من أرى سعادتي في قربها ، هل أنت راحلة كسابق عادتكَ ، أم اخترت
البقاء لحماية أبنيتك ؟ ويلاه ! إنها حانقة على . أماه رفقا بإبنيتك . لم أجن ذنباً ، إني
بريئة . مارضيت إلا كرها ، وماقبلت الأمر إلا مرغمة . اختفى عني من كان يستطيع
إنقاذي ، لو علم . أبي يحتضر ، المرابي لا يرحم ، الدين يجب أن يدفع بعد غد .
(تبهش بالبكاء) أماه ، إنقاذاً لشرف أبي قذفت بنفسي إلى الهاوية . نعم ، سأكون
بالكنيسة في الأجل المضروب . (تسقط على الأرض وهي تلفظ أ... ما... ه...
... إ... نى لاحقه... بك) .

(تسدل الستار على مهل أثناء نطق الجملة الأخيرة)

تم الفصل الثالث

الفصل الرابع

المنظر الأول

(طريق النهر)

(تدخل ليرا بملابس سوداء وعلى رأسها القبعة متأهبة للسفر)

ليرا : أخشى أن يفوتني القطار ، ومسز ايزلى فى انتظارى . لماذا لم يحضر جرفث ، وقد وعدنى ألا يتأخر ؟ (تتأمل) كفانى أيها الدهر ، أصبحت خيالا . (تبكى) مات أبى ، نعم قضى من كان يحيا من أجلى . أيتها السماء ، أمطرى قبره غيوث رحمتك ، ومرى ملائكة الرحمة أن تبارك جسده الطاهر . (تبكى) أيها الوالد الشهيد ، إن إبنتك قامت بالواجب عليها ، ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان . فلا تلغى ، واشفق على لقد قبلت بغير علم منك ، وذهبت معه إلى الهيكل بدون مشورتك . نعم هذا عقوق . إني لم أحترم أبوتك التى أقدمتها ، ولكنى كنت مرغمة . ولو علمت السبب لغفرت لى ذنبى . (تبكى) ترى أين ذهب ذلك الوحش المفترس ، إنه كان يحسبني أبيع شرف أبى . لذلك أبى أن يسلمنى المال الذى تعاهدنا عليه حين علم بموت أبى المسكين . إنه لنذل دنىء .

جرفث : (يدخل ومعه حقيبة السفر) ألا تزالين مصممة على السفر ؟

ليرا : نعم وأشعر أن فيه سعادتى .

جرفث : (يمسك يدها ويضع الحقيبة على الأرض) ليرا ، يحزننى جداً أن أراك تقذفين بنفسك بين أمواج عالم لم تتعود به من قبل . وكيف تظنين أن هناك السعادة ، وشيطان الشر كثير الجنود ؟ ليرا ، أنعمى النظر جيداً فى خادمك الأمين ، ولا يربك منه شعره الأبيض . هاهو لا يزال أمامك يشعر أن قوة شبابه تعاوده ، ويخيل إليه أن ما أصابه من البلاء بموت أبيك وضياع الكوخ . . .

ليرا : (تقاطعه) نعم لقد خسرتنا كل شئ . (تبكى) .

جرفث : (يستطرد) كل ذلك طرد عنى ضعف الشيخوخة ، وأرجع إلى شرخ الصبا وفتوة

الشباب ، حتى أراى الآن أنافس ابن العشرين جلدأ على العمل . فلماذا لاتتقين بقوة ساعدى ، وقد أوقفت حياتى على خدمتك منذ نعومة أظافرك يا ليرا ؟ أنسيت أن شخص أمك وروح أبيك يتمثلان الآن فى شخصى أنا ؟ فلم تطوحين بفض شبابك اليانع بين برائن ذلك الدهر القلب ؟ أما تخشين ماعساه يحبثه لك القدر ؟ إرجعى إلى صوابك ، يا أبنتى ، واختارى البقاء معى فى كوحننا الحقيق .

ليرا : فى كوحننا الحقيق ؟ هل أرجعه لنا دجارفن بعد أن سلبه منا أمس ؟

جرفث : لقد تنازل لى عن إيجار الغرفة التى كنت أأخذها مخدعأ لى .

ليرا : أما تعلم أن هذا التنازل فى نظير حر ستك أملاكه الجديدة ؟ (تبكى) .

جرفث : إن هذا يقطع كبدى . فهو نى عليك ، وأخبرينى علام عولت ، إذا . ألا تزالين على عزمك ؟

ليرا : هذا لاشك فيه . سأذهب حالا إلى برنستابل ، ومنها إلى لندن لأقابل صاحبة العنوان مسز ليزلى ، وإنى لأظنها ربة قصر تروز .

جرفث : نعم إنها رئيسة حاشية القصر ، وهى المكلفة من قبل الليدى بانتخاب الوصيفة .

ليرا : حسناً ، إنهم يريدون فتاة يتيمة (تبكى) تحسن القراءة ومن أسرة شريفة ، تعيش فى القصر لغير أجل محدود . وقد توفرت فى كل هذه الشروط ، وقما تتوفر فى سواى ، لذلك أراى مطمئنة لهذه الوظيفة الجديدة .

جرفث : إنك هكذا يا ليرا ، فعلى الطائر اليمون يا ابنتى العزيزة ، واذ كرى أنك تركت شيخأ أحنى ظهره الكبير ، وأضعف بصره الهرم ، حملك طفلة بين ذراعيه ، وكان يحنو عليك حنو الأم ، ويرضعك لبان الأدب ، حتى نشأت مثال الطهارة والعفة ، وساعده على ذلك أنك سليلة النبل والشرف (يبكى) . تذكرى هذا الهيكل القانى يا ليرا ، وإذا ما واثتلك لحظة يمكنك فيها أن تكتبى فلاتدعيها تمر عبثأ ، وإذا شعرت بوحشة فأسرعى بالعودة إلى لأفتح لك ذراعى وأضمك إلى قلب يتقطع لفراقك ، ولأستنفد آخر نقطة من دمى فى الذود عنك ، باذلاً قصارى ماوهبنى ربى من القوة فى حمايتك من غائلة الفاقة يا ليرا ، لازالت لدى القوة الكافية لكسب مايطرد عنا ألم الجوع ، فلم العجلة ؟ أما كان يجدر بك انتظارى حتى أوارى لحدى ؟ وما ذلك اليوم ببعيد ، إذ ذاك أموت قرير العين وأرقد هادىء البال .

ليرا : (تبكى) إنك تقطع أحشائي بتوسلاتك المرة ، ولكن فات الأوان ؛ إني فقدت كل شيء ، أصبحت لا أجد مخلوقاً يحنو على سواك ، ولما كانت راحتك غاية مناهى ، فقد آليت على نفسى الشقاء والعمل ، فابق أنت ، واعلم أنى أسعى ليعيش كلانا آمناً على نفسه من الفقر . جرفث ! هون عليك أمر فراقى ، وثق أنى لن أنساك ولن أنفاساك ، يامن أضعت زهرة حياتك فى الدفاع عن عفتى وشرفى ؛ إني أعترف لك بالفضل ، وأشكر لك حسن الصنيع ؛ ولما كنت آخر مخلوق له على حق التصرف ، وله وحده ميزة الرعاية ، فها أنا ذى لا أخطو خطوة واحدة إلا بأمر منك ، وإنى لازلت ربيبته المطيعة .

جرفث : (يبكى) إنى لا أحب أن أكون حائلاً بينك وبين السعادة ، فما دمت تشعرين بالهناء لسفرك هذا ، فإنى ألزم الصبر مرغماً ، وأوصيك خيراً بشخصك المحبوب وبشيخوختى الفانية .

ليرا : كن مطمئناً فإنى سأجعل طريق المراسلة مفتوحةً بيننا وإن أوصدها مادمت أنسم هواء الحياة ، وسأبعث لك بكل مرتبى الشهرى لتقتصده عندك ، حتى إذا اضطررتى الحياة أن أهجّر لندن عدت إليك فنعيش مابق لنا من العمر آمنين طوارىء الدهر .

جرفث : آه يا ليرا ، إنك طيبة القلب (يبكى) إلهى ! أقدرت لى أن أراها ثانية !
ليرا هدىء من روعك ، فالحياة كلها شقاء . وأخبرنى ، هل أصبت الشقى حين أطلقت النار عليه ؟

جرفث : أى شقى ؟ نعم ، تذكرت : دى جوفرى بارل المعتوه ، أليس كذلك ؟
ليرا : نعم ، هذا الوحش المفترس .

جرفث : كلا ، إنه نجا بأعجوبة ، ذلك لأنه توارى عن نظرى بين ملتف أغصان الغابة فأخطأته ، ولكنى أعدك أنه هالك من يدى متى وقع بصرى عليه ، وسأنتبع آثاره ولو تعلق بأهداب الرياح ، إنه جنى علينا جنابة ما أظننا نفتقر ؛ ذلك لأنه كان السبب فى موت أبيك ، لأن ذهابك معه إلى كنيسة القديس مرقس كان شؤماً على سيدى ، إذ ظن ما لا أحب أن أطلعك عليه .

ليرا : أبى ظن بى سوءاً (تبكى) .

جرفث : ومع هذا ، أخذت أبرهن له جهد مستطاعى ، فلم أفلاح . (يبكى) مسكين لقد قتله بارل باختطافك من يده وهو على فراش النزع . أنظرى ، ياأبنتى ، كيف مات أبوك وهو يتوسل إلى أن أنقذ عفتك من الضياع .

ليرا : أبى ! (بحزن) أشهد الله أنى طاهرة بريئة . نعم ، نم هادئاً ، وستعلم فى قبرك أن ابنتك دافعت عن نفسها أحسن دفاع . (تبكى) إنه غشنى وكفى . فاترك لله عقابه .

جرفث : إبنى حتى الآن لم أعلم شيئاً عن هذا السر الذى أخفيتنه عنى فهل لك أن تطلعينى عليه حتى يستريح ضميرى ؟

ليرا : آه ، يا جرفث . لست أستطيع ولسانى لا يجسر أن يفوه بكلمة . وكفانى تعذيباً . ولكن اطمئن فسأجعل اعترافى لك على لسان الرسائل . والآن أخاف أن يفوتنى القطار ، فاستودعك الله ؟

جرفث : رغم تبكيت ضميرى سأنتظر .

ليرا : وداعاً يا جرفث . وسترانى إن شاء الله بارة وفيه .

جرفث : (يضمها إلى صدره ويقبلها بحرارة) إلى الملتقى يا ليلا . تجلدى يا ابنتى . واعتقدى أن الله سيتكفل بحراستك بعينه التى لاتنام . فان تصل إليك يد الشر ، مههما كانت قوية . ليلا ! سأعود إلى غرفتى فأوحد على بابها ، وأمتنع عن رؤية العالم بأسره واضعاً أمام عيني الضعيفتين صورتك المحبوبة . ويخيل إلى أنى لن أرفع نظرى عنها إلا متى تناولت منك الكتاب الأول مبشراً بسلامة الوصول . فبالله عليك لا تركينى فريسة الانتظار ، واعلمى أنه لاسلوان لى ، أنا الشيخ الفانى ، سوى الرسائل .

ليرا : هون عليك ، ياوالدى المحبوب . واسمح لى أن أدعوك بوالدى منذ اليوم (تعانقه وتبكي) .

جرفث : بارك الله فيك ياأبنتى . (ينظر فى الساعة) لقد أذنت الساعة . فعلى الطائر الميمون . ليلا ! ها أنا ذا أضرع إلى الله أن يسمح لى برؤيتك قبل أن أموت .

ليرا : أستودعك الله . (تبكى) جرفث ! أسألك الصبر والجلد . (تعانقه بحرارة) إلى الملتقى
أيها الأمين (تخرج) .

جرفث : (لنفسه بذهول بينما يمسخ دموعه) إلى الملتقى يا من نزع الروح غنى بفراقك
(يبكى) إلهى لقد مات تشستر ، وسافرت ليلا ، وبقيت أنا ، فلم اخترت هذا ؟
ولم لم تترك الوالد لابنته ، حتى لاتضطرب الفتاة العذراء إلى ما اضطرت إليه الآن ؟
سبحانك . ويا إلهى ، كن معها أينما حلت ، وهىء لها الخير أنى توجهت ، وأبعد عنها
الأذى (يمشى . إلى الباب ببطء وتفكير) .
(يغير المنظر بعد أن تطفأ الأنوار بغاية السرعة)

المنظر الثاني

- (غرفة فاخرة بقصر كاستل ترؤز . بها مكتب وبيانو على الجانبين)
- (ليدي تيودوسيا هاينلت جالسة على مكتبها وأمامها أوراق تفحصها وأمام المكتب قسان : مارتن فاترو والفرد ، وعلى الجهة اليسرى امرأة في سن الأربعين ، مسز ليزلى)
- تيودوسيا : (تكتب ثم ترفع رأسها) ألم يتأخر أحد الأعضاء أمس ؟
- فانشو : كلا يا حضرة الليدي ، وقد قرأت لهم ورقة الاعتذار المقدمة منك .
- تيودوسيا : وهل وافقت قبولاً ؟ (تعاود الكتابة) .
- فانشو : نعم (يدخل دايـن أرمـتايدج)
- داين : (يحيي القسيس برأسه ويبتسم لتيودوسيا ويجلس بجانبها)
- فانشو : (ينظر إلى اللورد بامتعاض) متى شرف حضرة اللورد ؟
- داين : الآن .
- تيودوسيا : (ترفع رأسها فتري اللورد) دايـن ، أهلاً بك يا ابن العم ، نحن في اجتماع كما ترى ، وأنت سيد القصر فاختر لنفسك أى مكان تستحسن ريثما ينفـض الاجتماع .
- داين : حسناً (يظل جالساً ينظر إلى فانشو من طرف خفي)
- فانشو : يلوح لى أن سيدى اللورد يفضل أن يحضر الاجتماع .
- داين : (بسخرية) إن هذا يشجـبنى على عمل الخير .
- تيودوسيا : يا حبذا لو صح ذلك ! (تستطرد وهي تكتب) ستة وثلاثون ياردة من الفلانيل بحساب شلن وخمسة بنسات للياردة الواحدة (ترفع رأسها فتري دايـن)
- داين : أنا لا أظن أنى كنت كاتب حسابات .
- تيودوسيا : عفواً ، أنا لم أوجه إليك عملية الحساب .
- فانشو : (عابساً) جنـيهان وأحد عشر شلناً فقط .
- تيودوسيا : (تكتب) نعم ، جنـيهان وأحد عشر شلناً بالضبط ، وكم عدد الأعضاء ؟
- فانشو : (ينظر فى الأوراق) ثمانية وعشرون عضواً .
- تيودوسيا : وكان كل عضو يدفع قيمة اشتراك قدرها بنس فى الأسبوع ، فبعد كم من الزمن يدفع الثمن ؟

- داين : (بسخرية) بعد مائة سنة .
- فانشو : دع عنك المزاح يا لورد ، أنسيت أن اجتماعنا هذا لصالح الفقراء ؟ فلم التهمك ؟
- داين : دездеرة يا حضرة المحترم ، أنا لا أتهمك .
- فانشو : لا داعى للسخرية بنا يا حضرة اللورد .
- تيودوسيا : أتجهل أهمية هذا العمل يا عزيزى دايين ؟ إنا نجتهد فى تأليف قلوب جماعة من الموسرين لنحصل منهم على مبلغ من المال يكفى لشراء ملابس للفقراء تقيهم قسوة البرد .
- داين : أما أنا فإنى على استعداد لدفع هذا المبلغ فوراً ، ولا داعى لهذه المشاغل .
- تيودوسيا : ليس هذا هو الغرض ، إنما الغرض هو الاستمرار فى عمل الخير ، فلو لم تشكل جمعية تقوم بكل ما يطلب منها من المعونة دون إرهاق ، أعنى بدفع مبلغ زهيد فى كل أسبوع ، لاستحال على فرد واحد أن يقوم بأى عمل خيرى مستديم .
- داين : وإذا لم يتيسر جمع المبلغ من حضرات الأعضاء ، فلا شك أن العقاب سيقع على الفقراء المساكين .
- فانشو : (بغضب) إنى أستحسن أيتها الليدى المحترمة أن تؤجلى هذا الاجتماع إلى فرصة أخرى .
- داين : هل أزعجكم وجودى ؟
- فانشو : كلا يا لورد . فقد أضعنا من وقت حضرة الليدى زمناً طويلاً فى هذا العمل ، وهى الآن تحتاج إلى الخلوة والراحة . فلنؤجل هذا الاجتماع إلى ما بعد الغد إن أمكن ذلك . (يقف) .
- تيودوسيا : رأى موفق . (تقوم وتصافح القسين) إلى ما بعد غد .
- فانشو : إلى الملتقى يا حضرة اللورد . (بصافحه) .
- داين : (يمزح) أنحب أن أكون أحد الأعضاء فى الاجتماع القادم ؟
- فانشو : أنت السيد الأمر . (يخرج ورفيقه)
- تيودوسيا : (إجلس يادايين) لماذا لم تسألنى عن صحتى كما هى عادتك ؟
- داين : لأننى وجدتك مشغولة (يجلس) وأحببت ألا أصرفك عن المهم .

تيودوسيا : أو تحتقر عملنا هذا يا لورد ؟

داين : كلا يا عزيزتى . إنما أستسهل دفع المبلغ عن جمعه فى سنوات .

تيودوسيا : إن دفع هذا المبلغ وأضعافه صفقة واحدة لمن السهل جداً على فرد غنى ، ولكن من المستحيل أن يستمر ذلك .

داين : إبنى أنظر إلى هذا الموضوع من وجهة نظر تخصنى وحدى . ومعنى ذلك أنى أفضل دفع ألف شلن عن أن أشتغل بعمل كهذا نصف ساعة .

تيودوسيا : إنك مخطئ جداً يا لورد — وباليات المصور أبدعك فى القالب الذى أفرغت أنا فيه .

داين : أعوذ بالله (يضحك) أصبح عاشقا للمحابر والأوراق ؟

تيودوسيا : وهل فى هذا عار عليك ؟

داين : كلا . ولكنى أميل إلى الهدوء والسكينة .

تيودوسيا : دعنا من هذا ، وأشرح لى أين كانت سياحتك . وهل ، كنت تشعر فيها بالسعادة ؟

داين : نعم كنت فى سعادة وهناء ، غير أنى لم أكن أعلم شيئاً عن استار منستر ، ولا كاستل تروز . ذلك لأنه يندر أن تمس يدى صحيفة . ولاتنسب ذلك الحهل

مسز ليزلى : حماك الله من ذلك يا لورد ! كيف تنسب لنفسك ما ليس فيك ؟

تيودوسيا : إنك بذلك تفتحين له سبيل التمداد فى معتقده ، يا عزيزتى ليزلى .

داين : أصبت المرمى يا أبنة العم . فلا عدمتك أبداً .

تيودوسيا : (إلى ليزلى) كان يجب عليك مساعدتى لتفتحنى لعينييه طريق الخير فيسلكه .

داين : (يضحك) لقد انقضت جلسة الحسنات ، وبدأت جلسة السيئات . ولكنى مع هذا أراك ملكاً منصلاً أيتها القديسة الحسنة .

تيودوسيا : إن آراءك هذه تبرهن على أنك لاتدرك كنه مركزك العظيم ، ولا تشعر بمقامك الرفيع . إن شاباً فى صحتك وثروتك وجاهك يجب أن يمد يد المساعدة إلى المحتاجين ؛ فيطعم المسكين ، ويكسو اليتيم ، وينتشل البائس من مهاوى الفاقة ، ويأخذ بناصر من أخنى عليه الدهر .

داين : (غارقاً فى تأملاته) أترضى مكارم أخلاقك ، أيتها الواعظة الحسنة ، سليمة أسمة هابنليت ، أن تصمىنى هذه الوصمة ؟

مسز ليزلى : (إلى تيودوسيا) يظهر أن حضرة اللورد كان فى تفكير عميق ، وكانت وجهته غير كاستل تروز ، وإلا ما كان قد فهم ما فهم .

داين : (لليزلى) شكراً لك أيتها الأمانة . لقد كنت أحسبك أكثر محبة لى مما بدا الآن .

تيودوسيا : إنها تقول الصراحة ، فما معنى التهم ؟ إلى أستحلفك بشرفك أن تخبرنى هل كنت مصغياً إلى كلمائى الأخيرة ؟

داين : لا أنكر عليك أنه فاتنى منها شيء .

تيودوسيا : وكيف استنتجت هذا الحكم الجائر على وعلى صديقتى العزيزة ؟

داين : أنه أوحى إلىّ به من صيد السمك . فما أسعد الذين ينقطعون للصيد !

تيودوسيا : (بأسف) دعنا مما لافائدة فيه ، واشرح لنا شيئاً عن سياحتك الأخيرة .

داين : لقد طفت بجميع المدائن والقرى الواقعة على ضفتى نهر التو ، وصادفت المعتوه فى فندق برنستابل .

تيودوسيا : (بدهشة) ومن هو هذا المعتوه ؟

داين : شاعر ، ومصور ، وموسيقى العائلة .

تيودوسيا : (تضحك) لقد فهمت (إلى ليزلى) إنه يعنى تشاندس ارمتايدج .

داين : نعم هو ذلك الأبله . ولقد وقعت بيننا مشاجرة عنيفة أدت بى إلى طرده من غرفتى .

تيودوسيا : إنك تمقتة مقتناً شديداً بالورد . فهل من سبب ؟

داين : لاداعى لذكر السبب الآن ، لأنه مشين ونحجل . (يستطرد) ولما انقضت تلك

الليلة المشؤومة بكرت أتمم سياحتى حول النهر . فأعجبتنى بقعة أرض هناك كأنها روضة

من رياض الفردوس (يتنهد) فأحببت أن أستظل تحت وارف ظلالها . وما أستقربى

الجلوس لحظة حتى ذكرت ساعة صيد السمك (يتنهد) وزن فى أذنى أن الصيد خطيئة .

تيودوسيا : إذن ، ماذا صنعت ؟

داين : بدأت أصيد . (يتذكر) وما هى إلا هنيهة حتى هبت ريح عاصفة كادت تقتلع أشجار

الوادى ، فارتديت معطنى . وسرعان ما فارقت تلك الروضة الأنيقة (يتنهد) التى

سلبتنى عقلى لما أبدعته فيها يد الطبيعة من الرونق والجمال .

تيودوسيا : أو تستبيك روضة ، يا لورد ؟

داين : إني بدأت أنعم الغزل . . (يتأوه) ولكن آه ! فارقني حسن الحظ .

تيودوسيا : إنك تتكلم بلغة تستر تحتها أسراراً غامضة .

داين : لا وحقك ، يا ابنة العم . إني خلو من الأسرار الغرامية ، إذا كنت ترمين إلى ذلك .

تيودوسيا : لا بأس . ألم ترشاندس منذ تلك الليلة ؟

داين : كلا ولا أحب أن أراه .

تيودوسيا : لقد كتب إلى منذ شهر لأقبله عضواً عاملاً في جمعيتنا الخيرية ، فقبلناه . وقد طلب ما بقي له من إيراد هذه السنة ، فأرسلت إليه تحويلاً بمبلغ خمسمائة جنيه . وعلمت منه أنه نزل ضيفاً على عائلة فقيرة في طريق برنستابل ، دون أن أعرف السبب . ومنذ ذلك الحين انقطعت عني أخباره تماماً .

داين : نزل ضيفاً على عائلة فقيرة في طريق برنستابل ؟ هذا مالا أصدقه (لنفسه) إنها ليست فقيرة . (يستطرد) ولكن مالنا ولهذا الأبله ! .

تيودوسيا : ما عهدتك على هذه الدرجة من الكراهية له قبل الآن . أنسيت أنه يحمل لقبك ؟

داين : إنه لا يستحق هذا اللقب . (يصمت قليلاً) نسيت أن أسألك عن صحة حضرة الإيرل المحترم ، والدى .

تيودوسيا : بخير . . يواصل عمله بهمة لا تعرف الملل ساعات متواليات .

داين : إني أشعر بألم الجوع .

تيودوسيا : (إلى مسز لينلى) مرى يا عزيزتى بإحضار المائدة .

لينلى : (تقف) هل نسيت مولاتى موعد قصر جاردن سكوير فى لندن ؟ .

تيودوسيا : (تنظر فى ساعتها) يجب أن تسافرى بعد الطعام مباشرة ؟ هل بعثت بالعنوان الكافى لوصيفتنا الجديدة ؟ .

داين : (إلى تيودوسيا) أبعثت فى طلب وصيفة جديدة ؟ .

تيودوسيا : نعم ، لأترك شؤون القصر إلى لىلى . وأختص بها لنفسى .

ليزلى : نعم أمرتها أن تصل إلى محطة واترلو ، حيث تكون العربى فى انتظارها . وسأتقبلها فى قصر مولاتى بلندن ، ثم أرافقها إلى هنا .

تيودوسيا : أسرعى بتنفيذ ذلك بعد فراغك من المائدة مباشرة .

ليزلى : (تنحنى وتخرج) .

تيودوسيا (إلى دايين) ألم تعلم أن أباك سيشرفنى بزورته اليوم ، يا لورد ، فلقد تناولت كتاباً منه أمس وعدنى فيه بأنه سيشرف قصرى اليوم . فما أشد سروره برؤيتك هنا !

داين : كان يدور فى خلدى أن أترك كاسل تروز إلى استار منستر اليوم حيث أنشرف بمقابلة . أما وقد صار على وشك الوصول ، فمن الواجب انتظاره هنا .

شارل : (ينحنى ويدخل) المائدة فى انتظار مولاتى .

تيودوسيا : ومسر ليزلى ؟

شارل : تجهز أمتعة السفر .

تيودوسيا : (تقف) إلى المائدة يا لورد .

داين : (يقف) هات ذراعتك يا أبنة العم . (يخرجان)

شارل : (لنفسه وهو يرتب الصالون) ما أسعد حياة الأغنياء وما أهنأها !

وليم : (من الداخل) شارل ! شارل ! (يظهر وليم بالباب) شارل ! لقد وصل مولاي الإيرل .

شارل : (يسرع الخطى إلى الباب ليستقبل الإيرل) أوصلت العربى إلى باب القصر ؟

وليم : استعد ، فهو الآن على الدرج .

الإيرل : (يدخل فينحنى شارل ووليم) أين مولاتكما ؟

شارل : (ينحنى) على المائدة .

الإيرل : ألم تصلكم أخبار عن ولدى لورد دايين ؟

شارل : مولاي اللورد هنا فى القصر من صبيحة اليوم .

الإيرل : (بدھشة) دايين هنا فى كاستل تروز ؟ (لنفسه) ولم لم يصل رأساً إلى أستار منستر ؟

(إلى شارل) إذن هو على المائدة الآن ؟

شارل : (ينحنى) نعم ، يا مولاي .

الإيرل : حسناً ، لا تعانِ خبر قدومى إلى الليدى إلا بعد انتهاء المائدة .

- شارل : (يدخل ينحنى ويخرج ووليم) .
- الإيرل : (لنفسه) أحمد الله ، فقد وصل سالماً بعد رحلته الطويلة (ينادى) شارل !
- شارل : (يدخل وينحنى) مولاي !
- الإيرل : إني أسمع الأميرة تودع إنساناً ، وأخشى أن يكون اللورد .
- شارل : إن مولاتي تودع مسرليزلى . لتلحق بقطار لندن كي تحضر وصيفة جديدة .
- الإيرل : إنك شديد النباهة يا شارل .
- تيودوسيا : (تدخل ومعها دايين) لقد شرفتني بزورتك قصرى ، ياسيدى الإيرل . (تصافحه) .
- داين : (يصافح الإيرل) تحيتى إلى الوالد المحترم .
- الإيرل : أهلاً بكما يا ولدى . (يجلسان . دايين عن يمينه وتيودوسيا عن شماله) .
- تيودوسيا : أهلاً بك من كل قلبى ، ياسيدى اللورد الأكبر .
- الإيرل : (لتيودوسيا) أشكر لك هذه العناية . (لداين) وأين كانت سياحتك الأخيرة ؟
- داين : إننى بفضل رضاء سيدى الوالد المحترم أتمتع بالصحة والهناء فى كل مكان .
- الإيرل : وهل كنت سعيداً فى تلك السياحات الفريدة ؟
- داين : نعم ، وكنت أمتلىء قوة ونشاطاً .
- الإيرل : (مبتسماً) أو كان قلبك يذكركنى ، وأنت فى سرورك ولهوك ؟ ماظننت ذلك !
- داين : (بحياء) أما فى سرورى فنعم ، وما أظننى ألهو الآن .
- الإيرل : بارك الله فيك يا ولدى ، أعرنى أذنًا صاغية . (إلى تيودوسيا) أنسمحين بمشاركتنا يا عزيزتى اللبدي ؟ (إلى دايين) أما آن لك أن تفكر فى مستقبلك ؟
- داين : يسعدنى أن أكون مشمولاً من سيدى الوالد بالعطف ، أما مستقبلى فهو ما يوجهنى إليه حظى .
- الإيرل : أعددت لك مركزاً سامياً لايحتاج إلى إجهاد ، وسترى أنه سيحسدك عليه كل شريف تيودوسيا : ستملاً قابى ابتهاجاً بقبولك ، يا عزيزى دايين .
- داين : إن رحلاتى الكثيرة فى معظم مدن الدنيا المتحضرة زادت ثقافتى وأكسبتنى خبرة واطلاعاً ، وإنى آنس فى نفسى القدرة على القيام بكل مايسند إلى من الأعمال .
- تيودوسيا : (بشفقة وحنو) عزيزى دايين ، إنك ترفع دعائم بيتك العريق بحسن ثققتك بنفسك .

الإيرل : لو أنعمت النظر ، يا ولدي ، فيما نطقت به الليدي ، لعلمت مقدار حبها لك وشغفها بحسن مستقبلك .

شارل : (يدخل وينحنى) مولاتى الليدي !

تيودوسيا : (باهتمام) ماوراؤك يا شارل ؟

شارل : إن جمعية ملجأ الأيتام الجديد التى شرعت مولاتى فى إنشائه قد تسكامل أعضاؤها ، وهم فى انتظار حضرة الرئيسة .

تيودوسيا : ألم تعلم أن حضرة الإيرل هنا ، وهو ضيفنا اليوم ؟

شارل : أعلم ذلك يا مولاتى .

تيودوسيا : ولم لم نستعمل عقلك حين الحاجة إليه ؟ كان يمكنك أن تقدم أعذارى ، أو أن تنيب عنى حضرة القس .

شارل : حاولت إنابة حضرة القس المحترم فلم أفجح ، ولقد ألح على أن أعرض على مولاتى الأمر أولاً ، فإذا صدر أمرك السامى بإنابته ، قبل مرغماً .

تيودوسيا : (بدهشة) مرغماً ؟ وما معنى ذلك يا شارل ؟ (بحدة) .

شارل : إن بعض الأعضاء غير راض عنه ، هذا هو سر الخلاف .

تيودوسيا : وكيف علمت ذلك ؟

شارل : رأيتهم يتغامزون ، وسمعت الناقمين عليه يتهايمسون ، فتجلت أمام عيني نار الحقد التى تشتعل فى صدورهم ، وخفت سوء العاقبة . لذلك أسرعت لعرض الأمر .

تيودوسيا : إذاً يجب أن أتلافى الموضوع بنفسى قبل أن يستفحل . (إلى الإيرل) أيسمح لى سيدى الإيرل بوضع دقائق ؟

الإيرل : لقد أعجبتنى شهامتك ، يا عزيزتى . لك ما تشائين .

تيودوسيا : (إلى شارل) شارل . أعلن قدومى . (ينحنى ويخرج . تقف) لا تقلقاً لغيابى (تخرج) .

الإيرل : فى حراسة الله (إلى داين) إنها أشرف فتاة كللت تاريخها بأكليل المجد . ولقد أضافت إلى أسرتنا أحسن ذكرى بما خلدت فى آثارها من الحسنات .

داين : الحق معك يا والدى العزيز . إنها مثال الفضيلة والخير .

الإيرل : إنى أخلو بك الآن . فهل تحب أن نتكلم فى شأنها ؟ وما هو رأيك ؟

داين : تتفاوض فى شأنها ؟ وكيف أعلن لكم رأيى فى شأن لا علم لى به ؟

الإيرل : أملكك نسيت الخطبة التي أرتبطت بها منذ حدثتك ؟
داين : (باضطراب) إني لم أفكر في هذا الشأن قط .
الإيرل : ولكنني أهتم بسماعتك . أتجهل أهمية هذا الموضوع ، وما يقع كلانا فيه إذا فصمت
عمره لا قدر الله .

داين : نعم أعلم ذلك .
الإيرل : لقد أرحت ضميري بها التصريح . وكان يخفى أن تكون أصبحت قليل العناية به .
داين : وكيف لا أهتم بما أنت مهتم به . وغرضك الهناء والراحة لي .
الإيرل : أحمد الله الذي وفقك إلى معرفة الواجب عليك .
داين : إني أحترم رأيك ، يا ولدي المحبوب ، وأقدس طاعتك . بيد أني أخول لنفسي الحق
في شيء واحد . . .

الإيرل : (يقاطعه) هو الزواج . أليس كذلك ؟ إني لمحت غرضك بمجرد الإشارة .
داين : نعم . أحب أن أطلق لنفسي فيه حرية الاختيار ، حيث أرى السعادة والشقاء مقرونين به .
الإيرل : أنت محق يا داين . وأضف إلى ذلك أنني أبوك . فلا تقطع صلة أبوتي واحترم مقامى .
داين : (منجمل) احترام مقامك واجب مفروض على . ولا يجوز أقوى عامل في الحياة أن يعيث
به أو أن يززع من مركزه . ورأيك فوق ماتحب أن يكون . غير أني في هذا الموضوع
أميل بطبعي إلى دقات قلبي ، وأنصاع إلى نداء ضميري . فبالله عليك ، يا ولدي ،
دعني وشأني في أمر زواجي . ولا تزف بيدك ، التي ما تعودت غير الرحمة والعدل ،
التعاسة والشقاء لوحيدك الخاضع المطيع (يتنهّد) والدي العزيز ! لقد عودتني الجرأة ،
وعلمتني الصراحة ، فلا يفضبك أني استعملتهما في حضرتك وأمام شخصك المحترم .
الإيرل : (يتنهّد) لقد سال منك دم الشرف على أسنة الطيش ، إذ سولت لك نفسك مخالفة
أبيك ، فرضيت له الإهانة ، وقد بلغ هذه السن .

داين : رحماك ، والدي !
الإيرل : إني تعاهدت ولورد هاينلت على ذلك — فكيف يسوغ لك أن تسفه رأيي ، وأنا
نافذ الكلمة . إنك بذلك الرفض تمزق أحشائي ، وتصم أسمى بوصمة عار لا تمحي .
أأختم حياتي بهذه النتيجة ؟ ومن الحزن أنها لا تصدر إلا عنك أنت !

داين : (بخشوع) هدى روعك ، يا أبى ، وأسمح لى بتقبيل يدك اعترافاً منى بالخطأ ، (يقبل يده) وجباً فى طلب العفو ، (باستعطاف) يا والدى العزيز ، أعلن أنى طوع أمرى .

الإيرل : (بارتياح) أرضيت أن تكون زوجاً لليدى تيودوسيا هينلت ؟

داين : (ينظر إلى الأرض باضطراب) نعم قبلت ، ولكن أمهلنى ريثما أكون على استعداد .

الإيرل : لك منى ذلك . ولكن ضع نصب عينيك تنفيذ رغائى . وتعهد لى من الآن ألا ترفض يدها مهما كانت الأسباب .

داين : إنى أعاهدك يا والدى الأعز على احترام رأيك ، واتباع مشورتك .

الإيرل : (يضع يده على كتفه) بارك الله فيك . وآمل أن أبى استاز منستر لا ينقض عهده .

داين : أبت لا تسترب بعهدى لك .

الإيرل : (ينظر فى الساعة ثم ينادى) شارل !

شارل : (يدخل وينحنى) مولاي !

الإيرل : إنى تركت أوراقاً هامة فى حقيبتى الصغيرة ، فسل خادمى أن يسلمك الحقيبة بما فيها وأتنتى بها .

(شارل ينحنى ويخرج) لك أن تساعدنى فى ترتيب أوراق يهمنى إنجازها اليوم .

ولقد اخترت لك ذلك حتى لا تسأم وحدتك هنا .

داين : إنى طوع الأمر .

شارل : يدخل فيمنحنى ويضع الحقيبة أمام الإيرل .

الإيرل : حسناً ، ها هو العمل يا دايى فها بنا إلى غرفة المكتب .

داين : هيا بنا (يتناول الحقيبة . يقف) .

الإيرل : (إلى شارل) شارل ! إذا انتهت حضرة الليدى من عملها قبل أن نترك غرفة المكتب

وسألت غنى واللورد ، فعرفها أننا ندرس أوراقاً هامة ، يجب أن ننتهى منها الليلة .

(يخرج جان) .

شارل : (ينحنى . يرتب البهو) يندر وجود شيخ بهذا النشاط .

وليم : (يدخل لمساعدة شارل) شارل ! ما رأيك فى هذا الشيخ الجليل ؟

- شارل : هذا هو الرجل العامل النافع اليقظ . . وياحبذا لو حذا لورد داين حذوه .
- وليم : (يمسح البيانو ويفتحه ويلعب بأصابعه عليه) إنها العوية منعشة (يعزف بأنغام رديئة) غريب ! يظهر أن الأصابع التي تدق على هذه الآلة (ينظر إلى أصابعه) هي أصابع الأغنياء والجيالات فقط ، لذلك أرى أصابعي تخونني ، لأنني ألتبس مالمس من شأني .
- شارل : (يسرع إليه ويفلق الآلة) اسكت يامتهوس . متى تترك الرعونة أيها الأحق ! ماذا يكون عقابك لو داهمتك مولاتي الآن ؟
- وليم : (غاضباً) إنك تهينني ، ياشارل ، وسأطلب من مولاتي ألا أكون معك في عمل واحد منذ اليوم . (يخرج) .
- شارل : (لنفسه) إني أتعذب جداً في إصلاح هؤلاء الخدم ، فلا بد من استبدال غير النافع منهم . (يخرج) .
- (سكوت طويل . تنظم الأنوار تدريجياً : تدق الساعة ٦ دقائق)
- مسزليزلي : (تدخل وتتبعها ليرا ووراءهما وليم) مالي أراك غاضباً ياوليم ؟
- وليم : لست على وفاق مع شارل ، وسأنتظر ريثما تنتهي مولاتي من اجتماعها ، فأبسط إليها شكايي .
- ليزلي : كن واسع الصدر ياوليم .
- وليم : إن شارل أهانني .
- ليزلي : إنه يمزح معك ، وهو أكبر منك سنًا وأطول عهداً في خدمة مولاتنا الليدي . فلا تتعجل في عمل ماعساه يعود عليك باللائمة والتعنيف . . أقدم لك الآنسة ليرا تشستر وصيفة مولاتنا الجديدة .
- وليم : (ينحنى) لقد شرفت كاسل تروز .
- ليرا : شكراً ، ياوليم .
- ليزلي : (إلى ليرا) استريحى ، ياعزيزتى . فقد صرفنا وقتاً طويلاً في السفر . (إلى وليم) إذهب بأمثلة الآنسة ليرا إلى مخدعها الخاص .

- وليم : (ينحنى . يهيم بالخروج) .
- ليزلى : انتظر ! لم لم تخبرنى أين مولاتنا الليدى ؟
- وليم : مولاتى فى اجتماع أظنه أوشك أن ينتهى وأرى أنها لن تنتظر أكثر من ذلك .
- ليزلى : حسناً ، اذهب ، ومر خادمة الغرفة أن تجهزها ، (يخرج وليم) إنى سعيده بك ياعزيزتى ليرا .
- ليرا : إن شفقتك على ياسيدى ، جعلتنى أسيرة إحساسك الشريف
- ليزلى : أشكر لك هذا العطف وأزيدك علماً بأن مولاتنا مثال المروءة ومكارم الأخلاق .
- ليرا : والله إن قصرأ يحويك بين جدرانہ خلّيق بأن يكون معبداً مقدساً ، فإذا كنت أنت بهذه المكارم ، فما بال سيدة القصر ؟
- ليزلى : شرحت لك ، ياعزيزتى ، مايجب اتباعه لمولاتنا من الواجبات ، فإذا اتبعت مارسمت لك ، كنت سعيده .
- ليرا : إنى وعيت كل شىء ، فاطمئنى .
- ليزلى : بارك الله فيك يا ليرا . (تنصت) ماذا أسمع ؟ الخدم يهرجون .
- شارل : (يدخل بعجلة) أين وليم ؟ ولماذا لم يوقد الشموع وقد هم الظلام ؟
- ليزلى : ما بالاك ، ياشارل ؟
- شارل : (ينحنى) عفواً يا حاضرة الرئيسة (يجرى إلى الباب وينحنى) مولاتى الليدى !
- الليدى : (تدخل) أهلا بك يا ليزلى (مشيرة إلى ليرا) ليرا تشستر ؟
- ليزلى : (تنحنى) أجل يا حاضرة الليدى ، لقد وصلت إلى جاردن سكوير فى الموعد ، ولم نأبث أن قمنا إلى كاسل تروز .
- الليدى : (تجاس) إنى سعيده جداً برؤيتك يامس ليرا ، وأنعمش أن تكونى صديقة لاصيفة .
- ليرا : (بابتهاج) إن هذه أسعد لحظة مرت بى منذ تنسمت الحياة .
- الليدى : اجلسى بجانبى يا أميرة الكوخ ، وقصى على أدوار حياتك موجزة . (إلى ليزلى) اجلسى يا ليزلى .
- ليرا : (تجلس بجانب الليدى) إن قصتى محزنة .

ليزلى : لقد أهاجت عواطفى منذ أول نظرة وقع بصرى عليها فى جاردن سكوير .

الليدى : من هو أبوك يا ليرا ؟ ومن أى أسرة ؟

ليرا : (تنهد) أبى آدون تشستر ، كان شريفاً غنياً ، سكن أمريكا وأثرى فيها ، ولكن خانة الحظ ، وأظنه فقد ثروته فعاد إلى إنجلترا يحملنى طفلة بعد أن ماتت أمى ، وكنت فى الربيع الأول (تبكى) .

الليدى : لا تجزعى يا عزيزتى ، وثقى أنك أصبحت منذ اليوم فى أحضان أخت وأم معاً .

ليرا : عاد أبى إلى برنستابل يحملنى رضيعاً ، وابتاع كوخاً صغيراً على ضفة نهر التو أمام كنيسة القديس مرقس القديمة ، وكان يقوم بتربىتى شيخ أمين (تنهد) ظل فى خدمة أبى أربعين عاماً ، ولقد قام بهذيبى خير قيام ، وكان يحنو علىّ حنو الأم ، فيدراً عنى كل مكروه حتى ترعرعت لا أعلم عن الدنيا غيره ووالدى ، ولم أصادق رجلاً غيرها لأننا كنا فى معزل عن العالم (تنهد) ومنذ أيام قلائل داهمتنا مصيبة يالهولها (تبكى) أوقعت الفشل فى ذلك العش الهادىء المطمئن وشتت شمل ساكنيه (تبكى) .

الليدى : يا إلهى (بحزن) ومما موضوع ذلك المصاب ؟

ليرا : فوجئنا بدين كان على أبى منذ سبع سنين . وكان لمراب غليظ القلب جامد العواطف ، وكان ذلك المرابى قد شعر بعجز أبى المسكين عن وفاء دينه . فبعد أن كان يقنع سنوياً بالفائدة ، جاء يسأله دفع الدين صفقة واحدة ، وإلا سلب منا جميع ممتلكاتنا ، وطردها من الكوخ . (تبكى)

الليدى : يا إله السماء (بشفقة) ليتنى علمت ذلك فى حينه ! مسكينة ! وكم كان مقدار ذلك المدين ؟

ليرا : (تنهد) خمسمائة ذهباً .

الليدى : فقط ! نعم ، لقد كان عظيماً عليكم لأنكم لا تملكونه .

ليرا : أجل يامولاتى — لقد تصدى لنا ذلك المرابى الصخرى القلب ، وأقسم أن يسلبنا كل ممتلكاتنا ، إذا انقضى أسبوعان ولم نوفه دينه . فهوى أبى الشيخ المسكين مصعوقاً (تبكى) على فراش الألم . وظل ينزع حتى بقى من الأجل المضروب يوم واحد (تبكى) فلم يحسر على رؤية شمس ذلك اليوم الرهيب ، فاستغاث بملك الموت ، فأغاثته . (تبكى) نعم ، لقد لفظ النفس الأخير وهو يباركنى . وتركنى أتخبط فى ديجور الشقاء .

(تخففها العبرات) آه ! إنها ذكرى يقشع لها بدنى ، ياسيدتى . (يغمى عليها)
آه ! رحماك أيها الوالد المسكين .

الليدى : (بحزن واهتمام) شارل ! على بالمنعشات . مسكينة أيتها الفتاة . (يخرج شارل) .

ليزلى : إنها قطعت نياط قلبى بحديثها المؤلم .

شارل : يدخل على عجل بالمنعشات) هاهى يامولاتى .

الليدى : (وتتناول الكأس . ليزلى) بيدى أنا لا بيدك يا عزيزتى .

ليزلى : إنك رحيمة يامولاتى .

الليدى : (ترش ماء الزهر على وجه ليرا) انتظرى ياليزلى ، إنها ستكون أسعد فتاة فى
كاسل تروز ، وربما كانت أسعد منى .

ليرا : (تستفيق) عفوا ياسيدتى . (تحاول الوقوف فلا تتمكن) إنى خادمة .

الليدى : (تجلسها بيدها) كلا إنك أميرة هذا القصر ، ياليرا ، فاستقبلى السعادة والهناء
وإذا كان الدهر قد لعب معك دوراً محزناً ، فأنا أرغمه على أن يزف السرور إليك
كرها لا اختياراً .

ليرا : (بسرور) أنت جديرة بالعبادة يامولاتى ، فلا عدمتك أبداً . (تنهد) مات أبى
وهجم علينا ذئب المال فأجلانى وخادمى الشيخ عن الكوخ . ولما سالت عبراتى على
يديه وأوسعها تقييلاً ، هبط رسول الرحمة إلى قلبه الصلد ، فتنازل لنا عن أجرة
سكنى غرفة خادمى نظير حراسة الكوخ . (تنهد) مسكين أنت يا جرفث ! فظننا
بها إلى أن أراد الله أن أكون تحت رعايتك ؟

الليدى : لاتحزنى . فأنا أملك وأبوك ياليرا . وماذا صنعت بخادمك المسكين ؟

ليرا : تركته فى غرفته يئن لفراقى حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً . (تتأوه) .

الليدى : إن هذا لحزن (تشعر بأن الصالة مظلمة ، تنادى شارل) مالى أرا كم أهتمم الواجب
هذا المساء ؟ لم توقدوا الشموع كالعادة ؟ أين وليم ؟

شارل : (ينحنى) هذا من واجب وليم يامولاتى . وإنى أراه غائباً .

ليزلى : لقد ذهب إلى مخدع مس ليرا .. ليرتب أمتعته .

الليدى : وأنا بنفسى يجب أن أرتب لها غرفة النوم . فہم بنا يا عزيزتى لأوصلك بيدى إلى مخدع هنالك الجديد (تقف الليدى وليرا وليزلى) .

ليرا : إنك تعجزين لسانى عن الشكر ، يا مولاتى .

ليزلى : (إلى شارل) سأرسل لك ولیم يساعدك على إنارة البهو ليكون فى أستعداد لإستقبال حضرة الليدى بعد قليل .

الليدى : شارل ! لقد نسيت أن أسألك عن حضرة الإيرل واللورد ، فأين هما ؟

شارل : (ينحنى) فى غرفة المكتب . لقد شدد على مولاي الإيرل ألا أزعبه ، لأن عمله هام جداً . وإذا رغبت مولاتى أن تشاركهما فيه فلتتفضل .

الليدى : (بسرور) وهل قبل اللورد أن يشترك مع أبيه فى العمل ؟

شارل : نعم

الليدى : (بارتياح) إنها لمعجزة مذهشة . دعهما فى عملهما ، لأنى أرافق مس ليلا إلى مخدعها وعليك أن تصدر تنبيهاً عاماً إلى جميع خدم القصر أن يكون أحترام مس ليلا من احتراى ! أفهمت .

شارل : (ينحنى) سأنفذ أمر مولاتى . (تخرج الليدى وليرا وليزلى . يبدأ بإيقاد الشموع) .

وليم : (يدخل) لماذا بعثت فى طلبى ؟

شارل : (يضحك) . ها . . . لقد عدت يا أحق . أنسيت أنى أقوم بواجبك الآن ؟ .

وليم : (بذهول) ولكنى غاضب منك ، فما رأيك ؟

شارل : أنا رئيسك ، فيجب أن تطيعنى . ونحن أمامى من الآن وإلا . . .

وليم : (بفضب) أنحنى أمامك من الآن ؟ ومن أنت ؟ أصبحت مولاتى ؟

شارل : (يضحك) إنك ظريف جداً يا ولیم . هل أنت غاضب منى ؟ لى كنت أمزح معك .

وليم : قبلت اعتذارك . وأرجوك ألا تكثر مزاحك لأنى سربع الغضب .

شارل : هل رأيت الوصفة الجديدة ؟ وهل بلفتك الأوامر ؟

وليم : رأيتهما ، ما أجملها . ولكن لم أستسلم لأوامر ؟

- شارل : صدر أمر مولاتنا الليدى أن تخاطب الوصيفة الجديدة بيامولاتى بعد الانحاء .
- وليم : (يضحك) ومن بلغك هذا الأمر الجديد ؟
- شارل : مولاتنا الليدى نفسها . فاذهب وادع جميع الخدم لأصدر إليهم الأوامر الجديدة .
- وليم : (ينحنى) لك الطاعة يامولاي (يضحك ثم ينحنى ويخرج) .
- شارل : إنه خفيف العقل والروح معاً (يتنسم . يدخل الخدم جميعاً ويقفون حول البهو) هل بلغكم أمر مولاتكم ؟
- الجميع : لا يا حضرة الرئيس .
- وليم : (غاضباً) كيف لا ، أيها الأغبياء ؟ أنسيتم الانحاء ؟ (ينحنى) ألم أنبهكم معشر البلداء ؟ (يضحكون) .
- شارل : اسمعوا (يصمتون) لقد نزلت بقصرنا اليوم آنسة جديدة تدعى ليرا تشستر ، فصدر أمر مولاتنا أن يكون احترامها من احترام مولاتنا . أفهتكم ؟
- الجميع : نعم .
- وليم : (يجرى إلى الباب ثم يمود مسرعاً وينحنى) الأميرة !
- الليدى : (تدخل ومعها ليزلى و ليرا فينحنى جميع الخدم) أقدم لكم مولاتكم الجديدة مس ليرا تشستر ، فيجب احترامها كشخصى فى كاسل تروز ، ولقد أصبح لها حق التصرف فى شؤونكم جميعاً . . . أفهتكم ؟
- الجميع : (بانحاء) لتحنى الأميرة .
- الليدى : اذهبوا إلى أعمالكم ، وليبق شارل ووليم بالباب . (يخرج الخدم ، وتذهب الليدى إلى جهة المعزف) ليزلى ! ألك أن تطربينا قليلاً احتفالاً بليرا ؟
- ليزلى : لك الطاعة ، ياربة الإحسان . (تجلس وتعرّف)
- الليدى : (تجلس بجانبها) اجلسى يا ليرا . أتجيدين التوقيع على هذه الآلة المشجية ؟
- ليرا : (بنجل) كلا ، ياسيدتى . وماوقع نظرى عليها قبل اليوم (تضع يدها على جنبها) .
- الليدى : ما باللك ؟ أنشعرين بآلم ؟
- ليرا : إن شدة سرورى سببت لى دواراً خفيفاً .

الليدى : لا بأس عليك . إنه سيزول حالا متى استرحت قليلا ، فاجلسى (تجلس ليرا) .
ليرا : إن السعادة التى أشعر بها الآن أنستنى كل آلامى . فلا عدمتك يا إلهة المكارم .
الليدى : (بسرور) إنك بدأت حياة جديدة ، فاصرفى عنك الهم .

شارل : (يدخل وينحنى) مولاي اللورد .
داين : (يدخل مسرعاً) هل أنتم محتفلون بأبى ؟ (يذهب إلى الليدى) تركته وأسرت
بالهرب . (يضحك) .

ليرا : (تصرخ وترتمى) آه ! (تتمتم) . هو بعينه . إذاً هى تيو . . . (يغمى عليها) .
داين : (يرى ليرا) ويلاه ! إنها هى (يتراجع) ليرا (يمسح جبينه) افتحوا النوافذ . إنى
أكاد أختنق . بماذا أشعره ؟ آه ! (يرتدى على مقعد) .

الليدى : (تقف مشدوهة وتسكت ليزلى عن العزف) أسعفوها بالمنعشات (تنظر إليها تارة
وإلى اللورد أخرى) انتظروا ، احملوها إلى غرفتها (يحملون ليرا ويخرجون) لورد
(تذهب إلى داين) لورد ! ماذا دهالك ؟ (شارل) إلى بطبيب القصر حالا . (يخرج
شارل) هل أصابك شىء ؟ (تجلس بجانب اللورد) تكلم يا داين . ماذا اعتراك
يا عزيزى ؟ لماذا لا تتكلم ؟ ويلاه ! (بقلق) لماذا لم يحضر الطبيب ؟ لقد تأخر .
الطبيب : (يدخل مع شارل) بماذا تأمر الليدى ؟ (ينحنى ويرفع قبعته) ماذا أصاب اللورد ؟
(يهتم به جداً) .

الليدى : لا أعلم سوى أنه دخل البهو ونحن فى شبه احتفال ، وما إن توسط القاعة حتى انتابه ماترى .
الطبيب : (يعالجه فيفريق) لا بأس عليه . . . لقد ثاب إلى رشده .
داين : أين أنا ؟ الطبيب ! ليدى هاينلت ! (يتلفت على ليرا) ماذا أصابنى أيها الطبيب ؟
(يتمتم) أين هى ؟

الطبيب : إنك فى إغماء بسيط يا لورد لن يلبث أن يزول تماماً . وأنصح لك أن تذهب لتستريح
فى غرفتك .

داين : (يساعده الطبيب على النهوض) نعم يجب أن أستريح . ولكن مالى أرانى ضعيفاً ؟
الليدى : (تقف) شارل . وليم .

الخدامان : (يدخلان وينحنيان) بماذا تأمر الأميرة ؟

الليدى : ساعدا اللورد حتى نخدعه ، وافتحا جميع النوافذ . ولا تزججا حضرة الإيرل .

الطبيب : نعم ، سيعود إلى رشده تماماً بعد نصف ساعة (يخرج الخدامان باللورد) .

الليدى : (للطبيب باهتمام) ما رأيك فيما اعترى اللورد من الإغماء ؟ وما هى أسبابه ؟ (تصمت

قليلا) أعرنى سمعك ، فسأطلعك على سر صغير شاهدته بعيني الآن . (تنهد) لقد

دخلت فى خدمتى وصيفة جديدة . وهذه الليلة هى أول عهدا بالقصر . ولم يقع نظر

اللورد عليها سوى هذه اللحظة التى فارق فيها شعوره . ولقد أصابها ما أصابه فى نفس

الزمن . فأمرت بنقلها إلى غرفتها فى الحال ، فماذا ترى فى هذا الاتفاق الغريب ؟ إن

قلبي يحدثنى أن هناك صلة قديمة بين اللورد وهذه الفتاة ، ويزيد من هذا الشك أنه

تمتم باسمها وتمتت باسمه . فما هو رأيك ؟

الطبيب : (بدهشة) لم أر ، حين اختبرت قلب اللورد ، ما يدل على ذلك . بل كان ما عنده

نتيجة إفراطه فى عمل أجهد فيه نفسه . فهل أنت مشغولا قبيل أن يدخل

البهو مباشرة ؟

الليدى : صدفة غريبة . نعم كان فى عمل مع حضرة الإيرل ومكث مدة طويلة ، ولقد سئم

العمل فهرب مسرعاً .

الطبيب : هذا سبب إغمائه ، فإن كثرة العمل العقلى مع شدة الضوء والإكثار من التبغ ، كل

هذا يسبب الإغماء السريع .

الليدى : عليك إذاً أن تعود الوصيفة الآن فى مخدعها ، ثم تطلعن على النتيجة . وها قد

شرحت لك ما يحدثنى به قاي ، وإنى فى انتظارك هنا حتى تعود ، وإذا كانت

تهذى فراقب كل كلمة تخرج من فيها .

الطبيب : سأعمل الواجب على . (يتسم) أرى حى ضميرك ، ولا تسرعى بنقمتك ، فربما كانت

الفتاة مظلومة . (يخرج) .

الليدى : (حانقه) ما أغرب طوارىء الحدثنان ! لقد بدأت أشعر بحركة جديدة ، أنا التى

مانعوت غير السعادة والصفاء . داي . ياأبن ستار منستر : حذار أن تكون قد

نقضت عهدي ، فتكون بذلك قد وصمت أسرتك بعار لايمحى . (تفكر) ولكن

كيف ذلك ؟ أى ذنب جنت تلك المسكينة ، إذا كان قد أوقعها سوء حظها فى حبه وكان ذلك منذ عهد طويل ؟ أترضى مكارمى أن أفرق بين عاشقين تعاهدا على الحب والوفاء ؟ أنا التى أوقفت حياتى على البر والإحسان . كلا ! (بشفقة) لأسبب المصائب لفتاة تعدة منكودة الطالع ، جرعتها الدهر مر عذابه ، ورماها بسهم نغمته وغضبه ؟ أفقدها أمها رضيعة ، واختطف أباهة فجأة ، وسلب مالها ونعيمها ، وطردها شريفة من عشها الهادى . كل ذلك بنير ذنب جنت . أيليق بى أن أنتزع منها آخر أمل لها فى تلك الحياة المحزنة ؟ وإذا كانت قد أحبتة وأحبها . فمن الظلم أن أفرق بينهما . (بشهامة) أيتها الفتاة ، قرى عينك فساؤفه إليك بيدى إن كان هذا ميمناك . ليرا لقد أحبيتك لأول نظرة ، فمن الشرف والمروءة أن يظل حبي لك كما هو . ليرا .

شارل : (يدخل وينحنى) الطيب يامولاتى .

الليدى : ليدخل . (يخرج شارل) .

الطبيب : (يدخل مبتسما وفى يده ورقة صغيرة كتب فيها ماسمه من ليرا) لقد علمت كل شىء . الفتاة فى إغماء طويل ، وهى تهذى فتذكر ألفاظا لادخل لها فى الموضوع ، لقد سمعتها تلفظ أمها ، مسكين أنت ياوالدى ، رحماك يامستر دجارفن ، تنح عنى يابارل ، هون عليك يا جرفث ، إنى أكاد أختنق ، ترى أين أجذك أيتها البائى عنى ؟ (يقرأ هذا فى ورقة) وتغمغم فيما بين ذلك ألفاظا غريبة ، فعلمت أن هذه الفتاة قد أصابها الدهر بضربة قطعت نياط قلبها ، فهى فى بؤس لا غرام ، لأن ألفاظها هذه تشف عن آلام نفسانية ، وهياج عصبى شديد ، وظهر لى أنها قروية لم تطأ قدمها القصور قبل اليوم ، فكثر الأضواء واختلاف ألوانها وشدة السرور بعد نهاية الحزن ، كل ذلك سبب لها هذا الهياج الدموى الشديد ، فهى بريئة من حب اللورد ، كما أنه برىء من حبها ، إذ لا علاقة بين لورد عظيم وفتاة قروية مسكينة ، فاصرفى ماعندك يامولاتى واعتقدى فى براءتها .

الليدى : لقد اقتنعت الآن ، هل أمرت لها بالدواء ؟

الطبيب : نعم وأعطيت التعليمات الكافية إلى خادمتها .

الليدى : واللورد ، أتركه بغير عناية ؟

الطبيب : وهل يليق ذلك ؟ إن دواءه النوم ، فحتى أنمض جفنه ساعة ، حصل على تمام الشفاء ، ولكن ذلك لا يمنع أن أعوده الآن .

الليدى : حسناً ، إنى أقدم لك شكرى لجليل خدمتك .

الطبيب : (ينحنى) لا شكر على واجب (يخرج) .

الليدى : (لنفسها) إن الحوادث التى صادفتنى اليوم خلليقة بالإعجاب .

شارل : (يدخل وينحنى) لقد نام هادئاً يامولاتى .

الليدى : هل كان يهذى فى نومه ؟

شارل : كان مضطرباً يغمغم ألفاظاً ما فهمت منها شيئاً .

الليدى : ومولاتك الجديدة ، هل زرت مخدعها ؟

شارل : كلا يامولاتى .

الليدى : اذهب فادع مسز ليزلى إلى هنا (يخرج) لا بد أن تكون ليزلى قد علمت منها أكثر من الجميع .

الإيرل : (يدخل) أأناذن لى حضرة الليدى بالدخول ؟ (بابتسام) .

الليدى : (تقف) أهلاً بك يا حضرة الإيرل المحترم .

الإيرل : (بسرور) لقد شغلته مدة طويلة ، ولكنه غافلى . تركنى أنعم النظر فى موضوع هام

وهرب (يضحك) لا بأس ، سأعوده شيئاً فشيئاً (يجلس وتجلس الليدى) حالماً

تركنى وخرج ، سمعت جلبة وضوضاء سكت على أثرها صوت المعزف ، ثم ساد سكون

غريب . . . فى القصر . فهل هذا صحيح ، أم كنت واهماً ؟

الليدى : نعم حدث ذلك ، إثر مصاب ألم بالقصر ومن فيه .

الإيرل : (بدهشة) إثر مصاب ؟ وما هو ؟

الليدى : أجل . لقد خرج اللورد من غرفة المكتب إلى البهو ، فألفانا فى شبه احتفال بتشريفكم

وكانت الوصيقة الجديدة وصلت القصر منذ أكثر من ساعة ، فما توسط البهو ، ونظر

إليها ، حتى سقط فى إغماء .

الإيرل : (باضطراب) دأين ؟ ولدى ؟ يغمى عليه لرؤية خادمه ؟ ما معنى ذلك ؟ إنك بلا شك

واهمة يا حضرة الليدى .

الليدى : ومن غريب الاتفاق أن هذه الفتاة ما إن وقع بصرها عليه حتى سقطت مغنى عليها أيضاً ! فإذا ترى فى هذا الاتفاق المدهش ؟

الإيرل : (بغرابة) وأيضاً الفتاة ؟ إن هذا لغريب إذاً ، كيف اتفق ذلك ؟ وماذا قال الطبيب ؟
الليدى : لقد اهتم بهما اهتماماً عظيماً . ولشدة دربته أسند إغماء اللورد إلى كثرة عمله العقلى وشدة الضوء والتدخين ، وأسند إغماء الفتاة إلى سرورها الفجائى بعد حزنها العظيم ، وإلى الانقلاب الذى شمل حياتها المضطربة ، فأخرجها من حقارة الأكواخ إلى جلال القصور .

الإيرل : نعم الطبيب . لقد أجاد التعليل . وأين دأين الآن ؟
الليدى : فى مخدعه ينام نوماً هادئاً . فاطمئن عليه . ولقد أفهمنى الطبيب أن دواءه النوم .
الإيرل : (يقف) يجب أن أراه .

الليدى : إنه سيفيق بعد ساعة ، فن الحسكة أن ننتظر حسب أمر الطبيب .
الإيرل : سأراهُ بمعنى فقط ، ولن أكون سبباً فى إقلاق راحته . فهل لك أن ترافقينى يا عزيزتى ؟
الليدى : (تقف) سألحق بك متى حضرت مسز ليزلى ، لأنى أرسلت فى طلبها الآن . (يخرج
الإيرل . لنفسها) إنه شديد الحبة لولده ، وبهمه ألا يكون اللورد عاشقاً .

شارل : (يدخل وينحنى) مسز ليزلى يا مولاتى . (تدخل ليزلى) .
الليدى : كيف حالها الآن ، يا عزيزتى ليزلى ؟
ليزلى : لقد تحسنت ، بيد أن إغماءها الطويل جعلها تنفوسه فى هذيانها ، بما يصدع الأفتدة حزناً عليها .

الليدى : وما رأيك فى هذا الاتفاق المدهش ؟
ليزلى : إن رأيى يعزز رأى الطبيب ، يا حضرة الليدى . وأنا أثق من براءتها وثوقى من نفسى . .
الليدى : لقد آليت على نفسى ألا أكون حجر عثرة فى سبيل هنائها ، إذا صح ظنى .
ليزلى : إنك أسمى من أن تنغصى حياة فتاة مسكينة . إنها احتمت بنا ، فن المروءة ألا تتخلى عنها فى آونة الشدة ، وفوق ذلك فإن قلبى يحدثنى أنها بريئة .

الليدى : لقد أقتنعت برأى الطبيب .
ليزلى : ومولاي اللورد ، كيف هو الآن ؟

الليدى : انه بخير . ولقد أقر الطبيب أن علاجه الفوم . ومنذ برهة خرج حضرة الإيرل من هنا ليعوده ، ووعده أن الحق به ، فاذهبي أنت للعناية بليرا .

ليزلى : سأقوم بواجب المروءة خير قيام . (تخرج) .

الليدى : (لنفسها) سوف ينكشف الغطاء ، ولكنى لن أنقض عهداً نطقت به . إني أعتقد فى قدرة الله . داي ، لورد ارمتايدج ! كن كما تحب أن تكون . إني وهبتك مالى ونفسى ، فإن أحببت كنت لك قرينة صادقة ، وإن أبيت كنت لك صديقة مخلصه . وأنت ، أيتها الفتاة المسكينة ، لا تخفك انتقامى . إني سأكون لك درعاً متينة . تدرأ عنك الأذى ، وتقيك شر حوادث الدهر . فكونى هادئة مطمئنة ، واستقبلى السعادة والهناء .

« يسدل الستار »

تم الفصل الرابع

الفصل الخامس

(غرفة فاخرة بقصر أستار منستر ، مهيأة لإقامة حفلة شائقة) .

(ولفرد خادم لورد داين ارمتايدج يرتب البهو) .

ولفرد : ما أعجب حوادث هذا الدهر ! (يتسهم) لقد أصبح مولاي اللورد مزمعاً ، أيها اللورد !
بالسعادة من بها كلفت ! غريب ! من كان يظن أن داين ارمتايدج رب استار منستر
العظيم تستببه وصيفة ؟ أيسمح شرفه العظيم أن يفصم عرى الخطبة التي ارتبط بها
مع ليدي تيودوسيا هاينلت الشريفة الغنية ؟ وكيف يكون مركز مولاي الإيرل ،
لوتم ذلك ؟ (بعجب) . لقد بات القصر ، ولا حديث فيه غير غرام اللورد .
وما أظن هذا بخاف عن مولاي الإيرل ، ولا عن الليدي نفسها . أصدق أصدقائه ،
لورد سانت أوين يعزز له هذا الحب ، ويساعده على إشهاره . من يحسر أن يحول
قلب العاشق إلى غير من يهوى ؟

بول : (يدخل) هل بلغك خبر الحفلة ، يا لوفرد ؟

ولفرد : أى حفلة تعنى ؟

بول : الحفلة الشائقة التي ستقام هذا المساء في القصر . ولقد أوفد اللورد رسولا إلى ليدي
تيودوسيا أميرة كاسل تروز ومسز ليزلى ومس ليرا تشستر ليحضروا هذه الحفلة .
وسيكون لوجود مس ليرا شأن عظيم في هذا الاجتماع .

ولفرد : أى شأن ياترى ؟

بول : ربما أصبحت مس ليرا تشستر ليدي داين ارمتايدج ؟

ولفرد : ويحك ! كيف تجرؤ على هذا التصريح ، ومن أفضى إليك بذلك ؟ أوافق أنت
مما تقول ؟

بول : إنه اتفق لى أن سمعت محاورة بين مولاي اللورد ، وبين لورد أوين ، علمت منها
ما تنبأت به الآن .

ولفرد : (بدهاء) لا تنطق بكلمة واحدة مما سمعت لأى إنسان في القصر ، وإلا انتهت خائناً .

بول : آليت على نفسى ألا انطق بحرف مما سمعت .

- ولفرد : (بخداع) اجتهد أن تنسى كل حرف فاه به مولاك . أفهمت ؟
بول : نعم . لك منى ذلك .
ولفرد : ومن يؤيد لى ذلك ؟
بول : يمكننى أن أسر لك ما سمعت . و إذاك يكون السر بينى وبينك . فإذا أذيع هذا السر ، كنت أنت الواشى .
ولفرد : (بالتصاغر) حسناً لى أوافق على هذا الرأى . اجلس . (يجلسان) .
بول : كان مولای بغرفة المكتب على موعد من صديقه لورد سانت أو بن . وما أن دخل الصديق ، حتى أسرع مولای فأوحد الباب . وكنت إذ ذاك فى الغرفة المجاورة أرتبها ، فسمعت مولای يتأوه ، فاستفزنى الفضول أن أنصت عسائ أعلم شيئاً عن سبب آلامه فأقتديه بمهجتى إذا لزم الحال ، وبينما كانت تساورنى تلك الشواغل ، إذ سمعت مولای ، بعد أن ، تنهد ، يقول : صديق الأعز ! سألتك أن أراك فى خلوة كى أشرح لك ما صادفنى فى رحلتى الأخيرة . فأجاب اللورد : لى مصغ لك ، يا عزيزى ، وستجدنى أجود بدمى راضياً فى سبيل هنائك ! فأجاب مولای : هذا أملى فىك أيتها الصديق ! واستطرد : لقد اتفق لى أن رأيت غادة يتلاعب بها قارب صغير فى مياه التوامام كنيسة القديس مرقس القديمة . وخيل لى أن الفتاة تحاول إنقاذ نفسها من الفرق ، فألقيت بنفسى فى الماء ، وكدت أغرق لولم تسعفى بقاربها . وسرعان ما انتشلتنى من الماء . وهنا توقف مولای قليلاً وتنهد من أعماق قلبه ، ثم أردف : وصل بنا القارب إلى الشاطئ ، فساعدتنى حتى عشنا الجميل ، وهو كوخ صغير آية فى الإبداع ، وقدمتنى لى أبيها ، وهو شيخ جليل عليه سىا الوقار . فاستضافتنى حتى جفت ثيابى ، ولسوء حظى كانت المدة الوجيزة التى لا تبرح ذاكرتى كافية لولوعى بتلك الحسنة . نعم إنها جذيرة بحبى ، إنها فتاة عفيفة حوت وحدها نصف جمال العالم ، تعيش بين شيخين أحنى ظهرهما الكبر : أب وخادم أمين . وهنا اشتد تأوه مولای ، فغاطبه اللورد قائلاً : وهل تبادلتما نظرات الحب ؟ فأجاب مولای بتأوه : نعم ولكن وأسفاه ! وعدتها أن أعلمها صيد السمك فى صبيحة اليوم التالى ، وما بزغت شمس ذلك اليوم حتى أسرع لى إليها وفاء لوعدى . وهنا كاد يبكى ، ثم أردف : ليت شمس

ذلك اليوم ماطلعت ! فلقد كانت سبب بلائى ، إذ دفعنى طيش الشباب إلى اختلاس قبلة ، يالهول ذكرها ! فانتصبت جامدة كأنها تمثال ، وأرسلت إلى نظرة أنخلع لهولها قلبى ، ثم فرت شاردة كالظبي دون أن تعير توسلاتى أقل التفات ، فطار صوابى ، ووقفت جامداً كالصنم أشيعها بنظرة الندم حتى توارت عن عيني الدامعتين . وهنا أفاض العبرات ، وأردف قائلاً : فرجعت وأنا أعض بنان الندم فى يأس وأسف . وهنا سمعت مولاي الإيرل يستأذنها فى الدخول ، فانقطع الحديث ولم أعد أسمع شيئاً . إننى أسمع وقع أقدام . (يجرى إلى الباب) يقف ولفرد .

داين : (يدخل داين وبجانبه لورد سانت أوين إلى ولفرد وبول) ستشرف القصر بعد قليل ليدى تيودوسيا ، فيجب أن يكون قصرى على تمام الاستعداد . انصرفا . (يخرجان بعد أداء التحية إلى سانت أوين) أجلس يا عزيزى . (يجلسان) عدت إلى كاستل تروز فعملت عزم حضرة الإيرل على زورة القصر فى ذلك اليوم ، فرأيت وجوب أنتظاره . (يتنهد) وما حضر حتى خلق لى عملاً شغلنى . ولما سئمته خرجت إلى ردهة الاستقبال ، وما توسطتها حتى جدد الدم فى عروقى ، ذلك لأننى فوجئت برؤيتها .

سانت أوين : (بدهة) ومن جاء بها إلى كاسل تروز ؟

داين : (يتنهد) إنها دخلت فى خدمة ليدى تيودوسيا على إثر حادث مؤلم أفضدها أباه ، وأقصاها عنوة عن عشاها الهادى الجميل .

سانت أوين : حديث مؤلم . وماذا حدث حين وقعت العين على العين ؟

داين : شعرت أن الأرض تموج تحت أقدامى ، وكأن سماء البهو تهبط فوق رأسى ، ومالبت أن سقطت لا أعى شيئاً وتصادف أن غشيها ماغشيني ، فأسرعواً بنقلها إلى مخدعها . ولقد دخل الشك قلب الليدى ، بيد أن الطبيب أزال هذا الريب . ولما أفتت بادرت إلى غرفتها واعتنيت بها بنفسى (يتنهد) .

سانت أوين : ذلك الذى ولد الشك ثانية فى قلب الليدى ، وأكثر اللفظ بين الخدم .

داين : أجل ، ولكن تم ذلك رغم إرادتى ، ولم أحفل بكل ما أذيع عنى فى القصر . بل ظلت بجانبها حتى أفاقت تماماً . ويظهر أن الليدى تباحت فى الأمر مع حضرة الإيرل ، فبرح القصر دون أن يرانى ، فساءنى ذلك جداً ، وعرفت أنى لن أدخل

استار منستر ماحيت . غير أن حضرة الإيرل لاحظ خطأه ، فبادرنى برسالة سألنى فيها سرعة الوصول لأمر جليل ، فلم أبدأ من الطاعة . حاولت أن أخلو بالفتاة لأشرح لها الأمر ، فلم أفصح بادية ذى بدء ، إذ رفضت بتاتا أمر اجتماعنا . خلوت بها فترة قصيرة بعد جهد جهيد ، فوجدت منها نفورا جعلنى أرتاب فيها . كانت تسمح دموعها المنائر فوق خديها كأنها تسكت سرّاً غامضاً تندلع نيرانه فى فؤادها ، فأنبئت إلى التوسل ، فلم يجد نفعا . (يتأوه) لم أتمالك أن فأتحمس فى أمر الزواج . فنظرت إلى نظرة ملؤها الرعب ووثبت من مكانها كالمأخوذة . كانت دموعها أكبر شفيع لها عندي ، فأصبحت كالمصعوق تكاد رأسى تحترق . سألتها عن سبب ذلك الإعراض وقد وضعت تحت أقدامها ثروتي وحبى وحياتي ، فأجابتنى وهى ترتجف وقلها يكاد يفارق صدرها من هول ما هو فيه من الاضطراب : إليك عنى ، فلم أعد لك . وتولت حياء بعد أن سترت وجهها بيديها ثم وقفت وأرسلت إلى نظرة لن تبرح مخيلتى إلى الأبد . ثم صاحت : وداعاً يا لورد إنك لن ترانى بعد الآن . ولا أمل فى خلوتك بى بعد ذلك . ثم غفمت بصوت خافت : قائلة لبيتك علمت ، وبالتنى رأيتك فى حين الحاجة إليك ، ثم اختفت وهى تقول : مات الأمل . (يتأوه) ماذا تراه يا صديقى فى كل ذلك ؟

أوبن : يلوح لى أن ما أشقى الفتاة أنها كملت قلباً وقلبا ، فيالسعادة من كانت له !
داين : هذا كل ما أشقى من أجله . ولقد قضيت ليلة الأمس حتى انبلج الصبح وأنا أفنع والدى الإيرل بوجوب زواجى منها ، فهاله الأمر ، وشق عليه احتماله . فأخذ يعنفنى ، ولكنه كان يضرب فى حديد بارد . ولما آنس فى نفسه اليأس ، لجأ إلى إرهابى والغضب متمكن منه .

أوبن : وبعد ؟
داين : لم يثن ذلك من عزى وصمت على فصح عرى الخطبة التى بينى وبين تيودوسيا ، وأن أعود فأتوسل إلى ليرا .

أوبن : وهل أطلعت حضرة الإيرل على ذلك التصميم ؟

داين : نعم بعد عناء طويل .

أوبن : وهل وافقك أخيراً ؟

داين : واقفى مضطراً ، ووعدى مكرها ، ولم يقبل إلا بعد أن تولاه اليأس .

سانت أوبن : وعلى ماذا عولت ، حين تحضر الليدى هنا ؟

داين : أترك كل شيء لوالدى ، فقد أخذ على عاتقه ذلك .

سانت أوبن : ومن تظنه يتقدم ليطلب يد الليدى تيودوسيا هاينلت ؟

داين : لقد قضت السنين الطويلة فى صحبة رجل تقول إنه مثال التقوى ، رجل خلق

ليكون لها ، كما أنها لم تخلق إلا له ، انقطعت إليه بكليتها ، فهو لا يفارقها لحظة واحدة بدعوى أنه مساعدتها فى عمل الخير .

سانت أوبن : ومن هو ؟

داين : مارتن فانشو .

سانت أوبن : (بدهشة) القس ؟

داين : هو بعينه !

أوبن : إذا صحَّ ذلك تتمَّ ما أرادت .

ولفرد : (يدخل . وينحنى) سيدى الإيرل .

الإيرل : (يدخل إلى سانت أوبن) هل أنت هنا . يا أعز الأصدقاء ؟ (يخرج ولفرد) .

أوبن : (يقف وداين) نعم منذ ساعة ، ياسيدى الإيرل .

الإيرل : هل صرح لك داين بآلامه ونواياه ؟

أوبن : نعم .

الإيرل : وما رأيك الخاص فى موضوعه الهام ؟

أوبن : إن صديقى محق فى كل ما صمم عليه .

الإيرل : حتى وفى رفض يد الليدى تيودوسيا ؟

أوبن : أجل ياسيدى الإيرل ، فإنه إن لم يرفض يدها اليوم ، وسترفض هى يده غداً .

الإيرل : (بغرابة) ومن أين أوحيت إليك تلك النبوءة المستحيلة ؟

أوبن : لم أتنبأ ، بل هى الحقيقة . إن ليدى تيودوسيا هاينلت على وفاق تام مع حضرة القس

مارتن فانشو . لانهجب ياسيدى الإيرل ، هذا هو الواقع ، وهى التى تفكر فى إيجاد

الطريقة التي تسوغ لها قطع علائق تلك الخطبة التي تربطها باللورد . لقد آن لك ياسيدى الإيرل أن تعرف كل شيء ، فإن كان صديقى (مشيراً إلى داين) يفكر فى إيجاد طريقه يقطع بها تلك الخطبة ، فهذا نفس ماتفكر فيه الليدى الآن .

الإيرل : إنك اليوم غيرك بالأمس ، ياعزيزى أوبن . فلم التحامل على الليدى ؟

أوبن : حاشى أن أتحمّل على من أقدس احترامها . إنها أشرف أميرات هذا العصر .

الإيرل : (بآلم) إني كنت أدخرها لولدى .

أوبن : أيقوى سيدى على معاندة القدر ؟ إنها أصبحت والمّة بحب فانشو ، وكذلك هو .

الإيرل : إني لم أكن أنتظر ذلك .

أوبن : أما وقد علمت كل شيء ، فقد وجبت عليكم مساعدة صديقى (مشيراً إلى داين) .

الإيرل : إن استطعت ما تأخرت .

أوبن : وكيف لا يستطيع سيدى الأيرل ، إذا كان يريد ؟

الإيرل : ذلك معناه أنى كنت لا أود ..

سانت أوبن : (باستفهام) زواج الآنسة ليرا تشستر من صديقى اللورد ؟ (مشيراً إلى داين) .

الإيرل : أجل .

أوبن : لأنها فقيرة ، أم لكونها فقدت والديها ؟

الإيرل : لا هذا ولا ذاك . بل لأننى لا أعلم شيئاً عن سر مولدها ، ولا عن أسرته .

أوبن : كيف لم تمر بذاكرة سيدى الإيرل أسرة تشستر فى لوكشير ، وهو يعلم كل شيء

عن جميع الأسر الكبيرة ؟

الإيرل : (يفكر) أسرة تشستر فى لوكشير ؟ نعم إني أعلم أشياء كثيرة عن هذه الأسرة ،

إن أملاكها تتأخم أملاكنا فى لوكشير . إنها أسرة كبيرة فهل مى ليرا منها ؟

أوبن : نعم . وهى ابنة أكرم رجل فى تلك الأسرة .

الإيرل : نعمت الفتاة . إني قبلتها عروساً لداين .

داين : (بفرح شديد) لاعدمتك ، ياوالدى الأعز .

الإيرل : إني أسمى وراء سعادتك ياداين ، وأنت تعلم علم اليقين أنى واسع الثروة وأنها ستؤول

من بعدى إليك ، فما دمت تحب ليرا تشستر ، فهاهى ثروتى بين يديك ، وهى تضمن لك ولزوجك السعادة عن سعة . طيب نفساً واجتهد فى أن تزف ليرا تشستر إليك .

ولفرد : (يدخل وينحنى) لقد وصلت مولاتى الليدى يامولاي .

الإيرل : (إلى دايين) أسرع فى استقبال الليدى يادايين ؛ (لسانت أو بن) وأنت إذا سمحت يالورد (يخرج جان وولفرد) .

الإيرل : (لنفسه) إنه يهواها ، وليس لى أن أسيطر على القلوب . تيودوسيا ، إنه لم يخنك ، ولكنك انشغلت عنه ، ولأهملت الانصال به ، فليست لك عليه من حجة (يسمع ضوضاء) هاهى الليدى !

ولفرد : (يدخل وينحنى) مولاتى الليدى !

الليدى : (تدخل وبجانها سانت أو بن ومن ورائها دايين ويرا ومن خلفهما القس فانشو ومسز ليزلى) تحيتى إلى سيدى الإيرل المحترم .

الإيرل : (يقف) أهلا بك يا ابنتى العزيزة . (يصافحها) لقد شرفت استار منستريا أميرة كاسل تروز . (يصافح ليرا ومسز ليزلى) إنى سعيد جداً بتشريفكن قصرى .

الليدى : إنى بلسانهما أقدم إلى السيد الإيرل شكراً عظيماً على هذه العواطف السمحاء . (مشيرة إلى فانشو) وأقدم لكم حضرة القس مارتين فانشو المحترم .

الإيرل : (يصافح فانشو) أهلا برجل التقوى . لقد حملت إلى قصرى بزورتك هذه ملائكة الرحمة وآيات الغفران .

فانشو : (ينحنى) أعز الله سيدى الإيرل .

داين : (لتيودوسيا بفرح) إنى أرى كل شىء يبتسم .

تيودوسيا : (بسرور) إنى سعيدة جداً برؤيتك ، يا أبن العم .

الإيرل : (يجلس) تفضلوا بالجلوس (يجلسون ، إلى ليرا) لقد آمنت استار منسترياسلية أميرة تشستر العظيم !

داين : (يفرك يديه من شدة الفرح ويهمس إلى دايين) إنه رفع مقامها فى عين الليدى .

ليرا : (تبتسم بفرح) إنى بالإنبابة عن مولاتى الليدى اشكر عواطفكم السامية يامولاي .

- الليدى : هل تعزف أسرة مسز ليرا ، يا حضرة الآيرل ؟
- الإيرل : نعم ، وهى من أجد الأسر القديمة ، ولا تزال أملا كها تتأخم أملا كنا فى لو كشير .
- الليدى : (بعجب) فى لو كشير ؟
- الإيرل : نعم ، ولا غرابة فى ذلك فأنا أعرف رؤوس هذه الأسرة الكبيرة ، وكأنه يلوح لى منذ عشرين سنة إنى سمعت عن كبير تلك الأسرة الشريفة إنه رحل إلى أمريكا ، هاجراً بعض أفراد أسرته ، فأرى هناك وأصبح من كبار المالىين .
- ليرا : (باهتمام) أتذكر يا مولاي اسم هذا الشريف ؟
- الإيرل : (يتذكر) أظننى لا أستطيع ذلك الآن لأن مشاغلى العظيمة أبعدت عن ذاكرتى مثل تلك الروايات (يصمت قليلا) . هاقد فطنت ، إنه بلا ريب السيد آدون تشستر .
- ليرا : (تبكى) هو والدى ، يا مولاي .
- الجميع : (باندھاش) أبوها !
- الإيرل : (بسكون) أبوك ، أنت ، يا أبنى ؟
- داين : (بفرح واهتمام) نعم يا والدى ، وقد سبق لى أن تعرفت به فى سياحتى إلى برنستابل ، وتناولت الشاى فى بيته ، وهناك رأيت المس ليرا تشستر لأول مرة .
- الإيرل : (باهتمام) ولم لم تخبرنى عن هذه المصادفة الغريبة ، يا ولدى ؟ .
- داين : لم أكن أعرف شيئاً عن ذلك يا سيدى الوالد .
- الإيرل : (إلى ليرا) وما السبب فى عودتكم من أمريكا ، يا ابنتى العزيزة ؟
- ليرا : لا أعرف السر فى ذلك ، وربما عرفه خادمى الأمين ، جرفث .
- الإيرل : وأين جرفث ؟
- ليرا : يسكن كوخنا ، لا يزال فى برنستابل .
- الإيرل : وهل هو مسن ؟
- ليرا : نعم ، إنه أكبر من والدى سنّاً . (تتأوه) لقد كان ساهراً على حراستى وهو طيب القلب .
- الإيرل : (يتذكر) نعم ، إنى رأيته مع أبيك غير مرة فى المزرعة . ولقد أعادت هذه الذكرى إلى ذاكرتى أشياء كثيرة عن هذه الأسرة التى ربما تكونين أنت وريثتها الوحيدة .

ليرا : (بفرح ، واهتمام) أفي يقظة أنا أم في منام ؟
الإيرل : (بسرور ، يضحك) في اليقظة يا عزيزتي ، وسأرد لك ماسلبك الدهر ، وأزف بيدي
هذه إليك الهناء والسعادة .

ليرا : (بفرح عظيم) كم أنت كريم يا مولاي !
ولفرد : (يدخل وينحنى) المائدة على استعداد .
الإيرل : (يقف) هلموا إلى المائدة (إلى الليدي) تفضلي يا ليدي .
الليدي : (باندهاش) تفضل يا سيدي الإيرل (تقف) .

داين : (إلى الجميع) إن قصر استار Münster يتلأأ نوراً بضيوفه هذا المساء (يتأبط ذراع
الليدي يخرجون) .

بول : (يدخل ليرتب البهو) حقاً لقد أحسن رئيسي ولفرد في اقتراحه عدم التدخل في
شئون الأمراء . نعم إنى لست سوى خادم ضعيف يمكن استبداله من أجل هفوة ،
فكيف أجحد هذه النعم ، ولا أشكر الله عليها ؟

الإيرل : (يدخل متوكئاً على ذراع ليلا) رغبة في الخلوة بك ، دعوت الليدي إلى قصرى هذا
المساء ، وسألتها بإلحاح أن تصحبك بمعيتها . (يجلس) اجلسي إلى جانبي يا ليلا ،
وأعيريني كل التفاتك .

ليرا : (تجلس) ها أنا ذى خاضعة لأمرك يا مولاي .

الإيرل : أنعلمين إنى عظيم الثروة ، وليس لى وريث شرعى غير وحيدى اللورد داين ، وهل
تعلمين أيضاً كم أحبه ؟

ليرا : (تقنهد) نعم أعلم ذلك .

الإيرل : وكنت قد تعاهدت وأخى لورد هاينلت أن تزف تيودوسيا إلى داين متى عرفا معنى
الحياة . وكانا إذ ذاك في المهد . ولما ترعرعا شرحت لهما إرادتنا فوافقا عليها . غير
أن الدهر أبى أن تتحقق تلك الأمانى ، ووقع داين في حب غادة شريفة سواها .

ليرا : (باهتمام) ومن هى هذه الغادة التى كلف بها اللورد ؟

الإيرل : أظنك لانتسين صيد السمك على ضفة نهر التو .

ليرا : (تخفى وجهها بين يديها) أبلغ مولاي ذلك السر ؟
الإيرل : نعم ، أعلم كل شيء . (يمسح شعرها بيمينه) كوني مطمئنة فلم يخرج السر من لسان
الولد إلا إلى صدر الوالد .

ليرا : يا مولاي !

الإيرل : اطمئني ، فقد اخترتك عروساً لولدي ولم يبق إلا كلمة القبول من فمك .

ليرا : (بانزعاج) أنا ؟

الإيرل : وهل في ذلك شك ؟

ليرا : ولكن . . . (في تفكير عميق) .

الإيرل : ولكنك فقيرة ، أليس كذلك ؟ أنظنين ، يا أبنتي ، أن الفقر عار ؟

ليرا : لا ، يا مولاي (بدهشة) ولكن . . .

الإيرل : ولكن ماذا يا عزيزتي ؟ أراك مرتبكة فهل يؤلمك سر اعترائك في حياتك الأولى ؟

ليرا : (ترتجف) آه ، يا مولاي ! (تبكي) .

الإيرل : تبكين أيضاً ؟ أرفضة أنت طلبي ، يا ليра ؟

ليرا : إن المضطرب يركب الصعب يا مولاي .

الإيرل : وهل يضطرك شيء إلى رفض طلبي ؟

ليرا : (بنجول) ربما كان ذلك ، يا سيدي ، وأراني مرغمة .

الإيرل : أتبخلين على بشرح ما يؤلمك ؟

ليرا : (بألم) لا يحسر لساني على النطق ، يا مولاي .

الإيرل : (يمسح شعرها بيمينه) أنظري ملياً في المسألة ، واعلمي أنني أريد لك الخير .

ليرا : كان يسعدني ذلك ، لو استطعت .

الإيرل : إنه ليدهشني رفضك يد اللورد ، مع أنها تسعد أغني شريفة في لندن .

ليرا : هذا صحيح ، يا مولاي .

الإيرل : إذاً ، كيف ترفضينها ؟ وفوق ذلك فهي يد من يهواك لدرجة العبادة

ليرا : يا إلهي ! (بحزن) إن رفضي يد اللورد يقذف بي إلى هاوية الهلاك أياماً قليلة ، ثم

يبعث بي إلى عالم الأبدية ، حيث أرقد هادئة بعيدة عن تلك الآلام التي يصعب
على احتمالها .

الإيرل : لا بد أن هناك سرًا تدفينه على صدرك الكتموم . ولكن مهما كان هذا السر فلا
أظن أنه يحول دون قبولك الاقتران بالورد .

ليرا : (تبكي) مولاي ، أستحلفك بكل عزيز أن تغير موضوع هذا الحديث !
الإيرل : تطلبين محالا يا أبتى ؛ لأنك بهذا العمل ترعجين حياة شاب أوقفها لحبك ، وأقسم
بشرف أسرته ألا يتزوج سواك .

ليرا : (ترتجف) مولاي ، رحمتك ! واذكر أنى فتاة ضعيفة .
الإيرل : (باستغراب) من منا يطلب الرحمة ؟ واذكري أيضاً أنى إيرل أستاذ منستر أطرح
تحت أقدامك ثروتي وسعادة ولدى ، وأنت ترفضينها ! فيالك من قاسية !
ليرا : (تلتحج بأشدة وتنظر إلى السماء) إلهي ، رحمتك ، أسألك المعونة !
الإيرل : (بحنو) ليرا ، اذكرى أنني شيخ يلعب بي الفناء ، فلا تكدرى على صفو
لحظاتي الأخيرة .

ليرا : (تمسح جبينها إثر دوران شديد) ارحمني ، يامولاي ، فإني أكاد أختنق . واسمح
لي بالانصراف لأنشق الهواء ، وأماننا متسع كبير من الوقت نعاود فيه الحديث ،
(تقف ببطء فتخونها رجلاها ، فتسقط) أفضني ، ياسيدي ، وأسعفني
بالهواء ... الهواء !

الإيرل : (يسرع إلى النافذة فيفتحها) لا بأس عليك يا عزيزتي . (باهتمام) كيف أنت الآن ؟
ليرا : (بكلام متقطع) أحمد الله ... إن الهواء أنعشني ... فشكراً لك ياسيدي إيرل .
الإيرل : سأتركك قليلا ، يا عزيزتي ، لمفاوضة الليدي في قسم عرى الخطبة ، نكي أزف إليكما
السعادة . (يخرج) .

ليرا : (لنفسها) إلهي ! أمي ! أبي ! أين أتم ؟ لماذا لم تسرعوا لنجدي من هول ما أنا فيه ؟
داين ! حبيبي ! إني أحبك لدرجة العبادة . ولكن ما حيلتي وقد رماني الدهر بنسكة
لا يخرج لي منها ، وقيدني بأغلال لافكاك لها ؟ (تقف) دي جوفري بارل ! ليت شمس

اليوم الذى عرفتك فيه ماطلعت ، بل ليتنى مت قبيل أن أضع يميني البريئة فى يدك الخائنة آونة ذلك العقد المشؤم . إلهى ! كيف سمحت لهذا الوحش المفترس أن يرتبط إلى الأبد بفتاة يتيمة بائسة ! مات أبى الذى كان يرعانى ، وزحلت أمى التى كانت ترحم دموعى ، وفارقت خادى الأمين الذى أوقف حياته لحراستى . ويلاه ! أتلفت حوالى فلا أرى منهم أحداً . (تنظر إلى السماء) لم يبق لى سواك ياخالق الرحمة . النجدة ، ياإله السماء .

(فى هذه اللحظة يسمع صوت ينادي : مولاتى ! فتلفت لتجد ولفرد منحنيًا وفى يده طبق فيه كتاب) .

ولفرد : (يدخل فى يده طبق فيه كتاب) مولاتى ! (ينحنى) .

ليرا : (بانزعاج) ماوراؤك ؟ (لنفسها) إنه سمع كل شىء .

ولفرد : كتاب برسم مولاتى المس ليرا تشستر بقصر كاسل تروز .

ليرا : (تتناول الكتاب بيد مرتجفة) برسمى أنا ؟ تنظر العنوان برنستابل (بفرح) لاشك أنه من جرفث . (تقبله) .

ولفرد : هل من خدمة يامولاتى ؟

ليرا : هل وقع نظر مولاتى الليدى على هذا الكتاب ؟

ولفرد : نعم ، وهى التى سلمتنى إياه وأمرتنى بتسليمه إليك متى وجدتك فى خلوة .

ليرا : (بدهشة) فى خلوة ؟ ولم ذلك ؟

ولفرد : هكذا أمرت ، ولم أعلم السبب .

ليرا : حسنًا . أنا لا أحتاج إلى شىء . (ينحنى ويخرج . تفتح الكتاب باهتمام) إنه وصل متأخرًا . (تنظر فى التوقيع) جرفث . (تقبل الاسم) ما أطيب قلبك الطاهر ! (تجلس وتقرأ) « سيدتى وابنتى الوحيدة ، رعاك الله فى غربتك . لقد انقطعت عنى أخبارك منذ سفرك . إنه ليزعجنى ذلك لأنى لا أعلم السبب . هل أنت سعيدة كما أتمنى ، فأشكر إلهى لقبوله توسلاتى أم تتألمين فأعذراعى إلى ضمك إذا أحببت العودة ؟ أو أطير على أجنحة الرياح إليك إذا فضلت البقاء ؟ ابنتى ، لقد شاهدت حادثًا أمس يهمنى الاطلاع عليه ... » . (لنفسها) يهمنى الاطلاع عليه ! ماذا عساه يكون ؟ (تعيد القراءة

« بينما كنت أنصيد بجانب المغارة ، أبصرت جماعة على ضفة النهر يهرجون ، فميرث النهر إليهم ، فإذا هم مجتمعون حول جثة رجل حملها الماء إلى الشاطئ ، واسكنها مشوهة جداً وممزقة الثياب . فلم يتمكن أحد منا من معرفة صاحبها ، فساعدتهم على حملها إلى المغارة ولقد حانت منى التفاته ، فألقيت على القطعة الباقية من معطف الغريق زراً من الأزرار اللامعة المصنوعة على شكل كوكب والتي كنا نراها على معطف دى جوفرى بارل . . . » (لنفسها) يا لله ، أيمكن أن يكون هو الغريق ؟ (تواصل) « . . . ولما خلعنا المعطف عن الجثة ، وجدنا في جيب الصدر الداخلى دفترًا تذكرت أنى رأيت مثله معه ولما فتحناه لم نتمكن من قراءة شيء ، بل عثرنا بين طياته على أوراق مالية قيمتها خمسمائة جنيه . . . » (لنفسها) خمسمائة جنيه ! هذا سر لا يعلمه أحد غيرى أنا وحدى . (تواصل) « . . . أخذنى الفضول فبحثت الوجه جيداً ، فرأيت فيه علامات دلتنى على أن الغريق إنما هو دى جوفرى بارل بعينه . . . » (لنفسها) وأفرحتاه ! (تقبل الكتاب تقرأ) « . . . لقد مات من كنت تخشينه ، يا عزيزتى . فكونى هادئة ، وأطمئنى . وإنى أهنتك على خلاصك من التصورات المؤلمة التى سببها لك هذا الوحش القاسى . أنا لا أعلم السر فى رعبك منه للدرجة التى شاهدتها . . . » (لنفسها) نعم ، إنه لا يعلم . (تقرأ) « . . . صحتى جيدة . ليس لى شاغل سواك . سأحضر متى حانت الفرصة . منى إليك قبلتى الأبوية . المربى جرفت » (تطوى الكتاب وتضعه فى صدرها) الآن أشرق نجم سعادتى ، فشكراً لك يا إلهى .

ولفرد : (يدخل وينحنى) مولاي الإبرل .

الإبرل : (يدخل) لعلك أحسن حالا الآن يا ابنتى .

ليرا : (تنحنى) شكراً لعواطفكم الرحيمة ، يا مولاي .

الإبرل : لقد تم كل شيء ، وقبلت اللبيدى عن طيب خاطر ، وستجهز لك بيدها ملابس

العرس . إنها طيبة القلب ، ولم يبق لى الآن إلا أن أسمع كلمة القبول منك .

ليرا : (بفوز) إنى مطيعة يا مولاي .

الإبرل : بارك الله فيك ، يا ابنتى ، إذا كنت راضية .

ليرا : (بخجل) نعم رضيت . وإنى رهينة أسر مولاي .

ولفرد : (يدخل وينحنى) سيدى اللورد وصديقه لورد سانت أوين .

- الإيرل : ليدخلا . (يدخل دايين وسانت أوبن) .
- سانت أوبن : نرجو ألا نكون قد أزعجنا سيدي الإيرل ومس ليرا .
- الإيرل : (يضحك) إنه يسرني حضوركما ، لأنه جاء في الوقت المناسب . (ينظر إلى دايين)
- إني أهنك يا ولدي العزيز بعروسك (مشيراً إلى ليرا) .
- سانت أوبن : وأنا أيضاً أقدم تهنئتي القلبية لصديقي الأعز .
- داين : (بفوز) أحمد الله ، وأشكر لسيدتي الوالد هذا العطف الكبير .
- الإيرل : اجلسا يا ولدي . (يجلسان) .
- سانت أوبن : إن ليدي تيودوسيا قابلت هذا النبأ بكل سرور .
- الإيرل : يسرني أن تكون سعيدة ، لأن لها في قلبي مكانة الإبنة .
- ليرا : إنك أثقلت كاهل الجميع بحسناتك المتواليات ، ياسيدي الإيرل .
- الإيرل : لم أفعل غير الواجب على كما لو كنت ابنتي . هيا بنا يا عزيزتي إلى مكتبي الخاص .
- (تقف فيقف الجميع ويتأبط ذراع ليرا) أيسمح لنا ولدي ؟ (ينحني دايين وسانت أوبن)
- ولفرد : (يدخل وينحني) مولاتي اللبدي أأمرت بإعداد المركبة .
- داين : إلى كاسل تروز ؟
- ولفرد : نعم
- داين : (إلى سانت أوبن) يجب أن تشيعها ، يالورد .
- سانت أوبن : حسناً هيا بنا . (يخرجان) .
- ولفرد : (يرتب الأثاث) لاشك أن هذه العذراء الجميلة تقربت إلى الله بثوب العفاف والطاعة حتى أن الله زف إليها هذه السعادة التي كانت تتمناها أجل وأثرى النبيلات .
- بول : (يدخل) هل من خدمة يا حضرة الرئيس ؟
- ولفرد : هل تحمل أخباراً عن عراك القلوب الذي يدور اليوم في قصرنا الذي ظل هادئاً السنين الطويلة ؟
- بول : لقد لاحظت أن سيدتي اللبدي قد سرها فصم عري الخطبة التي تربطها بسيدتي اللورد ويظهر أنها ستستعيعض عنه بحضرة القس المحترم ، لأنها - علي ما سمعت - تميل إليه

كل الليل ، وأنا لا أنكر أنى قرأت فى وجهه علام البشر والارتياح ، إذ سمعته يقول لها وهو يكاد يطير فرحاً : إنه بدأ يشعر منذ اليوم بالأمل والسعادة الدائمين .

ولفرد : حسنًا ، وسيدى اللورد ، علام عول إذا ؟

بول : إنه بلا شك سيتزوج الحسنة صاحبة القصة التى عنفتنى على سماعها .

ولفرد : إنك بعيد النظر ، شديد الذكاء ، يا بول . إنى أسمع جلبة ، فمن القادم يا ترى ؟

بول : لا تشغل بالك ، فحركة القصر اليوم غير عادية . (يدخل داين وفانشو وسانت أوين)

داين : (إلى ولفرد) هل لا يزال مولاك الإيرل فى مكتبته مع مس ليرا ؟

ولفرد : أجل ، يا مولاي .

داين : ليطمئن فى خلوته (إلى ولفرد) انصرف . (يخرج ولفرد وبول . . إلى صديقيه)

تفضلاً بالجلوس (يجلسون . لفانشو) لم رفضت الليدى أن نصحبها إلى كاسل تروز ؟

فانشو : لم تسكن وجهتها كاسل تروز . إنها أسرع لتأسر اجتماعاً خيرياً هاماً .

داين : ولم لم تستصحب حضرة المحترم ، كما هى عادتها ؟

فانشو : لقد أنابتنى فى رئاسة اجتماع آخر لم يحن وقته بعد ، فأثرت البقاء معكم ريثما يأتى .

الوقت المناسب . (بدهشة) وهل يسوؤكم وجودى ؟

داين : : استغفر الله . إن وجودكم بيننا يضاعف سرورنا .

فانشو : أشكركم .

ولفرد : (يدخل حاملاً بطاقة صغيرة ويقدمها إلى فانشو) حامل هذه يلتمس مقابلة سيدى

شخصياً .

فانشو : (يتناول البطاقة وينظر فيها . بدهشة) مره بالدخول (ينحن ويخرج) .

ولفرد : (يدخل) أرجوكم المذرة يا سادة (إلى فانشو) عندنا رجل يحتضر ، وقد ألح كثيراً

فى طلبكم شخصياً للاعتراف . ومن غرائب ما شاهدت منه أنه يغمم بين آن وآخر

بكلمة ارمتايدج ولم نعلم لذلك من سبب .

داين : (باهتمام) ارمتايدج ؟ إن هذا عجيب . من هو يأتى هذا المحتضر ؟ أعلمت ما أسمه ؟

ولفرد : نعم ، لقد قال إن اسمه روبرت رودن . ويظهر أنه كان من رجال الكنيسة ، لاحظت ذلك من ترتيله في صحوته أناشيد الهياكل الكهنوتية وبعض المقدسات .

داين : (يجهد ذاكرته) روبرت رودن ؟ إني لا أعرف عن هذا الاسم شيئاً ، ولكن من يدري ، فربما كانت له علاقة بذلك الأحمق تشاندس ؟

فانشو : (إلى ولفرد) هأنذا ألبى نداء الواجب المقدس . (إلى داين وسانت أو بن) أسمعان لي بالانصراف لتأدية هذه الخدمة الدينية (يقف اللورد وسانت أو بن) .

داين : أيمكن أن نصحبكم ؟ وهل يجوز ذلك ؟ أراني مدفوعاً بعامل حب الاطلاع إلى سماع اعتراف هذا المحتضر .

فانشو : هذا شأن يتعلق به وحده ، فإن شاء كان ، وإن رفض استحال .

داين : مادام يذكر ارمتايدج ، فهو لاشك يرتاح لوجودي .

فانشو : هلموا بنا ، وسننظر في ذلك متى وصلنا . .

داين : (إلى ولفرد) هيئوا لنا العربى . (يخرج ولفرد . خرجون ، تدخل لسييرا في ثوب أبيض) .

ليرا : ما أطيب قلب ذلك الشيخ ! إنه يذكرني بوالدي . (تجلس) إن حنانه ضاعف في قلبي من حب داين ، ليته يعيش طويلاً كي أنسى بقربه فقدان أبي . (نصمت قليلاً ثم تمسح جبينها) رباه ، بماذا أشعر ! إن دقائق قلبي تنذرني بحدوث أمر ، فاهو ياترى ؟

ولفرد : (يدخل وينحنى) مولاتى ، وصل إلى القصر شيخ طاعن في السن ، فسأل عنك . ولما علم بوجودك هنا ، طلب مقابلتك في خلوة ، فدهشت من ذلك الطلب ، ولما رأيته متردداً ، قال : لا بأس عليك ، اذهب إلى مس ليلا ، واذا كر كلمة جرفث .

ليرا : (تصرخ بإندهاش) جرفث ! جرفث ! هل حضر ؟ . أحقاً ما تقول ؟ . إني لا أكاد أصدق . ليدخل ! (بدهشة) وافرحتاه . . . لا تعجب . . إنه أبي . ما أشد سرورى ! (يخرج ولفرد) .

جرفث : (يدخل ممتلئاً سروراً) حملنى الشوق إليك ، يا أبتى .

ليرا : (تجرى إلى الباب وتطوقه بذراعيها وتقبله) جرفث ؟ جرفث ! هذا أنت ؟ أهلا بك .

أفي لحظة أنا أم في منام !

جرفث : هأنذا ، يا ابنتي العزيزة ! أأنت سعيدة ؟

ليرا : تمت سعادتي بوجودك الآن .

جرفث : (بانسراح) ضاعف الله سرورك . (يجلس وتجلس ليرا بجانبه) كنت أعرف أنك

تسكنين كاسل تروز مع ليدى تيودوسيا هاينلت . ولما وصلت إلى القصر علمت أنك

انتقلت إلى ستار منستر فما سبب هذا الانتقال ؟

ليرا : نعم (تتأوه) إن الحوادث التي مرت بي والمصائب التي تقلت في أحضانها ، تدوب

لهولها صم الصخور .

جرفث : (بدهشة) أتتكلمين عن شخصك المحبوب .

ليرا : (بتوجع) نعم ، عن نفسي أنا .

جرفث : أما كفي ما جرى حتى تضاعفي أحزاني بحر شكائيك ؟ ابنتي ، بالله عليك ما سبب

هذه الآلام ؟

ليرا : فارقتيك بعد المصاب الفادح إلى كاسل تروز ، مصحوبة بمسز ليزلى التي أَرْضَعْتَنِي لبان

نصائحها ، وبالف في مواساتي . (تنهد) وعندما دخلت القصر قابلتني ربة الإحسان

وسيدة كاسل تروز ، ليدى تيودوسيا ، بكل حفاوة وترحيب ورفعت مكانتي بين

حاشية القصر ، حتى أصبحت مكانتي لا تقل احتراماً عنها . وقد مزقت بأيديها البارة

الكريمة تلك الحجب الكثيفة التي كانت تحمي حول سعادتي ؛ وأقصت عن قلبي

المتوجع جميع الهموم والأحزان . (تتأوه) ما أطيب قلبها يا جرفث !

جرفث : (باهتمام) وبعد ؟

ليرا : كنا نحتفل باللورد الأكبر إيرل ستار منستر . وقد أخذ القصر زينته . وكنت

موضع إعجاب الجميع ، وما هي إلا لحظة (تنهد) حتى رأيته يدخل فجأة (ترتعش)

ويلاه ! (تسكت) .

جرفث : (بغرابة) من هو ؟

ليرا : (تنهد) بربك ، كفي ! لا تضطرنني إلى . . .

جرفث : (بشغف) إلى ، إلى ماذا ؟ أتخفين عني ما يؤملك ؟ .

ليرا : (بحزن) كلا . (بحجل) ولكن ...

جرفث : أنا أبوك

ليرا : نعم . أنت وحدك الذى يهتمك شأى (تبكى) لورد داين ارمتايدج

جرفث : (يتسهم) فهمت ، الذى علمك صيد السمك ، أليس كذلك ؟

ليرا : نعم هو بعينه . (تنهد ، ويرتفع صاها) .

جرفث : لا شك أنك تحببته . أقرأ فى عينيك .

ليرا : نعم ، أحببته منذ ذلك الحين .

جرفث : وماذا حدث عند دخوله ؟

ليرا : لما وقعت العين على العين انتابنى إغماء شديد ، فسقطت على الأرض فاقدة كل حس .

ولم أعلم ماذا جرى بعد ذلك . (تنهد متوجعة) ولما أفقت وجدتني فى سريرى

وبعض الخدم يعتنون بى ، وعلمت فى صحوتى أن داين أصابه ما أصابنى فى نفس الوقت

ونقل إلى سرير الليدى ، وظل السكل حوله حتى أفاق .

جرفث : (بدهشة) اتفاق غريب . (يدنو من ليرا) .

ليرا : (بحجل) شاع على الألسنة منذ تلك اللحظة أن حبنا متبادل وقديم . نعم ، (بحنان)

إنى وهبته كل قلبى منذ أول نظرة . وثق أنه خيل إلى أن الليدى أخذتها الغيرة ، إذ

أن الجميع كانوا يعتقدون أن ليدى تيودوسيا ولورد داين قد خلق كل منهما للآخر .

وبهذا كانت تتم رغبة الإيرل وأخيه لورد هاينلت .

جرفث : (باهتمام عظيم) هل نالك من غيرتها أذى ؟

ليرا : (بحنو وعطف) حاش لله أن تمد ليدى تيودوسيا يدها بإساءة إلى مخلوق ، مهما نعمت

عليه ، إنها مثال العفو والإحسان .

جرفث : (بانشرح) إذأ ، كيف تخيلت أن الغيرة تسربت إليها ؟

ليرا : تجسم لى ذلك من اهتمامها واستدعائها الطبيب ، وسؤاله عن سبب الإغماء ، وكيف

أنفق أن يقع فى وقت واحد ولأول مقابلة . (تنهد) .

جرفث : حسناً ، وماذا تم بعد ذلك ؟

ليرا : (تنهد) لم يقو اللورد على إخفاء ما يخالج نفسه نحوى ، فكاشفنى بحبه ، ورجانى أن أقبل يده فأكون عروساً له ، فلم أقبل .

جرفث : (بغرابة) عروساً له ؟ ولم لم تقبلى ؟

ليرا : ولما يئس من قبولى لجأ إلى حضرة الإيرل والده ، فقضينا الساعات الطويلة وهو يرجونى بإلحاح ، وأنا مصممة على الرفض .

جرفث : (بدهشة وخزن) إنى لا أجد سبباً لامتناعك . فهل لذلك من سبب ؟

ليرا : (تتأوه بألم شديد) وبلاه ! (تفرك على يديها) إنك لاتعلم ...

جرفث : لا أعلم ؟ (باستغراب) أحدث لك هنا شىء مؤلم ؟

ليرا : (تبكى بحزن) هنا ؟ (تنتفض) أما هنا ، فلا ؟

جرفث : (بفزع وغضب) إذاً هناك ، قبل أن تبرحى العش .

ليرا : (بوجل ورعب) نعم هناك . (تصمت قليلا) يالها من ذكرى مؤلمة ...

جرفث : إنك قد صوبت سهماً إلى صميم قلبي . نعم لقد تحققت هواجسى . إنى كنت ألاحظ

عليك يوم سفرك أنك تكتمين عنى آلاماً كانت ترسم على محياك ، وتوسلت إليك أن تصارحينى ، فالتزمت الصمت . (بتأمل وأسف) ولكن ما علاقة كوخ المطحنة

بقصر ستار منستر ؟

ليرا : (تمسح دموعها) مسكين أنت ، يا جرفث . إنك لاتعلم شيئاً . نعم ، أخفيت عنك كل شىء .

جرفث : (باهتمام) كيف سولت لك نفسك هذا ؟

ليرا : (بتوسل) رحاك ، يا إلهى ! (تنهد) .

ولفرد : (يدخل وينحنى) مولاي الإيرل فى حاجة إلى رؤية مولاتى حالا .

ليرا : (تقف مذعورة) الإيرل ؟ (إلى جرفث) هلم معى لأقدمك إلى سيد القصر ، ولنؤجل

ما نحن بصددده حتى نعود . (يقف جرفث ويخرجان) .

ولفرد : (يرتب المقاعد) إنها ملاك ، فليهنأ بها مولاي اللورد . يلوح لى أن هذا الشيخ الذى

يتجسم الشباب فى سواعده ، ويتجلى الإخلاص . تحت جبينه المتجمد ، وتسطع الشهامة

حول شعره الأبيض ، قد أفرغ كل ما وهبه الله من حكمة في تربية هذه الزهرة حتى أينعت .

داين : (يدخل ومعه فانشو وسانت أوين . إلى ولفرد) هل لا تزال مس ليرا تتشرف بصحبة الإيرل ؟

ولفرد : (ينحنى) ذهبت الآن مع جرفث ، بناء على طلب مولاي الإيرل .

داين : من هو جرفث ؟

ولفرد : خادمها الشيخ . لقد حضر اليوم من برنستابل .

داين : (باهتمام) حسناً ، إذهب وهيء الغرفة المجاورة لهذا البهو . إنى أريد أن أسمع بأذى كل كلمة تدور بين هذا الشيخ ومس ليرا . أفهمت ؟ (ينحنى ولفرد ويخرج) .

داين : (إلى فانشو وسانت أوين) مارأيكما في اعتراف روبرت رودن ؟ (يجلسون) . فانشو : إنه غاية في الغرابة .

سانت أوين : إنى لا أكاد أصدق ما سمعت .

داين : إن ما يدهشنى قبولها يدى ، وهى تعلم ما بينها وبين تشاندس من العلاقات .

فانشو : هذا الموضوع غريب فى بابه ، فلا بد أن يكون قد وصلها عن تشاندس أخبار تأكدت منها أنه لن يعود ، وبعد ذلك قبلت يد اللورد ، ومع هذا فهى بريئة ، ألفت بنفسها بين مخالب ذلك الوحش تحت تأثير حادث مؤلم سوف نعرف حقيقته .

داين : أحب أن أسمع كلمات روبرت رودن الأخيرة ، فأين الورقة ؟

فانشو : (يخرج الورقة) ها هى (يقرأ) « . . . جاءنى يوماً صديق لى عرفته فى المدرسة ، وسألنى أن أساعده فى تمثيل رواية ، وكان يعلم ماضىّ وأنى كنت من خدمة الكنيسة ، فعرض على أن أمثل دور قس . وكنت حين ذاك فى أشد حالات الضيق لتراكم الديون على ، وكنت سكيراً ، فسقانى وشرب معى حتى نزع عنى البقية الباقية لى من الضمير ، ثم أخرج المال ، فألجأتى الفقر إلى موافقته . إن هذا الرجل كان شيطاناً ، فزين لى المستقبل ، وكان عرضه أن أمثل عقد قران نظير إعطائى مبلغاً كبيراً من المال . فانفقنا على أن يحضر هو والفتاة إلى كنيسة خربة ، فأعقد له عليها . . . »

سانت أوين : لا شك أنه زواج باطل .

فانشو : (مستأنفاً) « .. فى اليوم المعين ذهبت إلى الكنيسة المهدمة ، وآسفاه ! ويلاه ، إني أشعر الآن برهبة ذلك المكان الموحش ! وبعد قليل أقبل هو والفتاة ، وكنت أتوقع أن أرى فتاة عادية ، فإذا بي أرى غادة خلاصة المحاسن لها سذاجة الأطفال ، تغلب عليها معانى الطهارة والشرف ... »

داين : ويل لذلك النذل ، إن انتقامى سيكون شديداً .

فانشو : (مستمراً) « ... ومع أن ذلك الرجل الشيطاني كان يؤكد لى أنها جاءت مسوقة بإرادتها فإنه لم يظهر عليها ما ينم عن ذلك ، كان يلوح لى أن حزناً عميقاً ، أو مصيبة عظيمة دفعتها إلى ذلك المكروه ... »

سانت أوين : (لدائين) أرايت يا عزيزى أنها كانت مسوقة رغم إرادتها ؟

داين : سننظر فى ذلك يا لورد .

فانشو : (يواصل) فلم أقو على ضبط نفسى ، ولكن الشيطان كان يبسط إلى كفيه ، فأرى الذهب يلعب ، فيصل بريقه إلى أعين الفتاة التى كانت تحيط بى من كل مكان ، فسولت لى نفسى الطامعة أن أقرأ كلمات الإكليل . رحماك يا إلهى ! وبعد أن تم ذلك أخذت المال وسافرت إلى أستراليا ، إلا أن خيال تلك المسكينة المنكودة الحظ كان يطاردنى أينما ذهبت ، ففررت إلى الهند ، ثم جبت بلاداً كثيرة أملا فى أن يختفى عن عيني شبح تلك الفتاة الطاهرة . ولكن عبثاً كنت أحاول . ولقد داهمتنى الأمراض حتى رمتنى الأقدار بين أيديكم . إني أحتضر الآن .. وهذا يريحنى ؛ إذ به أتناهى من رؤية ذلك الشبح الخيف . اسمى روبرت رودن واسم الفتاة ليرا ، والاسم الحقيقى للرجل تشاندس ارمتايدج ، واسمه عند الفتاة دجوفرى بارل . واسم الكنيسة القديس مرقس ، بيرنستابل قرب النهر . إذا كانت لكم معرفة بالفتاة أو أمكن أن تعثروا عليها ، فاسألها الصفح والمغفرة .

داين : (بألم) إن حواسى تضطرب . فما رأى ؟

ولفرد : (يدخل وتنحنى) مس ليرا وخادمها الشيخ قاصدان البهو .

داين : (يقف وسانت أوين وفانشو) هلموا بنا إلى الغرفة التى هيأها لنا ولفرد . (يخرجون من باب داخلى) .

ليرا : (تدخل وجرفت يتوكأ على ساعدها) إنه يحبني ، كما لو كان أبي حياً . أرايت كيف أكرمك وطلب إليك ألا تفارقنا أبداً ؟

جرفت : إن لساني ليعجز عن وصفه .

ليرا : (بألم) إني وعدته ، فكيف العمل ؟

جرفت : (بدهشة) ما معنى هذا ؟

ليرا : أنصت إلى سأطلمعك على الحقيقة ، وكنت اتكتمها حتى الآن ، ولم أبح بحرف منها لخلق .

جرفت : (باهتمام) ما هي هذه الحقيقة ؟ اشرحيها حتى أسدى إليك نصيحتي فيستريح ضميري .

ليرا : ارجع قليلا إلى الكوخ ، وفكر ، في حياتنا الأولى . لقد حضر معي شاب كاد يفرق وانتشلته من الفرق . وفي اليوم الثاني حضر ليعلنني صيد السمك . هذا هو اللورد دايان ارمتايدج ابن الإبرل . وهو المخلوق الوحيد الذي أحببته منذ أول نظرة . (تبكي) .

جرفت : ولم البكاء ، وقد أصبح قرانكما مؤكداً .

ليرا : إسمع . بعد أن سافر دايان (تنهد) حضر إلى كوخنا ذلك الشيطان دجوفري بارل ، الذي استضافناه مدة طويلة .

جرفت : إطمئنني ، فأنا ما حضرت إلى هنا إلا بسببه .

ليرا : لقد أفهمني أن أبي مدين في خمسمائة ذهباً ، وأن صاحب الدين هددنا بطردنا من الكوخ واستيلائه عليه وعلى مزرعتنا الصغيرة . وجسم لي مصيرنا ونحن نتسول في الشوارع ، وبرهن لي على ذلك حتى أقنعني أن هذا صحيح . وفعلنا كفت أقرأ على وجه أبي علامات الضجر والخوف كلما قرب أجل الدفع . ولما زادت العلة على أبي تمكن من ذلك الشيطان ، وأكد لي أن نجاته في دفع الدين . وتوسلت إليه وأنا في حالة اليأس ، أن يدفع هذا الخطب عنا ، إذا كان ذلك في مقدوره . فأخبرني أن المال موجود ، ولكن هناك شرط يجب أن أقبله ، فسألته مطمئنة ، فقال إنه يدفع الدين ، إذا قبلت أن أتزوجه (تتأوه بألم) .

جرفت : يا للشيطان ! وبعد ؟

ليرا : حاولت تارة بتوسلاتي وطوراً بدمعي ، أن أثنيه عن غرامه ، فلم أفلح . وكنت كلما أبصرت أبي يتوجع ، طار قلبي شعاعاً وانفطر هلعاً . فجنوت على أقدامه متوسلة أن يدفع المال وينقذ شرف والدي ، فأبى إلا بالقبول . ولما رأيت أن أبي هالك ، وتحققت ألا نجاة إلا بقبولي . (متنهدة) قبلت . . .

جرفت : (باهتمام عظيم) ليرا ، ماهذا الذي أسمع ؟

ليرا : عندها أخبرني أنه ذاهب حالا إلى بترال ليصرف المبلغ ويحضره معه ، وطلب مني أن أكون في صباح اليوم التالي في كنيسة القديس مرقس القديمة على ضفة النهر ، حيث يكون في انتظاري مع القس (تتهند) أدهشتني هذه السرعة ، فسألته عن سببها فأجاب بأنه سيدافر في أقرب فرصة للحاق بعتمه المربضة . ولما سأله عن سبب تكتم هذا الزواج . قال : إن عتمته لو علمت بزواجه حرمته من الوصية . (تتاوه) مضت تلك الليلة .

جرفت : ياللمصيبة ! ليتني علمت منك هذا في حينه .

ليرا : ذهبت إلى الكنيسة (بتوجع) فألقيته : القس روبرت رودف في انتظاري والاضطراب باد عليهما ، إذ كنت أقرأ في عيني القس علامات الخوف والتردد كأنه كان يخشى أن يفاجأ ، أو كأنه كان مسوقاً رغم أنفه إلى عمل يأباه ضميره . وبعد تردد تلا كلمات الإكليل وهو يرتجف ولسانه يتلعثم . ومد دجوفري بارل يده إلى القس بقبضة من الذهب . فتناولها القس وخرج يعدو . وكأنه لص يتواري عن أعين لاحقيه . (تبكي) .

جرفت : ياللعيانة ! إنه عقد باطل ، لأن هذا القس لم يكن سوى لص مأجور ، لتتوهى أن هذا صحيح . كفكفي الدمع يابنتي ، وكفي فقد انتقم الله لك من عدوك .

ليرا : حاول أن يظفر مني ولو بابتسامة ، فشردت عنه ولم أتمكن يده الدنسة أن تمس حتى طرف ثوبي . رجعت ودموعي تتدفق على فقد حبيبي ، وما وصلت الكوخ حتى وجدت أبي جثة هامدة . (تبكي بحرقة) فوقت جامدة أمام جسده الطاهر أندب سوء حظي . ولما رأيته بجاني طلبت منه المال لأدفعه عن أبي محافظة على وعده وشرفه ، فرفض بدعوى أن الدين أصبح حقاً على بعد موت أبي . فطار صواحي وصرخت ، عندما رأيته ،

وكان ما كان من هروبه . ولم أسمع عنه شيئاً حتى الآن غير ما جاء بكتابك من أنه مات غريقاً .

جرفث : أبشرى يا ابنتى ، فإن هذا العقد باطل ، والرجل الذى يخيفك قد هلك .
ليرا : (بفرح) بالله ، زدنى إيضاحاً .

جرفث : إسمعى يا ابنتى : حدث بعد أن بعثت إليك بكتابتى أن دجوفرى بارل ، ذلك الشيطان ، حضر بنفسه أخبارك ، ظناً منه أنك لا تزالين فى عشك القديم .

ليرا : (باستغراب) عجيب ! إلى الكوخ ؟ (باندھاش) وبعد ؟

جرفث : أخذ يحوم حول المزرعة ، فأبصرنى ، ففزع لرؤيتى .

ليرا : وبعد ؟

جرفث : تناولت معولاً من حديد وهممت أعدو وراءه فأخذ طريقه إلى النهر ، فانطلقت أثب خلفه كالنمر يطلب فريسته .

ليرا : (بتلهف) وبعد ؟ وبعد ؟

جرفث : قفز إلى قارب المزرعة ، واتجه إلى الشاطئ الثانى ، فصممت على اللحاق به سابحاً . وما كاد يصل إلى الشاطئ حتى ألقى بنفسى فى الماء ، وما توسط النهر حتى أخذته رعدة وأقسم أنه ما أراد بك سوءاً ، وأن زواجه منك ما كان إلا مهزلة أو العوبة ، وأنه غير شرعى ، لأن القس لم يكن سوى رجل بئس فقير كان يمثل دوراً مأجوراً عليه .

ليرا : هذا مدهش . (بسرور) ، إنك أحييت ميت آمالى ، وأعدت لى الحياة المطمئنة التى كنت قد يئست من الحصول عليها .

جرفث : لم تؤثر فى تلك الكلمات ، بل استشاطتنى غضباً ، لأننى كنت خالى الذهن من كل هذا ، فألقى بنفسى فى الماء ، وقد أخذتنى رعدة هائلة ، فلما أبصرنى قذف بنفسه إلى الماء طلباً للفرار سابحاً إلى الشاطئ الثانى . ولما كان لا يحسن السباحة ساعده حسن الحظ بأن رآه أحد الصيادين وهو يستغيث فأغاثة بقارب .

ليرا : (باهتمام عظيم) يا إلهى ! وبعد ؟

جرفث : بينما كان بعصر ثيابه على الشاطئ الثانى وكنت أنا فى قارب المزرعة ، أعالج تحويله

عن كومة الرمل لا تزال به ، قرعت أذنى صرخة مفزعة ، فسرحت نظرى ناحية الصوت ، فرأيت جمعاً محتشداً تتقدمه امرأة غارية الرأس مبعثرة الشعر ، وهى تصيح :
هو هو بعينه !

ليرا : (بخوف) وبلاه ! إني أرتعد .

جرفث : وما كدت أصل إلى الشاطئ ، حتى كانت المرأة قد أنقضت عليه ، واندفعت به إلى الماء مطوقة بإم بذراعيها ، وماهى إلا لحظة حتى غاصا معاً تحت الماء فى النهر . حاول الكثير من الحضور إنقاذها فلم يفلحوا . . كانت المرأة قابضة على عنقه فاستحال عليها الخلاص ، وهلكا تحت الماء . . .

ليرا : (بذهول) إذاً لقد مات دجوفرى بارل ؟ وافرحته !

داين : (يدخل وسانت أوبن وفانشو) شكراً لله ، لقد هلك الخائن .

ليرا : (تقف وجرفث . تنظر إلى الأرض بخجل . بارتجاف) داين ؟

داين : (بانشرح) نعم ، إنه أنا (ينظر إلى جرفث) لقد شرفت قصرنا ، وأدخلت علينا السرور ، وجلبت لنا الهناء بتشريقك ستار منستر اليوم .

جرفث : (ينحنى) شكراً لك ، يامولاي .

ليرا : (مشيرة إلى جرفث) إنه مهربى الذى أرضعنى لبان الفضيلة .

داين : نعم الرجل . لقد عرفت كل شئ . (ينظر جرفث إلى ليلا اختلاسا) لا تنظر إليهما ، فإنى أرى قلبها يرقص فرحاً . (يبتسم) لا تعجبا من هذا فإنى سمعت كل كلمة دارت بينكما ، ووعيت الحديث من أوله إلى آخره .

ليرا : (بخجل) أسمعت كل شئ ؟ (تنهد) .

داين : وأعلم عنك أكبر مما تعلمين . (يلتفت إلى فانشو وسانت أوبن) أقدم إليك صديقنا فانشو مارتين ، الأب المحترم ، ولورد سانت أوبن .

ليرا : (تنحنى) لى عظيم الشرف .

داين : (إلى صديقه) إني أشرف بأن أقدم لصديقى المخلصين ليدى ليلا ارمتايدج .

سانت أوبن : (بسرور) إني أهنتكما من كل قلبى بهذا الانصال الدائم .

جرفث : وأنا الآن لا يسعني شيء من الفرح الذي هز قلبي من أعماقه ، ذلك القلب الذي لم يدخله السرور منذ عهد الشباب إلا هذه اللحظة فقط . (يمسح عينه) هذه دموع الفرح تجلجل شعري الأبيض ، فليبارككما الله يا ولدي .

داين : اسمي يا عزيزتي ، فسأزيدك ثقة بأنني لم بالموضوع أكثر من المأمك به . لقد حضرنا ، أنا وصديقي ، اليوم اعتراف محتضر . ولم يكن هذا المحتضر سوى اللص ، روبرت رودن الذي كان يرافق ابن عمي تشاندس ارمتايدج ، الذي تعرفينه باسم دجوفري بارل .

ليرا : (بأسف ورعدة) ابن عمك ؟ هذا عجيب .

جرفث : (بصوت خافت) ابن عمه ؟ يا للدهاية !

داين : لا تأسف ، فإني غير آسف ، لأن سلوكه كان مشيناً ، وستعلمان عنه أشياء كثيرة . لقد شرح روبرت كل ما حصل في كنيسة القديس مرقص القديمة . وها هو ذا اعترافه مع صديقي المحترم (مشيراً إلى فانشو) . سأطلعكما عليه فيما بعد ، إن روبرت لم يكن راضياً عن ذلك وقال إنه كان دوراً هزلياً وأن هذا العقد لأشك باطل . واعترف بأنه عطف عليك لأنك كنت ملاك الطهارة ، وكنت غير راضية عنه ، مسوقة إليه بدافع قوى لا يعلمه ، وختم كلامه بطلب العفو منك فأسألك الصفح عنه .

جرفث : حقيقة إن مولاي يعرف أكثر مما نعرف والآن ، وقد وضح كل شيء ، لا يسعنا إلا أن نشكر الله على هذه النتيجة .

داين : وأكثرت من هذا أن أنباء غرق تشاندس وصلت إلينا على لسان البرق وفي صحف لندن ولم يعلم والدي إلا بمرور ذلك بعد .

فانشو : إنا نقابل هذا الخبر بمزيد الأسف .

سانت أوبن : وأنا أشارك صديقنا فانشو في هذا الأسف .

داين : بارك الله فيكما ، هذا مصير كل حي . والآن أسألكما ألا تطلعا والدي إلا بمرور على شيء من هذا الحادث ، لأنه سريع التأثير ، وصحته تهجنى . ألا توافقان على ذلك ؟

سانت أوبن : أصبت . وإني سأتناهى منذ هذه اللحظة كل ما علمته عنه .

فانشو : الحق معك ، يا عزيزي داين ، وأنا أشارك اللورد (مشيراً إلى سانت أوبن) (٤٩ - ديوان)

في عواطفه السامية .

داين : أشكر كما على هذا الإخلاص . (إلى ليرا) بقى على أن أسمع من فمك الطاهر الخلو
الجميل كلمة القبول ، فهل أنت راضية ؟ .

ليرا : (بابتهاج) نعم راضية ، ومن كل قلبي .

صانت أوبن : (بسرور) أهنتك ، يا عزيزي ، بهذه الدرة اليتيمة . (يصالحه) .

فانشو : إن ملائكة الرحمة تحرس هذا الهيكل الشريف (مشيراً إلى ليرا) ، وإني أتمنى لك
عمرًا طويلاً ، وحياء طيبة سعيدة .

جرفث : أما الآن فلا يسعني ، أنا الشيخ الذي لعب به الدهر زمناً طويلاً إلا أن أتقدم بقدم
ثابتة وحنان قوى إلى آنسة ليس لي في هذه الدنيا غيرها (يأتي من الخلف فيمسك يد
داين بيمينه ويد ليرا بشماله ويضعهما معاً . ينظر إلى داين) هذه هديتي إليك ، وأمانتي
عندك ، فاحتفظ بها إنها كنز ثمين . (ثم يضع يديه على رأسيهما وينظر إلى السماء)

اللهم باركهما ، وهب لهما العمر والهناء !

« تسدل الستار »

تمت بعون الله

فهرس الديوان

صفحة

٥
١٦

دراسة لحياة الشاعر وعصره : الأستاذ عاصر محمد بحيرى
أبو أميمة شاعر الكونيات : للدكتور أحمد كمال زكى

الديوان :

٢٧
٧٦
١٠٥
١١٨

النونية الكبرى
المعزية الكبرى
مرآة الزمن
رحلة

قصائد اجتماعية ووجدانية :

١٢٩
١٣٢
١٣٥
١٣٧
١٣٩
١٤٣
١٤٦
١٤٨
١٤٩
١٥٠
١٥٢
١٥٤
١٥٦
١٥٨
١٦١
١٦٢
١٦٣
١٦٤
١٦٥

حرب طرابلس
إلى الأمير
تشریف الأمير
تهنئة
في تهنئة محمود ذهنى
وداع
في قطار
تقريظ
يا عظميا
فقيد الطيران
على أبو الفتوح
رثاء
إلى زوجة راحلة
فيدورا
المنصورة
وردة
ناظك - إليها
هى أشعر
مطارحة - مدح - ثناء - مدح

صفحة

١٦٦	وصف الحبيلة - غزل - عزيزة الروح
١٦٧	صبري - إلى صديق
١٦٨	تطريز - الشيخ فهمي الصيرفي - تهنئة
١٦٩	متناثرات في الهجاء
١٧٠	رسالة
١٧١	عاشق - للصباح
١٧٢	مصر
١٧٣	رثاء
١٧٤	غزل
١٧٥	غزل
١٧٦	صدودك
١٧٨	سلام
١٧٩	استنهاض
١٨٠	تحية
١٨١	تكريم
١٨٢	مصر
	<u>غزل الأغاني :</u>
١٨٣	ستريس ، عذراء منف
١٨٥	هو القدر
١٨٦	العاشق
١٨٧	عيون و عيون
١٨٨	حيرة
١٨٩	لواعج
١٩٠	إليها
١٩١	وهبتك قلبي
١٩٢	راقبوها
١٩٣	سحر الجمال
١٩٤	شكوى
١٩٥	يا عيوناً
١٩٦	إليك وفاني

صفحة

١٩٧	حرب
١٩٨	القلب القاسى
١٩٩	أين اليهود ؟
٢٠٠	جفون
٢٠١	دولة الحسن
٢٠٢	معلتى
٢٠٣	متى اللقاء
٢٠٤	فدى لك روحى
٢٠٥	جرايها
٢٠٦	ملككت الفؤاد
٢٠٧	عن غادة
٢٠٨	سؤال
٢٠٩	وفاء
٢١٠	هو الحب
٢١١	رجاء
٢١٢	يوم الوداع
٢١٣	لمن أشتكى ؟
٢١٤	قسم
٢١٥	استسلام
٢١٦	لقاء خيال
٢١٧	هينى لحظة
٢١٨	سلى الليل
٢١٩	سأصون العهد
٢٢٠	عهد
٢٢١	كم تحملت
٢٢٢	الحقيقة
٢٢٣	لولا الهوى
٢٢٤	إليها
٢٢٥	ليلة
٢٢٦	لحظ العيون

صفحة	
٢٢٧	ربة الحسن
٢٢٨	جبية القلب
٢٢٩	مناجاة
٢٣٠	يا حياتي
٢٣١	قسماً بشعر
٢٣٢	إلى قلب
٢٣٣	غيرت حالي
٢٣٤	لقاء
٢٣٥	نداءات عاشق
٢٣٦	خبرها
٢٣٧	قصة لقاء
٢٣٩	عنها
٢٤٠	متى يكون التذاني ؟
٢٤١	رفقاً بحالي
٢٤٢	أغنية حب
٢٤٣	حقيقة الحب
٢٤٤	الصاحك الباكي
٢٤٥	تفريدة
٢٤٧	دلال
٢٤٨	بأفقه رفقاً
٢٤٩	كيف أصنع ؟
٢٥١	فانفتى ارحمى
٢٥٢	إلى رقيب
٢٥٣	أنت بدر
٢٥٤	يا ليل
٢٥٥	دمعى يخفف كربى
٢٥٦	تمنيت شهادك
٢٥٧	لقاء على كأس

صفحة

أدبريت وأناشيد مدرسية :

٢٥٩	حنين الأرواح (تاريخ السلم الموسيقى)
٢٦٣	الموسيقى والليل
٢٦٤	القطع الفنائية بقلم شجرة الدر
٢٦٦	صحوة العلم ونشوة المال
٢٦٩	مجد مصر
٢٧٠	صوت الضمير
٢٧١	أناشيد مدرسية :

(شبرا ٢٧١ - العباسية ٢٧٢ - خليل أغا ٢٧٣)

(محمد على ٢٧٥ - عابدين ٢٧٦ - القرية ٢٧٧)

(الشيخ صالح ٢٧٨ - مصر الجديدة ٢٧٩ .)

(مسرحية مترجمة عن تشارلس جارفس) دبئية الكوخ

٢٧٣	الفصل الأول
٣٠٠	الفصل الثاني
٣٢٨	الفصل الثالث
٢٢٣	الفصل الرابع
٣٦٠	الفصل الخامس

استدراك

ورد اسم الدكتور أحمد كمال زكي في صفحة ١٩ واسم شارلس جارفيس
في صفحة ٢٨١ بحرفين فلزم التنويه ، هذا ونعتذر أيضاً عن ورود بعض
أخطاء طباعية يسيرة لا تغيب عن القارىء .